IN THE NAME OF ALLAH THE MOST BENEFICENT
THE MOST MERCIFUL

العتبة الحسينية المقدسة | مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية

IMAM HUSSEIN HOLY SHRINE
IMAM HASAN (P.B.U.H) CENTER FOR SIECIALIZED STUDIES

مجلة الزكي التخصصية

مجلة نصف سنوية تصدر عن
مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية

اسم المجلة: مجلة الزكي التخصصية
المؤلف: مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية
الطبعة: الاولى
العدد: العددين ٢،٣
سنة الطبع: ٢٠٢٤
الكمّية: ١٠٠٠
الناشر: مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية
التصميم والإخراج الفنّي: وحدة الإخراج الفنّي

Emial: Alzaki@imamhassan.org
Telephone: 00964 780 335 8020

رقم الايداع في دار الكتـب والوثائق العراقية ببغداد ٢٥٦٨ لسنة ٢٠٢٢

هيأة التحرير

المشرف العام

الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير

السيد كاظم الخرسان

هيأة التحرير

الشيخ قيس العطار

الشيخ حيدر القرشي

الشيخ محمد حسين النجفي

د. محمد نوري

د. رضا عرب

د. قاسم شهري

الهيأة الاستشارية

السيد محمد علي بحر العلوم

السيد ضياء الخباز

د. ستار الاعرجي

د. علي حجي

الأستاذ عبد الكريم الدباغ

ضوابط النشر في مجلة الزكي

ترحب هيأة تحرير مجلة الزكي التخصصية بكتابات الباحثين والباحثات من داخل العراق وخارجه في ما يختص بالإمام الحسن المجتبى عليه السلام ضمن شروط النشر أدناه:

١- يخضع البحث المُقدم لتقييم لجنة علمية مختصة.

٢- يكون تقديم وتأخير البحوث في المجلة اعتمادا على الظروف الفنية المتبعة.

٣- أن تكون البحوث مشتملة على المنهجية العلمية وغير منشورة سابقا.

٤-يُسلم البحث الى المركز او يرسل عبر البريد الالكتروني alzaki@imamhassan.org مصفوفا على برنامج الورد وان لا يقل عن (١٠) صفحات ولا يزيد عن (٤٠) صفحة في الحالات الاعتيادية).

٥-يُثبّت عنوان البحث على الصفحة الاولى بالإضافة الى اسم الباحث الكامل ولقبه العلمي (إن وجد) وفي حال اشتراك اكثر من باحث في بحث واحد تذكر اسماؤهم جميعا.

٦-تمتلك المجلة البحوث المقدمة إليها وهي غير ملزمة بإعادتها للباحثين سواء نُشرت او لم تُنشر ولها الحق في إعادة نشرها وطبعها بكتاب او ضمن كتاب أو ترجمتها إلى لغة أخرى مع حفظ الحق العلمي للباحث.

٧-إرسال نبذة عن السيرة الذاتية للباحث مع رقم الهاتف والبريد الالكتروني.

٨- تمنح مكافأة تقديرية لكل باحث بعد طباعة بحثه.

كلمة العدد

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين، آمِينَ ربَّ العالمين..

على رغم وجود عددٍ كبيرٍ من الموضوعات العلميّة المرتبطة بالإمام الحسن المجتبى عليه السلام فإنها لم تستوفِ حقَّها من الكتابة والبحث، ونحن ما زلنا نتلمَّس النقص الواضح في الكتابة عنه عليه السلام، وهو ما جعلنا نصدر العددين الثاني والثالث معاً..!

ولعلّ السبب في ذلك هو مرتكزٌ خاطئ عند البعض مُفاده قلةُ المصادر المتوفرة عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مما يستدعي قلة الكتابة عنه! أو التركيز في الكتابة على شبهتي الصلح والزواج اللتين أُشبعتا بحثاً وتحقيقاً حتى وصل الحال في بعض المقالات إلى اجترار السابق مع إضافات بسيطة لا تغني، ولا تسمن..!

في حين تزخر حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بالعديد من الملفات الجوهرية التي لم تُشبَع بحثاً وتحقيقاً، وهي بحاجةٍ إلى جهود العلماء والباحثين لنفض الغبار عنها وبيانها بأساليب وطرق مختلفة، منها:

أولاً: حياة الإمام الحسن المجتبى في ظل حياة أبيه أمير المؤمنين عليهما السلام، والتي تحتوي على عددٍ كبير من الموضوعات الهامة والحساسة والتي تُجسّد مفاصل مهمة في التاريخ الإسلامي، والكثير منها لم يُسلَّط الضوء عليها إلا ضمن كتابٍ او مقالة، ولم تُبحث على نحو مستقلٍ ووافٍ..

ثانياً: حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بعد الصلح، والتي تعدّ من الفترات المجهولة — تقريباً — في حياته عليه السلام؛ لأن هذه المرحلة مثّلت مغزى الصلح وجوهره مع معاوية، وبيّنت مدى تعاطي المجتمع مع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ومدى تأثير الإمام في الأمة.

ثالثاً: حِكَمُه ومواعظه وكلماته عليه السلام من ناحية الشرح والتحليل وتبيين ملابساتها والدواعي والظروف التي قيلت فيها وما يقصده الإمام عليه السلام منها وكيفية الاستفادة منها في قراءة التاريخ الإسلامي أو الاستفادة منها في حياة الفرد..

وأود التذكير بأنّ مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية التابع للعتبة الحسينية المقدسة لديه مكتبةٌ تخصصيةٌ في الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، تحتوي على جُلّ ما طُبع عن الإمام وبمختلف اللغات، وإن المركز يوفِّر كافة التسهيلات العلمية وغيرها للباحثين والمحققين لكتابة المقالات والدراسات والكتب والبحوث العلمية.

وفقنا الله وإياكم لخدمة أهل البيت عليهم السلام ونصرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وجعلنا الله وإياكم ممن ينطبق عليهم كلام الإمام الصادق عليه السلام: أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيى أمرنا.

المحتـويات

أَحاديـثُ الإمـام الحَسَـن بْـنِ علـيّ المجتبـى سـلامُ اللـهِ عليَـهِ فـي «تحف العقول»	أ. أمين حسين بوري	١١
الإمامُ الحَسَنُ عليه السلام رجلُ الحِوارِ والسَّلامِ	د. أحمد راسم النفيس	٦٩
البحـثُ الجِنائـيُّ وتحـرِّي الطَّـبَّ العَدْلـيَّ، فـي جريمـةِ تسَـميم الإمـام الحَسَـنِ عليه السلام: دِراسـةٌ تحليليـةٌ افتراضيـةَ	د. أحمد الصفار	١١٣
الخطـابُ الحَسَـنُّي: دراسـةٌ تواصُليّـةٌ فـي ضَـوءِ اسـتراتيجيةِ التَضامُـنِ	د. نعمة دهش الطائي	١٧١
المَواعِـظُ القرآنيَّـةُ فـي حِكَـمِ الإمـامِ الحَسَـنِ المُجتبـى عليه السلام	د.محمد خضير الجيلاوي	٢٠٣
حقـوقُ الإنسـانِ فـي بنُـود صُلْـح الإمـام الحَسَـن عليه السلام سبْـقٌ فـي التأصيـلِ والإعلانَ مقاربـة للرؤيتيـنِ الإسـلاميةِ والغَربيـةِ لوثيقـةِ الحقـوقِ	م.د علي خضر محمد الشكري	٢٥١
حَقيقـةُ الوثيقـةِ - قـراءةٌ فـي نُصـوصِ وثيقـةِ الصُّلْـحِ	السيد زيد الحلو	٢٩١

المحتـويات

سيّدُ شبابِ أهلِ الجنّةِ الحَسَنُ عليه السلام	الشيخ محمّد كاظم المحمودي	٣١٥
فاعليّـةُ الانزيـاحِ التركيبـيِّ وأثرُهـا فـي المُتلقّـي - خُطَـب الإمـامِ الحَسَـنِ عليه السلام أُنموذجـاً	محسن بدر مارد	٤٠٣
فِـي رِحَـابِ أبِـي مُحَمَّـد إطلالـةٌ علـى الجانِـبِ التّفسـيريِّ للإمـامِ المُجتبـى الحَسَـنِ بـنِ علـيٍّ عليه السلام	مريم حامد الخفاجي	٤٢٧
مُعاهـَدَةُ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام صُلحٌ أم هُدنةٌ؟	السَّيدمحمود الغُريفيّ	٤٦٣
دراسـةٌ مقارنـةٌ فـي مـرآة المُستشـرقينَ (صُلْـحُ الحَسَـن) عليه السلام مِـنَ المْنظـورِ السياسـيِّ والقانونـيِّ والاجتماعـيِّ	اسماء نعمان صالح	٤٨٩
خلافةُ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام وظُرُوفها	السيد محمد باقر الصدر رحمه الله	٥٢٣
بَيـنَ النُّبُـوّةِ والإمامـةِ	د. الشيخ أحمد الوائلي	٥٧٣

أحاديث
الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام
في «تحف العقول»

توثيقُ وتخريجُ
أمين حسين بوري[1]

١- من طلبة الحوزة العلميّة بقم.

ملخص المقالة

يقوم المحقق باقتناص الروايات الواردة في فضائل وسيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من كتاب (السفينة الجامعة لأنواع العلوم)، وهو من المصنّفات المخطوطة للحاكم الجِشُمي، وهو المحسّن بن محمّد بن كرامة الجِشُمي البيهقي (٤١٣ - ٤٩٤هـ)، وهو من كبار علماء المعتزلة، وقد اعتنق المذهب الزيدي في أواخر عمره.

وقد قام الكاتب بتحقيق النصّ على نسخة فريدة من كتاب السفينة، وقد قام بترقيم الأحاديث والروايات الحسنيّة، فبلغت ثلاثين حديثاً.

الكلمات الأساسية: الإمام الحسن المجتبى عليه السلام - السيرة؛ الحاكم الجِشُمي (مؤلّف)؛ السفينة الجامعة لأنواع العلوم (كتاب).

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمّد وآله المعصومين.. وبعد:

المدخل:

لقد تضاعفت في الآونة الأخيرة اهتمامات الشّارع الشيعيّ ودعاته بكتاب تحف العقول باعتباره مصدراً قديماً يحوي كمّاً هائلاً من أحاديث الأئمّة عليهم السلام في مجالات المواعظ والأخلاق والسلوكيّات الحميدة منها والذميمة وتهذيب النّفس وما شابه ذلك. ولا شكّ أنّ الكتاب كذلك حيث تكرر كثير من رواياته في مصادرنا الشّيعيّة الأخرى بنصّها أو باختلاف يسير أو ببعض الزيادة والنّقصان، ولكن بشكل لا يشكّك الباحث لأجلها في صدور أصل الرواية.

ولكن هناك إلى جانب ذلك عدداً ملحوظاً من الروايات في هذا الكتاب لا نجده في مصادرنا الأخرى.

هذا أولاً وثانياً أنّ هناك دراسات برزت مؤخراً إلى الساحة العلمية وقد ألقى أصحابها الأضواء على حياة ابن شعبة وشخصيته التي كانت مظلمة لنا تماماً حتى وقت قريب حيث أوضحت هذه الأبحاث أنا بحاجة ماسة إلى قراءة مروياته من جديد.

ابن شعبة: حياته وتراثه:

ويجدر بنا قبل أن نخوض صميم البحث أن نضع الباحث الكريم في صورة موجزة عن شخصية ابن شعبة وحياته، فنقول:

عرفته المصادر بأنّه «أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني»[1].

وكنا نحن الإمامية لا نعرف شيئاً عن ابن شعبة لا قليلاً ولا كثيراً إلى ما قبل العصر الصفوي، وكان أوّل من أشار إلى ابن شعبة من علمائنا هو الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي (ق ١٠ هـ) حيث قال في كتابه: «الوافية في تعيين

١- راجع المصادر الآتية.

الفرقة الناجية» في معرض نقل حديث من كتاب التمحيص: «... ما رواه الشيخ العالم الفاضل العامل الفقيه النبيه أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة البحراني[1] قدّس الله روحه الزكية في كتاب التمحيص...»[2] ومن هنا يبدوأن فضل السبق في التعرف على ابن شعبة وتراثه يعود إلى علماء العصر الصفوي، وكان قصارى معلوماتهم عنه يتلخص في ما استشفّوه من كتابه: «تحف العقول» فراحوا يُطرونه لما ينطوي الكتاب عليه من الروايات الكثيرة التي تحظى بسمو المعنى وجزالة اللفظ وجمال السبك، فقال الشيخ الحر العاملي (م١١٠٤ هـ) مثلاً: «الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة، فاضل محدث جليل، له كتاب تحف العقول عن آل الرّسول: حسنٌ كثير الفوائد مشهورٌ، وكتاب التمحيص ذكره صاحب كتاب مجالس المؤمنين»[3] ونحوه ما ذكره غيره.

هذا وقد طبعت في الآونة الأخيرة سلسلة من تراث الفرقة النصيريّة تشتمل على العديد من أبرز مصادرهم، وأهمها وقد نسبوا فيها ثلاثة كتب إلى أبي محمد ابن شعبة: «تحف العقول» و «كتاب التمحيص» و «حقائق أسرار الدّين».

وبعد نشر هذا التراث النصيري قد أخضع بعض الإخوة الباحثين شخصية ابن شعبة وكتبه الثلاثة للدراسة بحيث كفانا مؤونة البحث فأثبت عبر تقصي الشواهد الكثيرة أنّ ابن شعبة كان من علماء الفرقة النصيرية ممن كان يعيش في القرن الرابع الهجري وكما نعلم فإنّ تعاليم هذه الفرقة المنحرفة حافلة بالغلو والقول بالحلول والتناسخ وغيرها كما ألقى كذلك الضوء على كتابه: حقائق أسرار الدين وكشف عمّا فيها من الروايات عن الغلاة ومن أبرزهم الحسين بن حمدان الخصيبي (ق ٤ هـ) زعيم النصيرية في عصره ومجدّدها الذي كان ابن شعبة من أخصّ تلامذته به[4].

١-كذا في طبعتنا والصحيح: الحراني.
٢-الفرقة الناجية (رهبويان حقيقت)، (تصحيح: محمد حسن محمدى مظفر): ٢٥٢.
٣-أمل الآمل:٢/ ٧٢. وللمزيد عن أقوال المتأخرين بشأنه راجع: أعيان الشيعة: ٥/ ١٨٥.
٤-راجع: مجلة مقالات و بررسيها: (اديان وعرفان السنة: ٤٨، العدد: ٢، خريف وشتاء: ١٣٩٤ ش ؛ ص ١٨٣-١٦٣ مقالة: «حقائق أسرار الدين»، متنى كهن از ميراث نصيريه: بزوهشى در تاريخ كذارى و شناسايى

كما يأتي في نفس السياق الجهود الطيبة التي بذلها بعض آخر من الباحثين في مدوّنته على الإنترنت حيث تناول بعض مرويات تحف العقول بالبحث والنقد ليدلّل في نهاية الشوط على أنها ليست من كلام الإمام الذي نسبت إليه بل هي من أقوال رجال آخرين من نحو بعض رواة العامة في القرون الثلاثة الأخرى كما أزاح الستار عن ظاهرة بالغة الخطورة في تحف العقول وهي أنّ هناك العديد من روايات مصادرنا الإمامية نجدها في كتب ابن شعبة بزيادات أو تغييرات قد تبدو بسيطة للوهلة الأولى ولكن إذا أمعنا النظر فيها نُفاجَأ بأنها لا تتناسب وعقائد الشيعة أبداً وإنّما تنسجم مع المنظومة العقديّة للنصيريّة [1].

كلّ هذا وذاك مما زرع بذور الشكوك والتساؤل الأولى في نفسي حول مدى مصداقية بعض ما ينسبه ابن شعبة للأئمة عليهم السلام ومن ثم ارتأيت أن أخضع مرويات ابن شعبة عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ـ كنموذج ـ للدراسة لنلاحظ مدى صحة ما ينسبه إلى الإمام عليه السلام عبر مقارنته بما نقلته المصادر الأخرى قبله أو بعده ـ سواء من الشيعة أم السنة. ويجب التنبيه على أنا لم نواصل رصد المسيرة التاريخية للنقولات إلى ما بعد القرن السادس إلا قليلاً؛ حيث لم نجد في ذلك ضرورة علمية ولا جدوى فإنّ الكثير من المصادر المتأخرة لا شأن لهم إلا النقل عن المتقدمين فإذا توفّرت لدينا مصادر متقدّمة فأية فائدة في تضخيم المقال بسرد المصادر المتأخرة في الهوامش؟

كما لا تفوتنا الإشارة إلى أنّ ضابطنا هنا لتقديم مؤلّف على آخر هو تاريخ وفيات المصنفين، ولكن من الممكن أن يكون بعض من أخرناه قد ألف كتابه قبل معاصره الذي تقدم وفاته عليه بقليل.

وأما الآن فقد حان الوقت لدراسة ما نسبه ابن شعبة للإمام الحسن المجتبى عليه السلام [2]:

مؤلف آن» للدكتور: حميد باقرى؛ و انظر أيضاً له: فصليّة «علوم حديث» الفارسية، العدد ٧٤، شتاء ١٣٩٣ ش، ص ٥٥-٧٤ مقاله: «پژوهشى در انتساب چند اثر جديد الانتشار به أبو محمد حسن بن على بن شعبة حرّانى، محدّث شناخته شده شيعى».

١- لاحظ جميع ما كتبه أخونا الباحث لحد الآن على هذا العنوان:
www.alasar.blOg.ir/1397/11/04/tOhaf1

٢ - لقد قمنا بترقيم الروايات تيسيراً لعملية البحث والإحالة.

١. قوله: «في أجوبته عن مسائل سأله عنها أمير المؤمنين عليه السلام أو غيره في معان مختلفة: «قِيلَ لَهُ: مَا الزُّهْدُ؟ قَالَ: الرَّغْبَةُ فِي التَّقْوَى...»[١].

روى قليلاً من هذه الأسئلة محمد بن مرزبان

المحولي (م ٣٠٩هـ) في كتاب «المروءة» بإسناده إلى أَبِي بَكْرِ الرِّفَاعِي عَنْ جَدِّيْهِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالب سَأَلَ ابْنَهُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَقَالَ يَا بُنَيَّ مَا السَّدَادُ؟...»[٢] والتفاوت واضح بين روايته ورواية ابن شعبة.

كما رواها الطبراني (م٣٦٠هـ) بإسناده إلى «أبي إسحاق السبيعي، عَنِ الْحَارِثِ أَنَّ عَلِيًّا سَأَلَ ابْنَهُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْمُرُوءَةِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، مَا السَّدَادُ؟...»[٣]. ورواها أبو الفرج المعافى بن زكريا (م٣٩٠هـ) في كتاب «الجليس الصالح الكافي» بإسناده إلى أبي إسحاق عن الحارث بنحو هذا المتن[٤].

وروى هذه الأجوبة الصدوق (م ٣٨١هـ) في معاني الأخبار[٥] بإسناده عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئ عَنْ أَبِيهِ شُرَيْحٍ، قَالَ: سَأَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ابْنَهُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ مَا الْعَقْلُ؟ قَالَ: حِفْظُ قَلْبِكَ مَا اسْتَوْدَعْتَه...».

وتجد بين روايته ورواية ابن شعبة تفاوتاً ملحوظاً - لا نخوض غماره - فعلى سبيل المثال: في رواية الصدوق بعد ذكر أسئلة الإمام علي عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام: «ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْحُسَيْنِ ابْنِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا بَنَيْ ! مَا السُّودَدُ ؟ قَالَ: اصْطِنَاعُ الْعَشِيرَةِ وَاحْتِمَالُ الْجَرِيرة...» وقوله «اصْطِنَاعُ الْعَشِيرَةِ وَ احْتِمَالُ الْجَرِيرَة» قد ذكره ابن شعبة في جواب الإمام الحسن عليه السلام عن السؤال عن الشرف كما لم نجد في المصادر التي روت هذه الأسئلة سؤال الإمام علي للإمام الحسين عليه السلام بعد أخيه

١ - تحف العقول:٢٢٥.
٢-كتاب المروءة:٥٧.
٣-المعجم الكبير: ٣/ ٦٨. ورواه عنه تلميذه أبو نعيم في: حلية الأولياء:٢/ ٣٥ - ٣٦.
٤-الجليس الصالح الكافي:٥٧٨.
٥-معاني الأخبار: ٤٠١.

الإمام الحسن عليه السلام ولم يذكر السائل في رواية ابن شعبة كما أن بداية الأسئلة أيضاً مختلفة بين الروايتين. وروى هذه الأسئلة أبو الحسن الماوردي (م٤٥٠هـ) في «الأمثال والحكم» قائلاً: «روى ابن عائشة[١] أن علي بن أبي طالب قال لابنه الحسن رضي الله عنهما ـ يا بني، ما السداد ؟...»[٢].

هذا وقد عزا بعض المصادر حواراً في نفس السياق إلى عمرو بن العاص حيث نسبوا إليه أسئلة لابنه عبد الله عن مكارم الأخلاق ورذائلها[٣]، ولنا أن نتساءل عما إذا كان لهذه الأسئلة نصيب من الواقع أم أنها رقصة المذبوح لتلميع صورة ابن النابغة وإظهاره في صورة حكيم يُعنى بالأخلاق، ويهتم بتأديب ابنه؟ ومهما يكن من أمرٍ فلا شك في ثبوت نسبة هذه الأسئلة وجواباتها إجمالاً إلى الإمام علي وابنه الإمام الحسن عليه السلام أما دراسة تفاصيل الأسئلة وجواباتها والفروق بين رواياتها المختلفة فهي بعد بحاجة إلى مزيد من البحث تضيق عنه هذه العجالة.

ولكن ينبغي هنا الإشارة إلى مناقشة ابن كثير (م٧٧٤هـ) في هذه الأسئلة وتقييمه لها فإنّه بعد ما رواها عن أبي الفرج المعافى، قال: «ولكن إسناد هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع[٤] ضعيف، ومثل هذه الألفاظ في عبارتها ما يدلّ ما في بعضها من النكارة على أنه ليس بمحفوظ، والله أعلم. وقد ذكر الأصمعي والعتبي والمدائني وغيرهم: أن معاوية سأل الحسن عن أشياء تشبه هذه، فأجابه بنحو ما تقدم، لكن هذا السياق أطول بكثير مما تقدم فالله أعلم»[٥].

١-أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُبَيْدُ الله بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَفْصِ العَيْشِيُّ البصري، الأخباري(بعد ١٤٠ - ٢٢٨هـ)؛ قَالَ أَبُو حَاتِم، وَغَيْرُهُ: صَدُوْقٌ فِي الحَدِيثِ. راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٦٤_ ٥٦٧.

٢-الأمثال والحكم: ٢٤٣.

٣-راجع: نثر الذر للآبي (م٤٢١هـ): ٧٠/ ٢-٧١؛ الأمثال والحكم للماوردي (م ٤٥٠ هـ): ١٠٩ - ١١٠ ؛ فوائد أبي بكر الشاشي (م ٥٠٧ هـ): ١٠٦.

٤-يشير بقوله: «الحديث المرفوع» إلى القسم الثاني للحديث وهو: «ثمَّ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله يَقُولُ.... الجليس الصالح:٥٧٨)

٥-البداية والنهاية: ٨/ ٤٠.

نقول: أما المناقشة في سند الرّواية فهي إنما تتناسب والمبادئ الرجالية للعامة وإلا فإنّ الحديث معتبرٌ عندنا لأنّه روي بما لا يقل عن ثلاثة طرق مختلفة، وهي تكفي لاستفاضته حتى لو قلنا بضعف كلّ واحدٍ من أسانيد الحديث بمفرده.

وأما النكارة التي زعمها في ألفاظ الحديث فما ندري ماذا يريد بها؟ و في أية لفظة وجدها؟ فإن ألفاظ الحديث كلها مما تواجهنا في الكثير من الروايات الأخرى وفصاحتها تتلائم مع كلمات أهل البيت الذين هم «أُمَرَاءُ الكلام، وَفِيهِم تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْهِم تَهَدَّلَتْ غُصُونُه». ولا أدل على هذا المدعى من قول أبي الفرج المعافى - وهو أطول باعاً وأعلى كعباً في الأدب والتمييز بين الذهب والرغام من الكلمات [1] من ابن كثير بكثير ـ بعد نقل الحديث حيث قال: «فِي هَذَا الْخَبَر من جوابات الحسن أَبَاهُ عَمَّا ساءله عَنْهُ من الْحِكمة وجزيل الْفَائِدَة مَا ينتفع بِهِ من راعاه وحفظه، ووعاه وعمل بِهِ، وأدّب نَفسه بِالْعَمَلِ عَلَيْهِ، وهذبها بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وتتوفّر فَائِدَته بِالْوُقُوفِ عِنْده. وَفِيمَا رَوَاهُ فِي أضعافه أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مَا لا غنى بِكُلّ لبيب عليم ومدره حكيم عن حفظه وتأمله، والمسعود من هدي لتقبله، والمجدود من وفّق لامتثاله وتقبله»[2].

وأما قوله: «وقد ذكر الأصمعي والعتبي...» فلم يذكر لنا طرقهم لنلاحظ هل بإمكانها أن تتعارض وما روي لنا عن طرق غيرهم التي اعتبرت أمير المؤمنين عليه السلام هو السائل وهل تبلغ عدداً وشهرة ما رويناه هنا أم لا؟

وحتى لو افترضنا جدلاً أنّ السّائل هو معاوية فإنّ هذا لا يمس أجوبة الإمام الحسن عليه السلام التي هي المحور الأساس في هذا الحديث، وهي التي تهم الحكماء في مثل هذه المواضيع.

١- قال الخطيب عنه: «كان من أعلم الناس في وقته بالفقه، النحو، و اللغة، و أصناف الأدب» ونقل عن بعض علمائهم أنه قال: «لَوْ أَوْصَى رَجُلٌ بِثُلُثِ مَالِهِ أَنْ يُدفع إلى أعلم النَّاسِ، لَوَجَبَ أَنْ يُدفعَ إِلَى المُعَافَى بنِ زَكَرِيَّا» (تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٣٠_٢٣١)

٢- الجليس الصالح: ٥٧٩.

وأما قوله «لكن هذا السياق أطول بكثير..» فغايته أنّ هناك مصادر روت هذه المجاوبة بشكل أوجز، وهذا لا يدلّ على ضعف الروايات الأكثر تفصيلاً فلدينا كثرة كاثرة من الوقائع التاريخية التي أوجز بعض الإشارة إليها في بضعة أسطر فيما رواه آخرون في صفحات، وهو واضح لمن ألمّ بمناهج المؤرخين والمحدثين عن كثب فيا ترى هل يمكن أحداً أن يجعل من ذلك شاهداً على اختلاق الواقعة من الأساس ؟!

فموجز القول أن لا قيمة علميّة لمناقشة ابن كثير في هذا الحديث.

٢. و من حكمه: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ نَصَحَ لِلَّه...»[١]:

هذه الحكمة قد رواها الكليني (م٣٢٩هـ) بإسناده في ضمن ٢٢ خطبة طويلة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار [٢] كما نجد السيد الرضي (م٤٠٦هـ) أورد قطعاً منها في نهج البلاغة الخطبة المرقمة ١٤٧ [٣]، ولا نستبعد أن تكون نسبة الحكمة قد التبست على ابن شعبة ـ أو مصدره ـ فعزاها إلى الإمام الحسن عليه السلام، وعلى أية حال فهذه الحكمة قد صدرت عن أهل بيت واحد، وهو البيت العلوي المنيف.

٣. قوله «جوابه عن مسائل سئل عنها في خبر طويل كتبنا منه موضع الحاجة: بَعَثَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا مُتَنَكِّراً يَسْأَلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام...»[٤].

روى هذه الأسئلة الشيخ الصدوق (م ٣٨١هـ) في كتاب الخصال بإسناده عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: بَيْنَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الرَّحْبَةِ إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ... قَالَ: أَنَا رَجُلٌ بَعَثَنِي إِلَيْكَ مُعَاوِيَةُ مُتَغَفِّلًا لَكَ... فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ! فَقَالَ الشامي:... [٥]. ورواه بعده الفتال النيسابوري في روضة

١-تحف العقول: ٢٢٧.
٢-الكافي: ٨ / ٣٨٦-٣٩١.
٣-نهج ! البلاغة (طبع مؤسسة نهج البلاغة بتصحيح الشيخ عزيز الله العطاردي): ١٦٥ - ١٦٧ وسنحيل في الهوامش التالية إلى هذه الطبعة فحسب. ونجد بداية المقطع الذي ذكره ابن شعبة في الصفحة: ١٦٦.
٤-تحف العقول: ٢٢٨.
٥-الخصال: ٢/ ٤٤٠.

الواعظين [١] والطبرسي في الاحتجاج [٢].

ويشار إلى أنّ بعض هذه المسائل قد سأل أمير المؤمنين عليه السلام عنها ابن الكواء أيضاً، فراجع [٣].

ومهما يكن فإنّ نسبة هذه الأجوبة إلى الإمام الحسن عليه السلام صحيحة.

٤. قوله: كلامه عليه السلام في الاستطاعة:

كَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكُمْ مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ الْفُلْكُ الْجَارِيَةُ فِي اللُّجَجِ الْغَامِرَةِ...»[٤].

نقل هذه الرسالة باختلاف في ألفاظها الكراجكي (م٤٤٩ هـ) في كنز الفوائد قائلاً: «وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ البَصْرِي كَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ بْن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: مِنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ بَنِي هَاشِمٍ الْفُلْكُ الْجَارِيَة...»[٥].

ثم نجدها مرسلة عن الإمام الحسن عليه السلام عند علي بن عثمان الهجويري من أبرز مشايخ الصوفية في عصره (م بعد ٤٦٥هـ) في كشف المحجوب [٦] ثم نقلها مختصرة ابن شهر آشوب (م٥٨٨هـ) في متشابه القرآن [٧] ورواها بعده الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي (م بعد ٦٨٠ هـ) في الدر النظيم قائلا: «كتب الحسن البصري إلى الحسن بن علي عليهما السلام: أما بعد فأنتم أهل بيت النبوة، ومعدن الحكمة...»[٨] ورواها الشيخ علي بن يوسف الحلي (كان حياً

١-روضة الواعظين: ١/ ٤٥_ ٤٦.
٢-الاحتجاج: ١/ ٢٦٧ - ٢٦٩.
٣-عيون الأخبار لابن قتيبة (م ٢٦٧هـ): ٢/ ٢٢٧ ؛ أمالي المرتضى: ١/ ٢٧٤؛ تاريخ مدينة دمشق: ٩٩/ ٢٧- ١٠٠.
٤-تحف العقول: ٢٣١.
٥-كز الفوائد: ١/ ٣٦٥ - ٣٦٦.
٦-كشف الحجوب (تصحيح الدكتور: محمود عابدي؛ نشر: سروش، طهران: ١٣٨٣ش): ١٠٦-١٠٧.
٧-متشابه القرآن:١/ ٢٠٠.
٨-الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم: ٥٠٨-٥٠٩.

سنة ٧٠٣ هـ) في العدد القوية[١] بنحو رواية الدر النظيم ثم رواها الديلمي (ق ٩ هـ) في أعلام الدين[٢] علماً بأن رواية هذه المصادر الثلاثة الأخيرة قريبة بشكل ملحوظ من رواية الكراجكي وإن كان هناك بعض الفوارق بينهما.

كما لا يفوتنا الإشارة إلى أنّ علي بن الوليد الإسماعيلي (ق٧ هـ) نسب جواب رسالة الحسن البصري إلى الإمام الحسين عليه السلام[٣]. ثم إن هناك مخطوطة من هذه الرسالة بخط السيد حيدر الآملي (ق ٨هـ) وقد عرف بها بعض المحققين[٤].

والغريب في الباب أنّ السيد أحمد بن زين العابدين العلوي (حيّاً سنة ١٠٥٠هـ) أشار إلى هذه المراسلة قائلاً: «ثم لا يخفى أنّ صاحب كتاب الجواهر من المعتزلة قال: قيل: إن الحسن البصري كتب إلى الإمام الحسن بن علي عليهما السلام: من الحسن البصري إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أما بعد فإنكم معاشر بني هاشم الفلك الجارية...»[٥].

ولم نفهم مَن هو المراد من «صاحب كتاب الجواهر من المعتزلة» ولعلّ الأمر قد التبس على السيد العاملي حيث أن للكراجكي كتاباً باسم: «معدن الجواهر ورياضة الخواطر» - وهو مطبوع - فظن السيّد أنّ هذه الرواية من ذلك الكتاب وليس كذلك كما رأيت. أما لو تصوّر السيد أن صاحب كتاب معدن الجواهر من علماء المعتزلة فهو الآخر ليس بصحيح؛ كيف؟ والشيخ الكراجكي من فطاحل علماء الإمامية.

فنخلص مما تقدّم أنّ ابن شعبة هو أول من أشار إلى هذه الرسالة، ونقلها في حدود ما بأيدينا من المصادر.

وعلى أية حال فباب البحث مفتوح على مصراعيه عن مدى صحة نسبة

١-العدد القوية لدفع المخاوف اليومية:٣٣-٣٤.
٢-أعلام الدين: ٣١٦.
٣-تاج العقائد ومعدن الفوائد: ١٧٩
٤ - مجلة: «ميراث شهاب»، الربيع والصيف ١٣٨٥ش، العدد ٤٣، مقال: «نسخة هاى عكسى» للأستاذ: أبو الفضل حافظيان البابلي، ص٢٥٥-٢٥٧.
٥-الحاشية على أصول الكافي:٣٩٦_٣٩٧.

هذه الرسالة إلى الحسن البصري، فإنّ الحسن البصري ولد سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١١٠ هـ، فكان له من العمر عند استشهاد الإمام الحسن عليه السلام في سنة ٤٩ او ٥٠هـ نحو ٣٠ سنة، ومن المستغرب إلى حد ما أن يكون الحسن يومذاك قد خاض غمار هذه الأبحاث الكلامية الشائكة من نحو القضاء والقدر والاستطاعة حتى يكون بحاجة إلى استطلاع رأي الإمام عليه السلام، وهو على العكس مما نستشفه من مساق الرسالة حيث يبدو أن مرسلها كان من ذوي الاهتمام بهذه القضايا حين كتابتها، وهو يتطلب أن يكون صاحب الرسالة قد أنفق قسطاً لا يستهان به من عمره في هذه الأبحاث. كما أنّ النزعات العقدية للحسن البصري أيضاً لا تؤيد أن يكون هو الذي يخاطب الإمام الحسن عليه السلام بالقول: «... فإنَّكم مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمِ الْفُلْكُ الْجَارِيَةُ فِي اللُّجَجِ الْغَامِرَةِ وَالْأَعْلَامُ النَّيِّرَةُ الشَّاهِرَةُ أَوْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ الَّتِي نَزَلَهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَنَجَا فِيهَا الْمُسْلِمُونَ»[1] كيف وكان الحسن من المخذلين عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام[2].

أما الجواب المنسوب إلى الإمام الحسن عليه السلام وهو الذي يهمنا بالتحديد فلا ريب أن التعاليم الواردة فيه حول موضوع الجبر والاختيار تتوافق بالكامل مع بقية الروايات الصادرة عن الأئمة عليهم السلام في هذا المجال، وتتمحور حول إيضاح الموقف الصحيح في هذا المجال، وهو الأمر بين الأمرين. وأخيراً فبإمكاننا الاقتناع بصدور هذا الجواب عن الإمام الحسن عليه السلام استناداً إلى نقولات هذه المصادر العديدة التي لم نجد لها معارضاً. أما المخاطب به فالظاهر أنه رجل

١-تحف العقول: ٢٣١.

٢-شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤/ ٩٥.
وفي المقابل قد حاول بعض الباحثين (راجع: دائرة المعارف بزرگ اسلامي: ٢٠/ ٥٧٦-٥٧٧ (مدخل: حسن بصرى) بقلم: «فرامرز حاج منوچهرى و محمدجواد شمس») التدليل على الاقتراب الفكري بين الحسن البصري وأهل البيت عليهم السلام في مسألة الجبر والاختيار عبر تسليط الأضواء على محتوى هذه الرسالة ومقارنتها برسالة أخرى نسبت للحسن البصري في جواب سؤال عبد الملك عن القضاء والقدر، نقلها بنصها القاضي عبدالجبار في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: ٢١٥-٢١٧، وخلصا أخيراً إلى أن الحسن كان يتأثر بشكل واضح بمذهب أهل البيت عليهم السلام، وهو أنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، ولا يعنينا هنا تقبل هذا الاتجاه ولا رفضه بقدر ما نريد القول: إنّه لم يتيسر لنا الوثوق بصدور مثل هذه الرسالة المتضمنة لكلّ هذا الإجلال والتكريم عن مثل الحسن البصري حتى لو كان الحسن متأثراً بعض الشيء بموقف الأئمة عليهم السلام في هذا الموضوع.

آخر غير الحسن البصري.

٥. قوله: «موعظة: اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا...»: لم نعثر على هذه الموعظة بكاملها في أي مصدر من آلاف المصادر الموجودة بأيدينا، ولا نستبعد أنها تما لفقها ابن شعبة، واقتطف كل مقطع منها من رواية، فألف بين هذه المقاطع، فأصبحت موعظة مفردة برأسها، وهذا وإن كان قد نستغربه للوهلة الأولى بيد أن ابن شعبة قد انتهج نفس المنهج في بعض ما نسبه إلى الأئمة من الروايات بل هناك مؤشّرات إلى أنه كثيراً ما نسب ما كان يجده من كلمات بعض الحكماء أو الصوفية أو غيرهم ـ مما كان يستحسنه أو ما كان يحقق نواياه المبيتة - إلى الأئمة عليهم السلام وقد رصد ذلك بعض الباحثين، وألقى الضوء على شواهد صنيعه هذا[١].

وعلى كل فمن الشواهد على ما قلنا بشأن هذه الموعظة بالضبط أن عدداً من مقاطعها نجده ضمن روايات أخرى مروية عن الإمام علي عليه السلام، فعلى سبيل المثال تجد قريباً من الفقرة: «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَ لَيْسَ بتاركِكُمْ سُدًى؛ كتب آجَالَكُمْ وَقَسَمَ بَيْنَكُمْ مَعَايِشَكُم»[٢] في ضمن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة والتي رواها كل من المنقري في وقعة صفين والثقفي في الغارات وغيرهما باختلاف يسير، أما نص المنقري فكالتالي: «..وَ أَشْفِقُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً مِنْ أَمْرِكُم سُدًى؛ قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُم»[٣]

وأما نص الثقفي فهو: «فَاخْشَوُا اللَّهَ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِسُمْعَةٍ وَ لَا تَعْذِيرٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَيْسَ بِتَارِكِكُمْ سُدًى، قَدْ أَحْصَى أَعْمَالَكُمْ، وَ سَمَّى آجَالَكُمْ

١-راجع ما كتبه أحد الإخوة الباحثين في مدوّنته على الإنترنت (باللغة الفارسية) حول منهج ابن شعبة هذا في تحف العقول: على العنوان التالي:http://alasar.blog.ir فلاحظ المقالات: سخن امام صادق عليه السلام با خالد بن صفوان ؟! (بررسى تحف العقول)»؛ «بررسى وصيّت امام كاظم عليه السلام به هشام بن حكم در تحف العقول»؛ «بررسى سه روايت ديگر از تحف العقول و مقايسه آن با حكايات منسوب به ديگران» و.....

٢-تحف العقول: ٢٣٢

٣-وقعة صفين: ١٠.

وَكَتَبَ آثَارَكُم»[1].

كما أن الفقرة: «قَدْ كَفاكم مؤونة الدُّنْيا، وَ فَرَغَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَ حَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرَ، وَ أَوْصَاكُم بِالتَّقْوَى، وَ جَعَلَ التَّقْوَى مُنْتَهَى رِضَاه»[2] قد روى نحوها السيد الرضي رحمه الله في الخطبة ١٨٢ البلاغة ـ باعتبارها جزءاً من من نهج كلمات الإمام علي عليه السلام ـ كما يأتي: «قَدْ كَفَاكُم مُؤونَةَ دنْيَاكُم، وحَثَّكُم على الشكر، وافْتَرَضَ مِن ألسنتكم الذكر، وأَوْصَاكُم بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ»[3]. وكنموذج آخر فإنّ الفقرة «وَالتَّقْوَى بَابُ كُلِّ تَوْبَةٍ وَ رَأْسُ كل حكمة»[4] قد روى قريباً منها ابن شعبة نفسه ضمن مواعظ نبي الله المسيح عليه السلام كما يأتي: «وَ التَّقْوَى رَأْسُ كُلّ حِكْمَة»[5]. وعلى أية حال فمن الصعب بعد الإلمام بمنهج ابن شعبة هذا التأكد من صحة نسبة هذه الموعظة - بوصفها كلمة مستقلة موحدة - إلى الإمام الحسن عليه السلام.

٦. قوله: «خطبته حين قال له معاوية بعد الصلح اذكرفضلنا..»[6]. أشار إلى هذه الواقعة الجاحظ (م٢٥٥هـ) في المحاسن والأضداد قائلاً: «وذكروا أنّ عمرو بن العاص قال لمعاوية: «ابعث إلى الحسن بن عليّ فأمره أن يخطب على المنبر، فلعله يحصر، فيكون في ذلك ما نعيره به...»[7]. وروى نفس رواية الجاحظ إبراهيم بن محمد البيهقي (م بعد ٣٢٠هـ) في المحاسن والأضداد[8] دون ذكر اسم الجاحظ.

كما رواها موجزة ابن عبد ربه (م٣٢٨هـ) في العقد الفريد[9]، ثم نجد هذه الخطبة عند الشيخ الصدوق في الأمالي حيث روى بإسناده عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ،

١-الغارات للثقفي (بتحقيق: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب):١/ ٩٢.
٢-تحف العقول: ٢٣٢.
٣-نهج البلاغة: ٢٢١-٢٢٢.
٤-تحف العقول: ٢٣٢.
٥-تحف العقول: ٥١٢.
٦-م.ن: ٢٣٢.
٧-المحاسن والأضداد للجاحظ:١٣٨ - ١٣٩.
٨-المحاسن والأضداد للبيهقي:٦٨.
٩-العقد الفريد: / ١٠٣_ ١٠٤.

قَالَ، قَالَ الصَّادِقُ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام كانَ أَعْبَدَ النَّاسِ فِي زَمَانِه...» ثم يذكر الإمام الصادق عليه السلام كثيراً من مكارم أخلاق الإمام الحسن عليه السلام ثم نقرأ: «وَلَقَدْ قِيلَ لِمُعَاوِيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ: لَوْ أَمَرْتَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَ لِيَبِينَ لِلنَّاسِ نَقْصُهُ، فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: اصْعَدِ الْمِنْبَرَ، وَتَكَلَّمْ بِكَلِمَاتٍ تَعِظُنَا بِهَا، فَقَامَ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ...»[1]. والظاهر أن هذه الفقرة من تتمة الحديث. ورواها الخركوشّي (م ٤٠٦ هـ) في شرف النبي قائلاً: «يقال: إنّ عمرو بن العاص قال لمعاوية: إنّ الحسن بن علي قد شمخ أنفاً، و رفع رأساً، واشرأبت إليه قلوب الناس بالثقة والمقة، فلو سألته أن يخطب الناس، فإنه امرؤ حديث السن، لم يتعوّد الخطب...»[2] كما نلتقي بعده بالقطب الراوندي (م٥٧٣هـ) في الخرائج قائلاً: «رُوِيَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَ إِنَّهُ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَرَمَقُوهُ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ خَجِلَ، وَ انْقَطَعَ؛ لَوْ أَذِنْتَ لَهُ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَوْ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ، وَ وَعَظْتَنَا..»[3] وبين الروايتين اختلاف في بعض الألفاظ كما أن رواية القطب أطول، وفيها زيادات على رواية تحف العقول. ورواها الطبرسي (ق٦هـ) في الاحتجاج قائلاً: «وَرُوِيَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: ابْعَثْ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَمُرْهُ أَنْ يَصْعَدَ الْمِنْبَرَ، وَ يَخْطُبَ النَّاسَ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَحْصَرَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا تُغَيِّرُهُ بِهِ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ، فَأَصْعَدَهُ الْمِنْبَرَ، وَ قَدْ جَمَعَ لَهُ النَّاسَ، وَ رُؤَسَاءَ أَهْلِ الشَّامِ، فَحَمِدَ اللَّهَ الْحَسَنُ، وَ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ..»[4].

ورواها ابن شهر آشوب (م٥٨٨هـ) في المناقب عن العقد الفريد[5] ثم روى ما يقرب محتواه من مضمون هذه الخطبة برواية أخرى دون ذكر المصدر قائلاً: «الْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ الْحَسَنَ عليه السلام أَنْ يَصْعَدَ الْمِنْبَرَ، وَ يَنْتَسِبَ، فَصَعِدَ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:...».

١-الأمالي للصدوق: ١٧٩-١٧٨.
٢-شرف النبي: ٥/ ٣٠٤.
٣-الخرائج والجرائح/ ١: ٢٣٦ _ ٢٣٨.
٤-الاحتجاج:١/ ٢٨١.
٥-مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٤/ ١١ - ١٢.

وبين هذه الروايات اختلافات ـ في الزيادة والنقصان وغيرهما - لم نتعرّض لها. وعلى أية حال فإنّ هذه الروايات بالمجمل تجعلنا نتأكد من صحة نسبة هذه المفاخرة إلى الإمام الحسن عليه السلام حتى لو لم يمكننا البرهنة على صدور بعض ألفاظها أو تفاصيلها مما يختلف بين مصدر وآخر.

ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى أنّ ابن شهر آشوب قد روى هذه المفاخرة عن أبي الحسن المدائني (م٢٢٤هـ)[١] أيضاً[٢] وهذا يؤشر بوضوح إلى أنّ هذه الخطبة تضرب بجذورها عند المؤرخين إلى ما قبل زمن الجاحظ، أي إلى القرن الثاني للهجرة. قوله: «قَالَ: مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا إِلَى رُشْدِهِم»[٣].

هذه العبارة مما رواها بهذه الألفاظ أو ما يقرب منها جم غفير من المصادر الأدبية والحديثية وغيرها منذ القرن الثاني، فقد رواها أبو محمد عبد الله بن وهب المصري (م١٩٧هـ) قائلاً: «أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ: «مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا لِأَرْشَدِ أَمْرِهِمْ»[٤] ثم روى مثل هذا المتن ابن ٧١ أبي شيبة (م٢٣٥هـ) في كتابيه: كتاب الأدب[٥] والمصنف في الأحاديث والآثار[٦] قائلًا «حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا إِيَاسُ بْنُ دَغْفَلٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ:...».

ثم نقلها البخاري (م ٢٥٦هـ) في الأدب المفرد[٧] عَنِ السَّرِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا اسْتَشَارَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا هُدُوا لِأَفْضَلِ مَا بحضرية، ثم تلا ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[٨]. كما رواها الطبري (م ٣١٠هـ) بإسناده إلى إيَّاس بن دَغْفَلٍ، عن الحسن البصري أيضاً[٩].

١-من أبرز المؤرخين في القرنين الثاني والثالث كان كثير التصانيف، وقال عنه الذهبي: «كَانَ عَجَباً فِي مَعْرِفَةِ السِّيرِ وَالْمَغَازِي وَالأَنْسَابِ وَأَيَّامِ العَرَبِ، مُصَدَّقاً فِيْمَا يَنْقُلُهُ، عَالِيَ الإِسْنَادِ». راجع ترجمته في الفهرست لابن النديم: ١٥٢-١٤٧؛ تاريخ بغداد: ١٢/ ٥٤_٥٥؛ سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٤٠٠_٤٠١.

٢-مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٤/ ١١_١٢.

٣-تحف العقول: ٢٣٣.

٤-الجامع في الحديث: ٣٩٨.

٥-كتاب الأدب: ١٤٩.

٦-المصنف في الأحاديث والآثار (تحقيق: كمال يوسف الحوت مكتبة الرشد): ٥ / ٢٩٨ وفيه: «ما شاور قومٌ..».

٧-الأدب المفرد (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي): ١٠٠، ح ٢٥٨.

٨-الشورى: ٣٨.

٩-جامع البيان: ٤/ ١١٠.

أما أبو إسحاق الزجاج (م٣١١هـ) فقال في معاني القرآن: وقيل: إنه ما تشاور قوم قط إلَّا هُدُوا لأحسن ما يحضر هم»[١].

ثم نأتي إلى أبي بكر بن المنذر النيسابوري(م: ٣١٩هـ) في كتابه تفسير القرآن[٢] حيث روى بإسناده إلى عمران «قَال: سمعت الحسن يقُول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر﴾[٣] قَالَ: مَا تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم» ورواه هو في كتابه الآخر: كتاب الأوسط مصرحاً بلقب الحسن قائلاً: «وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا شَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا لِأَرْشَدِ أَمْرِهِمْ»[٤]. وهنا يأتي ابن حبان في كتابه: روضة العقلاء ليروي - ولأوّل مرة في حدود ما اطلعنا عليه من المصادر - بإسناده عن إياس بن دغفل، عن الحسن: أن رسول الله صلى الله عليه و سلّم قال: «ما شاور قوم قط إلا هدوا إلى رشدهم»[٥] وهو غريب، ولم يشاركه في رفع السند إلى النبي ﷺ أحدٌ قبله بل لاحظنا أن المصادر كلها متفقة على أنها موقوفة على الحسن البصري، فتنضوي إذن تحت إطار مصطلح «المقطوع» الدارج عند أهل السنّة[٦] وعلى كل فيبدو أن رفع هذا الأثر إلى النبي ﷺ من أوهام ابن حبّان.

ثم نتابع المشوار لنقف عند أوّل عالم شيعي ذكر هذه العبارة، وهو الشيخ الطوسي (م٤٦٠هـ) في التبيان حيث قال: «قيل: ما تشاور قوم إلا وفقوا لأحسن ما يحضرهم»[٧] ثم يستوقفنا قول ابن عبد البر (م٤٦٣هـ) الذي هو الآخر اعتبر هذه العبارة من كلام الرسول الأعظم ﷺ[٨]. ثم رواه أبو المظفر السمعاني(م٤٨٩هـ) في تفسير القرآن قائلاً: «عَن الحسن

١-معاني القرآن للزجاج: ٤ / ٤٠١.
٢-تفسير القرآن لابن المنذر: ٢/ ٤٦٧.
٣-آل عمران: ١٥٩.
٤-الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف: ١١/ ٣٠٧.
٥-روضة العقلاء: ٢/ ٧٣٤.
٦-راجع: مقدمة ابن الصلاح:٤٧:«هُوَ مَا جَاءَ عَنِ التَّابِعِينَ مَوْقُوفًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْوَالِهِمْ أَوْ أَفْعَالِهِمْ».
٧-التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ١٦٨.
٨-بهجة المجالس وأنس المجالس، ج ٢، ص: ٤٥١.

البصري، قَالَ: مَا تشاور قوم إِلَّا هُدُوا إلى أرشد أمورهم»[1].

ومن الغريب صنيع الزمخشري (م٥٣٨هـ) بشأن هذه العبارة حيث قال في الكشاف في تفسير الآية ١٥٩ من سورة آل عمران: «وعن النبي صلى الله عليه وآله: «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم»[2]، ولكنْ عندما بلغ تفسير الآية:٣٨ من سورة الشورى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شورى بينهم﴾ عزاها إلى الحسن[3] ـ والظاهر أنه يريد الحسن البصري - ثم نسب العبارة في كتابه الآخر: ربيع الأبرار إلى عمر بهذا اللفظ: «ما تشاور قوم قط إلا هدوا إلى رشد أمرهم»[4]. ثم نجد عدداً من العلماء - بعد الزمخشري - اعتبروا هذه العبارة حديثاً، منهم أمين الإسلام الطبرسي (م٥٤٨هـ)[5] ونظام الدين الأعرج النيسابوري (ق٨هـ)[6] والملا فتح الله الكاشاني (ق ١٠هـ)[7] وأخيراً السيد عبد الأعلى السبزواري (م١٤١٤هـ)[8] الذي اعتبرها رواية نبوية وأجدني بعد هذا العرض المفصل لمحطات هذه العبارة على مرّ التاريخ في غنى عن التدليل على أنها مما لم تثبت نسبتها إلى الإمام الحسن عليه السلام وهي مما تفرد ابن شعبة بنسبتها إلى الإمام، ولم يشاركه فيها أحد بل ثبت على ضوء ما قدمنا أنها من أقوال الحسن البصري، ولا نستغرب أن يكون ابن شعبة قد وجد العبارة منسوبةً إلى الحسن - دون ذكر لقبه «البصري» كما مرّ معنا في كثير من المصادر - فظنّ أنّ المراد به الإمام الحسن عليه السلام كما وقع مثل هذا الخطأ لبعض المعاصرين أيضاً من نحو «عَلي محمّد محمّد الصَّلابي» في كتابه «أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره»[9] حيث نسب هذه العبارة إلى الإمام الحسن عليه السلام[10]، ثم أحال في الهامش إلى كتاب «تهذيب الرياسة وترتيب السياسة» لأبي عبد الله القلعي الشافعي (م ٦٣٠) في حين

١-تفسير القرآن للسمعاني: ٥/ ٨١.
٢-الكشاف: ١/ ٤٣٢.
٣-م.ن: ٤/ ٢٢٨.
٤-ربيع الأبرار: ٣/ ٤٥٣.
٥-جوامع الجامع: ١/ ٢١٦.
٦-تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج ٢، ص: ٢٩٤.
٧-زبدة التفاسير: ١ / ٥٨٥.
٨-مواهب الرحمان في تفسير القرآن:٧/ ٩.
٩-صدر عن دار التوزيع والنشر الإسلامية بمصر سنة: ١٤٢٥هـ.
١٠-أمير المؤمنين الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره: ٢٨٢ و٢٨٤.

أن القلعي إنّما نسب هذه العبارة إلى الحسن[١] ولا شك في أن مراده: الحسن البصري كما اتضح معنا من خلال نقولات المصادر.

٨. قوله «وقال: اللوم أن لا تشكر النعمة»[٢] لم نجده بهذه الألفاظ في المصادر، ولكن روى الكليني بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام، وفيها: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُفْرُ النِّعْمَةِ لُؤْم وَصُحْبَةُ الْجَاهِلِ شُؤمٌ»[٣] واللافت أنّ ابن شعبة نفسه قد روى في ضمن خطبة الوسيلة هذه الفقرة بعينها[٤]، ومن الغريب أنه روى هذه الفقرة بعينها مرّة أخرى في ضمن رسالة الإمام علي عليه السلام إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام[٥].

ولا نستبعد أن يكون ابن شعبة قد نقل كلام الإمام علي عليه السلام بالمعنى، ونسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام، ولا غرو فقد اتضح مما لاحظنا لحد الآن - وسيتضح معنا أكثر - عدم اكتراثه إلى حد ما بصحة نسبة ألفاظ الرّواية إلى قائلها وتساهله في نقل الحديث. وينبغي هنا التنبيه على أنّ هذا المقطع: «واعلم أن كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم» قد ذكر نحوه الشيخ الصدوق (م ٣٨١هـ) في معرض ذكر أَلْفَاظِ رَسُولِ اللَّهِ الْمُوجَزَةِ الَّتِي لَمْ يُسْبَقُ إِلَيْهَا[٦] كما نسبه أبو علي القالي (م٣٥٦هـ) في الأمالي إلى الأحنف بن قيس[٧] في ضمن مواعظه الحكمية[٨] ثم عزا قريباً منه الطرطوشي (م ٥٢٠هـ) في سراج الملوك[٩] إلى أكثم بن صيفي[١٠]. فأما الأخيران فلو تقبلنا صحة هاتين النسبتين إليهما فهي لا تعني طبعاً أن

١-تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: ١٨٣.
٢-تحف العقول: ٢٣٣.
٣-الكافي: ٨/ ٢٤.
٤-تحف العقول: ٩٨.
٥-م.ن: ٨٠. وفي موضع آخر من هذه الرسالة المصدر نفسه:٨٣: «وَلَا تَكْفُرَنَّ ذَا نِعْمَةٍ فَإِنْ كُفْرَ النِّعْمَةِ مِنْ الأم الكفر».
٦-من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٩٠ ولفظه: «كُفْرُ النِّعَمِ مُوقٌ وَمُجَالَسَةُ الْأَحمق شُوم». والموق: الحمق في غباوة (المعجم الوسيط: ٨٩٢).
٧-أَبُو بَكْرٍ الأَحْنَفُ بنُ قَيْسِ التَّمِيمِيُّ أَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ وَسُؤدُدِهِ المَثَلُ. وكان من التابعين. (م ٦٧/ ٧١هـ (راجع ترجمته في قاموس الرّجال: ١/ ٦٨٧_٦٩٢)
٨-الأمالي لأبي علي القالي: ٢٨٨.
٩-سراج الملوك: ٥٢٨ ولفظه: «كفر النعم لؤم، وصحبة الأحمق شوم».
١٠-أكثم: بن صيفي التميمي: حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين. (م ٩هـ). راجع ترجمته في الأعلام للزركلي: ٢/ ٦.

هـذه الجملـة ليسـت مـن كلام الإمـام علـي عليه السلام، لأنّ هـذا المضمـون، وهـو شـكر المنعـم مـن متطلبـات الفطـرة السـليمة الإنسـانية ومـن ثـم فقـد أطبقـت عليـه كلمـة الحكمـاء مختلـف الأديـان، فتجدهـم قـد عبّـروا عـن هـذه الحقيقـة بعبـارات مختلفـة. وأمـا نسـبتها للنبـي صلى الله عليه وآله فهـي الأخـرى غيـر مسـتبعدة فكثيـراً مـا تجـد بيـن ثنايـا الروايـات مضمونـاً واحـداً رُوي عـن عـدد مـن الأئمـة عليهم السلام بلفـظ واحـد أو عبـارات قريبـة بعضهـا مـن بعـض.

٩. قوله: «وَقَالَ: لِبَعْضِ وُلْدِهِ: يَا بُنَيَّ! لَا تُؤَاخِ أَحَداً حَتَّى تَعْرِفَ مَوَارِدَهُ وَ مَصَادِرَهُ فَإِذَا اسْتَنْبَطْتَ الْخِبْرَةَ وَ رَضِيتَ الْعِشْرَةَ فَآخِهِ عَلَى إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ وَالْمُوَاسَاةِ فِي الْعُسْرَةِ.»[١]. هذه الحكمة قد ذكرها ابن أبي الدنيا (م٢٨١هـ) في كتاب الإخوان باختلاف جد يسير قائلاً: «حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ لِابْنِهِ: «أَيْ بُنَيَّ، لَا تَوَاخَ أَحَدًا حَتَّى تَعْرِفَ مَوَارِدَ أُمُورِهِ وَمَصَادِرَهَا فَإِذَا اسْتَطَبْتَ مِنْهُ الْخَبَرَ وَرَضِيتَ مِنْهُ الْعِشْرَةَ فَآخِهِ عَلَى إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ وَالْمُوَاسَاةِ عِنْدَ الْعُسْرَةِ»[٢] ثم نجدها عند أبي الطيب الوشاء (م٣٢٥هـ) كالتالي: «وروي أن رجلاً من عبد القيس قال لابنه: أي بني! لا تؤاخ أحداً حتى تعرف موارد أموره ومصادرها، فإذا استنبطت الخبر، ورضيت منه العشرة، فآخه على إقالة العثرة، والمؤاساة عند العسرة.»[٣] ثم نقلها أبو علي القالي (م٣٥٦هـ) في كتاب الأمالي[٤] في ضمن وصايا حكميّة منوّعة لأبي الوَلِيدِ عَبْد اللهِ بن شَدَّادِ بنِ الهَادِ اللَّيْثِيُّ المَدَنِيُّ، الكُوفِيُّ[٥]، أوصى بها ابنه عند وفاته والقالي هو أوّل من ذكر طريقه إلى ابن شداد، وهو كما يأتي: «حدثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، عن أبيه؛ قال: لما حضرت عبد الله بن شداد بن الهاد الوفاة دعا ابناً له يقال له محمد؛ فقال: يا بني !..»[٦] .. ونص المقطع الذي نحن بصدده هو: «.. أي بني، لا

١-تحف العقول: ٢٣٣.
٢-كتاب الإخوان: ١١٢.
٣-الظرف والظرفاء: ٦٦.
٤-الأمالي للقالي: ٤٤٩ وما بعدها.
٥-ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان تابعيّاً ثقة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وروى عنه جماعة من كبار التابعين، وَخَرَجَ مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ، فَقُتِلَ لَيْلَةَ دُجَيْلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ. راجع ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة: ٥/ ١١-١٢ والمصادر المذكورة في هامشها؛ قاموس الرجال: ٦/ ٤٠٠_٤٠١
٦-الأمالي للقالي: ٤٤٩.

تواخ امرءً حتى تعاشره، وتتفقد موارده ومصادره، فإذا استطعت العشرة، ورضيت الخبرة، فواخه على إقالة العثرة، و المواساة في العسرة، وكن كما قال المقنع الكندي...» ثم ذكر أبياتاً للكندي أوّلها: «ابل الرّجال إذا أردت إخاءهم...»[1] مما لا يعنينا فعلًا، وهذه الوصايا نفسها تجدها منسوبة إلى عبد الله بن شداد عند أسامة بن منقذ (م ٥٨٤ هـ) في لباب الآداب أيضاً[2]. فهناك احتمالات ثلاثة بالنسبة لقائل هذا المقطع:

أ- أن يكون القائل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ولا يدعم هذا الاحتمال إلا رواية ابن شعبة، ولكن لم يشاركه في نقلها أحد، وهو مما يضعف هذا الاحتمال بشدّة.

ب- أن يكون القائل رجلاً من عبد القيس كما جاء في روايتي ابن أبي الدنيا وأبي الطيب الوشاء ويعزّز هذا الاحتمال أن مصدره أقدم زماناً من مصادر الاحتمال الثالث بشكل ملحوظ.ت) أن يكون القائل عبد الله بن شداد، ولكن التحدّي الذي يواجهه هذا الاحتمال أن هناك تقريرين عن كيفية موت عبد الله بن شداد فقد اقتصر بعض المصادر على القول: إنه قُتل في التمرد المسلح لابن الأشعث ضدّ الحجّاج، ولم يتحفنا بمعلومات أخرى في حين ذهب بعضها إلى أنّ فرسه اقتحم به الفرات - في نفس انتفاضة ابن الأشعث - فذهب[3]. فإذا تقبلنا أنه مات غرقا، فكيف كان يمكنه أن يوصي ابنه قبل موته؟ أما إذا قلنا: إنه قتل دون أن يغرق في الفرات، فيمكن حينئذ أن يكون هناك فاصل قصير بين إصابته بالجروح وبين موته ليلقي فيه هذه الوصايا لابنه، ولكن هذا الاحتمال ـ هو الآخر - يكتنفه بعدُ شيء من الضبابية والغموض. و على كلّ ففي ظل هذه المعطيات التاريخية يمكننا القول: إن العبارة التي نقلها ابن شعبة ليست من كلام الإمام - سواء رجحنا بشأن قائلها الاحتمال الثاني أم الاحتمال الثالث.

قوله: «وَ قَالَ: لا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ جَهادَ الْغَالِبِ وَلَا تَتَّكِلِ عَلَى القَدَرِ اتكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ السُّنَّةِ وَالْإِجْمَالَ فِي الطَّلَبِ مِنَ الْعِفَّةِ وَ لَيْسَتِ

١-الأمالي للقالي: ٤٥١.
٢-لباب الآداب: ٢٤.
٣-راجع تفاصيل القولين في: تاريخ مدينة دمشق: ٢٩ / ١٥٢_١٥٤.

الْعِفَّةُ بِدَافِعَةٍ رِزْقاً وَ لَا الْحِرْصُ بِجَالِبٍ فَضْلًا، فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ وَاسْتِعْمَالَ الْحِرْصِ اسْتِعْمَالُ الْمَاثَمِ»[1]. رواه ابن شعبة في كتابه الآخر: «التمحيص» أيضاً، وأوله: «عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِرَجُلٍ: يَا هَذَا لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ جِهَادَ الْعَدُوِّ....»[2]. ولهذا الحديث أيضاً مسيرة عجيبة لافتة عبر التاريخ، فأول من وجدناه ذكر هذا المقطع الشيخ المفيد (م٤١٣هـ) في الكتاب الذي طبع له تحت عنوان: «الحكايات في مخالفات المعتزلة من العدلية» حيث روى هذا المتن على أنه جزء الحديث طويل رواه بإسناده «عَنْ يَزِيدَ بْنِ خَلِيفَةَ، قَالَ: قَالَ لَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، وَنَحْنُ عِنْدَهُ: نَظَرْتُمْ وَاللَّهِ حَيْثُ نَظَرَ اللَّهِ وَقَالَ: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِرَجُلٍ: يَا هَذَا ! لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ جِهَادَ الْمُغَالِبِ...»[3] كما نقله ابن إدريس (م٥٩٨هـ) في السرائر عن كتاب: العيون والمحاسن للمفيد على أنه جزء من الحديث المذكور بنفس الإسناد[4].

أما عماد الدين الطبري (م بعد ٥٥٣هـ) فقد روى هذا المتن باعتباره جزءاً من حديث طويل رواه بإسناده «عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: أَوْصِنِي فَقَالَ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ... وَ لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ جهادَ الْمُغَالِبِ...»[5] وهذا الإسناد هو الذي نجده عند الشيخ المفيد في كتاب «الحكايات»[6] قبل الحديث الذي رواه عَن يزيد بن خليفة كما أن الطبري نقل بعد تمام المقطع الذي نحن بصدده قول الإمام عليه السلام: «لَا يَفْقِدُكَ اللهُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ»[7] وهذه العبارة رواها الشيخ المفيد في الحكايات بعد المقطع الذي نتحدث عنه على أنها قطعة ثالثة من متن الحديث الذي رواه عَنْ يَزِيدَ بْنِ خَلِيفَةَ، وقال: «قَالَ، وَأَتَى رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَوْصِنِي،

١-تحف العقول: ٢٣٣-٢٣٤.
٢-التمحيص: ٥٢، ح ٩٨.
٣-الحكايات في مخالفات المعتزلة من العدلية، ص: ٩٤ - ٩٥.
٤-السرائر: ٣٠/ ٦٥.
٥-بشارة المصطفى: ٢/ ٢٢٢.
٦-الحكايات: ٩٣. وعنه في السرائر: ٣/ ٦٥٠.
٧-م.ن.

فَقَالَ لَهُ: لَا يَفْقِدُكَ الله...»[1] وعلى أية حال توضح للعيان المقارنة بين روايتي المفيد والطبري أن الأخير قد دمج بين حديثين رواهما المفيد بإسنادين مختلفين، فجعلها حديثاً واحداً، فأسقط الإسناد إلى يَزِيدَ بْنِ خليفة فأصبح متن الحديث الذي رواه المفيد بإسناده عن يَزِيدَ بن خليفة - والذي يشتمل على الفقرة التي نحن بصددها - جزءاً من متن الحديث الذي رواه بإسناده عَنْ عَلْقَمَة: فحصل جراء ذلك الارتباك وعدم التلائم بين فقرات متن واحد. وعندما نرجع خطوة للوراء نجد هذا المقطع الذي رواه ابن شعبة عن الإمام الحسن عليه السلام، نقله أبو حيان التوحيدي (م٤١٤هـ) في موضع عن بعض السلف هكذا: «لا يجاهد الطالب جهاد المغالب... ولا الحرص بجالب فضلاً»[2]، ثم نقله في موضع آخر عن الحسن البصري كمايأتي: «لا تجاهد في الطلب جهاد المغالب...» وزاد عليه: «الرزق مقسوم والأجل محتوم، وفي الحرص اكتساب المآثم»[3] كما نقله الآبي (م٤٢١هـ) في نثر الدر، ولم يسمّ قائله: «لا تجاهد الطلب جهاد المغالب.. بجالب فضلاً»[4] و في نفس الحقبة نسب الفقرة الأولى من العبارة أبو علي مسكويه (م٤٢٠/ ٤٢١ هـ) إلى أكثم بن صيفي[5]. أما ابن حمدون (م ٥٦٢هـ) فهو أوّل من نسب هذه العبارة - حتّى قوله: «و لا الحرص بجالب فضلاً» ـ للإمام علي عليه السلام[6]، ثم نقلها ابن أبي الحديد (م ٦٥٦ هـ) ضمن الحكم ١١٧ المنسوبة إلى الإمام علي عليه السلام[7] كما نسبها للإمام علي عليه السلام المبارك بن الخليل الموصلي (م بعد ٦٨٣هـ)[8] ثم ننتهي بعد مضي قرنين إلى الديلمي (ق ٩هـ) الذي نسب العبارة إلى الإمام الحسين عليه السلام[9].

١-الحكايات: ٩٥. وعنه في السرائر: ٣/ ٦٥٠.
٢-البصائر والذخائر: ٤/ ١٩٣.
٣-.م.ن: ٥/ ٢٢٧.
٤-نثر الدر: ٤/ ١٤٨.
٥-الحكمة الخالدة (جاويدان خرد): ١٨٠: «لا تجاهد في الطلب جهاد المغالب، ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم».
٦-التذكرة الحمدونية: ٣/ ١٣٨.
٧-شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٢٦١-٢٦٢ إلى قوله: «وفي شدة الحرص اكتساب المآثم» و ٣١٠ إلى قوله: «... بجالب فضلاً».
٨-آداب الملوك بالعدل: ٢/ ٧٠٠ إلى قوله: «... في الطلب من العفّة».
٩-أعلام الدين: ٤٢٨: «مِنْ كَلام الْحُسَيْنِ: قَالَ لِرَجُلٍ: يَا هَذَا لَا تُجاهِدُ في الرّزق جِهَادَ الْمُغَالِب...».

وصفوة القول بشأن هذه الرواية أن بإمكاننا بعد تقييم هذه الروايات المختلفة ودرسها التأكد من صحة هذا الحديث إلى عزو الإمام الحسن عليه السلام سنداً إلى رواية الشيخ المفيد، وهي أقدم مصدر لهذه الرواية، ولا تبلغ بقية المصادر المذكورة في أعلاه مستواها من ناحيتي القدم الزمني واتصال الإسناد أما إضافة العبارة في بعض المصادر للحسن البصري، فأكبر الظنّ أنه ذلك نجم عن التشابه بين الاسمين كما أن من المرجح أن نسبة العبارة للإمام علي عليه السلام - هي الأخرى - نشأت من الخطأ في إسناد الأحاديث المروية عن الأئمة عليهم السلام. فكثيرة هي الأحاديث التي رويت في بعض المصادر عن إمام وفي بعض آخر عن غيره من الأئمة عليهم السلام ويمكن القارئ ـ على غرار ما قدمنا - تقويم نسبة الرواية إلى أكثم بن صيفي أو غيره مما لا يعنيناً فعلاً.

هذا كله بشأن نسبة الحديث، وأما متنها فيبدو أن النص المنقول في تحف العقول و عدد آخر من المصادر لا يخلو من تصحيف، دكن فعلى سبيل المثال نحن نحس عند قراءة العبارة: «لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ جهَادَ الْغَالِبِ» بشيء من الإبهام والعجمة فإنّ الطلب ليس شخصا كي نجاهده، والظاهر أن الصحيح أو الأنسب والأبلغ ـ على الأقل - في هذه العبارة هو: «لا يجاهد الطالب جهاد المغالب» كما في رواية أبي حيان[1] - أو «لا تجاهد في الطلب جهاد المغالبة» - كما في رواية ابن حمدون.[2] وعلى كل حال فبين المصادر في رواية الحديث اختلافات لم نخض غمارها فراجع.

١١. قوله: «وَقَالَ: الْقَرِيبُ مَنْ قَرَّبَتْهُ الْمَوَدَّةُ وَإِنْ بَعُدَ نَسَبُهُ؛ وَ الْبَعِيدُ مَنْ بَاعَدَتْهُ الْمَوَدَّةُ وإن قَرَبَ نَسَبُهُ؛: لَا شَيْءٌ أَقْرَبُ مِنْ يَدٍ إِلَى جَسَدٍ وَإِنَّ الْيَدَ تُفَلُّ[3]، فَتَقْطَعُ، وَتُحْسَمُ»[4] رواه الكليني (م٣٢٩هـ) بإسناده عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِي عليه السلام: القريب..[5] ولا يفوتني هنا التنبيه على أنّ هذه

١-البصائر والذخائر: ٤/ ١٩٣.
٢-التذكرة الحمدونية: ٣/ ١٢٩.
٣-كذا وفي الكافي: «تَغُلُّ» وهو الصحيح المناسب للسياق وغل فلانٌ: خان في المغنم وغيره (المعجم الوسيط: ٦٥٩).
٤-تحف العقول: ٢٣٤.
٥-الكافي: ٢/ ٦٤٣.

الرواية نجدها عند العامة أيضاً باختلاف يسير فقد رواها أبو بكر الخرائطي (م٣٢٧هـ) بإسناده عَنْ حَبَّةَ بْنِ جُوَيْنٍ الْعُرَنِيِّ، عَنْ أمير المؤمنين عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالب[١] كما رواه باختلاف في ذيلها أبو نعيم (م٢٣٠هـ) بإسناده إلى الإمام الصادق عن الإمام الباقر عن الإمام الحسين عليه السلام، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «الْقَرِيبُ مَنْ قَرَّبَتْهُ الْمَوَدَّةُ...»[٢].ولا غرو أن تشتبه هذه الأحاديث لأن مستقاها من قليب و مفرغها من ذُنُوبٍ على حدّ تعبير السيد الرضي[٣]، ومن ثم فلا نستبعد صدور هذا المضمون الذي توحي به الفطرة السليمة بألفاظ قريبة عن عدد من المعصومين عليهم السلام كما لاحظنا نظيره آنفاً. ١٢. قوله: «وَقَالَ: مَنِ اتَّكَلَ عَلَى حُسْنِ الْاخْتِيَارِ مِنَ اللَّهِ لَهُ لَمْ يَتَمَنَّ أَنَّهُ فِي غَيْرِ الْحَالِ الَّتِي اختارها الله له»[٤].

إنّ أوّل من وجدناه أشار إلى هذه العبارة هو أبو علي مُسكُوية (م ٤٢١/ ٤٢٠هـ) حيث قال: «قيل لبعض العلماء: إنّ أبا ذرّ كان يقول: «الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحبّ إليّ من الصحة، و الموت أحب إلي من الحياة» فقال: رحم الله أبا ذر! ولكنى أقول: من توكل على الله حق توكله فى حسن الاختيار له لم يحب أن يكون في حال سوى حاله»[٥] ثم رواه أبو القاسم القشيري (م٤٦٥هـ) بإسناده إلى محمد بن يزيد المبرد (م ٢٨٦(هـ) يقول: قيل للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: إن أبا ذر يقول: الفقر أحبّ إليَّ من الغنى و السقم أحبّ إلى من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذرّ أمّا أنا فأقول: من اتّكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يممنَّ غير ما اختاره الله عزّ و جلّ له.»[٦]، وهو كما ترى نسب العبارة إلى الإمام الحسين عليه السلام

١-اعتلال القلوب: ٢/ ٣٦٩؛ مكارم الأخلاق: ٢٩٥-٢٩٦ كلاهما له.
٢-أخبار أصبهان: ١/ ١٣٦.
٣-نهج البلاغة: ٤٤٩.
٤-تحف العقول: ٢٣٤.
٥-الحكمة الخالدة (جاويدان خرد): ١١٥.
٦-الرسالة القشيرية: ٣٠٠. ونسب معاصره: الهجويري (م بعد ٤٦٥ هـ) أيضاً هذا العرض والإجابة عليه إلى الإمام الحسين عليه السلام فراجع: كشف المحجوب (بتحقيق الدكتور: محمود عابدي): ٢٦٩. وبين متنيها اختلاف لم نتعرّض له.

بينما نجد نفس هذا النقل عند ابن عساكر (م٥٧١هـ) بإسناده إلى المبرد، وفيه أن المسؤول الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ومن الواضح أن إحدى اللفظتين تصحفت إلى الأخرى وسنبين الأرجح، عندنا من الاحتمالين، وعلى كل فنص إجابة الإمام على رواية ابن عساكر كمايأتي: «فمن اتكل على حسن اختيار الله له لم يممنّ أنّه في غير الحالة التي اختار الله تعالى له»[١].

وروى الغزالي (م٥٠٥هـ) عرض قول أبي ذر على الإمام الحسن عليه السلام مرسلاً بنحو المتن الذي رواه ابن عساكر[٢]، ونسب هذا العرض إلى بعض الحكماء الشيخ ورام بن أبي فراس (٦٥٤هـ)[٣]. وقد أشار إلى هذه الرواية على مر الزمن كثير من المصادر ناسبة لها إلى الإمام الحسن عليه السلام[٤]، وهناك مصادر نسبت هذا العرض إلى «الحسن» ولم يصرحوا بمرادها، فهل تقصد: «الإمام الحسن عليه السلام» أو «الحسن البصري»[٥]؟ هذا وقد نقل الجاحظ عرض كلام أبي ذر رحمه الله على دهثم بن قُران العُكلي[٦] ولكن لا يرقى مستوى جوابه سموّاً ورفعة إلى ما أجاب به الإمام الحسن عليه السلام[٧]. ومهما يكن من أمر فإنّ القدر الذي نجزم به على ضوء هذه الروايات هو أوّلاً: أن هذه العبارة قد صدرت بشأن تقويم كلام أبي ذر رحمه الله. وثانياً: أن الأرجح أنها من كلام الإمام الحسن عليه السلام، وذلك استناداً إلى ما نقله المبرد (م ٢٨٦ هـ) - على رواية ابن عساكر ومن بعده - فإنّه أقرب بكثير إلى زمن صدور الحديث من غيره

١-تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٢٥٣.
٢-مجموعة رسائل الإمام الغزالي: ١٥٤.
٣-تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام): ٢/ ١٥.
٤-راجع كنماذج: عوارف المعارف لشهاب الدين السهروردي (م ٦٣٢ هـ): ٢/ ٥٥٩؛ سير أعلام النبلاء للذهبي (م ٧٤٨هـ): ٣/ ٢٦٢؛ شذرات الذهب لابن عماد (م ١٠٨٩هـ): ١/ ٢٤٣.
٥-راجع كنماذج: الزمخشري في ربيع الأبرار: ٥/ ٣٢٨؛ وابن حمدون في التذكرة الحمدونية: ١/ ٢١٢. وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣/ ١٥٦: «قيل للحسن عليه السلام» ولا ندري إن كان التسليم من ابن أبي الحديد - ليدل على أن المراد الإمام الحسن أو من إضافات الناسخين ؟
٦-أحد رواة العامة، وقد ضعفوه. وكان يعيش في أواسط القرن الثاني. راجع ترجمته في تهذيب الكمال: ٨/ ٤٩٦.
٧-البيان التبيين: ٣/ ١٠٥.

من المصادر، ويؤيده نقل المصادر التي نسبت العبارة إلى «الحسن» بشكل مطلق.

١٣. قوله: «وَ قَالَ: الْعَارُ أَهْوَنُ مِنَ النَّارِ»[١]. روى ابن عبد البر (م٤٦٣هـ) بإسناده عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ، قَالَ: «لَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ سَارَ الْحَسَنُ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ، وَسَارَ مُعَاوِيَةُ فِي أَهْلِ الشَّامِ، فَالْتَقَوْا، فَكَرِهَ الْحَسَنُ الْقِتَالَ[٢]، وَبَايَعَ مُعَاوِيَةَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْعَهْدَ لِلْحَسَنِ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ: فَكَانَ أَصْحَابُ الْحَسَنِ يَقُولُونَ لَهُ: يَا عَارَ الْمُؤْمِنِينَ. فَيَقُولُ: الْعَارُ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ»[٣]، وهذا اللفظ قريب مما ذكره ابن شعبة، والظاهر أن الأصل فيها واحد.

وهذا الحديث تعبير صارخ عن المظلومية الكبرى التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام، حيث كان يحتمل مثل هذه الكلمات المسيئة له الصادرة من أقرب أصحابه إليه!

١٤. قوله: «وَقَالَ: الْخَيْرُ الَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ الشُّكْرُ مَعَ النِّعْمَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى النَّازِلَةِ»[٤].

روى البلاذري (م ح ٢٧٩هـ) بإسناده إلى عَوْن بن عَبْدِ الله بن عُتْبَةَ[٥] أنه قال: الخير الذي لا شرّ فيه: الشكر مع العافية، فرُبَّ منعم عليه غير شاكر، ومتبلى غير صابر[٦].

وروى أبونعيم (م ٤٣٠هـ) أيضا[٧] مثله عن عون بن عبد الله. أما أبو العباس المبرد (م ٢٨٥هـ) فروى بإسناده عن الحسن أنه قال: «الخير الذي لا شرّ فيه الشكر مع العافية، والصبر عند المصيبة. فكم من منعم عليه غير شاكر، ومن مبتلى غير صابر»[٨]. ونقل هذا المضمون أبو بكر بن دريد (م٣٢١هـ) عن الحسن

١-تحف العقول: ٢٣٤.

٢-قوله: «فَكَرِهَ الْحَسَنُ الْقِتَالَ» إنّما يلائم نظرة مدرسة السقيفة بشأن الإمام، وهو يخالف واقع التاريخ الذي يوضح للعيان أن الإمام لم يصالح معاوية إلا بعد ما تقاعس أصحابه عن نصرته، ونهبوا فسطاطه إلى غير ذلك من المصائب المحزنة التي تبكي لها الأرواح دماً قبل العيون، وقد كشف الإمام الحسن عليه السلام نفسه عن السبب في اتخاذ قرار الصلح بما يرويه ابن شعبة وغيره من المصادر، وهو قوله: «إنا والله ما ثنانا عَنْ أَهْلِ الشَّامِ شَكٌّ وَلَا نَدَم..» - وسنتعرّض له بعد قليل.

٣-الإستيعاب في معرفة الأصحاب: ١/ ٣٨٦.ورواه بعده العديد من المحدثين فراجع: شرح إحقاق الحق: ٢٦/ ٥١٨ - ٥١٩ /٣٣/ ٤٩٦.

٤-تحف العقول: ٢٣٤.

٥-أَبُو عَبْدِ اللهِ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ الهُذَلِيُّ الكُوفِيُّ كان تابعيّاً من رواة العامة. توفي قبل ١٢٠ هـ. راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٠٣ - ١٠٥

٦-أنساب الأشراف: ١١/ ٢٣٢ _ ٢٣٣

٧-حلية الأولياء: ٤/ ٢٥٤.

٨-التعازي والمراثي: ٤٧

أنه قال: «الخير الذى لا شر فيه الشكر مع النعمة والصبر عند النازلة»[1] وهذا هو لفظ ابن شعبة بعينه إلّا أنّه قال «على» بدلاً عن«عند» والظاهر أن مرادهما الحسن البصري أولا؛ لأن العديد من المؤلّفين بعدهما نسبوا هذه العبارة ـ أو نحوها باختلاف جد يسير - إليه مصرحين بلقبه البصري من نحو القاضي أبي علي التنوخي (م٣٨٤هـ)[2] وأبي طالب المكي (م ٣٨٦هـ)[3]. وثانياً: لأن بعض المصادر قد روى هذه العبارة بإسناده عن عَلِيّ بْن عَلِيٍّ الرِّفَاعِي[4] - وهو من تلامذة الحسن البصري - عن الحسن[5]. أما ابن عساكر (م ٥٧١هـ) فقد رواه تارة بإسناده إلى عون بن عبد الله وفيه: «... والصبر عند المصيبة فكم من..»[6] وأخرى بإسناده إلى مُطَرِّفَ بَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الشخير[7] أنه قال: «الخير الذي لا شرّ فيه الشكر مع العافية، فكم من...»[8] كما نسب ذلك البيهقي (م٤٥٨هـ) إلى مطرف[9]. وفي الفترة نفسها نجد الشيخ أبا الحسن الليثي الواسطي من علمائنا (م بعد ٥٨٣هـ) قد نقل هذا الكلام في جملة كلمات أمير المؤمنين عليه السلام»[10]. ثم نلتقي في نهاية الشوط بفريد الدين العطار النيسابوري (م قبل ٦٢٧هـ) الذي ذكر الترجمة الفارسية لهذه العبارة:«الخير الذى لا شرّ فيه هو الشكر عند النعمة والصبر عند البلاء» في ضمن أقوال أبي سليمان الدارانى[11] في كتابه تذكرة الأولياء[12]. فاتضح معنا بعد هذا الاستعراض المفصّل للمراحل التي قطعتها

١-المجتنى: ٤٣
٢-الفرج. بعد الشدة: ١ / ١٧١.
٣-قوت القلوب: ١ / ٣٦٣.
٤- أرّخ الذهبي وفاته بين سنتي ١٦١ - ١٧٠ هـ. راجع ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي: ٤/ ٤٦٣.
٥-راجع كنموذج: الدلائل في غريب الحديث لأبي محمد السرقسطى (م ٣٠٢هـ): ٣٠/ ١١٧.
٦-تاريخ مدينة دمشق: ٤٧/ ٧٥
٧- أَبُو عَبْدِ اللهَّ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ بنِ الشَّخَيْرِ الحَرَشِيُّ العَامِرِيُّ البَصْرِيُّ أحد التابعين من العامة (م ح ٩٥هـ). راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٨٧-١٩٥.
٨-تاريخ مدينة دمشق: ٥٨/ ٣١٧.
٩-شعب الإيمان: ٤/ ١٠٦.
١٠-عيون الحكم والمواعظ: ٧٠.
١١-أَبُو سُلَيْمَانَ عَبْدُ الرَّحْمن مِنْ أَحْمَدَ الدَّارَانِيُّ الزَّاهِدُ من مشايخ الصوفية، رَوَى عَنْ: سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وغيره. توفي سنة ٢٠٥ أو ٢١٥ هـ. راجع: سير أعلام النبلاء: ١٠/ ١٨٢-١٨٦.
١٢-تذكرة الأولياء (الفارسية بتصحيح: أحمد آرام؛ نشر: گنجينه؛ طهران، ١٣٨٧ ش) ٢٠٦-٢٠٧.

هـذه العبـارة علـى مـرّ التاريـخ تفـرّد ابـن شـعبة بنسـبة هـذه العبـارة إلـى الإمـام الحسـن عليه السلام، ومـن ثـم فـلا يمكننـا الركـون إلـى نقلـه واعتبـار هـذه العبـارة حديثـاً مـن أحاديـث الإمـام، بـل لاحظنـا أن العديـد مـن المصـادر نسـبوها إلـى عـون ابـن عتبـة أو الحسـن البصـري، ومـن المظنـون أن العبـارة كانـت قـد نسـبت فـي مصـدر ابـن شـعبة إلـى «الحسـن» فتخيـل أنـه الإمـام عليه السلام بينمـا لاحظنـا صدورهـا مـن الحسـن البصـري، ولا نرفـض فـي الوقـت نفسـه إمكانيـة صـدور مثلهـا عـن عـون بـن عتبـة أيضـاً نظـراً إلـى نسـبة العديـد مـن المصـادر المتقدّمـة العبـارة إليـه، ولأنّ هـذا المضمـون مـن وحـي الضميـر الإنسـاني السـليم - كمـا لاحظنـا فـي مثيلاتـه آنفـاً ـ وهـو مـن المضاميـن الحكميـة التـي ربّمـا تقفـز إلـى أذهـان كثيـر مـن المفكريـن وأصحـاب الزهـد والتقشـف، فـلا غـرو إذن أن يصـدر بشـأنها مـن اثنيـن أو أكثـر عبـارات متلائمـة المعانـي ومتقاربـة الألفـاظ. فموجـز القـول أنّ العبـارة ليسـت مـن كلام الإمـام عليه السلام.

١٥. قولـه: «وَقَـالَ: لِرَجُـلٍ أَبَـل[١] مِـنْ عِلَّـةٍ: إِنَّ اللـهَ قَـدْ ذَكَـرَكَ، فَاذْكُـرْهُ وَ أَقَالَـكَ فَاشْـكُرْهُ». هـذا الـكلام ذكـره ابـن شـعبة نفسـه فـي جملـة مـا نقلـه مـن كلمـات الإمـام السـجاد عليه السلام، ونصـه هنـاك: «وَرَأَى عَلِيـلًا قَـدْ بـرأ، فَقَـالَ لَـهُ: يَهْنَـؤُكَ الطَّهُـورُ مِـنَ الذُّنُـوبِ إِنَّ اللـهَ قَـدْ ذَكَـرَكَ فَاذْكُـرْهُ وَأَقَالَـكَ فَاشْـكُرْهُ»[٢] وهـذا ممـا يزيـد فـي صعوبـة تقويـم نسـبة الـكلام إلـى كلّ مـن الإمامين عليهما السلام، ويزيـد الطيـن بلـة إذا أخذنـا فـي الاعتبـار اختـلاف المصـادر بعـده فـي عـزو العبـارة إلـى قائلهـا، فالثعالبـي (م٤٢٩هـ) روى النّـصّ هكـذا: «دخـل الحسـن بـن علـي رضـوان اللـه عليهـا علـى عليـل قـد أَبَلَّ. فقـال: إن اللـه تعالـى أقالك فاشـكره، وذكـرك فاذكره.»[٣] ولكـن في نفس الحقبة نسـب هـذه العبـارة أبـو سـعد الآبـي (م٤٢١هـ) إلـى الحسـن البصري[٤] ثـم نجدها مـرة أخرى منسـوبة إلـى الإمـام الحسـن عليه السلام عنـد الراغـب الأصفهانـي (م٥٠٢هـ)[٥] ثم نسـبها ابن أبـي الحديـد (م٦٥٦هـ) فـي معـرض ذكر الحكـم المنسـوبة إلى أميـر المؤمنيـن عليه السلام[٦].

١-أبل المريض من مرضه: برأ، وصح (المعجم الوسيط: ٧٠).
٢-تحف العقول: ٢٨٠.
٣-درر الحكم: ٤٥
٤-نثر الدر: ٥/ ١٢٢.
٥-محاضرات الأدباء: ١/ ٥١٥.
٦-شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٣٠٩.

وقال ابن كثير (م٧٧٤هـ) في معرض ذكر جانب من أخبار الحسن البصري: «وروى العتبي[١] عن أبيه، قال: عاد الحسن عليلًا...» و أضاف تتمة لم يذكرها غيره: «ثم قال الحسن: إنّما المرض ضربة سوط من ملك كريم...»[٢].

أما في اتجاه آخر فقد نقل الزمخشري (م٥٣٨هـ) واقعة مضاهية لما نحن بصدده، فقال: «دخل ابن السماك[٣] على الرشيد في عقب مرض، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله ذكرك فاذكره، وأطلقك فاشكره»[٤] والحقيقة أنّ من الصعوبة بمكان الجزم بصحة نسبة هذه العبارة إلى الإمام الحسن عليه السلام وسط هذه الأقوال المتضاربة، و أنّ نسبتها إلى الإمام زين العابدين عليه السلام أيضاً صعبة للغاية، لأنها مما لم يشارك ابن شعبة فيها أحدّ، ولعل عنوان الحسن البصري قد التبس هنا أيضاً بعنوان الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وقد تعرفنا آنفاً على نظائره في كلام ابن شعبة. وعلى أية حال فلم نثق بثبوت نسبة هذا الكلام إلى الإمام الحسن عليه السلام.

١٦. قوله: «وَقَالَ عِنْدَ صُلْحِهِ لِمُعَاوِيَةَ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا ثَنَانَا عَنْ أهل الشام شك و لا ندم، وَ إِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ أَهْلَ الشَّام بِالسَّلَامَةِ وَ الصَّبْرِ، فَسُلِبَتِ السَّلَامَةُ بِالْعَدَاوَةِ وَ الصَّبْرُ بِالْجَزَعِ، وَكُنْتُمْ فِي مُنْتَدَبِكُمْ إِلَى صِفِّينَ وَدِينُكُمْ أَمَامَ دُنْيَاكُمْ، وَ قَدْ أَصْبَحْتُمُ اليَوْمَ و دنياكم أَمَامَ دِينِكُمْ»[٥]. إن أقدم من نجد عنده هذه الخطبة أبو بكر بن دريد (م ٣٢١هـ) حيث رواه مرسلاً في كتابه: المجتنى[٦] بأطول مما ذكره ابن شعبة، ثم رواه

١-في طبعتنا: «الفتني» والظاهر أنّه تصحيف بدليل ما رواه ابن كثير نفسه بعد هذا النقل دون أيّ فاصل، وفيه: «وروى العتبي عن أبيه أيضاً...» وهو مُحَمَّدُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ مُعَاوِيَةَ العتبي (م ٢٢٨هـ)، كان مؤرّخاً وراوية للآداب. روى عن أبيه كثيراً وعن غيرَه. راجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ١١/ ٩٦؛ تاريخ التراث العربي، قسم ٢، ج ١، ص: ٢٦٧.

٢-البداية والنهاية: ٩/ ٢٩٧.

٣-أبو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بنُ صَبيح العجلي الكوفي المعروف بابن السَّمَّاكِ، الزَّاهِدُ، الواعظ وقد انتشرت مواعظه في المصادر، ومنها ما وعظ بها الرشيد. توفي سنة ١٨٣ هـ راجع: سير أعلام النبلاء: ٨ / ٣٢٨.

٤-ربيع الأبرار: ٥/ ٤٨.

٥-تحف العقول: ٢٣٤.

٦-المجتنى: ٢٣.

عن ابن دريد كل من ابن عساكر (م٥٧١هـ)[١] وابن الأثير (م٦٣٠هـ)[٢] من العامة والسيد علي بن طاووس من علمائنا (م٦٦٤هـ)[٣] ومن بعدهم. وفي السياق ذاته نقل الخطبة مرسلة الحلواني (قدهـ) - من أصحابنا -[٤] ثم يتحفنا ابن حمدون (م٥٦٢هـ) بروايتها[٥]. لنجدها عند المنصور بالله عبد الله بن حمزة الزيدي (م٦١٤هـ)[٦]، ثم نلاحظها عند السيد علي بن طاووس(م٦٦٤هـ) مرّة أخرى في كتابه الآخر: التشريف بالمنن[٧] (المعروف بالملاحم والفتن) حيث نقله من مجموع محمد بن الحسين بن المرزبان[٨]. كما لا تفوتنا الإشارة إلى رواية الخطبة باختلاف في بعض الألفاظ في تثبيت دلائل النبوة المنسوب للقاضي عبدالجبار المعتزلي (م ٤١٥هـ)[٩]. هذا وتجد قريباً من المقطع الموجود في الخطبة، وهو: «كُنتُمْ فِي مُنْتَدَبِكُمْ إِلَى صِفِّينَ وَ دِينكُمْ أَمَامَ دُنْيَاكُمْ وَ قَدْأَصْبَحْتُمُ الْيَوْمَ وَدُنْيَاكُمْ أَمَامَ دِينِكُم»[١٠] في ضمن مواجهة سفيان بن أبي ليلى للإمام وردّ الإمام عليه مما ذكره سبط ابن الجوزي (م ٦٥٤هـ)[١١]. ومهما يكن فالمتحصل من جميع ما تقدّم أن نسبة الخطبة للإمام الحسن عليه السلام ثابتة دون أي شك.

١٧. قوله: «وَقَالَ: مَا أَعْرِفُ أَحَداً إِلَّا وَهُوَ أَحْمَقُ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ رَبِّهِ»[١٢].

١-تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٢٦٨.
٢-أسد الغابة: ١/ ٤٩١؛ الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٠٦.
٣-الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١/ ١٩٨-١٩٩.
٤-نزهة الناظر: ٧٧ _ ٧٨.
٥-التذكرة الحمدونية: ٦/ ٢٤٦-٢٤٧.
٦-الشافي في الإمامة (حققه: مجد الدين المؤيدي، منشورات مكتبة أهل البيت عليهم السلام، صعدة، ١٤٢٩هـ): ١/ ٥١٨.
٧-التشريف بالمنن: ٣٦١-٣٦٢.
٨-ليست لدينا معلومات كثيرة عنه وللمزيد راجع: كتابخانه ابن طاووس لإتان كلبرغ: ٣٨٥..
٩-تثبيت دلائل النبوة: ٢/ ٥٤١-٥٤٢.
١٠-تحف العقول: ٢٣٤.
١١-تذكرة الخواص: ١٨١ ونصه: «... وإنكم لما سرتم إلى صفين كان دينكم أمام دنياكم وقد أصبحتم اليوم و دنياكم أمام دينكم».
١٢-تحف العقول: ٢٣٤.

إن أقدم من ذكر نحو هذه العبارة هو ابن أبي شيبة (م ٢٣٥هـ) في كتابه: المصنف حيث رواها بإسناده عن مُطَرِّف بن عَبْدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيْرِ البَصْرِي (م ح ٩٥هـ)[١] أنه قال: «مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلاَّ وَهُوَ أَحْمَقُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَلَكِنَّ بَعْضَ الْحَمَقِ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ»[٢] ثم رواها عن مطرف كلٌّ من عَبْدِ المَلِكِ بن حَبِيْبِ بنِ سُلَيْمَانَ السلمي (م٢٣٨هـ) في كتاب التاريخ[٣] وابن حنبل (م٢٤١هـ) في كتاب الزهد[٤] والفسوي (م ٢٧٧هـ)[٥] وابن أبي الدنيا (م٢٨١هـ)[٦] والخطيب البغدادي (م٤٦٣هـ)[٧] والغزالي (٥٠٥هـ)[٨] والزمخشري (م٥٣٨هـ)[٩] وابن عساكر (م ٥٧١هـ)[١٠] ومن بعدهم باختلاف يسير جداً، ولم يشارك ابن شعبة في نسبة هذه العبارة إلى الإمام عليه السلام أحد. فاتضح أن هذه العبارة من كلام مطرف بن عبد الله، وليست من حديث الإمام الحسن عليه السلام في شيء نظراً إلى نقولات هذه المصادر التي تقدّم زمن تأليف العديد منها على ابن شعبة بكثير. أضف إلى ذلك كله ما تجده في العبارة من ركاكة اللفظ وسماجة المعنى ـ مما ينأى بها عن مساق أحاديث أهل البيت الذين هم أمراء الفصاحة والبيان ـ لأنّ من الواضح أنّ الواعظ البليغ إذا حاول الإشارة إلى قصور الناس في أداء ما يجب عليهم تجاه الله تعالى فالمتوقع منه أن يسكب المعنى في تعبيرات محترمة - كأن يقول مثلاً كما كان الإمام زين العابدين عليه السلام يقول في دعائه: «سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»[١١] ليأخذ الكلام

١-تقدمت ترجمته.
٢-المصنف في الأحاديث والآثار: ٧ / ١٧٨.
٣-كتاب التاريخ: ١٧٣.
٤-كتاب الزهد: ١٩٤. وجدير بالذكر أن السلمي وابن حنبل رويا عبارات أخرى أيضاً عن مطرف في مجال الزهد والمواعظ والترهيب والترغيب ونحوها مما تناثر في مصادر علم الأخلاق أو المستطرفات أوغيرهما فراجع.
٥- المعرفة والتاريخ: ٢/ ٨٢ولفظه: «الناس كلهم أحمق فيما...».
٦-تاريخ بغداد: ٨/ ٣٢٧.
٧-قصر الأمل لابن أبي الدنيا: ٤٠.
٨-إحياء علوم الدين: ٩/ ١١٥ و ٢٧/ ٢٠٥.
٩-ربيع الأبرار: ٢/ ٤٥.
١٠-تاريخ مدينة دمشق: ٥٨/ ٣١٥.
١١-الصحيفة السجادية: ٣٩. وقد تكرر هذا المضمون في أحاديث أهل البيت عليهم السلام بعبارات مختلفة يجمعها سموّ المعنى وفخامة اللفظ.

مـن قلـب المسـتمع مأخـذه ويقـع منـه موقـع القبـول لا أن يسـتخدم العبـارات التـي تمجهـا الأسـماع وتزيدهـا نفـوراً كان يقـول - مثـلاً - : «أحمـق» كمـا قـال مطـرف.

١٨. قولـه: «قِيـلَ لَـهُ: فِيـكَ عَظَمَـةٌ، فَقَـالَ: بَـلْ فِـي عِـزَّةٌ؛ قَـالَ اللَّـهُ: ١٩٤ ﴿وَلِلَّهِ الْعِـزَّةُ وَ لِرَسُـولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِيـنَ﴾[١][٢]» إنّ أقـدم مـن رواه فيمـا علمنـا أبـو حيـان التوحيـدي (م٤١٤هـ) حيـث رواه مرسـلاً عـن الإمـام الحسـن عليه السلام [٣] ثـم رواه بنحـو هـذا التعبيـر مرسـلاً عـن الإمـام كل مـن الآبـي (م ٤٢١هـ)[٤] والثعالبـي (م ٤٢٩هـ)[٥] والحلوانـي (ق ٥هـ)[٦] والزمخشـري (م٥٣٨هـ)[٧] وابـن شـهر آشـوب (م ٥٨٨هـ)[٨] والإربلـي (م٦٩٣هـ)[٩] ومـن بعدهم.

ولـم نجد لهذه النقولات معارضاً، فالظّاهر صحّة نسبة الكلام إلى الإمام عليه السلام.

١٩. قوله: «وَ قَالَ ـ فِي وَصْفِ أَخٍ كَانَ لَهُ صَالِحٍ - : كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي...»[١٠].

هـذه الخطبـة رواهـا ابـن قتيبـة (م٢٦٧هـ) بإسـناده إلـى أبـي الرّبيـع الأعـرج عمرو بـن سـليمان أنّـه قـال: «قـال الحسـن بـن علـيّ [عليهـا السـلام]: ألا أخبركـم عـن صديـق كان لـي...»[١١].

ثـمّ نلاحـظ ابـن أبـي الدّنيـا (م٢٨١هـ) روى قطعـة قصيـرة مـن أوّلهـا بإسـناده إلى إِسْـحَاقَ الْمُقْـرِيِّ، قَـالَ: كَانَ ابْـنُ الْحَنَفِيَّـةِ يَقُـولُ: «إِنِّـي وَاصِـفٌ لَـكَ أَخَـا كَانَ أَعْظَـمَ النَّـاسِ فِـي عَيْنِـي، وَكَانَ الَّـذِي يُعَظِّمُـهُ فِـي عَيْنِـي صِغَـرَ الدُّنْيَـا فِـي عَيْنِـهِ» إلـى قولـه

١-المنافقون: ٨.
٢-تحف العقول: ٢٣٤.
٣-البصائر والذخائر: ٦٦.
٤-نثر الدر: ١/ ٢٢٦.
٥-الاقتباس من القرآن الكريم للتعالبي: ١٥٤.
٦-نزهة الناظر: ٧٥.
٧-ربيع الأبرار: ٤/ ٥.
٨-مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٤/ ٩.
٩-كشف الغمة: ١/ ٥٧٤.
١٠ - تحف العقول: ٢٣٤_٢٣٥.
١١ - عيون الأخبار: ٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

«... فَلَا يَقْدَمُ عَلَى الْأَمْرِ إِلَّا بَعْدَ بَيِّنَةٍ»[1]، ثمّ رواها محمّد بن منصور المراديّ من أعيان الزيديّة (م ح ٢٩٠هـ) بإسناده «عن رجلٍ من أهل الجزيرة، رفعه إلى الحسين بن عليّ عليه السلام، قال: كان لي أخٌ، وكان من أعظم الناس في عيني...»[2]، وهو المصدر الوحيد الّذي نسب الحكمة إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولا نستبعد أن يكون لفظة «الحسن» قد تصحّفت فيه إلى «الحسين».

ثمّ نجد الكليني (م٣٢٩هـ) أخرجه بإسناده عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ رَفَعَهُ، قَالَ:

خَطَبَ النَّاسَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ:

«أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَخٍ لِي كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي...»[3] ثمّ رواها السيّد الرضيّ (م٤٠٦هـ) من جملة كلمات أمير المؤمنين عليه السلام[4]، ثمّ رواها الخطيب البغداديّ (م ٤٦٣هـ) بإسناده إلى أبي بكر الأصمّ محمّد بن كيسان[5]، قال: «قال الحسن بن عليّ ذات يوم لأصحابه:

إنّي أخبركم عن أخ لي...»[6] ثمّ نقله الزمخشريّ (م٥٣٨هـ)[7] وابن حمدون (م ٥٦٢هـ)[8] مرسلًا عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفي نفسها نسبها الليثيّ الواسطيّ (م بعد ٥٨٣هـ)[9] والآمدي (قهـ)[10] إلى أمير المؤمنين، والظّاهر أنّهما تبعا في ذلك

---

١ – كتاب الزهد: ١٧٨، ح ٣٩٧.
٢ – كتاب العلوم (الشهير بأمالي أحمد بن عيسى)؛ جمعه الحافظ محمد بن منصور المرادي، ط: الأولى، ١٤٠١هـ: ٤/ ٣٧١.
٣ – الكافي: ٢/ ٢٣٧.
٤ – نهج البلاغة: ٤٦٦-٤٦٧، الحكمة: ٢٨١.
٥ – لم نعثر على ترجمته.
٦ – تاريخ بغداد: ١٢/ ٣١١. وتجد نفس الرواية نفسها عند ابن عساكر (م ٥٧١هـ) بإسناده إلى أبي بكر الأصمّ في تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٢٥٣ـ ٢٥٦.
٧ – ربيع الأبرار: ٢/ ١٥٧.
٨ – التذكرة الحمدونيّة: ١/ ٣٩٧.
٩ – عيون الحكم والمواعظ: ٣٩٨. وقد صرّح في موضع (راجع: مجلّة تراثنا: العدد ٥، ص ٥٩، مقالة: «المتبقّي من مخطوطات نهج البلاغة حتّى نهاية القرن الثامن» للسيّد عبد العزيز الطباطبائي) أنّه اعتمد على مصادر سمّى منها نهج البلاغة فمن الواضح أخذه عنه هنا وفي غيره ممّا سنتطرّق إليه لاحقاً.
١٠ – غرر الحكم: ٥٤٠.

صنيع السيّد الرضيّ في نهج البلاغة كما أشرنا إليه آنفاً. هذا ومن الطريف بهذا الصدد ما نجده عند أبي الفضل الطبرسيّ (ق٦هـ) في مشكاة الأنوار حيث قال عند نقل هذه الخطبة: «مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ خَطَبَ بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أُخبِرُكُم عَنْ أَخٍ لي...»[١] فيبدو أنّه يقصد بهذا التّعبير أنّ هذه الخطبة كانت قد صدرت أوّلاً عن أمير المؤمنين ثمّ ضمّنها الإمام الحسن خطبته. وبين كلّ من هذه الرّوايات وبين أختها اختلافات في الألفاظ والزيادة والنقصان لم نتعرّض لها.

فاتّضح لحد الآن أن هناك أربعة اتجاهات بشأن قائل هذه الخطبة:

الأوّل: أن يكون من كلام الإمام الحسن عليه السلام:

وهو المذكور في العديد من المصادر القديمة الأصل، واعتنق هذا الرأي المحقق التستري حيث قال في شرح هذه الحكمة من نهج البلاغة: «لم أدر من أين نسب المصنّف[٢] هذا الكلام إليه عليه السلام؟ وقد اتفقت الخاصة والعامة[٣] على أنّه كلام ابنه الحسن عليه السلام»[٤].

الثّاني: أنّها من كلام الإمام عليّ عليه السلام، والقائل بهذا الرّأي قليلٌ.

الثّالث: أنّها من كلام الإمام الحسين عليه السلام. ولا يستند هذا الاتّجاه إلّا إلى رواية المراديّ من الزّيديّة.

والرّابع: أنّها من كلام محمّد أبن الحنفيّة رحمه الله سنداً إلى رواية ابن أبي الدّنيا المتفرّدة.

والأرجح من هذه الأقوال هو الرّأي الأوّل؛ لأنّ المصادر الناقلة له أكثر وأقدم من الرّأي الثاني كما أشار إلى ذلك المحقّق التستريّ.

١ – مشكاة الأنوار: ٢٤٠.
٢–يعني: السيّد الرضيّ رحمه الله.
٣ – قوله رحمه الله «وقد اتفقت الخاصة والعامة...» لا يخلو من مسامحة ومبالغة كما لاحظنا.
٤–بهج الصباغة: ١٢/ ٤٦٧.

ولكن في الوقت نفسه نعترف بأنّ كلّاً من الاحتمالات الثلاثة الأخرى أيضاً تحظى بميزة خاصّة لا يمكننا التغاضي عنها بسهولة من نحو قدم مصدره ـ كما في الاحتمالين الثالث والرّابع ـ أو تعدّد القائل به ـ كما في الاحتمال الثّاني.

وعلى أيّة حال فلو حاولنا الجمع بين الرّأيين الأوّلَين لأمكننا أن نقول بما قال السيّد عبد الزّهراء الخطيب: «وسواء كان هذا الكلام لعليّ أو للحسن سلام الله عليهما فإنّه من منبع واحد؛ على أنّا لا نستبعد أنّ الحسن عليه السلام حكاه عن أبيه ضمّنه حين خطبته»[1] وهو الاتّجاه نفسه الذي نستشفّه من تعبير الطبرسيّ المتقدّم آنفاً.

هذا ونجد هذه الحكمة باختلاف في بعض ألفاظها في كتاب الأدب الكبير لعبد الله بن المقفّع (م ١٤٥هـ) حيث قال: «إنّي مخبرك عن صاحب كان أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما أعظمه عندي

صغر الدنيا في عينه...»[2]، ومن ثمّ فقد نسب هذه الكلمة عددٌ من المصنّفين إلى ابن المقفّع من نحو أبي عليّ مسكويه (م٤٢٠/٤٢١هـ)[3] (والقيروانّي (م٤٥٣هـ)[4] والطرطوشيّ (م٥٢٠هـ)[5].

ولكنْ يبدو أنّها ممّا قام به ابن المقفّع من السّرقات الأدبيّة. يقول المحقّق التستريّ بهذا الصّدد: «ثم العجب أنّ ابن المقفّع أخذ الكلام سرقة في أدبه الكبير، جاعلاً له من نفسه، فقال في آخر كتاب: «وإنّي مخبرك...» فتراه قد سرق كلام الإمام عليه السلام لفظاً ومعنى»[6]، وممّا يكشف عن أنّ ابن المقفّع سرق هذه الحكمة من كلام الإمام الحسن أو من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وانتحلها لنفسه غشّاً ونكراناً ما قام به بعض الباحثين مؤخّراً في مقال له بالفارسيّة تقصّى فيه شواهد سرقات ابن المقفّع اللفظيّة المفضوحة من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام

١-مصادر نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٨.
٢ - الآثار الكاملة لابن المقفّع (تحقيق: الدّكتور عمر الطبّاع):٩٨.
٣ - الحكمة الخالدة (جاويدان خرد): ٣٢٦.
٤-زهرة الآداب:١/ ١٩٠.
٥ - سراج الملوك: ٤١٢.
٦ - بهج الصباغة:١٢/ ٤٧٠.

حيث قد بلغت ١٥ مورداً على الأقلّ - سوى المواضع الّتي اقتبس منها المعنى من أمير المؤمن عليه السلام وكساه ألفاظاً من عنده - [١] كما شدّد السيد عبد الزهراء الخطيب وغيره أيضاً على رفض نسبة هذه الحكمة إلى ابن المقفّع بالتفصيل فراجع [٢]. وعلى كلّ فإنّ هذه الحكمة - سواء ذهبنا إلى أنّها من كلام الإمام الحسن عليه السلام - كما رجّحنا - أم قلنا: إنّها من كلام الإمام عليّ عليه السلام ـ لم تصدر إلّا عن أهل بيت النبوّة عليهم السلام.

وفي ختام البحث عن هذه الحكمة ينبغي التنبيه على نقاط:

أ. روى أبو بكر ابن أبي الدّنيا(م٢٨١هـ) الجملة الأولى من هذه الحكمة عن الإمام الباقر عليه السلام، فقال: «حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ بُجَيْرٍ [٣]، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ [٤]: كَانَ لِي أَخٌ، وَكَانَ فِي عَيْنِي عَظِيمًا، وَكَانَ الَّذِي عَظَّمَهُ فِي عَيْنِي صِغَرَ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ» [٥]. ويمكننا التّساؤل عمّا إذا كانت هذه الجملة قطعة من هذه الحكمة، رواها الإمام الباقر عن الإمام الحسن أو أمير المؤمنين عليهما السلام، وقد أهمل الرّاوي نقل بقيّة السند عمداً أو نسياناً أو أنّها جملة مستقلة أخرى من كلام الإمام الباقر عليه السلام نفسه، وقد اشبهت من باب الصدفة الفقرة الأولى من الحكمة؟

ب. نسب الرّاغب الأصفهانّي(م٥٠٢هـ) في موضع قطعة قصيرة من بداية هذه الحكمة إلى «بعض الحكماء» [٦] فيما نسبها في كتاب آخر إلى «أعرابيّ» [٧] ولكن على الباحث أن لا يقيم لهاتين النسبتين وزناً لمعارضتهما للعديد من المصادر المتقدّمة على الرّاغب بكثير - مع أنّ النسبة الأولى لا تعارض. نسبة الحكمة إلى الإمام عليه السلام ـ أضف إلى ذلك أنّ الرّاغب لم يذكر إسناداً في كلامه،

١ - مجلة: «مقالات وهم بررسيها»، العدد: ٨٨(الصيف: ١٣٨٧ ش)، مقال: «تأثير كلام حضرت علي عليه السلام در الأدب الصغير و الأدب الكبير» لـ«وحيد سبزيان پور»، ٥٣ ـ ٦٦.
٢ - مصادر نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٨.
٣ - قال عنه الذهبيّ: «شيخ عراقيٌ» وأرّخ وفاته بين سنتي ٢٤١ و ٢٥٠ هـ. (تاريخ الإسلام: ٥/ ٩٩٦).
٤ - يعني الإمام الباقر عليه السلام.
٥ - كتاب الزهد: ١٧٧، ح ٣٩٤. ورواه أبو نعيم الأصبهانّي بإسناده عن ابن أبي الدّنيا في حلية الأولياء: ٣/ ١٨٦ وقد تصحّف فيها «أَحْمَدُ بْنُ بُجَيْرٍ» إلى «أحمد بن محمّد».
٦ - محاضرات الأدباء: ١/ ٣٧٢.
٧ - الذّريعة إلى مكارم الشريعة: ٢٩١.

وإنّما أرسل النسبة إرسالاً.

ت. اختلفت الأنظار بشأن الأخ المنعوت في هذه الحكمة، ولا نريد أن نلج خضمّ هذا الموضوع فراجع عنها شروح نهج البلاغة[1].

٢٠. قوله: «وَقَالَ: مَنْ أَدَامَ الِاخْتِلَافَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَصَابَ إِحْدَى ثَمَانٍ:..»[2].

إنّ أقدم من وجدناه روى هذه الرواية هو ابن قتيبة الدينوريّ (م ٢٦٧هـ) حيث روى بإسناده عن سعد[3] بن طريف عن عمير بن المأمون، قال: سمعت الحسن بن عليّ يقول: من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثماني خصال:...»[4].

ثمّ رواها مسندةً عن سعد بن طريف عن عمير بن مأمون عن الإمام الحسن عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله كلٌّ من ابن حبّان البُستيّ (م٣٥٤هـ)[5] وأبي ٢٣٦ القاسم الطّبرانيّ (م٣٦٠هـ)[6] وابن عديّ

الجرجانيّ (م ٣٦٥هـ)[7] والشيخ الصدوق (م ٣٨١هـ)[8] أبي طالب الهارونيّ (م٤٢٤هـ)[9] ومن بعدهم.

كما أنّ هناك مصادر روت الحديث مرسلاً عن الإمام أبي الحسن عليه السلام من

١-راجع كنموذج: بهج الصباغة:١٢/ ٤٧١-٤٧٣.
٢ – تحف العقول: ٢٣٥.
٣ – في طبعتنا: «سعيد» وهو تصحيف كما ستلاحظ بعد قليل في ما ننقله من غيره من المصادر.
٤ – عيون الأخبار:٣/ ٥_٦.
٥ – كتاب المجروحين: ١/ ٣٥٧ وفيه: «عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ» وهو تصحيف.
٦-المعجم الكبير: ٣/ ٨٨.
٧ – الكامل في ضعفاء الرجال: ٤/ ٣٨٤.
٨ – الخصال: ٢/ ٤١٠.
٩-تيسير المطالب في أمالي أبي طالب:٣٥٣. وفيه: «بإسناده إلى سعد بن طريف عن عمير بن مأمون العطاردي، قال: أتيت الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، الكلمات التي سمعتك ترويها عن رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: نعم! سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أدمن الاختلاف إلى المساجد...».

نحو: أبي طالب المكّيّ (م٣٨٦هـ)[١] والغزّاليّ (م ٥٠٥هـ)[٢].

هذا وقد نسب الحديث بعضهم إلى رسول الله ﷺ من نحو: عبدالقادر الجيلانيّ (م٥٦١هـ)[٣] ويبدو أن السبب في ذلك هو رواية الإمام الحسن عليه السلام هذه الفوائد الثمانية عن النبيّ ﷺ.

ومن الغريب ما نلاحظه عند الرّاغب الأصفهانيّ (م ح ٥٠٢هـ) حيث نسب هذا المضمون إلى «بعض الأنصار»[٤]. ولا قيمة علميّة لنقله في مقابل اتّفاق المصادر على عزو الحديث للإمام الحسن عليه السلام.

فالمتحصّل مما تقدّم أنّ نسبة الحديث إلى الإمام الحسن عليه السلام مما لا ريب فيه.

ومما يسرق الانتباه هنا هو أنّ الصّدوق قد روى ـ قبل هذه الرّواية - نفسه باختلاف جدّ يسير بإسناده عَنْ سَعْدٍ الْإِسْكَافِ عَنْ زِيَادِ بْنِ عِيسَى عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنِ الْأَصْبَغْ بن ثباتة عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: قَالَ كَانَ يَقُولُ: مَنِ اخْتَلَفَ إِلَى

الْمَسَاجِدِ أَصَابَ إِحْدَى الثَّمَان:...»[٥]. فاتضح أنّ هذا المضمون صدر عن النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام معاً، ولا غرو فإنّ كلّهم من نور واحدٍ، وما علّمه الله نبيَّه فقد انتهى إلى الأئمّة عليهم السلام[٦].

١ - قوت القلوب: ٢/ ٢٥٩ وفيه: «إحدى سبع خصال» والظّاهر أنه من سهو الرّاوي وص ٢٧٧ وفيه: «وفي حديث ابن عباس الحسن بن عليّ من أدمن الاختلاف إلى المسجد، أصاب إحدى خمس خصال ولفظة «خمس» أيضاً من سهو المؤلف كما هو الحال في ذكر «ابن عبّاس» حيث لم نجد بهذا المضمون حديثاً عنه.

٢ - حياء علوم الدّين: ٢٧/ ١٦٩.

٣ - الغنية لطالبي طريق الحق: ١/ ٧٩.

٤ - محاضرات الأدباء: ٢ / ٤٥٧ و ٧٥٧ باختلاف يسير بين النصيّن في الموضعين.

٥ - الخصال: ٢/ ٤٠٩. وكررها في: من لا يحضره الفقيه: ١/ ٢٣٧؛ الأمالي للصدوق: ٣٨٩-٣٩٠؛ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٧ وعن الصّدوق في الأمالي للطوسيّ: ٤٣٢؛ كما رواها الشيخ الطوسيّ بإسناده إلى الأصبغ في تهذيب الأحكام: ٣/ ٢٤٨_٢٤٩.

٦ - كما هو مؤدّى أحاديث كثيرة فراجع على سبيل المثال: الكافي: ١/ ٢٦٣: «بَابُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُعَلِّمْ نَبِيَّهُ عِلْمًا إِلَّا أَمَرَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُ كَانَ شَرِيكَهُ فِي الْعِلْمِ».

٢١. قوله: «وَرُزِقَ غُلَاماً فَأَتَتْهُ قُرَيْشٌ تُهَنِّيهِ، فَقَالُوا: يهنيك الْفَارِسُ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الْقَوْلُ، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ رَاجِلاً؟ فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ: كَيْفَ نَقُولُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: إِذَا وُلِدَ الأَحَدِكُمْ غُلَامٌ فَأَتَيْتُمُوهُ فَقُولُوا لَهُ: شَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ [و] [١] بَلَغَ اللَّهُ بِهِ أَشُدَّهُ وَرَزَقَكَ بِرَّهُ» [٢].

روى عليّ بن الجعد البغداديّ (م٢٣٣هـ) في بإسناده عن الْهَيْثَم بن جمَّازٍ[٣]، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ الْحَسَنِ: يَهْنِيكَ الْفَارِسُ، فَقَالَ الْحَسَنُ وَمَا يَهْنِيكَ الْفَارِسُ؟ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَقَارًا أَوْ حَمَارًا، وَلَكِنْ قُلْ:

«شَكَرْتَ الْوَاهِبَ...»[٤] وروى هذه الرواية عن ابن الجعد تلميذه ابن أبي الدنيا (م ٢٨١هـ) [٥] كما رواه ابن عديّ الجرجانيّ (م ٣٦٥هـ) عن شيخه عن ابن الجعد[٦].

ثمّ روى القصّة نفسها الجاحظ (م ٢٥٥هـ) مرسلاً عن عوف، [٧] قال: قال رجلٌ في مجلس الحسن: ليهنئك الفارس! قال

له الحسن: فلعلّه حامر. إذا وهب الله لرجل ولداً فقل: شَكَرْتَ الْوَاهِبَ و..» [٨] والمراد من الحسن في هذا النّقل الحسن البصريّ أوّلًا بقرينة رواية ابن الجعد وغيرها مما نشير إليه، وثانياً بشهادة الراوي عنه، وهو عوف بن أبي جميلة، وثانياً: لأنّ ممّا دأب عليه الجاحظ وغيره من أهل السنّة التعبير بالحسن

١ – أضفناها لاقتضاء السّياق.
٢ – تحف العقول: ٢٣٥.
٣ – الْهَيْثَمُ بْنُ جَمَازٍ، الْبَصْرِيُّ الْبَكَّاءُ الْحَنَفِيُّ، كَانَ يَقُصُّ بِالْبَصْرَةِ. ضعّفه بعض أهل السّنّة وأرّخ الذهبيّ وفاته بين ١٦١–١٧٠هـ. راجع عنه: تاريخ الإسلام: ٤/ ٢٣٥.
٤ – مسند ابن الجعد: ٤٨٨، ح ٣٣٩٨. ورواه عن ابن الجعد تلميذه ابنُ أبي الدّنيا (م ٢٨١هـ) في كتابه: النفقة على العيال: ١/ ٣٦٥ وفيه: «الْهَيْثَمُ بْنُ حَمَّادٍ» وهو تصحيف.. النفقة على العيال: ٣٦٥/ ١ وفيه: «الْهَيْثَمُ بْنُ حَمَّادٍ» وهو ٢٥٠ تصحيف.
٥ – النفقة على العيال: ٣٦٥/ ١ وفيه: «الْهَيْثَمُ بْنُ حَمَّادٍ» وهو تصحيف.
٦ – الكامل في ضعفاء الرجال:٨/ ٣٩٥.
٧ – لم نجد في قائمة تلامذة الحسن البصري من كان مسمّى بـ«عوف» إِلَّا عَوْفَ بْنَ أَبِي جَمِيلَةَ أَبَا سَهْلٍ الْأَعْرَابِيَّ البصري (٥٨–١٤٦هـ) وهو من صغار التابعين (راجع ترجمته وقائمة مشايخه في تهذيب الكمال: ٤٣٧/ ٢٢ – ٤٤١).
٨–البيان والتّبيين: ٣/ ١٩٠.

- مطلقاً - عن الحسن البصريّ.

وعلى كلّ فقد روى هذا المضمون بعد ابن الجعد باختلاف يسير ابن قتيبة الدّينوريّ (م ٢٦٧هـ) بإسناده عن أبي عبد

الله النّاجي[١] قال: كنت عند الحسن، فقال رجلٌ: ليهنئك الفارس..»[٢].

ثمّ نجد الشيخ الكلينيّ (م٣٢٩هـ) من علمائنا. هذا روى المضمون في روايتين في بَاب التَّهْنِئَةِ بِالْوَلَدِ: الأولى ما رواه بإسناده عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ[٣] قَالَ: وُلِدَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ

مَوْلُودٌ فَأَتَتْهُ قُرَيْضٌ فَقَالُوا: يَهْنِئُكَ الْفَارِسُ، فَقَالَ: وَمَا هَذَا مِنَ الْكَلَامِ؟ قُولُوا: شَكَرْتَ الْوَاهِبَ...» وإذا قارنّا بين هذه الرواية ورواية ابن شعبة وجدنا الفرق بينهما طفيفاً والثانية ما رواه بإسناده عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: هَنَّا رَجُلٌ رَجُلًا أَصَابَ ابْناً فَقَالَ يَهْنِئُكَ الْفَارِسُ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: مَا عِلْمُكَ يَكُونُ فَارِساً أَوْ رَاجِلاً؟ قَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! فَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: تَقُولُ: شَكَرْتَ الْوَاهِبَ...»[٤].

ثمّ نقل السيّد الرضيّ هذه الواقعة بشأن أمير المؤمنين عليه السلام، فقال في نهج البلاغة: «وَهَنَّا بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلًا بِغُلَامٍ وُلِدَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: لِيُهْنِئْكَ الْفَارِسُ، فَقَالَ عليه السلام: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قُلْ: شَكَرْتَ الْوَاهِبَ...»[٥] نفسه النقل تجده عند الزّمخشريّ (م٥٣٨هـ)[٦] باختلاف جدّ يسير منسوباً إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

ثمّ نقل القضية نفسها ابن عساكر بإسناده عن كلثوم بن جوشن، قال: جاء

١ - ذكر المزّيّ رجلاً مسمّى بـ«أبي عبد الله الناجيّ» في تلامذة فضيل بن عياض التّميميّ (م ١٨٧هـ) (تهذيب الكمال: ٢٣/ ٢٨٥) ومن المستبعد أن يكون هو الراوي مباشرة عن الحسن البصريّ لتأخّر طبقته عنه بكثير ولن نجد غيره بهذا العنوان في حدود ما بأيدينا من المصادر.

٢ - عيون الأخبار: ٣/ ٧٧ـ٧٨.

٣-أَبو بَرْزَةَ نَضْلَةُ بنُ عُبَيْدٍ الأَسْلَمِيُّ، من أصحاب النبيّ والموالين لأمير المؤمنين صلوات الله عليها؛ توفّي سنة ٦٤هـ.راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٣٤٠؛ قاموس - ٢٥٧ الرجال: ١٠/ ٣٧٠-٣٧٢.

٤ - الكافي: ٦/ ١٧ـ١٨، ح ٢ و٣؛ وروى الثانية الصّدوق مرسلةً عن الإمام الصادق عليه السلام في من لا يحضره الفقيه:٣/ ٤٨٠.

٥ - نهج البلاغة: ٤٧٨، الحكمة ٣٤٦.

٦ - ربيع الأبرار: ٤/ ٢٨٢.

رجل عند الحسن، وقد ولد له مولود، فقيل له: يهنئك الفارس، فقال الحسن: وما يدريك أفارس هو؟ قالوا: كيف نقول يا أبا سعيد؟ قال: تقول: بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب...» [1] وقد صرّح فيه - كما نلاحظ - بكنية الحسن البصريّ كما أنّ كلثوم بن جوشن القشيريّ [2] كان من تلامذة الحسن البصريّ.

هذه هي أقدم الرّوايات الواصلة إلينا بهذا المضمون، وأبرزها، وبإمكاننا - على ضوئها - أن نطمئنّ بصدور هذه الرواية عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وذلك استناداً إلى روايتي الكلينيّ (م٣٢٩هـ) وبخاصّة الرواية الثّانية الّتي رواها عن الإمام الصادق عليه السلام الّذي لا مجال لاحتمال السّهو بشأنه.

أمّا عن صدور هذه الواقعة عن أمير المؤمنين عليه السلام فلا نستبعد ذلك أيضاً؛ لأنه:

أوّلاً: أنّ الإمام عليّاً عليه السلام نفسه قد علّم أصحابه هذه التهنئة - في جملة ما علّمهم من أربعمائة أدب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه، وقد اشتهر فيما بعد بحديث الأربعمائة - فقال: «إِذَا هَنَّأْتُمُ الرَّجُلَ عَنْ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ فَقُولُوا: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي هِبَتِهِ، وَ بَلْغَهُ أَشُدَّهُ، وَرَزَقَكَ بِرَّه»[3].

ثانياً: قد نقل العديد من المصادر القديمة أنّ أمير المؤمنين قد هنّأ عبد الله بن العبّاس بابنه عليٍّ، فقال: «شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب»[4].

ومن ثمّ فمن الطبيعيّ أنّ يتقدّم الإمام أصحابه في العمل بهذه التهنئة الإسلاميّة محاولاً تصفية الثقافة الإسلامية من رسوبات الجاهليّة كما قال ابن أبي الحديد في شرح هذه الحكمة الّتي نقلها السيّد الرضيّ: «هذه كلمة [5] كانت من

١- تاريخ مدينة دمشق: ٥٩/ ٢٧٦.
٢- راجع ترجمته في تهذيب الكمال: ٢٤/ ٢٠١ـ ٢٠٣.
٣- الخصال للصّدوق: ٢/ ٦٣٥؛ وانظر أيضاً تحف العقول: ١٢٣؛ عيون الحكم والمواعظ: ١٣٩.
٤ - الكامل للمبرّد(م ٢٨٥هـ): ١/ ٤٩٧؛ أخبار الدولة العبّاسيّة (ق٤): ١٣٤؛ العقد الفريد لابن عبد ربّه (م٣٢٨هـ): ٥/ ٣٦٠.
٥- أي قول العرب: «يهنئك الفارس».

شعار الجاهلية، فنهى عنها كما نهى عن تحية الجاهلية: «أبيتَ اللَعنَ» وجعل عوضها: سلامٌ عليكم»[1].

أمّا عن صدور مثل هذه العبارة عن الحسن البصريّ فلا يهمّنا هنا نفي ذلك ولا إثباته وإن كان الظاهر صدورها عنه لنقلها في العديد من المصادر المتقدّمة؛ ولأنّ التهنئة بالمولود كانت ولم تزل أمراً شائعاً بين المسلمين. ومن الطبيعيّ أن يكون كثير من المسلمين - بما فيهم الحسن البصريّ ـ قد آثروا استخدام عبارات التهنئة الإسلاميّة على مثيلاتها الّتي أسّستها الجاهليّة.

٢٢. قوله: «وَسُئِلَ عَنِ الْمُرُوَّةِ، فَقَالَ: شُحُّ الرَّجُلِ عَلَى دِينِهِ وَ إِصْلَاحُهُ مَالَهُ وَ قِيَامُهُ بِالْحُقُوقِ»[2].

قد خصّ شيخنا الصّدوق باباً لمعنى المروءة في كتابه معاني الأخبار، وقد نقل فيه أحاديث، فروى في الحديث الأوّل منها بإسناده إلى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ[3] عَنْ صَبَّاحِ بْنِ خَاقَانَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ التَّيْمِيِّ الْقَاضِي، قَالَ:.. ثمّ نقل كلاماً لأمير المؤمنين عليه السلام في معنى المروءة ثمّ قال في الحديث الثاني: «قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَرَفَعَهُ، قَالَ:

سَأَلَ مُعَاوِيَةُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام عَنِ الْمُرُوءَةِ، فَقَالَ: شُحُّ الرَّجُلِ عَلَى دِينِهِ وَإِصْلَاحُهُ مَالَهُ وَقِيَامُهُ بِالْحُقُوقِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَحْسَنْتَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! أَحْسَنْتَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَالَ: فَكَانَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: وَدِدْتُ أَنْ يَزِيدَ قَالَهَا، وَأَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ»[4] ونصّ الحديث - كما تلاحظ - يوافق نصّ ابن شعبة تماماً.

ثمّ روى في الحديث الثالث بإسناده عن الإمام الصّادق عليه السلام: «قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا

١-شرح نهج البلاغة: ١٩/ ٢٧٠.
٢ - تحف العقول: ٢٣٥.
٣ - محمّد بن خالد البرقيّ (م ٢٧٤/ ٢٨٠هـ) فهو من طبقة مشايخه.
٤ - معاني الأخبار: ٢٥٧، ح٢.

مُحَمَّدٍ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْمُرُوءَةِ؟ فَقَالَ: حِفْظُ الرَّجُلِ دِينَهُ وَقِيَامُهُ فِي إِصْلَاحِ ضَيْعَتِهِ وَحُسْنُ مُنَازَعَتِهِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ وَلِينُ الْكَلَامِ وَالْكَفُّ وَالتَّحَبُّبُ إِلَى النَّاسِ»[1] ثمّ روى في الحديث الرّابع بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «يَا بُنَيَّ مَا الْمُرُوءَةُ؟ فَقَالَ: الْعَفَافُ وَإِصْلَاحُ الْمَالِ»[2].

هذه هي الروايات الوحيدة الّتي وصلتنا بشأن تفسير المروءة عن الإمام الحسن عليه السلام.

ولم نجد - فيما اطّلعنا عليه من المصادر الكثيرة - حديثاً آخر باللفظ الّذي أورده ابن شعبة إلّا هذا الحديث الثّاني الّذي رواه الصدوق مرسلاً وإن كانت الأحاديث الأخرى الّتي نقلها الصدوق قريبة معنىً من رواية ابن شعبة.

وعلى الرّغم من أنّ هذه الرواية مرفوعة إلّا أنّ لنا التأكّد من صدور نصّ ابن شعبة أو قريب منه عن الإمام الحسن عليه السلام، وذلك لأجل ورود هذا المضمون في أكثر من روايتين - كما لاحظنا - بأسانيد بعضها متّصلة.

وينبغي هنا أن لا تفوتنا الإشارة إلى السؤال عن المروءة الذي قد روي عن أمير المؤمنين في جملة ما سأل عنه ابنَهُ الإمامَ الحسنَ عليه السلام من المسائل العديدة الّتي رواها ابن شعبة وغيره، وسبق أن أشبعنا القول بشأنها، وخرّجناها من المصادر سابقاً[3]، ومن ثمّ فيبدو أنّ الحديث الرابع الّذي

رواه الصدوق في هذا الباب هو قطعة مأخوذة من ذلك الحديث المشتمل على تلكم المسائل.

٢٣. قوله: «وَ قَالَ: إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ مَذْهَبُهُ وَأَسْمَعَ الأستماع مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وانْتَفَعَ بِهِ؛ أَسْلَمُ الْقُلُوبِ مَا طَهُرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ»[4].

١-م.ن: ٢٥٧، ح٣.
٢-م.ن: ٢٥٧ ٢٥٨، ح٤.
٣-راجع تخريجنا للحديث المرقّم ١.
٤ - تحف العقول: ٢٣٥.

إنّ هـذا الـكلام - إلـى قولـه: «وَانْتَفَـعَ بِـهِ» ـ قـد رواه أبـو جعفـر الإسـكافيّ (م ٢٤٠هـ) ـ مـن أعيـان متكلّمـي المعتزلـة - باختـلاف يسـير مـن جملـة خطبـة مفصّلـة للإمـام أميـر المؤمنيـن عليه السلام [١] كمـا نقلـه السّـيّد الرضـيّ فـي الخطبـة ١٠٤ مـن نهـج البلاغـة إلـى قولـه: «مَـا وَعَـى التَّذْكِيـرَ وَ قَبِلَـه»[٢] ثـمّ نقلـه الآمـديّ بالمتـن المذكورنفسـه فـي النهـج [٣] مـن جملـة كلمـات الإمـام علـيّ عليه السلام، والظاهـر أنّـه أخـذه عـن الرضـيّ.

فاتّضـح فـي ظـلّ هـذه المعطيـات أنّ هـذا الـكلام هـو مـن حديـث الإمـام علـيّ عليه السلام لا الإمـام المجتبـى عليه السلام.

٢٤. قوله: «وَسَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يُخِيلَهُ قَالَ: إِيَّاكَ أَنْ تَمْدَحَنِي...»[٤].

هـذا الـكلام نقلـه ابـن قتيبـة الدينـوريّ (م٢٧٦هـ) قائـلاً: «سـأل رجل عبـد الملك بـن مـروان الخلـوة؛ فقـال لأصحابـه: إذا شـئتم تنحّـوا؛ فلمـا تهيّـأ الرجـل للـكلام قـال لـه: إيّـاك وأن تمدحنـي، فإنّـي أعـرف بنفسـي منـك، أو تكذبنـي فإنّـه لا رأي لكـذوب، أو تسـعى بأحـد إلـيّ، وإن شـئت أن أُقيلـك أَقَلتُـك؛ قـال: أقلنـي» [٥].

ثـمّ نقـل المبّـرد (م ٢٨٥) [٦] قريبـاً مـن هـذا المضمـون مرسـلًا عـن عبدالملـك بـن مـروان باختـلاف فـي بعـض ألفاظهـا ثـمّ نقلـه مرسـلاً منسـوباً لعبـد الملـك بـن مـروان كلٌّ مـن ابـن عبـد ربّـه الأندلسـيّ (م٣٢٨هـ) [٧] وأبـو سـعد الآبـيّ (م٤٢١هـ)

١ - المعيـار والموازنـة: ٢٧٨. ويشـار إلى أنّ هناك جـدلاً حـول صحّـة نسـبة هـذا الكتـاب إلى أبي جعفـر الإسـكافيّ ففـي الوقـت الّـذي ناقـش فيهـا بعـض الباحثين:(راجـع دائـرة المعـارف بـزرگ اسـلامي: ٨ / ٣٤٣، مدخـل: «إسـكافي» بقلـم: نـاصر گذشـته) جـاء الأسـتاذ حسـن الأنصـاري ليؤكّـد عـلى صحّـة نسـبة الكتـاب المطبـوع إليـه عـبر تقديـم عـدّة مـؤشّرات وشـواهد عـلى ذلـك (لاحـظ: بررسـيهاى تاريخـي: ٤٩٣) والصحيـح عندنـا صحّـة نسـبة الكتـاب إليـه.

٢ - نهج البلاغة: ١١٦.

٣ - ٢٧٤ غرر الحكم: ١٧٦.

٤ - تحف العقول: ٢٣٦.

٥ - عيون الأخبار:٢/ ٢٨.

٦-الكامل في اللغة و الأدب: ١/ ٦٧.

٧-العقد الفريد: ٢/ ١٨١.

[1] وابن عبد البرّ القرطبيّ (م٤٦٣هـ) [2] والراغب الأصفهانيّ (م ٥٠٢هـ) [3] و أبو بكر الطرطوشيّ (م٥٢٠هـ) [4]

وابن حمدون (م ٥٦٢هـ) [5] وابن أبي الحديد (م ٦٥٦هـ) [6] وغيرهم باختلاف فيما بينهم.

كما روى أبو بكر البيهقيّ (م٤٥٨هـ) بإسناده عن عُبَيْدِ اللهِ بْن عَائِشَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَفُقِ مِنَ الْآفَاقِ، فَقَالَ: «اعْفِنِي مِنْ أَرْبَعٍ وَقُلْ بَعْدَهَا مَا شِئْتَ: لَا تَكْذِبَنِي، فَإِنَّ الكَذُوبَ لَا رَأْيَ لَهُ...» [7].

ثمّ نجد ابن عساكر (م٥٧١هـ) نقل بإسناده إلى عبد الله بن بكر السّهمي، عن أبيه قال: سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة...» [8] بنحو المتن الّذي أورده ابن قتيبة.

هذه أبرز الرّوايات المذكور فيها هذا المضمون، ويتّضح على ضوئها أنّ هذا الكلام ليس من حديث الإمام الحسن عليه السلام بل هو من كلام عبدالملك بن مروان.

كما اتّضح أيضاً أنّ الصحيح في اللفظة المذكورة في نصّ تحف العقول أن يقال: «أَنْ يُخلِيَهُ» لأنّ الرّجل سأل عبد الملك الخلوة [9] كما ورد في رواية ابن قتيبة وغيره.

٢٥. قوله: «وَقَالَ: إِنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِبَادَةَ تَزَكَّى لَهَا؛ إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرِيضَةِ فَارْفُضُوهَا؛ الْيَقِينُ مَعَاذٌ لِلسَّلَامَةِ ؛ مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اعْتَدَّ؛ وَلَا يَغُشُّ الْعَاقِلُ

١-نثر الدّرّ: ٣/ ٣٥.
٢ - بهجة المجالس: ٢/ ٣٤٣.
٣-محاضرات الأدباء: ١/ ٤٧٤ ٤٧٥.
٤-سراج الملوك: ٢١٧.
٥-التّذكرة الحمدونيّة: ٣/ ٥٠.
٦-شرح نهج البلاغة: ١١/ ١٠٣ـ ١٠٤ و ١٧/ ٤٠.
٧-شعب الإيمان: ٦/ ٤٠.
٨ - تاريخ مدينة دمشق: ٣٧/ ١٤٢.
٩-«أخلى المكانُ»: خلا وأخلى بفلانٍ: انفرد به في خلوة. (المعجم الوسيط: (٢٥٤).

مَنِ اسْتَنْصَحَهُ؛ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابُ الْعِزَّةِ؛ قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّمِينَ؛ كُلُّ مُعَاجَلٍ يَسْأَلُ النَّظِرَةَ وَكُلُّ مُؤجّلٍ يَتَعَلَّلُ بالتَّسْوِيفِ» [1].

روى السيّد الرضيّ الحكمة ٢٧٠ إلى الحكمة ٢٧٧ من نهج البلاغة ومن المرجّح أنّ كلّها مأخوذة من خطبة واحدة لأمير المؤمنين ﷺ لتناسب مساقها مع بعضها البعض وهي تشتمل على غالبيّة ما ذكره ابن شعبة هنا، كما يأتي: «وَقَالَ ﷺ: قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ * وَقَالَ ﷺ: إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا وَقَالَ ﷺ: مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ وَقَالَ ﷺ: لَيْسَتِ الرُّؤْيَةُ مَعَ الْأَبْصَارِ فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا وَلَا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ وَقَالَ ﷺ: بَيْنَكُمْ وَالْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّةِ وَقَالَ ﷺ: جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ وَ عَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ وَقَالَ ﷺ: قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ وَقَالَ ﷺ: كُلُّ مُعَاجَلٍ يَسْأَلُ الْإِنْظَارَ وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ» [2].

فهذا مؤشّر واضح لانتساب هذه الفقرات المنقولة في التّحف إلى الإمام عليّ ﷺ، وها نحن الآن ننّور الفكرة إيضاحاً عبر دراسة كلٍّ من هذه الفقرات واحدة تلو أخرى:

فأمّا قوله: «إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا» فلم نجده منسوباً إلى الإمام المجتبى على الرّغم من البحث عنها في آلاف من المصادر الإسلاميّة، ومن ثمّ فمن الصعب جدّاً أن نقتنع بصحّة نسبته إلى الإمام الحسن ﷺ لما لاحظنا لحدّ الآن من

كثرة تسامح ابن شعبة في نسبة الأقوال إلى الإمام وعدم تثبّته في ذلك.

ولم نجد من نقل هذا الكلام من معاصري الرضيّ أو المتقدّمين عليه [3] إلاّ

١- تحف العقول: ٢٣٦.
٢- نهج البلاغة: ٤٦٥-٤٦٦.
٣- روى هذا الكلام منسوباً إلى أمير المؤمنين ﷺ الآمديّ في غرر الحكم ٢٨٣: والليثيّ الواسطي في عيون الحكم والمواعظ: ١٣٥ ومَن جاء بعدهما ولكنّ أغلب الظنّ أخذهم عن نهج البلاغة. كما ينبغي الإشارة إلى أن أبي بكر الطرطوشيّ (م٥٢٠هـ) روى هذه العبارة في سراج الملوك: ٥٤٤ كالتّالي: «إذا أضرّت النوافل بالفرائض، تركت النوافل و قدّمت الفرائض» ولم ينسبها إلى أحد.

أبا طالب الهارونيّ (م٤٢٤هـ) حيث قال في أماليه: «حَكَى الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْوَلِيدِيّ فِي كِتَابِ الأَلْفَاظِ، عَنِ النَّاصِرِ لِلْحَقِّ الْحَسَنِ بن عَلِيٍّ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عليه السلام، يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ؛ إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرِيضَةِ فَارْفُضُوهَا»[١].

ويهدينا كلامه إلى مصدر آخر لهذا الحديث: وهو كتاب الألفاظ لأبي عبد الله الوليديّ الّذي كان من جلساء النّاصر للحقّ الحسن بن عليّ الأطروش (م٣٠٤هـ)، وقال عنه المنصور بالله عبد الله بن حمزة الزيديّ (م٦١٤هـ): «كان أبو عبد الله الوليديّ[٢] القاضي يلزم مجلسه[٣] ويعلّق جميع ما سمعه منه من أنواع الفوائد في فنون العلم، فجمع في ذلك كتاباً سمّاه: «ألفاظ النّاصر»[٤].

وهذا التّقرير يكسبنا وثوقاً أكثر بصدور هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السلام وبخاصّة إذا أخذنا في الاعتبار أنّ الناصر الأطروش إلى جانب زعامته السياسيّة كان محدّثاً راوية بارزاً في الوسط العلميّ الزيديّ كما يتجلّى ذلك بوضوح لمن أطلّ على كتبه ورواياته، ومن الطبيعيّ جدّاً أنْ يكون الناصر قد اعتمد في نسبة هذا الكلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام على مصدر أقدم من زمانه كما هو الشأن في الأكثريّة الساحقة من الأحاديث الّتي يرويها في تراثه، ومن ثمّ فلنا أن نثق بأنّ نسبة هذا الكلام إلى أمير المؤمنين متغلغلة في أعماق التّاريخ الإسلاميّ، أي إلى ما قبل سنة ٣٠٠ الهجريّة؛ الأمر الّذي يوحي بوجود مصادر أو مصدر – على الأقلّ – لهذا الكلام قبل هذه السنة وإن كنّا الآن يُعدِمنا أيُّ مصدرٍ له سوى أمالي أبي طالب الهارونّي.

وفي السّياق نفسه ينبغي التنبيه على أنّ السيّد الرضيّ ذكر العبارة: «قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أرجى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ» قبل الفقرة الّتي نحن بصددها الآن، وهو يلائم رواية النّاصر الأطروش ممّا

١-تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: ٤٣٧.
٢-في المصدر: «الوليد» وفي الحدائق الورديّة: ٢/ ٥٨ «الوليديّ».
٣-أي مجلس الناصر الأطروش.
٤ – الشّافي لعبد الله بن حمزة (ط: مكتبة أهل البيت عليهم السلام، صعدة: ١٤٢٩هـ):١/ ٨٦٢.

يدلّ على أنّ الجملتين قد اقتُطِفَتا من أحاديث الإمام عليّ عليه السلام. ومهما يكن فإنّ هذا الكلام من حديث أمير المؤمنين عليه السلام لا ابنه الإمام المجتبى عليه السلام.

وأمّا قوله: «الْيَقِينُ مَعَادٌ لِلسَّلَامَة»[1].

فلم نجد هذا الكلام في غير تحف العقول، ومن ثمّ فلم تثبت نسبته إلى الإمام الحسن، ووقوعه بين هذه الفقرات المرويّة في المصادر الأخرى عن الإمام عليّ عليه السلام يعزّز إلى حدّ كبير إمكانيّة صدورها عن الإمام عليّ عليه السلام ومن الخطبة نفسها الّتي اختار منها الرّضيّ بقيّة هذه الفقرات وإن كنا لا نعرف الآن عن هذه الخطبة شيئاً.

وأمّا قوله: «مَنْ تَذكَّر بُعْدَ السَّفَرِ اعْتَدَّ» فقد نسبها[2] الآمديّ[3] والليثيّ[4] إلى الإمام عليّ عليه السلام، ولكنّ الظاهر أنّهما اعتمدا على كلام الرّضيّ كما هو دأبهما. ولم نجد مصدراً آخر له غير نهج البلاغة.

وأمّا قوله: «وَلَا يَغُشُّ الْعَاقِلُ مَنِ اسْتَنْصَحَه» فلم نجده في غير نهج البلاغة إلّا عند الآمديّ والليثيّ[5]، ونفس الوضع تجدها بالنّسبة إلى الفقرة: «وبينكم وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابُ الْعِزَّةِ» باختلاف جدّ يسير بينها وبين نقل النهج حيث أنّ فيه: «حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّةِ».

وقال السيّد عبد الزّهراء الخطيب بشأن هذه الفقرة: «أورده ابن شعبة في (التحف) في مواعظ الحسن عليه السلام، و لا شكّ أنّه حكاها عن أبيه سلام الله عليه، وكذلك الحكمة (٢٨٥)[6][7]» ولكن لا حاجة إلى هذا التّبرير فبعد كثرة ما

١ – تحف العقول: ٢٣٦.
٢– وفيها: «استعدّ».
٣ – غرر الحكم: ٦١٨.
٤ – عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٩.
٥–غرر الحكم: ٧٧٩ وعيون الحكم والمواعظ: ٥٣٥ كلاهما بلفظ لَا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ انْتَصَحَه».
٦ – بأنّ يعني الحكمة: «كلّ معاجل..» إلى آخره فهو الحكمة ٢٨٥ حسب ترقيم كتابه.
٧– مصادر نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٤.

لاحظناه ممّا انتاب منهج ابن شعبة من حالة الإرباك والفوضى في الانتساب والتساهل في عزو القول إلى قائله الأصل فلا ينبغي بعد هذا كلّه أن يخالجنا ريبٌ في أنّ هذا الكلام من حديث أمير المؤمنين عليه السلام، ولا قوّة لنسبة ابن شعبة هنا كي تصادم نقل الرّضيّ لنكون بحاجة للجمع بينها عبر الحلّ الّذي يقترحه السيّد الخطيب.

ويجب أن نتّخذ الموقف نفسه من الفقرتين الأخيرتين: «قَطَعَ الْعِلْمُ...» و«كُلُّ مُعَاجَل...» فلم نجدهما عند غير الرّضيّ مع التنبيه بأنّ الأنسب ـ ولعلّ هذا هو الصحيح ـ في الفقرة الأولى هو ما ورد في النهج من قوله:

«قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِين» فيكون المعنى ما قاله المحقّق التستريّ: «يعني قطع العلم الذي آتاه الله الناس بتوسط عقولهم التي هي رسل باطنة يميّزون بها الحق من الباطل، والعلم الذي بيّنه في شرائعه على لسان رسله الظاهرة في حلاله وحرامه... عذر المتعلّلين والمعتذرين عن عدم العمل بأنّا كنّا عن هذا غافلين»[1].

فموجز القول بشأن هذه الفقرات كلّها هو أنّها من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لا ابنه الإمام المجتبى عليه السلام.

٢٦. قوله: «وَقَالَ: اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَجِدُّوا في الطَّلَبِ... وَ كَفَى بِالنَّارِ عِقاباً و وَبَالا»[2].

إنّ هذا الحديث كلّه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فأقدم مصدر رواها بالكامل أبو طالب الهارونيّ (٤٢٤هـ) فقد روى بإسناده «عَنْ مَسْعَدَةَ بن صَدَقَةَ عَنْ جَعْفَرِ بن مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عليهم السلام أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام شَيَّعَ جَنَازَةً فَلَمَّا وُضِعَ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ أَهْلُهُ وَبَكَوْا، فَقَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَقَالَ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَدَمَيْهِ:

١ - بهج الصباغة: ٧/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣.
٢ - تحف العقول: ٢٣٦.

عَلَى مَنْ تَبْكُونَ؟ أَمَا وَاللهِ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا عَايَنَ مَيْتُكُمْ لأَذْهَلَتْكُمْ مُعَايَنَتُكُمْ عَنِ الْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَسْتَهْدِي اللَّهَ الْهُدَى...» [1] ثمّ رواها أبو نعيم الأصفهانيّ (م٤٣٠هـ) بإسناده عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، «أَنَّ عَلِيًّا، شَيَّعَ جَنَازَةً...» [2] ثمّ نقل قطعة منها مرسلاً القاضي ابن سلامة القضاعي (م ٤٥٤ هـ)[3] ثمّ تجده عند المرشد بالله الشجريّ (م٤٩٩هـ) بإسناده إلى ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ بنحو رواية أبي نعيم [4].

هذا كلّه بالنسبة لمصادر هذا الكلام، وأمّا عن كيفيّة اتّصال الفقرات فمن قوله «اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ» إلى قوله «وَسِنَادٌ مَائِلٌ» قد وردت متّصلة في روايتي أبي طالب الهارونيّ وأبي نعيم الأصفهانيّ - وهما المصدران الرئيسيان لهذا الكلام - ثمّ بعدها بنحو سطر واحد لم يذكره ابن شعبة ثمّ تبلغ روايتاهما قوله: «فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللهِ بِالعِبَرِ» ثمّ تستمرّ رواية الهارونيّ إلى قوله: «وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ» وأمّا أبو نعيم فزاد عليه: «وانتفعوا بالمواعظ» ثمّ يستمرّ كلام الإمام ممّا يستغرق نصف صفحة أو أكثر لم يذكره ابن شعبة لنصل إلى الفقرة الأخيرة من كلامه: «فَكَفَى بِاللَّهِ مُعْتَصِماً...» إلى آخرها والّتي تجدها في نهاية روايتي الهارونيّ وأبي نعيم.

وينبغي التنبيه على أنّ بين روايتيهما أنفسهما وبينهما وبين رواية التّحف اختلافاً ـ كما هو المتوقّع ـ ولكنْ لم نخض غماره.

فصفوة الكلام أنّ هذه الكلمة هي الأخرى من حديث أمير المؤمنين عليه السلام لا الإمام الحسن عليه السلام.

ولا بأس هنا بالإشارة إلى أنّ السيّد الرضيّ رحمه الله قد اقتطف فقرة متّصلة

١ - تيسير المطالب: ٢٧٤ ٢٧٧.
٢ - حلية الأولياء: ١/ ٧٧ ـ ٧٩.
٣ - دستور معالم الحكم ٩٥: من قوله: «فَاتَّقُوا الله عِبَادَ الله!» إلى «هادم اللذات».
٤ - الأمالي الخميسيّة:٢/ ٤٢٦ ـ ٤٢٨. وللمزيد عن مصادرها الأخرى المتأخّرة راجع: مصادر نهج البلاغة:٢/ ١٠٥ ١٠٦.

مـن هـذه الخطبـة الّتـي خطـب بهـا أميـر المؤمنيـن عليه السلام إثـر تشـييع جنـازة، وأدرجهـا مفصولـة فـي فقرتيـن ضمـن الخطبـة المعروفـة بالغـرّاء [١] فـي نهـج البلاغـة والفاصـل بيـن الفقرتيـن فـي نهـج البلاغـة يقـرب مـن صفحتيـن [٢].

كمـا نجـد العبـارة الأخيـرة مـن هـذه الخطبـة، وهـي قولـه: «وَكَفَـى بِاللـهِ..» إلـى آخـره قـد أدخلهـا السـيّد فـي نفـس الخطبـة الغـرّاء، ولكنّـه جعلهـا فـي أواسـطها [٣] وعلـى كلّ فيبـدو أنّ هـذا مـن الملاحظـات علـى السّـيّد [٤] إذ لا يتناسـب سـياق هـذه الكلمـة الملقـاة بعـد تشـييع الجنـازة مـع الخطبـة الغـرّاء، وبينهمـا بـون شاسـع فـي بدايتهـا وألفاظهمـا ومضامينهمـا.

٢٧. قوله: «وَ قَالَ: إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُقَبِّلْ مَوْضِعَ النُّورِ مِنْ جَبْهَتِهِ» [٥].

لـم نجـد مـن نسـب هـذا المضمـون إلـى الإمـام المجتبـى عليه السلام بـل روى الكلينـيّ بإسـناده عَـنْ أَبِـي عَبْـدِ اللَّـهِ ع، قَـالَ: إِنَّ لَكُـمْ لَنُـوراً تُعْرَفُـونَ بِـهِ فِـي الدُّنْيَـا حَتَّـى إِنْ أَحَدَكُـمْ إِذَا لَقِـيَ أَخَـاهُ قَبْلَـهُ فِـي مَوْضِـعِ النُّـورِ مِـنْ جَبْهَتِـهِ»[٦].

والظّاهـر أنّ الأمـر هنـا أيضـاً قـد التبـس علـى ابـن شـعبة، فنسـب حديـث الإمـام الصـادق عليه السلام إلـى الإمـام الحسـن علـى غـرار نمـاذج أخـرى مـن هـذه الظّاهـرة ممّـا لاحظنـاه سـابقاً.

٢٨. قوله: «وَمَرَّ فِي يَوْمِ فِطْرٍ بِقَوْمٍ يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُون...» [٧].

إنّ أقـدم مـن روى هـذا الـكلام باختـلاف يسـير هـو الجاحـظ (م ٢٥٥هـ) حيـث

---

١ – نهج البلاغة: ٧٤/ ٨٠.
٢ – قـارن: تيسـير المطالـب: ٢٧٥: «أُوصِيكُـمْ عِبَـادَ اللهُ بِتَقْـوَى الله الَّـذِي ضَرَبَ لَكُـمُ الأَمْثَـالَ وَوَقَـتْ لَكُـمُ الآجَـالَ وَجَعَـلَ لَكُـمْ أَسْـمَاعاً لِتَعِـي مَـا عَنَاهَـا وَأَبْصَـاراً لِتَجْلُـو عَـنْ غُشَـاهَا، وَأَفْئِـدَةً لِتَفْهَـمَ مَـا دَهَاهَـا فِي تركيـب صُوَرِهَـا وَمَـددِ عُمُرِهَـا» – ونحوهـا فِي حليـة الأوليـاء: ١/ ٧٨ـ وقـارن بنهـج البلاغـة: ٧٤: «أُوصِيكُـمْ عِبَـادَ اللهَّ.. الآجَـالَ» ص ٧٦: «جَعَـلَ لَكُـمْ أَسْـمَاعاً... وَمُـدَدِ عُمُرِهَـا».
٣– نهج البلاغة: ٧٨ وبين روايته وروايتي الهارونّي وأبي نعيم تفاوت يسيرٌ.
٤–ولهذه الملاحظة نظائر أخرى في نهج البلاغة لا تعنينا فعلاً.
٥ – تحف العقول: ٢٣٦.
٦ – الكافي: ٢/ ١٨٥.
٧ – تحف العقول: ٢٣٦.

قال: «وقال الحسن في يوم فطر، وقد رأى الناس و هيأ: إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضاراً لخلقه... لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه و مسيء بإساءته عن ترجيل شعرٍ[1] وتجديد ثوب»[2].

وهل المراد بـ «الحسن» في كلامه الحسن البصريّ كما تقدّم نظيره فيما سبق أو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام؟

سنعود إلى هذا التّساؤل بعد قليل.

وقد نقله بعد الجاحظ أبو العبّاس المبّرد (م ٢٨٥هـ) قائلاً: «ونظر الحسن إلى الناس في مصلّى البصرة يضحكون ويلعبون في يوم عيد، فقال الحسن: إنّ الله جعل الصوم...»[3] وكلامه هذا يكاد يكون صريحاً في أنّ المراد بـ «الحسن» هو الحسن البصريّ ولكنْ هناك رواية مختلفة أخرى عن المبّرد سنتعرّض لها.

ثمّ نجد الرّواية عند ابن عبد ربّه الأندلسيّ (م٣٢٨هـ) حيث قال في بدايتها: «ومرّ الحسن بقوم يضحكون في شهر رمضان[4]، فقال: يا قوم...»[5] ثمّ نجد الشّيخ الكلينيّ (م٣٢٩هـ) من أصحابنا رواها قائلاً: «عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي الصَّخْرِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَالَ: نَظَرَ إِلَى النَّاسِ فِي يَوْمِ فِطْرٍ يَلْعَبُونَ، وَيَضْحَكُونَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ وَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَلَقَ شَهْرَ رَمَضَانَ مِضْمَاراً لِخَلْقِهِ...»[6]، وهذه الروايةُ تزيد قضيّة تحديد قائل هذا الكلام تعقيداً، لأنّها مأخوذة دون أدنى شكّ من كتاب المحاسن للشّيخ الجليل الأقدم أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (م ٢٧٤/ ٢٨٠ هـ) وهذا يدلّ على أنّ البرقيّ، وهو ممّن كان يعيش في القرن الثّالث كان يعتقد نسبة هذا الكلام إلى «أبي الحسن» عليه السلام، وكان قد ذكرها

١ – رَجُلَ الشعر: سوّاه وزَيَّنَهُ (المعجم الوسيط: ٣٣٢).
٢ – البيان والتّبيين: ٣/ ٩٣ ـ ٩٤.
٣ – الكامل في اللغة والأدب: ١/ ٨٤.
٤ – قوله: «في شهر رمضان» لا يناسب سياق الرواية المشتملة على ضحك القوم ولهوهم، فليُحمل على المجاز أو سهو الرّاوي.
٥ – العقد الفريد: ٣/ ١٥٠.
٦ – الكافي: ٤/ ١٨١.

في كتاب المحاسن، وهذه الكنية إذا وردت مطلقة فهي مما كان أصحابنا القدماء يتعارفون على التعبير بها عن الإمام الكاظم عليه السلام.

ولكنّ المشكلة هي أنّ هذه الرواية من مرفوعات أبي الصّخر الّذي ليست لدينا أيّة معلومات عنه، وهذا ممّا يزيد من احتمال وقوع السّهو من الرّاوي في عزو الكلام إلى قائله كما يمكن أن يكون قد وقع سهوٌ حول نسبة الكلام من الشيخ البرقيّ حين تأليف كتابه، أو من الشيخ الكلينيّ حين نقل الرّواية من المحاسن علماً بأنّ نسخ الكافي كلّها متفقة على لفظة: «أبي الحسن»[1].

وعلى كلّ حال فقد جاء بعده الشّيخ الصدوق (م٣٨١هـ) ليروي في موضعين من كتابه: من لا يحضره الفقيه مرسلاً:

«وَنَظَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى أُنَاسٍ فِي يَوْمِ فِطْرٍ يَلْعَبُونَ، وَيَضْحَكُونَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ، وَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ جَعَلَ...»[2].

ثمّ جاء بعده مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الْمَرْزُبَانِيُّ (م٣٨٤هـ)[3]، فقد قال السيّد ابن طاووس (م٦٦٤هـ) بعد ما نقل رواية الصّدوق المذكورة آنفاً: «ورواه أيضاً أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانيّ في الجزء السابع من كتاب الأزمنة[4]، فقال: حدّثني عبد الله بن جعفر أبو العباس عن محمّد بن يزيد النحوي، قال: خرج الحسن بن عليّ عليهما السلام في يوم فطر، والناس يضحكون، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ جعل... عن ترجيل شعر وتصقيل ثوب»...»[5].

١ – لم يرد ذكر نسخة مختلفة في هذه اللفظة في طبعة الكافي الّتي حقّقتها دار الحديث بقمّ، والّتي أفاد المشرفون عليها من نسخ كثيرة. راجع الكافي طبعة دار الحديث: ٧/ ٦٨٥.
٢ – من لا يحضره: ١/ ٥١١. وانظر: ٢/ ١٧٤ باختلاف جدّ يسير.
٣–كان من كبار الأدباء المصنّفين في عصره، وقد تتلمذ عليه السيّد المرتضى وغيره. راجع ترجمته ومصادرها في: سير أعلام النّبلاء: ١٦/ ٤٤٧.
٤–من أضخم كتب المرزبانيّ، وكان كما يصفه ابن النّديم في الفهرست: ١٩٠: «عدد ورقه ألفا ورقة، فيه أحوال الفصول الأربعة...».
٥ – الإقبال بالأعمال الحسنة: ١/ ٤٦٨.

وكما نعلم فإنّ محمّد بن يزيد النحوي هو المبّرد الأديب الكبير الّذي سبق وأن أشرنا إلى روايته لهذا الكلام في كتاب الكامل، وكانت فيه لفظة «الحسن» مطلقاً، وهذا ممّا يضاعف صعوبة تحديد القائل، فهل كان مراد المبرد من «الحسن» في كتابه: «الكامل» الحسن البصريّ، ولكن تصوّر المرزبانيّ أنّه يعني الإمام الحسن عليه السلام أم كانت اللفظة أساساً في رواية المبرّد الأصل ـ وبالتّالي في ما نقله عنه المرزبانيّ ـ هي: «الحسن» فقط، وكان مرادهما الحسن البصريّ طبعاً، وإنّما السيد ابن طاووس هو الّذي أضاف: قيد «بن عليّ» من أجل تصوّره أنّ مرادهما هو الإمام الحسن عليه السلام؟

ومن مضعّفات هذا الاحتمال الأخير أنّ السيد ابن طاووس لم يكن من دأبه قطّ أن يتدخّل، ويتصرّف في النصّ الّذي ينقله بل كان مواظباً على نقل النصّ حرفيّاً دون أيّ تغيير كما هو واضحٌ لمن ألمّ بمنهج السيّد في تراثه.

أمّا من ناحية أخرى فإنّ من المستبعد جدّاً أن يكون المبرّد أو المرزبانيّ - وهما من أهل السنّة - قد استخدما لفظة: «عليه السلام» بشأن الإمام الحسن عليه السلام فإنّها من تقاليد الشيعة في العصور المتأخّرة، ولم يكن يدأب عليها من الشيعة القدماء فضلاً عن أهل السنّة ؛ اللّهمّ إلّا أن يقال: إن إضافة هذه اللفظة جاءت من قبل الناسخين لكتاب الإقبال - كما هو المألوف لدى كثير من النّاسخين للمخطوطات - ولم تكن من زيادات السيّد نفسه.

بغضّ النظر عن هذه التساؤلات والاحتمالات فقد نقل هذا الكلام بعد المرزبانيّ كلٌّ من أبي سعد

الآبي (م ٤٢١ هـ) [١] والقيروانيّ (م٤٥٣ هـ) [٢] وابن عبد البرّ القرطبيّ (م٤٦٣ هـ) [٣] والغزّاليّ (م ٥٠٥ هـ)[٤] ناسبين إيّاه إلى الحسن البصريّ صراحة، وبين نقولاتهم اختلاف وزيادة ونقصان طبعاً ثمّ نجد الزّمخشريّ (م٥٣٨ هـ) نسبه إلى الحسن

١ - نقر الدّرّ: ٥/ ١٢٣.
٢ - زهر الآداب: ١/ ٥١١.
٣ - بهجة المجالس: ٣/ ٣٣٥.
٤ - إحياء علوم الدّين: ٣/ ٤١.

- مطلقاً[1] لنتهي في نهاية المطاف إلى ابن حمدون (م٥٦٢هـ) الّذي أتحفنا ببيضة ديكٍ حيث نسب هذا الكلام إلى «عليّ بن الحسين عليهما السلام»[2].

هذه هي إطلالة سريعة على المسيرة الّتي قطعها هذا الكلام حتّى نهاية القرن السادس، والحقيقة أنّه من الصعب وسط هذه النقولات المتضاربة الجزم بصحّة بعضها إلّا أنّ من المقطوع به أنّنا أمام خيارين:

أ. أحدهما أنّ هذا الكلام كان قد صدر من الإمام المجتبى عليه السلام، ثم ضمّنه الحسن البصريّ كلامه، فنسب إليه لاحقاً أو أسقطت لفظة «بن عليّ» من عنوان القائل اختصاراً أو سهواً ثم تحوّل العنوان في المصادر السنّية إلى«الحسن» دون قيد، فتصوّر بعض المصنّفين أوالرّواة فيما بعد أنّه الحسن البصريّ - لكثرة ما كانوا ولم يزالوا ينقلون عنه في أبواب المواعظ والزّهد والّتذكير وغيرها ـ فأضاف لقب «البصريّ» إيضاحاً بزعمه كما تحوّل هذا العنوان إلى «الحسن بن أبي الحسن» أحياناً[3].

ب. أن يكون الكلام قد صدر من البداية عن الحسن البصريّ، فأسقط بعض العامّة لقب «البصريّ» تعويلاً على اشتهاره بينهم، فوقع هذا الكلام بيد بعض رواتنا، فحسب أنّ المراد به الإمام المجتبى عليه السلام لأنسهم الذّهنيّ بالرواية عن الإمام عليه السلام، ولم تكن تهمّم أقوال الحسن البصريّ، فأضاف إلى لفظة الحسن عبارة «بن عليّ» للاحترام أو للإيضاح، ولعلّ ما نقله الكافي يأتي في هذا الإطار بمعنى أنّ العنوان كان أوّلاً: «الحسن بن أبي الحسن» فأُسقطت لفظة «الحسن بن» سهواً، فنسب الكلام إلى أبي الحسن عليه السلام. ولم نستطع لحدّ الآن الجزم عند الله بأحد الاحتمالين والعلم عند الله.

١ - ربيع الأبرار: ١/ ٧٦.
٢ - التّذكرة الحمدونيّة: ١/ ١١٧.
٣-.كما في رواية ابن عبد االبرّ (م٤٦٣هـ) في بهجة المجالس:٣/ ٣٣٥.

حصيلة البحث:

نستخلص من جميع ما تقدّم أنّ الأحاديث الّتي أوردها ابن شعبة عن الإمام المجتبى عليه السلام تنقسم إلى أقسام:

١. القسم الأوّل هو ما قد ثبتت نسبته إلى الإمام المجتبى عليه السلام، ويتمثّل في الأحاديث المرقّمة: ١، ٣، ٤، ٦، ١٠-١٦، ١٣ و ١٨-٢٢. وهي تشكّل ٥٠٪ من مجموع ما رواه ابن شعبة، وهو ٢٨ حديثاً.

٢. القسم الثّاني: هو ما ليس من كلام الإمام المجتبى عليه السلام، ولكن صحّت نسبته للإمام عليّ عليه السلام، ويتمثّل في الأحاديث المرقمة: ٢٥، ٢٣، ٨، ٥، ٢ و ٢٦، ونلحق بهذا القسم الحديث المرقّم: ٢٧ الّذي رجّحنا أن يكون من كلام الإمام الصادق عليه السلام، وهذه الأحاديث تشكّل ٢٥٪ من مجموع ما رواه.

٣. القسم الثّالث ما ثبتت نسبته إلى رجال آخرين من رواة القرون الثّلاثة الأولى من العامّة، ويتمثّل في الأحاديث المرقّمة: ٩، ٧، ١٤، ١٧ و ٢٤ وهي تشكل نحو ٨/ ١٧ ٪ من مجموع ما رواه.

القسم الرّابع: المتمثّل في الحديثين المرقّمين: ١٥ و ٢٨ مما توقّفنا في قبول نسبتها إلى الإمام أو ردّهما وهما يشكّلان ٧/ ١ ٪ من مجموع الأحاديث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مجلة الزكي العلمية

AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

الإمـــام الحســـن عليه السلام
رجل الحوار والسلام

تاليف
د. أحمد راسم النفيس

مقدمة

البعض يتصرف وكأنما استفاق من غيبوبته الطويلة ليكتشف أن الإسلام هو دين السلام وأن الحوار بين الأديان والثقافات ينبغي أن يتقدم على الصدام والمواجهة، بينما ينتقد البعض الآخر بسذاجة ـ وربما بخبث ـ الاحتفاء (الزائد) باستشهاد الإمام الحسين والثقافة الكربلائية مقابل (تجاهل الشيعة) الاحتفاء بذكرى الإمام الحسن بن علي عليه السلام رجل السلام.

وكأن الشيعة يعشقون مرأى الدم وربما الانتحار، على رغم أنهم قوم مساكين محاصرون إعلامياً وسياسياً، تحيطهم الاتهامات من كل جانب، والعمل قائم على قدم وساق لتشويههم وتقديمهم للرأي العام على أنهم مجرد شذوذ أو نتوء أعاق المسار التقدمي التصاعدي للأمة الإسلامية التي كانت دوماً (عهدة قيادة حكيمة وأمينة نشرت الإسلام الصحيح في شتى ربوع الدنيا من جاكرتا إلى طنجة والآن إلى ولاية تكساس الأمريكية بدءاً من معاوية ابن أبي سفيان وصولاً إلى معاوية ابن أردوجان وأخيه ابن سلمان)!!!.

ما زال البعض يتعلق بشبهة مفادها أن سبب مصائب الشيعة افتقادهم للغة الحوار، وكأن الآخر يؤمن بهذه اللغة، ويلتزم أمانة القول وشرف الأساليب وصولاً إلى شرف الغاية التزاماً بقوله تعالى ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ بينما يشهد التاريخ والواقع بخلاف ذلك.

كلامنا هذا لا يعني ـ بحال ـ رفضنا لمنطق العقل والحوار، فهو أساس حركة النبوات والسلاح الأول للدعوات إلا أن الطرف الآخر ـــ ولا نعني بذلك كل مخالف، بل نعني أولئك السائرين على نهج بني أمية ممن لا يتورعون عن استخدام كل الوسائل والتذرع بكل الذرائع من أجل تحقيق أهدافهم وغايتهم التي عبر عنها ابن آكلة الأكباد في خطاب استلامه للسلطة (ما قاتلتُكم لتُصلُّوا، ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكُّوا، إنّكم لتفعلونَ ذلكَ، ولكنِّي قاتلتُكم لأتأمّرَ

عليكـم، وقـد أعطانـي اللـهُ ذلـكَ، وأنتـم لـه كارِهـونَ)

لا يـزال متبعـاً لقانـون الحقـد الأزلـي علـى أهـل بيـت النبـوة أولاً وعلـى البشـرية عامـة، وهـو القانـون الـذي سـنه جبابـرة بنـي أميـة الـذي مـا يـزال سـاريا حتـى هـذه اللحظـة، وهـو قانـون لـن يبطـل مفعولـه بحـوار ولا إقنـاع، بـل بقـوة وحـزم وعـزم يكفـل إعـادة هـؤلاء الأوبـاش إلـى جحورهـم.

﴿قُـلْ إِنَّ رَبِّـي يَقْـذِفُ بِالْحَـقِّ عَـلَّامُ الْغُيُـوبِ * قُـلْ جَـاءَ الْحَـقُّ وَمَـا يُبْـدِئُ الْبَاطِـلُ وَمَـا يُعِيـدُ﴾ [1].

نعـم وألـف نعـم للحـوار، لكـن إياكـم أن تتصـوروا أن الحـوار يشـكل بديـلاً عـن المواجهـة بشـتى صنوفهـا، وليـس فقـط المواجهـة المسـلحة.

يقـول الإمـام علـي عليه السلام (رُدُّوا الْحَجَـرَ مِـنْ حَيْـثُ جَـاءَ، فَـإِنَّ الشَّـرَّ لَا يَدْفَعُـهُ إِلَّا الشَّـرُّ)[2].

وبينمـا يعتقـد المخالفـون أن الحـرب والقتـال هـو الأصـل وأن الجنـوح إلـى السـلم لا يكـون إلا عنـد عـدم القـدرة علـى مواصلـة القتـال خاصـة، وقـد اعتمـد القـوم مقولـة (أمـرت أن أقاتـل النـاس حتـى يقولـوا لا إلـه إلا اللـه) قاعـدة للحركـة والانطـلاق، بينمـا يختلـف الأمـر عنـد أتبـاع مدرسـة أهـل البيـت عليهم السلام، إذ إن الجنـوح إلـى السـلم ـــ وليـس إلـى الركـوع والخنـوع ـــ هـو الأصـل أمـلاً فـي تحقيـق العدالـة حتـى ولـو توفـرت القـدرة علـى مواصلـة القتـال إلـى أجـل غيـر محـدود.

ربـط القتـال بامتـلاك القـوة وحسـب ليـس مـن مبـادئ الإسـلام المحمـدي، بـل بالغايـة والهـدف مـن هـذا القتـال، فضـلاً عـن مبـرره ومشـروعيته حيـث لـم يكـن مجـرد امتـلاك القـدرة هـو المحفـز الأول لخـوض معـارك الإسـلام تحـت رايـة رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم يـوم بـدر وأحـد والأحـزاب وحنيـن وغيرهـا مـن المعـارك.

١- سبأ ٤٨-٤٩.
٢- حكم الإمام علي ع ٣١٤.

يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [1].

تؤكد هذه الآيات من سورة الأنفال خاصة قوله تعالى: ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها**﴾، على المعنى الذي قرر البعض أن يتنصل منه بسبب الإفراط في تقدير مخزون القوة الذي امتلكه المسلمون في بدايات تاريخهم السياسي والرغبة الجامحة في التخلص من كل قيد يحد من صلاحية النظم الحاكمة في شن حروب الفتح المالي وإثراء خزائن الدولة وإنفاقها على الملذات والشهوات وتحويل بوصلة الصراع واستنزاف القوى البشرية بعيداً عن الصراع الداخلي ليمكن القول: إن دولة الفجور والترف هي دولة تسعى لنشر راية الإسلام خفاقة بين ربى العالمين وإن توحيد الناس تحت رايات الفتح تمحو كل ما ارتكبه هؤلاء من جرائم وخطايا وآثام في الداخل، فضلاً عن جريمتهم الكبرى في تزييف الدين، وتحويله من دين ضامن ومؤسس للحرية والكرامة الإنسانية إلى دين يجعل من الحاكم الفاسد إلهاً مع الله، ويعطيه من الصلاحيات ما يفوق سلطة الله على عباد الله!!.

من دين يسعى لتحرير الإنسان من الأغلال والآصار إلى دين يشرع القبول بالظلم والذل، لأن الخليفة مشغول بفتوحاته الحربية التي تقلصت ثم تقلصت لتصبح الآن مجرد فتوح نكاح وجهاد نكاح بعد أن أصبح الإسلام عهدة مسيلمة وسجاح!!.

المعنى الذي نؤكد عليه أن مفهوم الجهاد في سبيل الله يقوم على قاعدة مواجهة الظلم والاستكبار بوسائل متعددة وأن القوة العسكرية هي وسيلة

١- الأنفال ٦١-٦٣.

المضطر الذي استنفد كل الخيارات الأخرى، وفاوض الأعداء، وصالحهم، فنقضت عهوده ومواثيقه أو اعتدي عليه، فلم يكن له من خيار سوى رد الحجر من حيث جاء، لأن الشر لا يدفعه إلا الشر.

يروي العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان عن أحداث وقعة بدر التي دارت رحاها بين المسلمين وقريش:

قال الطبرسي: لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر عبّأ أصحابه، فلما نظرت قريش إلى قلتهم قال أبو جهل: ما هم إلا أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد، فقال عتبة بن ربيعة: أ ترى لهم كميناً أو مدداً؟ فبعثوا عمير بن وهب الجمحي، وكان فارسا شجاعاً، فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم رجع، فقال: ليس لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خرساً لا يتكلمون، ويتلمظون تلمظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلا سيوفهم، وما أراهم يولون حتى يقتلوا، ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتؤوا رأيكم، فقال له أبو جهل: كذبت، وجبنت. فأنزل الله تعالى: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا معشر قريش إني أكره أن أبدأ بكم، فخلوني والعرب، وارجعوا، فقال عتبة: ما رد هذا قوم قط، فأفلحوا، ثم ركب جملاً له أحمر، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يجول بين العسكرين، وينهى عن القتال، فقال صلى الله عليه وآله: إن يك عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر، وإن يطيعوه يرشدوا، وخطب عتبة، فقال: يا معشر قريش، أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر، إن محمداً له آل وذمة، وهو ابن عمكم، فخلوه والعرب، فإن يك صادقاً فأنتم أعلى عيناً به، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره، فغاظ أبا جهل قوله، وقال له: جبنت، وانتفخ سحرك، فقال: أ مثلي يجبن؟ وستعلم قريش أينا ألأم وأجبن؟ وأينا المفسد لقومه. ولبس درعه وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد، وقال: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش.....

الدعوة للسلم لم تكن بعد انتهاء القتال كما يزعم البعض، بل كانت قبله، أي أن القتال كان الخيار الثاني، ولم يكن يوماً هو الخيار الأول، كما يزعم أصحاب نظرية الأسياف الأربعة ومن سار على طريقهم، خاصة سيد قطب وسائر منظري الجماعات الإرهابية.

وبالتالي فإن أصحاب نظرية السيف يرون في السلام استثناء وحالة مؤقتة، لا يمكن أن تكون ممتدة، وليست أصلاً ثابتاً.

ولأن أتباع نظرية (السيف البتار لتركيع وإبادة المشركين والكفار) قد استنزفوا أغلب رصيد القوة الذي كان لديهم، وهي قوة لم تكن يوماً ترعى حق الله أو حتى حق البشر، تراهم اليوم، وقد تحولوا إلى قطط لاهثة، تتمسح، وتأوي إلى كنف أعداء الإسلام والدين من الصهاينة والصليبيين، وأصبح لا همَّ لهم إلا البقاء أحياء، ونسوا تماماً شعاراتهم القديمة والحديثة التي حاولوا بها إركاع وإبادة من لا يدين لهم بالولاء.

مسلمون أم مؤمنون؟!

الإسلام هو مرحلة التسليم الظاهري أي ما قبل الدخول في الإيمان والإيمان، لا يكون إلا باستقرار العقيدة في نفس المؤمن، وأهم أركانها الإذعان لولاية أهل بيت النبوة عليهم السلام.

لو قرأنا التاريخ جيداً لوجدنا أن كثير من تلك الحشود التي أعلنت إسلامها إما خوفاً أو طمعاً كانت أبعد ما تكون عن التزام المبادئ الأساسية والبسيطة للإسلام الشكلي، فما بالك بالحقيقي، ونحن نعني منهج التحضر وتزكية النفس والارتقاء الأخلاقي، بل أن كثيراً منهم بقوا على جلافتهم وبداوتهم، وهو أمر لا نراه بعيداً عن العقل والمنطق، إذ إن العقيدة الجديدة تحتاج إلى وقت وإلى أجيال جديدة تتشرب مبادئ الدين وقيمه، وتنبذ ما ورثته عن آبائها وأجدادها من عادات وقيم ونزوع جاهلي.

الهدف الأولي للبعثة الإسلامية كان إدخال الناس في دين الله، وحثهم على إعلان الإسلام بما لا يتناقض مع الهدف النهائي، وهو تكوين الإنسان المؤمن، ولذا نجد في القرآن خطابين: الأول موجه للناس كل الناس، والثاني موجه للذين آمنوا.

ليس في القرآن الكريم خطاب ﴿**أيها المسلمون**﴾ بل هناك إما ﴿**أيها الناس**﴾ الذي ورد في القرآن واحداً وعشرين مرة أو ﴿**أيها الذين آمنوا**﴾ الذي ورد تسعاً وثمانين مرة، ولكي نفهم دلالة ما نقول نقرأ الآية الكريمة ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

الآية واضحة الدلالة، وهي أن دخول (الأعراب) في الإسلام لا يعني انتقالهم تلقائياً إلى مرحلة الإيمان، ولا يعني أيضاً حرمانهم من ثواب ما يقومون به من أعمال صالحة، وهو ما ذكره الطبري في تفسيره ﴿**لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا**﴾، يقول: لا يظلمكم من أجور أعمالكم شيئاً، ولا ينقصكم من ثوابها شيئاً.

هم دخلوا في الإسلام ظاهراً، لكن ما زال أمامهم أشواط ومراحل حتى يتحقق فيهم الهدف التغييري الحقيقي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو التعليم والتهذيب والتزكية والارتقاء إلى مرحلة الحكمة وإنشاء أمة جديدة ترتقي نحو الكمال، وتتغير فيها المضامين، لئلا يصبح التغيير مجرد تغيير شكلي لا ينفذ إلى القلوب والأرواح.

وإذا كانت المواجهات التي حدثت في صدر الإسلام قد قادت هذا الصنف من البشر للدخول في حظيرة الإسلام الظاهري فالكثير والكثير منهم ظل بعيداً عن الاستقرار في عالم الإيمان.

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ**

١- الحجرات ١٤.

﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [1].

هم آمنوا بأفواههم إلا أن قلوبهم التي هي بيت الإيمان ومستقره بقيت على ولائها للطواغيت وبغضها لأولياء الله الذين توجَّب على المسلمين حبهم والتعلق بهم إن كانوا حقاً يرغبون في الارتقاء لمرتبة الإيمان!!.

روى الكليني في الكافي (ج٢) عن سماعة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان، أهما مختلفان؟ فقال: إن الايمان يشارك الإسلام، والإسلام لايشارك الإيمان، فقلت: فصفهما لي، فقال: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لايشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة.

وعنه أيضاً: عن سفيان بن السمط، قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان، ما الفرق بينهما، فلم يجبه، ثم سأله، فلم يجبه، ثم التقيا في الطريق، وقد أزف من الرجل الرحيل، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: كأنه قد أزف منك رحيل؟ فقال: نعم، فقال: فالقني في البيت، فلقيه، فسأله عن الإسلام والإيمان، ما الفرق بينهما؟ فقال: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة

١ - المائدة ٤١.

وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان، فهذا الاسلام، وقال: الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقر بها، ولم يعرف هذا الامر كان مسلماً، وكان ضالاً.

لا ينتقل المرء إلى مرحلة الإيمان عبر القهر وفرض الإذعان، وأن النتيجة الوحيدة لهذا الفرض هي إنتاج منافقين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [1].

والشاهد أيضاً أن القتال والمواجهة لم يكن يوماً وسيلة ناجعة تحفز الإنسان على هذا الانتقال الذي يحتاج إلى قلب سليم ونفس مطمئنة وقناعة راسخة، فالإسلام مكانه الجوارح، والإيمان محله القلب.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

ويقول أيضاً: فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَّ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ.

لماذا قاتل الإمام علي بن أبي طالب؟!

لم يقاتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ـــ سواء كان فرداً مقاتلاً تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو بعدما أصبح ولياً لأمر المسلمين ـــ لإكراه أحد لا على الإسلام ولا على الإيمان.

القتال تحت راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جرى إيضاحه في كتابنا (التاريخ السياسي للرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

١ – المنافقون ٤.

يروي ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١: عن نصر بن مزاحم في كتاب صفين:

روى حبة أن علياً عليه السلام لما نزل على الرقة، نزل بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته، فقال لعلي عليه السلام: إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال: نعم، فقرأ الراهب الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. الذى قضى فيما قضى، وسطر فيما كتب: أنه باعث في الأميين رسولاً منهم، يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفو، ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله في كل صعود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتكبير والتهليل، والتسبيح، وينصره الله على من ناوأه، فإذا توفاه الله، اختلفت أمته من بعده، ثم اجتمعت، فلبثت ما شاء الله، ثم اختلفت، فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقضي بالحق، ولا يرتشي في الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمآن. يخاف الله في السر، وينصح له في العلانية، لا يخاف في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد، فآمَنَ به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإن القتل معه شهادة. ثم قال له: أنا مصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك فبكى عليه السلام، ثم قال: الحمد لله الذى لم أكن عنده منسياً، الحمد لله الذى ذكرني عنده في كتب الأبرار. فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغدى مع أمير المؤمنين، ويتعشى، حتى أصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليه السلام: اطلبوه، فلما وجدوه صلى عليه، ودفنه. وقال: هذا منا أهل البيت، واستغفر له مراراً. روى هذا الخبر نصر بن مزاحم في كتاب صفين، عن عمر بن سعد، عن مسلم الأعور، عن حبة العرني. ورواه أيضاً إبراهيم بن ديزيل الهمداني، بهذا الإسناد

عن حبة أيضاً في كتاب صفين.

وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب، قال: حدثني يحيى بن سليمان. حدثني يحيى بن عبد الملك بن حميد بن عتيبة، عن أبيه، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه ومحمد بن فضيل، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبي سعيد الخدري، رحمه الله، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانقطع شسع نعله، فألقاها إلى علي عليه السلام، يصلحها، ثم قال: (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله)، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: لا، فقال عمر بن الخطاب: أنا هو يا رسول الله؟ قال: (لا، ولكنه ذاكم خاصف النعل) ويد علي عليه السلام على نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يصلحها. قال أبو سعيد: فأتيت علياً عليه السلام فبشرته بذلك، فلم يحفل به، كأنه شيء قد كان علمه من قبل.

وروى ابن ديزيل أيضاً، عن يحيى بن سليمان، عن ابن فضيل، عن إبراهيم الهجري، عن أبي صادق، قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق، فأهدت له الأزد جزراً، فبعثوها معي، فدخلت إليه، فسلمت عليه، وقلت له: يا أبا أيوب، قد كرمك الله عز وجل بصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ونزوله عليك، فما لي أراك تستقبل الناس بسيفك، تقاتلهم، هؤلاء مرة وهؤلاء مرة! قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلينا أن نقاتل مع علي الناكثين، فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين، فهذا وجهنا إليهم - يعني معاوية وأصحابه - وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين، ولم أرهم بعد.

وروى ابن ديزيل أيضاً، عن يحيى، عن يعلى بن عبيد الحنفي، عن إسمعيل السدي، عن زيد بن أرقم، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه، وهو في الحجرة، يوحى إليه، ونحن ننتظره حتى اشتد الحر، فجاء علي بن أبي طالب، ومعه فاطمة وحسن وحسين عليهما السلام، فقعدوا في ظل حائط ينتظرونه، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رآهم، فأتاهم، ووقفنا نحن مكاننا، ثم جاء إلينا،

وهو يظلهم بثوبه، ممسكاً بطرف الثوب، وعليٌّ ممسك بطرفه الآخر، وهو يقول: (اللهم إني أحبهم، فأحبهم، اللهم إني سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم) قال: فقال ذلك ثلاث مرات. قال إبراهيم في الكتاب المذكور: وحدثنا يحيى بن سليمان، قال: حدثنا ابن فضيل، قال: حدثنا الحسن بن الحكم النخعي، عن رباح بن الحارث النخعي، قال: كنت جالساً عند علي عليه السلام، إذ قدم عليه قوم متلثمون، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال لهم: أو لستم قوماً عرباً! قالوا: بلى، ولكنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم: (من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله) قال: فلقد رأيت علياً عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: اشهدوا. ثم إن القوم مضوا إلى رحالهم، فتبعتهم، فقلت لرجل منهم: من القوم؟ قالوا: نحن رهط من الأنصار، وذاك - يعنون رجلاً منهم - أبو أيوب صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فأتيته، فصافحته.

كما يروي سليم بن قيس في كتابه أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رد على معاوية بن أبي سفيان قائلاً:

والله لقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعرفني أنه رأى على منبره اثني عشر رجلاً، أئمة ضلال من قريش، يصعدون منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وينزلون على صورة القرود، يردون أمته على أدبارهم عن الصراط المستقيم. قد أخبرني بأسمائهم رجلاً رجلاً، وكم يملك كل واحد منهم واحداً بعد واحد. عشرة منهم من بني أمية ورجلان من حيين مختلفين من قريش، عليهما مثل أوزار الأمة جميعاً إلى يوم القيامة ومثل جميع عذابهم. فليس من دم يهراق في غير حقه ولا فرج يغشى حراماً ولا حكم بغير حق إلا كان عليهما وزره وسمعته يقول: (إن بني أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أخي، إنك لست كمثلي. إن الله أمرني أن أصدع بالحق، وأخبرني أنه يعصمني من الناس، وأمرني أن أجاهد

ولو بنفسي، فقال: (جاهد في سبيل الله، لا تكلف إلا نفسك)، وقال: (حرض المؤمنين على القتال)، فكنت أنا وأنت المجاهدين. وقد مكثت بمكة ما مكثت لم أؤمر بقتال، ثم أمرني الله بالقتال؛ لأنه لايعرف الدين إلا بي ولا الشرائع ولا السنن والأحكام والحدود والحلال والحرام وإن الناس يدعون بعدي ما أمرهم الله به وما أمرتهم فيك من ولايتك وما أظهرت من حجتك، متعمدين غير جاهلين ولا اشتبه عليهم فيه، ولا سيما لما أتوك قبل مخالفة ما أنزل الله فيك. فإن وجدت أعواناً عليهم، فجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك، واحقن دمك، فإنك إن نابذتهم قتلوك، وإن تبعوك، وأطاعوك فاحملهم على الحق، وإلا فدع، وإن استجابوا لك، ونابذوك فنابذهم، وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك، واحقن دمك، واعلم أنك إن دعوتهم لم يستجيبوا لك، فلا تدعن أن تجعل الحجة عليهم. إنك يا أخي لست مثلي، إني قد أقمت حجتك، وأظهرت لهم ما أنزل الله فيك، وإنه لم يعلم أني رسول الله، وأن حقي وطاعتي واجبان حتى أظهرت لك، فإني كنت قد أظهرت حجتك، وقمت بأمرك، فإن سكت عنهم لم تأثم، وإن حكمت، ودعوت لم تأثم، غير أني أحب أن تدعوهم وإن لم يستجيبوا لك، ولم يقبلوا منك. وتظاهرت عليك ظلمة قريش، فإني أخاف عليك إن ناهضت القوم، ونابذتهم، وجاهدتم من غير أن يكون معك فئة أعوان تقوى بهم أن يقتلوك، فيطفأ نور الله، ولا يعبد الله في الأرض، والتقية من دين الله، ولا دين لمن لا تقية له. وإن الله قد قضى الفرقة والاختلاف بين هذه الأمة، ولو شاء لجمعهم على الهدى ولم يختلف اثنان منهم ولا من خلقه، ولم يتنازع في شيء من أمره، ولم يجحد المفضول ذا الفضل فضله، ولو شاء عجل منهم النقمة، وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم، ويعلم الحق أين مصيره. ?والله جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار الثواب والعقاب، (ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى). فقلت: شكراً لله على نعمائه وصبراً على بلائه وتسليماً ورضى بقضائه.

ثم قال ﷺ: يا أخي، أبشر فإن حياتك وموتك معي، وأنت أخي وأنت وصيي وأنت وزيري وأنت وارثي، وأنت تقاتل على سنتي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه أهله، وتظاهروا عليه، وكادوا أن يقتلوه. فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهرهم عليك، فإنها ضغائن في صدور قوم، أحقاد بدر وترات أحد. وإن موسى أمر هارون حين استخلفه في قومه إن ضلوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم بهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكف يده، ويحقن دمه، ولا يفرق بينهم. فافعل أنت كذلك، إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك، واحقن دمك، فإنك إن نابذتهم قتلوك، وإن تبعوك وأطاعوك فاحملهم على الحق. واعلم أنك إن لم تكف يدك، وتحقن دمك إذا لم تجد أعواناً أتخوف عليك أن يرجع الناس إلى عبادة الأصنام والجحود بأني رسول الله، فاستظهر الحجة عليهم، وادعهم ليهلك الناصبون لك والباغون عليك، ويسلم العامة والخاصة. فإذا وجدت يوماً أعواناً على إقامة الكتاب والسنة فقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فإنما يهلك من الأمة من نصب نفسه لك أو لأحد من أوصيائك بالعداوة، وعادى، وجحد، ودان بخلاف ما أنتم عليه. ولعمري يا معاوية، لو ترحمت عليك وعلى طلحة والزبير ما كان ترحمي عليكم واستغفاري لكم ليحق باطلاً، بل يجعل الله ترحمي عليكم واستغفاري لكم لعنة وعذاباً.

أما لماذا قاتل الإمام تارة، وترك القتال تارة أخرى فالأمر كان متعلقاً بالقدرة على حسم الصراع تارة وتارة أخرى بالنتائج المترتبة على خوض هذا القتال حتى ولو كان تحقيق النصر أمراً ممكناً.

إذا كان أهل بيت النبوة هم سفينة نوح، وهم كذلك بالفعل فركوب سفينة النجاة كان وسيلة لحفظ المؤمنين وإدامة وجودهم في هذا العالم.

لم تكن إقامة الدولة والإمساك بالسلطة ووضعها بيد عادلة سوى وسيلة

لحفظ الإيمان والمؤمنين، وليس هدفاً بحد ذاته.

هذا هو السر (الخفي) وراء حركة أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام، وليس مجرد إقامة دولة تشبه تلك الأموية والعباسية أو السلجوقية وأخيراً الوهابية لا تَتَعَلَّقُ (مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ).

عندما يندلع القتال، وتحتدم المواجهة، ينجلي غبار المعركة عن شهداء وقتلى، ويصبح السؤال مشروعاً عن الغاية التي ستتحقق عندما يسقط هؤلاء وهؤلاء.

ليس فقط عن شهدائنا بل عن قتلى الفريق الآخر خاصة إن كانوا ممن يدعون الانتساب للدين والإسلام.

ذكر علي بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى ﴿**ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً**﴾ آية ٢٥ سورة الفتح – قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: أ لم يكن علي قوياً في بدنه قوياً في أمر الله؟ قال له أبو عبد الله عليه السلام: بلى، قال له: فما منعه أن يدفع أو يمتنع؟ قال: قد سألت، فافهم الجواب، منع علياً من ذلك آية في كتاب الله، فقال: وأي آية؟ فقرأ: لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً، إنه كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن علي عليه السلام ليقتل الآباء حتى يخرج الودائع، فلما خرج ظهر على من ظهر، وقتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله، فإذا خرجت يظهر على من يظهر، فيقتله) ج٢ ص ٣٢٣.

وذكر الشيخ الصدوق عن أبي جعفر عليه السلام (إنما سار علي عليه السلام بالكف عن عدوه من أجل شيعتنا، لأنه كان يعلم أنه سيظهر عليهم من بعده، فأحب أن يقتدي به من جاء بعده، فيسير فيهم بسيرته، ويقتدي بالكف عنهم بعده) علل الشرائع ج١ ص ١٤٧.

يبدو واضحاً أن الخطة التي اعتمدها أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام والقاضية بحفظ الأرواح وعدم المسارعة لسفكها لم تكن قاصرة على أنفس الموالين لحظة وجودهم، بل هي خطة كونية طويلة الأمد، تمتد إلى لحظة الظهور المبارك، وإلا فليفسر لنا هؤلاء، لماذا لم يمعن الإمام علي في سفك دماء أعدائه رغم أنهم كانوا معتدين ظالمين مستحقين لذلك رغم قدرته على ذلك.

يروي الشريف الرضي في نهج البلاغة عن الإمام علي عليه السلام (وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلَاناً كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ فَقَالَ لَهُ عليه السلام أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا فَقَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ شَهِدَنَا وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ).

الخط الذي سار عليه أئمة أهل البيت هو الحفاظ على الإيمان وإفساح المجال لمن كان له قلب أو ألقى السمع، و هو شهيد لركوب سفينة النجاة، وهو هدف لا يتحقق إلا بالصبر والتحمل ومنح البشرية عامة والمسلمين خاصة الفرصة الكافية للحاق بقافلة الناجين ﴿**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [1].

الخلاصة: أن موقف الأئمة من الحرب مع الآخر لم يكن مرتبطاً فقط بالقدرة والإمكان، بل بالمسار التاريخي الممتد لحركة الإيمان عبر تلك المسافة التي قد تبدو للبعض مسافة بعيدة تقدر بمئات السنين في حين خلق الإنسان من عجل مجبولاً على النسيان يريد أن يرى النتائج الفورية، وليس هذا هو القانون الحاكم لمسار الدعوات الإلهية.

لماذا بقي نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً قبل أن يعلن الخالق عز وجل (انقضاء المهمة)، وليس انتهاءها، بل انتقالها إلى خط آخر على يد

١- سورة الممتحنة ٧.

نبي آخر؟!.

النظرة السطحية التي تبناها أغلب المسلمين تقول: إن الوظيفة قد انتهت برحيل رسول الله صلى الله عليه واستلام الخلفاء للسلطة، ولم يعد ثمة حاجة للأئمة عليهم السلام ورثة الرسالة الحقيقيين لا في تعليم الكتاب أو الحكمة ولا في التزكية والتطهير بينما ينطق واقعنا المعاش بعد ١٤٤٠ عام من الهجرة بغير ذلك.

المواجهة بين الحق والباطل مواجهة مفتوحة

كثيرة هي النصائح التي وجهها الإمام علي بن أبي طالب لأمته عامة ولجمهوره خاصة عن طبيعة المواجهة بينهم وبين أهل الباطل وأن الصراع لن يحسم في عام أو عامين.

من ذلك ما رواه صاحب شرح نهج البلاغة ج١ عن قيس بن الربيع، عن يحيى بن هانئ المرادى، عن رجل من قومه، قال: كنا في بيت مع علي عليه السلام، نحن شيعته وخواصه، فالتفت، فلم ينكر منا أحداً، فقال: إن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، فيقطعون أيديكم، ويسملون أعينكم، فقال رجل منا: وأنت حي يا أمير المؤمنين؟ قال: أعاذني الله من ذلك، فالتفت، فإذا واحد يبكي، فقال له: يا بن الحمقاء، أتريد اللذات في الدنيا والدرجات في الآخرة! إنما وعد الله الصابرين.

ومنها: (وَايْمُ اللَّهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَى، نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ، لَا

يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ ـــ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي ـــ مَقَاماً وَاحِداً وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ، فَلَا يُعْطُونِيهِ)[1].

وهو يوضح أيضاً لشيعته أن المواجهة طويلة وممتدة (حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ، تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ، يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً)[2].

(وَاللَّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلَّهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ، وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ، بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَ إِذَا غَابَ اغْتَابَهُ وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللَّهِ ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)[3].

كما أن هذا الفراغ المتخيل الذي أحدثه بنو أمية بعجزهم وجهلهم وبغيهم وعدوانهم على أهل دعوة الحق سيفتح الأبواب أمام الأدعياء (فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً، وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا وَمُنَاخِ رِكَابِهَا وَمَحَطِّ رِحَالِهَا وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً)[4].

كم من الفرق والتيارات ظهرت أو أخرجت إلى العلن لا لشيء إلا للتشويش على دعوة (الحق الممنوع والمقموع) والزعم بأنهم يملكون بدائل تغني الناس

١- نهج البلاغة خطبة ٩٣.
٢- خطبة ٨٧ نهج البلاغة.
٣- خطبة ٩٨ نهج البلاغة.
٤- خطبة ٩٣ نهج البلاغة.

عن الوقوع تحت طائلة القمع الموجه ضد كل ما هو شيعي لينتهي الأمر دائماً بكارثة تطال هذه الفئة.

رأينا كيف أخرج الحواة من جرابهم حركات الخوارج قديماً وحديثاً؟ وكيف أقاموا دولاً، وهدموا أخرى، وأزالوا حضارات، ودمروا مكتبات، لا لشيء إلا ليبقى سيف بني أمية مسلطاً على رقاب العباد، وهو ما لخصه إمامنا علي بن أبي طالب في السطور السابقة.

ما كان هذا ليتحقق لولا تغلغل الفساد الأخلاقي والخلل العقلي بين ظهرانينا وفي قلوبنا وعقولنا.

ولأن (اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)، لم يكن هذا التغيير ليتم، ويكتمل دون حدوث ذلك التكامل المنشود بين القيادة والجماهير، فلا تنفصل القاعدة عن القيادة مثلما حدث في تلك الفصول المأساوية التي عاشها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

الإمام الحسن بن علي خليفة للمسلمين

ولما قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في عام ٤٠هـ بايع المسلمون بالخلافة للإمام الحسن بن علي حيث يروي ابن الأثير: (وكان أول من بايعه قيس بن سعد الأنصاري، وقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين، فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله، فإنهما يأتيان على كل شرط، فبايعه الناس، وكان الحسن يشترط عليهم: إنكم مطيعون تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت).

قال الشيخ المفيد (ولمّا قُبِضَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام بايَعَه أصحابُ أبيه على حرب مَنْ حارَبَ وسِلْمِ مَنْ سالَمَ).

وبعد أن بويع له خطبَ الإمام الحسنُ بنُ عليٍّ صبيحةَ اللَيلةِ الّتي قُبِضَ فيها أميرُ المؤمنينَ عليه السلام، فحمدَ اللّهَ، وأثنى عليه، وصلّى على رسولِ اللّهِ وآلِهِ، ثمّ قال:

«لقد قُبِضَ في هذِه الليلةِ رجلٌ لم يَسبِقْه الأوّلونَ بعملٍ، ولا يُدرِكُه الآخِرونَ بعملٍ، لقد كانَ يُجاهِدُ معَ رسولِ اللهِ، فَيقِيهِ بنفسِه، وكانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يُوجِّهُهُ برايتِهِ فيَكنُفُه جَبْرَئيلُ عن يمينِهِ وميكائيلُ عن يسارِه فلا يَرجعُ حتّى يفتحَ اللهُ على يديهِ، ولقد تُوُفِّيَ عليه السلام في الليلةِ الّتي عُرِجَ فيها بعيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قُبِضَ يُوْشَعُ بنُ نونٍ وصيُّ موسى، وما خلّفَ صفراءَ ولا بيضاءَ إلاّ سبعمائةِ دِرْهمٍ، فضلَتْ من عطائه، أرادَ أنْ يبتاعَ بها خادِماً لأهلِه» ثمّ خنقتْه العبرةُ، فبكى، وبكى النّاسُ معَه.

ثمّ قالَ: «أنا ابنُ البشيرِ، أنا ابنُ النّذيرِ، أنا ابنُ الدّاعي إلى اللهِ بإذنِه، أنا ابنُ السِّراجِ المنيرِ، أنا من أهلِ بيتٍ أذهبَ اللهُ عنهم الرِّجسَ، وطهّرَهم تطهيراً، أنا من أهلِ بيتٍ افترضَ اللهُ حبَّهم في كتابِهِ، فقالَ عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى وَمَنْ يَقْتَرِف حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾ فالحسنةُ مودَّتُنا أهلَ البيتِ».

ثمّ جلسَ، فقامَ عبدُ اللهِ بن عبّاسٍ رحمة اللهِ عليه بينَ يديه، فقالَ: معاشرَ النّاسِ، هذا ابنُ نبيِّكم ووصيُّ إمامِكم، فبايعُوه. فاستجابَ له النّاسُ، وقالوا: ما أحبَّه إلينا، وأوجبَ حقَّه علينا، وتبادَروا إلى البيعةِ له بالخلافةِ، وذلكَ يومِ الجمعةِ الحادي والعشرينَ من شهرِ رمضانَ سنةَ أربعينَ منَ الهجرةِ. فرتّبَ العُمالَ، وأمّر الأمراء، وأنفذَ عبدَ اللّه بن العبّاسِ رضيَ اللهُ عنه إلى البصرةِ، ونظرَ في الأمورِ.

وسارَ معاوية نحوَ العراقِ ليَغلِبَ عليه، فلمّا بلغَ جسرَ مَنْبِجَ تحرّكَ الحسنُ عليه السلام، وبعثَ حُجْرَ بنَ عَدِيٍّ، فأمرَ العُمّالَ بالمسيرِ، واستنفرَ النّاسَ للجهادِ فتثاقلوا

عنه ثمّ خفَّ معَه أخلاطٌ منَ النّاسِ، بعضُهم شيعةٌ له ولأبيه عليهما السّلامُ، وبعضُهم مُحكِّمةٌ (أي من الخوارج رافعي شعار «إنِ الحكمُ إلا للـه») يُؤثرونَ قتالَ معاويةَ بكلِّ حيلةٍ، وبعضُهم أصحابُ فتنٍ وطمعٍ في الغنائمِ، وبعضُهم شُكّاكٌ، وبعضُهم أصحابُ عصبيّةٍ، اتَّبعوا رؤساءَ قبائلِهم، لا يَرجعونَ إلى دين، فسارَ حتّى أتى حَمّامَ عُمر، ثمّ أخذَ على دَيرِ كَعْبٍ، فنزلَ سَاباطاً دون القَنطرةِ، وباتَ هناكَ.

فلمّا أصبحَ أرَادَ عليه السلام أن يَمتحِنَ أصحابَه، ويَستبرئَ أحوالَهم في الطّاعةِ له ليتميّزَ بذلكَ أولياءه من أعدائه، ويكونَ على بصيرةٍ في لقاءِ معاويةَ وأهلِ الشّامِ، فأمرَ أن يُناديَ في النّاسِ بالصّلاةِ جامعةً، فاجتمعَوا، فصعدَ المنبرَ، فخطبَهم، فقالَ: «الحمدُ للـهِ ـــ بكلِّ ما حَمِدَه حامِدٌ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللـهُ كلَّما شهدَ له شاهدٌ، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه بالحقِّ، وائتمنَه على الوحيِ، صلّى اللّه عليهِ وآلهِ.

أمّا بعدُ: فوَ اللـهِ إنّي لأرجو أن أكونَ قد أصبحتُ بحمدِ اللـهِ ومنِّهِ، وأنا أنصحُ خلقِ اللـهِ لخلقهِ، وما أصبحتُ محتملاً على مسلم ضغِيْنةً ولا مُريداً له بسوءٍ ولا غائلةٍ، ألا وإنّ ما تَكرهُونَ في الجماعةِ خير لكم ممّا تحبُّونَ في الفُرقةِ، ألا وَإنّي ناظرٌ لكم خيراً من نَظرِكم لأنفسِكم، فلا تُخالِفوا أمري، ولا تَرُدُّوا عليَّ رأيي، غفرَ اللـهُ لي ولكم، وأرشَدَنِي وإيّاكم لما فيه المحبّةُ والرِّضا».

فنظرَ النّاسُ بعضُهم إلى بعض، وقالوا: ما تَرَوْنَه يرُيدُ بما قالَ؟ قالوا: نَظُنُّه واللـهِ يريدُ أن يُصالحَ معاويةَ ويُسَلِّمَ الأمر إليه: فقالوا: كفرَ واللـهِ الرّجلُ، ثمّ شدُّوا على فُسْطَاطِه، فانتهبوه حتّى أخذوا مُصلاّه من تحتهِ، ثمّ شدَّ عليه عبدُ الرحمن بن عبدِ اللّهِ بنِ جِعَالٍ الأزْديّ، فنزعَ مِطْرَفَه عن عَاتِقهِ، فبقيَ جالساً متقلِّداً السّيفَ بغير رداءٍ. ثمّ دَعَا بفرسِه، فرَكِبَه، وأحْدَقَ به طَوَائفُ مِن خاصّتِه وشيعتِه، ومنعوا مِنه مَنْ أرادَه، فقالَ: «ادعُوا إليَّ رَبيْعةَ وهَمْدانَ» فدُعُوا له،

فأطافوا به، ودفعوا النّاسَ عنه، وسارَ معَه شوبٌ منَ النّاسِ، فلمّا مرَّ في مُظلمِ ساباط بَدَرَ إليه رجلٌ من الخوارج، فأخذَ بلجامِ بغلتهِ، وبيدِه مِغْوَلٌ، وقالَ: اللهُ أكبرُ، أشركتَ يا حسنُ كما أشركَ أبوكَ من قبلُ ثمّ طعنَه في فخذِه، فشقَّه حتّى بلغَ العظمَ، فاعتنقَه الحسنُ عليه السلام، وَخرّا جميعاً إلى الأرضِ، فوثبَ إليه رجلٌ من شيعةِ الحسنِ عليه السلام، يقُالُ له عبدُ الله بن خَطَلٍ الطّائي، فانتزعَ المغولَ من يدِه، وخَضْخَضَ به جوفَه.

وحُمِلَ الحسنُ عليه السلام على سريرٍ إلى المدائنِ، فأُنزلَ به على سعدِ بنِ مسعودٍ الثّقفيّ، واشتغلَ بنفسِه، يعُالِجُ جُرْحَه، وكتبَ جماعةٌ من رؤساءِ القبائلِ إلى معاويةَ بالطّاعةِ له في السِّرِّ، وحثّوه على السّيرِ نحوَهم، وضَمِنُوا له تسليمَ الإمام الحسنِ عليه السلام إليه عندَ دُنُوِّهم من عسكرِه أو الفتكَ به وبلغَ الحسنَ ذلكَ فازدادتْ بصيرةُ الحسنِ عليه السلام بخذلانِ القومِ له وفسادِ نيّاتِهم، ولم يبقَ معَه من يأمن غوائلَه إلاّ خاصّة من شيعتهِ وشيعَةِ أبيه أميرِ المؤمنينَ عليه السّلامُ، وهم جماعةٌ لا تقومُ لأجنادِ الشّام.

فكَتبَ إليه معاويةُ في الهُدْنةِ والصُّلحِ، وأنفذَ إليه بكُتُبِ أصحابِه التّي ضَمِنوا له فيها الفتكَ به وتسليمَه إليه، واشترط له على نفسِه في إجابتهِ إلى صلحِه شروطاً كثيرةً، وعقدَ له عُقوداً، كانَ في الوفاءِ بها مصالحُ شاملةٌ، فلم يَثِقْ به الحسنُ عليه السلام، وعلمَ احتيالَه بذلكَ واغتيالَه غيرَ أنّه لم يَجِدْ بدّاً من إجابتهِ إلى ما التمسَ من ترك الحربِ وانفاذِ الهدنةِ، لِما كانَ عليه أصحابُه ممّا وصفْناه من ضعفِ البصائرِ في حقِّه والفسادِ عليه والخُلْفِ منهم له وما انطوى كثيرٌ منهم عليهِ في استحلالِ دمِه وتسليمهِ إلى خصمِه وميلِ الجُمهورِ منهم إلى العاجلةِ وزهدِهم في الآجلةِ. فتوثّقَ عليه السلام لنفسِه من معاويةَ لتأكيدِ الحجّةِ عليه والإعذارِ فيما بينَه وبينَه عندَ اللهِ عزّ وجلّ وعند كافّةِ المسلمينَ، واشترطَ عليه تركَ سبِّ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام والعدولَ عنِ القُنوتِ عليه في الصّلواتِ،وأنْ يُؤمنَ شيعتَه رضيَ اللهُ عنهم، ولا يتعرّضَ لأحدٍ منهم بسوءٍ، ويُوصِلَ إلى كلِّ ذي حقٍّ منهم حقَّه، فأجابَه معاويةُ إلى ذلكَ كلِّه، وعاهدَه عليه، وحَلفَ له بالوفاءِ به.

كما يروي ابن الأثير في الكامل: تسلم معاوية الأمر لخمس بقين من ربيع الأول من هذه السنة، وقيل: إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية، لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: إنا ـــ والله ـــ ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين، ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم، ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفةٌ، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله عز وجل بحد السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا لكم الرضى. فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية! وأمضى الصلح ولما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس، فقال: أيها الناس إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس إلا من بكى حتى سمع نشيجه.

وكانت خلافة الحسن على قول من يقول: إنه سلم الأمر في ربيع الأول خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وعلى قول من يقول: في ربيع الآخر يكون ستة أشهر وشيئًا، وعلى قول من يقول: في جمادى الأولى يكون سبعة أشهر وشيئًا، والله تعالى أعلم.

تعليق:

يقول تعالى ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [1].

لا نرى جديداً فيما واجهه الإمام الحسن بن علي من ظروف دفعته للتفاوض مع ابن آكلة الأكباد أولاً ثم القبول بالصلح الذي عرض عليه بعد أن (كَتبَ إليه معاويةُ في الهُدْنةِ والصُّلحِ، وأنفذَ إليه بكُتُبِ أصحابِه التّي ضَمِنوا له فيها الفتكَ به وتسليمَه إليه، واشترط له على نفسِه في إجابتِهِ إلى صلحِه شروطاً كثيرةً، وعقدَ له عُقوداً كانَ في الوفاءِ بها مصالحُ شاملةٌ، فلم يَثِقْ به الحسنُ عليه السلام، وعلمَ احتيالَه بذلكَ واغتيالَه غيرَ أنّه لم يَجِدْ بدّاً من إجابتِهِ إلى ما التمسَ من ترك الحربِ وانفاذِ الهدنةِ، لِما كانَ عليه أصحابُه ممّا وصفْناه من ضعفِ البصائرِ في حقِّه والفسادِ عليه والخُلْفِ منهم له وما انطوى كثيرٌ منهم عليهِ في استحلالِ دمِه وتسليمِهِ إلى خصمِه وميلِ الجُمهور منهم إلى العاجلةِ وزهدِهم في الآجلةِ) حسب وصف الشيخ المفيد رضوان الله عليه في كتاب (الإرشاد).

إنها الأوضاع نفسها التي أجبرت الإمام علياً عليه السلام على القبول بالتحكيم، على رغم رأيه الواضح فيه ووصفه لهذه الدعوة بقوله (ناعق نعق، إن أجيب أضل، وإن ترك ذل) وعلى رغم أن الدعوة للتحكيم لم يكن لها من هدف سوى إنقاذ المعسكر الأموي من هزيمة محققة حيث كانت طلائع جيش الحق توشك على اقتحام مقر قيادة ابن آكلة الأكباد.

الذين يستغربون محاولة قتل الإمام الحسن أو يستغربون تواصل الخونة مع

١- العنكبوت ١-٦.

ابـن آكلـة الأكبـاد وعرضهـم اسـتحلال دمـه وتسـليمه إلـى عـدو اللـه وعـدو رسـوله عليهـم أن يرجعـوا إلـى ذات الموقـف الـذي تعـرض لـه الإمـام علـي عليه السلام، وهـو مـن هو فـي جلالـه ومنزلتـه عندمـا أجبـر علـى قبـول التحكيـم، وأجبـر الفـارس المغـوار مالك الأشـتر علـى إيقـاف هجومـه النهائـي علـى مقـر قيـادة الكفـر والضـلال، ودونكـم الصـورة كاملـة.

(كانـت كتيبـة الأشـتر توشـك علـى اقتحـام مقـر القيـادة الأمـوي، وبـدأ هـؤلاء التائهـون (مـن معسـكر الإمـام علـي) يلحـون فـي إيقـاف القتـال، فأرسـل الإمـام علـي إلـى الأشـتر يزيـد بـن هانـئ أن ائتنـي، فأتـاه، فأبلغـه، فقـال الأشـتر: قـل لـه: ليسـت هـذه بالسـاعة التـي ينبغـي لـك أن تزيلنـي عـن موقفـي إنـي قـد رجـوت الفتـح: فـلا تعجلنـي: فرجـع يزيـد بـن هانـئ إلـى علـي عليه السلام، فأخبـره، فمـا هـو إلا أن ارتفـع الرهـج، وعلـت الأصـوات مـن قبـل الأشـتر، وظهـرت دلائـل الفتـح والنصـر لأهـل العـراق ودلائـل الخـذلان و الإدبـار لأهـل الشـام، فقـال القـوم لعلـي عليه السلام واللـه مـا نـراك أمرتـه إلا بالقتـال، فقـال: أرأيتمونـي شـاورت رسـولي إليـه، أ ليـس إنمـا كلمتـه علـى رؤوسـكم علانيـة، وأنتـم تسـمعون؟ قالـوا: فأبعـث إليـه، فليأتـك، وإلا فـو اللـه اعتزلنـاك، فقـال: ويحـك يـا يزيـد، قـل لـه أقبـل إلـيَّ، فـإن الفتنـة قـد وقعـت، فأتـاه، فأخبـره، فقـال الأشـتر: أ برفـع هـذه المصاحـف، قـال: واللـه، لقـد علمـتُ أنهـا حيـن رفعـت سـتوقع خلافـا وفرقـة، إنهـا مشـورة ابـن النابغـة، ثـم قـال ليزيـد بـن هانـئ: ويحـك ألا تـرى إلـى الفتـح، ألا تـرى إلـى مـا يلقـون، ألا تـرى إلـى الـذي يصنـع اللـه لنـا، أ ينبغـي أن نـدع هـذا، وننصـرف عنـه، فقـال لـه يزيـد: أ تحـب أنـك ظفـرت ههنـا، وإن أميـر المؤمنيـن بمكانـه الـذي هـو فيـه يفـرج عنـه، ويسـلم إلـى عـدوه، قـال: سـبحان اللـه، لا واللـه، لا أحـب ذلـك، قـال: فإنهـم قـد قالـوا لـه، وحلفـوا عليـه لترسـلن إلـى الأشـتر، فليأتينـك أو لنقتلنـك بأسـيافنا كمـا قتلنـا عثمـان، أو لنسـلمنك إلـى عـدوك، فأقبـل الأشـتر حتـى انتهـى إليهـم، فصـاح: يـا أهـل الـذل والوهـن، أحيـن علوتـم القـوم، وظنـوا أنكـم لهـم قاهـرون رفعـوا المصاحـف يدعونكـم إلـى مـا فيهـا

وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها، وتركوا سنة من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم، أمهلوني فواقاً، فإني قد أحسست بالفتح، قالوا: لا نمهلك، قال فأمهلوني عدوة الفرس، فإني قد طمعت في النصر، قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك، قال: فحدثوني عنكم، وقد قتل أماثلكم، وبقي أراذلكم، متى كنتم محقين؟ أ حين كنتم تقتلون أهل الشام؟ فأنتم الآن حين أمسكتم عن قتالهم مبطلون، أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقون، فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون، فضلهم،وأنهم خير منكم في النار، قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم في الله، وندع قتالهم في الله، إنا لسنا نطيعك، فاجتنبنا، فقال: خُدعتم والله، فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب، فأجبتم، يا أصحاب الجباه السود، كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ألا فقبحاً يا أشباه النيب الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون، فسبوه، وسبهم، وضربوا وجه دابته بسياطهم، وضرب بسوطه وجوه دوابهم، وصاح بهم علي عليه السلام فكفوا)[1].

يستغربون تعرض الإمام الحسن عليه السلام للخيانة من بعض من كان في معسكره، على رغم أن الخيانة هي دأب الأعراب الذين قالوا: آمنا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم، ويكفي هؤلاء أنهم نكثوا عهدهم الذي عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير، خم ونقضوا بيعتهم، على رغم أنهم جعلوا الله عليها شهيداً!!.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [2].

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ

١- التحكيم. د أحمد راسم النفيس.
٢- الأحزاب ١٥-١٧.

﴿اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [1].

يستغربون من نقض هؤلاء لعهودهم وتربصهم بإمام الحق من آل محمد، بينما هَمَّ أسلافهم بقتل رسول الله يوم العقبة، وأنزل الله في هذه الواقعة الفاضحة قرآناً يتلى إلى يوم الدين، وذلك قوله تعالى ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [2].

إنها الواقعة التي رواها الرواة والمحدَّثون والمفسرون، ومنهم مسلم في (صحيحه)، قال:

١١ - (٢٧٧٩) حدثنا زهير بن حرب. حدثنا أبو أحمد الكوفي. حدثنا الوليد بن جميع. حدثنا أبو الطفيل، قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس. فقال: أنشدك بالله! كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذ سألك. قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر. فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر. وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. وعذر ثلاثة. قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا علمنا بما أراد القوم.

أما الذين اعتذروا بأنهم لم يسمعوا منادي رسول الله أن يسلكوا الوادي، ويتركوا المضيق يشير إلى أن خطة الاغتيال كانت تقوم على إسقاط رسول الله من ظهر دابته من أجل قتله ثم تقديم المسألة على أنها حادث تدافع

١- النحل ٩١-٩٢.
٢- التوبة ٧٤.

أدى لسقوطه وسط الزحام، أما بقية الروايات التي أوردها مسلم، فتشير إلى أمر غريب، وهو الربط بين حرب الجمل ومشروع قتل الرسول ﷺ مما يطرح سؤالاً عن هوية هؤلاء الأشخاص، وأنهم من المشاهير الذين كانوا طرفاً رئيساً في هذه الحرب.

روى مسلم أيضاً:

٩ - (٢٧٧٩) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا أسود بن عامر. حدثنا شعبة بن الحجاج عن قتادة، عن أبي نضرة، عن قيس، قال: قلت لعمار: أ رأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي، أ رأيا رأيتموه أو شيئا عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة. ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ، قال: قال النبي ﷺ «في أصحابي اثنا عشر منافقاً. فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط. ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة، وأربعة» لم أحفظ ما قال شعبة فيهم.

١٠ - (٢٧٧٩) حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار (واللفظ لابن المثنى). قالا: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة عن قتادة، عن أبي نضرة، عن قيس بن عباد، قال: قلنا لعمار: أ رأيت قتالكم، أرأياً رأيتموه؟ فإن الرأي يخطئ، ويصيب. أو عهدا عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة. إن رسول الله ﷺ قال «إن في أمتي» قال شعبة: وأحسبه، قال: حدثني حذيفة.

وقال غندر: أراه قال «في أمتي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها، حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم. حتى ينجم من صدورهم».

الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله يوم غدير خم بوسعهم أن يفعلوا نفس الشيء مرة إثر أخرى خاصة، وقد وجدوا ضالتهم تحت راية ابن آكلة الأكباد،

ولن يصعب عليهم أن يكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً حسداً من عند أنفسهم وبغياً واستكباراً في الأرض كما وصفهم أمير المؤمنين علي عليه السلام **﴿أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا، وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا، وَأَخْرَجَهُمْ)**.

لا تستغربوا خيانتهم وبغيهم، فوفاؤهم بالعهد هو الأغرب!!.

العقود والمعاهدات بين البشر أصل عظيم من أصول الحياة الإنسانية والذين يحملون المسؤولية لمن جرى خيانته ونقض ما أبرم من التزامات، قدمها الخائن هم شركاء لهذا الخائن ومتواطئون معه، بل و مستهزؤون بالعقد والعهد، ولا يمكن الوثوق أو الاطمئنان لهم أو ائتمانهم على مصير الأمة الإسلامية.

الخيانة جريمة كبرى لا تسقط بالتقادم، وهي ليست جريمة مرتكبة في حق طرف واحد، بل هي خيانة لله ورسوله، وهذا معنى قوله تعالى **﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ، فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** [1].

هي جريمة مرتكبة بحق الذات الإلهية، وليست بحق طرف بشري يسهل الاستخفاف به وإسكاته عن المطالبة بحقه **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾** [2].

فالوفاء بالعهد والميثاق وفاء لله والخيانة، والغدر مبارزة وإعلان لله تبارك وتعالى بالحرب، وعلى المرء أن يعي، ويدرك من يحارب، وعليه أن يتحمل النتائج والتبعات.

الذين خانوا الله سبحانه سيمكن منهم إن لم يكن اليوم فغداً **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ**

١- الأنفال ٧١.
٢- النحل ٩١.

السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ [1].....
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [2].

الذين يكررون، وكأنهم يتساءلون (لماذا صالح الإمام الحسن؟) إنهم يعرفون الجواب، لكنهم يطرحون سؤالهم على سبيل الشماتة والاستخفاف، وأسوأ منهم من يزعمون أن هذا الصلح جاء بمثابة إقرار بأحقية ومشروعية سلطة ابن آكلة الأكباد، ثم يرجعون إلى بيعة السقيفة المشؤومة ليستخلصوا لها شرعية من العدم، وهذه هي طبيعة منطقهم الأعوج المتهافت الذي يريد أن يصنع من العدم أبراجاً وبنايات!!.

وبدلاً من أن يسألوا القاتل: لماذا قتلت؟ والخائن لماذا خنت؟ نراهم ينقضون على المظلوم، ويسألونه: لماذا قبلت بالظلم؟ رغم أن جيوشهم كانت - ولا تزال - حاضرة للانقضاض على المظلوم وإكمال ما ارتكب بحقه من ظلم وبخس وقهر!!.

خطبة معاوية ورد الإمام الحسن:

فلمّا تمّتِ الهُدنةُ على ذلكَ سارَ معاويةُ حتّى نزلَ بالنُّخَيْلةِ، وكانَ ذلكَ يومَ جمعةٍ، فصلّى بالنّاسِ ضحى النّهارِ، فخطَبَهُم، وقالَ في خطبتِهِ: إنِّي واللهِّ ما قاتلتُكم لتُصلُّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكُّوا، إنّكم لتفعلونَ ذلكَ، ولكنِّي قاتلتُكم لأتأمّرَ عليكم، وقد أعطاني اللهُ ذلكَ، وأنتم له كارِهونَ، ألا وإنِّي كنتُ منَّيتُ الحسنَ، وأعطيتُه أشياءَ، وجَمِيعُها تحتَ قَدَمَيَّ لا أفي بشيءٍ منها له.

ثم سار حتى دخل الكوفة، فأقام بها أياماً، فلما تمت البيعة له من أهلها صعد المنبر، فخطب الناس، وذكر أمير المؤمنين عليه السلام، فنال منه، ونال من

١- الروم ٥٥.
٢- الروم ٦٠.

الحسن، وكان الحسن والحسين صلوات الله عليهما حاضرين، فقام الحسين ليرد عليه، فأخذ بيده الحسن، فأجلسه، ثم قام، فقال: «أيها الذاكر علياً أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية، وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله، وجدك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً» فقال طوائف من أهل المسجد: آمين آمين[1].

الخلافة والإمامة

بانتهاء خلافة الإمام الحسن بن علي ﷺ ونزوله عن السلطة لمعاوية بن أبي سفيان انتهى ذلك اللقاء المؤقت بين الخلافة والإمامة والذي لم يدم سوى خمسة أعوام ونصف، هي مدة حكومة الإمام علي والإمام الحسن من بعده.

بقي الإمام إماماً للدين وهو الأحق بإمامة الدنيا، إلا أن إمامة الدنيا تحتاج إلى أدوات تختلف عن تلك التي تحتاجها إمامة الدين!!.

إمامة الدين هبة وفضل إلهي يمن بها الله على من يشاء من عباده.

أما السلطة الدنيوية فيمكن أن تكون بالقوة والغصب الجبري!!.

وكما ورد في الأثر (إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن يحب).

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

١- الإرشاد للمفيد والمقاتل للأصفهاني
٢- الزخرف ٣٣-٣٥.

رأينا إذاً كيف ساد التخاذل صفوف المسلمين، وتفرقت كلمتهم، وضعفت نيتهم عن وأد الفتنة في مهدها مما حتم على الإمام الحسن إعادة النظر في الموقف كله والبحث عن خيارات أخرى تحفظ دماء المسلمين، وتحول دون فناء تلك القلة المؤمنة العارفة بفضل أئمة أهل البيت ووجوب طاعتهم.

لم يكن الأمر كما يصوره البعض الآن إقراراً بشرعية النظام الأموي ولا تسليما بصحة السلطة القائمة على الجبر والغصب والإكراه، ولكنها حكمة التعامل مع الأمر الواقع، ولذا فقد اشترط عدة شروط، أوردها الشيخ الصدوق في كتاب (علل الشرائع)، قال (بايع الحسن بن علي صلوات اللّه عليه معاوية على ألا يسميه أمير المؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة، وعلى ألا يتعقب على شيعة علي شيئاً، وعلى أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألفَ ألف درهم، وعلى أن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد).

كما يروي أبو الفرج الأصفهاني عن سفيان بن أبي ليلى، قال: أتيت الحسن بن علي حين بايع معاوية، فوجدته بفناء داره، وعنده رهط، فقلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: وعليك السلام يا سفيان، ونزلت، فعقلت راحلتي ثم جلست إليه، فقال: كيف قلت يا سفيان؟ قلت السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: لم جرى هذا منك إلينا؟؟ قلت: أنت والله بأبي وأمي، أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد، ومعك مائة ألف، كلهم يموت دونك، فقد جمع الله عليك أمر الناس، فقال: يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به، وإني سمعت علياً يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرة ضخم البلعوم، يأكل، ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى لا يبقى له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وإنه لمعاوية بن أبي سفيان، وإني عرفت أن الله بالغ أمره، ثم قال: ما جاء بك يا سفيان؟؟ قلت: حبكم، والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق، قال: أبشر يا سفيان، فإني سمعت

علياً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين، يعني السبابة والوسطى، أحداهما تفضل على الأخرى، أبشر يا سفيان، فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد.

إنها رواية لا تختلف كثيراً عن تلك التي رواها ابن الأثير في الكامل، قال: ولما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل، فقال له: يا مسود وجوه المسلمين! فقال: لا تعذلني فإن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره رجلًا فرجلًا، فساءه ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ يملكها بعدك بنو أمية).

الآن مر على هذه الواقعة ١٤٠٠ عام (اطمأن) فيها المجرمون أو توهموا أن يد العقاب الإلهي لن تطالهم وأن الدنيا معقولة عليهم تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ، يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً.

ذهبت السلطة (مؤقتا) لمن أرادها، وسعى لها سعيها من أهل الدنيا، ولحق به من لحق طمعاً في فضلاته وغنائمه، وبقيت الإمامة عند أهل الإمامة الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، وصدق الله العلي العظيم ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾ [1].

١- الإسراء ١٨-٢١.

إمامة الدين كانت، ولا زالت حاضرة في ضمائر المؤمنين، أما السلطة الدنيوية فهي ظل زائل، وعرض لا يدوم، حيث يروي ابن الأثير أيضاً أن معاوية لما دخل الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن أن يقوم، فيخطب الناس ليظهر لهم عيّه. فخطب معاوية الناس، ثم أمر الحسن أن يخطبهم. فقام، فحمد الله بديهةً، ثم قال: أيها الناس، إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دولٌ، وإن الله عز وجل قال لنبيه ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [1] فلما تكلم قال له معاوية: اجلس، وحَقَدَها على عمرو، وقال: هذا من رأيك. ولحق الحسن بالمدينة، ومعه أهل بيته، وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة.

كتب بعض الكتاب عن صلح الإمام الحسن مع معاوية بن أبي سفيان متجاهلين كل تلك الوقائع التي ذكرناها والتي ساقت الإمام الحسن لاتخاذ قراره التاريخي بوضع الحرب زاعمين أن الأمر كان إقراراً منه بشرعية النظام الأموي المتغلب.

كما كتب البعض الآخر يدعي أن الإمام الحسن أبرم هذا الصلح ليتفرغ للزهد والعبادة، وكأنه سلام الله عليه لم يكن يؤدي الصلاة بسبب انشغاله بالحروب وسفك الدماء!! على رغم أنه من أهل بيت مدحه الله عز وجل بقوله ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [2].

إنها جماعة الراضين بأفعال وجرائم بني أمية تلك الجماعة التي لا هم لها إلا تبرير هذه الجرائم والدفاع عنها والتشكيك في مواقف أئمة أهل البيت ومحاولة نزع الشرعية عنها وتقديمهم في صورة الشكاكٍ في أمرهم وقد نال

١- الأنبياء ١١١.
٢- النور ٣٦-٣٧.

إمامنا الحسن بن علي عليه السلام قسطاً لا يستهان به من تلك السهام الشيطانية!!.

محاولات تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام

حاول هؤلاء القوم ـــ وبعضهم ممن يلبس العمائم، والبعض الآخر ممن يرتدي ثياب الاستنارة المزعومة) وكأن الاستنارة العقلية لا تختلف عن الإنارة الكهربائية إلا في موضع تعليق المصابيح هذه فوق الرؤوس، وتلك فوق الجدران! (ـــ إلقاء ظلال من الريبة على مواقف الحسن زاعمين أنه كان من الرافضين لموقف إمام الأمة وأبي الأئمة علي بن أبي طالب في قتال الفئة الباغية وأن أمير المؤمنين علياً عليه السلام شتمه قائلاً (ما زلت تحن حنين الأمة)!!.

تجاهل هؤلاء أو جهلوا الأدوار التي قام بها الحسنان (الحسن والحسين) في نصرة الإمام وقتال الفئة الباغية، وتجاهلوا أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن راغباً ولا حريصاً على سفك قطرة دم واحدة من دماء المسلمين حتى ولو كانت دماء الفئة الباغية وأنه فعل ما في وسعه وفوق ما في وسعه للحيلولة دون نشوب مثل هذا القتال وأن المسؤولة الكاملة في كل ما جرى تقع على عاتق هؤلاء الذين انتهكوا كل القيم والأعراف والتقاليد من أجل تحقيق أهدافهم الدنيوية الرخيصة والتافهة.

أما عن اندفاع الحسن عليه السلام نحو القتال والشهادة بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فيكفي للتدليل عليها ما قاله الإمام علي عليه السلام في بعض أيام صفين، وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب: امْلِكُوا عنِّي هذَا الْغُلاَمَ لاَ يَهُدَّنِي، فَإِنَّنِي أَنْفِسُ بِهذَيْنِ ـ يَعْنِي الحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام عَلَى الْمَوْتِ لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم [1] ..

إنه الحسن بن علي بن أبي طالب الذي قال: (فَوَاللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى المَوْتِ أَوْ خَرَجَ المَوْتُ إِلَيَّ) وهو أيضاً من قال (وَاللهِ لاَبْنُ أَبِي طَالِب آنَسُ

١ـ خطبة ٢٠٧ نهج البلاغة

بالمَـوْتِ مِـنَ الطِّفْـلِ بِثَـدْيِ أُمِّـهِ).

دعـك إذن مـن تلـك التفسـيرات الخبيثـة أو المتخابثـة التـي لا يكـف أدعيـاء العلـم والاسـتنارة عـن ترويجهـا فـي حـق إمـام عظيـم مـن أئمـة آل محمـد، ضحـى بنفسـه مـن أجـل إحيـاء أمـر الديـن والأمـة ومـن كان يؤمـن باللـه واليـوم الآخـر فليقـل خيـراً أو فليصمـت!!.

لـم يكـن الإمـام الحسـن بـن علـي عليه السلام أقـل مضـاء ولا عزمـا علـى إحقـاق الحـق وإبطـال الباطـل مـن أبيـه علـي ع ولا مـن أخيـه الحسـين، والفـارق بيـن هـؤلاء الأئمـة لـم يكـن سـوى اختـلاف الظـرف الـذي عاشـه، وعاينـه كل منهـم، وتبقـى المبـادئ والأسـس التـي سـاروا عليهـا كلهـم واحـدة.

السـعي الحثيـث الخبيـث لإثبـات مفارقـة وهميـة بيـن الإماميـن علـي بـن أبـي طالـب وابنـه الإمـام الحسـن بتصويـر الإمـام علـي ع، وكأنـه كان وحشـاً متعطشـاً لسـفك الدمـاء، بينمـا كان الحسـن ع رافضـاً لقتـال أهـل القبلـة، ينفيـه تمامـاً تريـث الإمـام علـي طويـلاً قبـل اللجـوء إلـى اسـتخدام القـوة يـوم صفيـن حتـى أن البعـض تذمـر مـن هـذا الانتظـار فـرد عليهـم قائـلاً: (أَمَّـا قَوْلُكُـمْ: أَكُلَّ ذلِـكَ كَرَاهِيَـةَ الْمَـوْتِ؟ فَوَاللـهِ مَـا أُبَالِـي دَخَلْـتُ إِلَـى المَـوْتِ أَوْ خَـرَجَ المَـوْتُ إِلَـيَّ. وَأَمَّـا قَوْلُكُـمْ: شَـكّاً فـي أَهْـلِ الشَّـامِ! فَوَاللـهِ مَـا دَفَعْـتُ الْحَـرْبَ يَوْمـاً إِلاَّ، وَأَنَـا أَطْمَـعُ أَنْ تَلْحَـقَ بِـي طَائِفَـةٌ، فَتَهْتَـدِيَ بِـي، وَتَعْشُـوَ إِلـى ضَوْئِـي، فهُـوَ أَحَـبُّ إِلَـيَّ مِـنْ أَنْ أَقْتُلَهَـا عَلَـى ضَلالِهَـا، وَإِنْ كَانَـتْ تَبُـوءُ بِآثَامِهَـا)[1].

أمـا الروايـة التـي حـاول البعـض مـن خلالهـا الـدس والزعـم بأنـه سـلام اللـه عليـه كان رافضـاً لمواقـف الإمـام علـي عليه السلام فهـي روايـة ركيكـة، لا تصمـد أمـام النقـد والتمحيـص خاصـة بالعـودة إلـى نصهـا.

روى الطبـري فـي تاريخـه ج٣: عـن السـري عـن شـعيب عـن سـيف عـن خالـد

١- خطبة ٥٤ نهج البلاغة.

بن مهران البجلي عن مروان بن عبد الرحمن الخميسي عن طارق بن شهاب، قال: خرجنا من الكوفة معتمرين حين أتانا قتل عثمان رضي الله عنه، فلما انتهينا إلى الربذة، وذلك في وجه الصبح إذا الرفاق وإذا بعضهم يحدو بعضاً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أمير المؤمنين، فقلت. ما له؟ قالوا: غلبه طلحة والزبير، فخرج يعترض لهما ليردهما، فبلغه أنهما قد فاتاه، فهو يريد أن يخرج في آثارهما، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، آتي علياً، فأقاتل معه هذين الرجلين وأم المؤمنين أو أخالفه، إن هذا لشديد، فخرجت فأتيته، فأقيمت الصلاة بغلس، فتقدم، فصلى، فلما انصرف أتاه ابنه الحسن، فجلس، فقال: قد أمرتك، فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة، لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تحن حنين الجارية، وما الذي أمرتني، فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة، فيقتل، ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله.....

أول آفات هذه الرواية أنها عن (السري عن شعيب عن سيف) وسيف هو من هو، وهو صاحب أشهر أكذوبة في التاريخ، ونعني أكذوبة ابن سبأ أو ابن السوداء.

سيف عند (شيوخ الرواية)

ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب رقم ٢٧٢٤:

سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب الردة، ويقال له الضبي، ويقال غير ذلك الكوفي، ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ، أفحش ابن حبان القول فيه، مات في زمن الرشيد.

أما الذهبي فقد أورد عنه ما يأتي في ميزان الاعتدال:

٣٦٣٧ - سيف بن عمر الضبي الأسدى. ويقال: التميمي البرجمى، ويقال: السعدي الكوفي، مصنف الفتوح والردة وغير ذلك هو كالواقدي يروى عن هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر وجابر الجعفي وخلق كثير من المجهولين. كان إخبارياً عارفاً، روى عنه جبارة بن المغلس وأبو معمر القطيعى والنضر بن حماد العتكي، وجماعة قال عباس، عن يحيى: ضعيف وروى مطين، عن يحيى: فلس خير منه. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال أبو حاتم: متروك، وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة، وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر. عبيد الله بن سعد الزهري عن عمه يعقوب، حدثنا سيف بن عمر عن وائل أبي بكر عن الزهري عن عبيد الله وعن عطية بن الحارث عن أبى أيوب عن علي وعن الضحاك عن ابن عباس، قالا: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة، يعدهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ أمسك؛ لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء حتى نزلت: وإنه لذكر لك ولقومك، فكان بعدُ إذا سئل قال: لقريش، فلا يجيبونه حتى قبلته الأنصار. مكحول البيروتي، سمعت جعفر بن أبان، سمعت ابن نمير يقول: سيف الضبي تميمي، كان جميع يقول: حدثني رجل من بني تميم، وكان سيف يضع الحديث، وقد اتهم بالزندقة. أنبأنا أحمد بن سلامة، وأحمد بن عبد السلام عن ابن كليب، أخبرنا المبارك ابن الحسين الغسال، حدثنا الحسن بن محمد الحافظ، حدثنا القطيعي، حدثنا محمد ابن يونس، أخبرنا النضر بن حماد العتكي، حدثنا سيف بن عمر السعدى، حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فالعنوهم رواه الترمذي عن أبى بكر بن نافع، عن العتكي. وقال: هذا منكر، ومات سيف زمن الرشيد.

أما أبو حاتم الرازي فيقول عنه: رقم ١١٩٨: سيف بن عمر الضبي، روى عن عبيد الله بن عمر العمري، روى عنه عبد الرحمن بن محمد المحاربي والنضر بن حماد، سمعت أبي يقول ذلك.

حدثنا عبد الرحمن، قال: قرأ على العباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين أنه قال: سيف بن عمر الضبي الذي يحدث عنه المحاربي ضعيف الحديث. حدثنا عبد الرحمن، قال: سئل أبي عن سيف بن عمر الضبى، فقال: متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدي.

هذا عند علماء الرجال من العامة!!.

أما من ناحية المضمون فكيف لنا أن نصدق أن الإمام الحسن عليه السلام يرفض نهضة الإمام علي في مواجهة الناكثين مع علمه ويقينه بوصية رسول الله صل الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ويوصيه بالقعود قائلاً (ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فإن كان الفساد كان على يدي غيرك)!!.

ألم يكن الإمام الحسن عليه السلام هو مبعوث الإمام علي عليه السلام من أجل تعبئة أهل الكوفة حينما حاول عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري أن يفسدها عليه، وكان أن خطب تلك الخطبة التي دونها المؤرخون:

عقد الإمام الحسن عليه السلام مؤتمراً شعبياً حضره عمار بن ياسر والرواية لأبي مخنف، قام الحسن عليه السلام، فاستنفر الناس، فحمد الله، وصلى على رسوله، ثم قال (أيها الناس إنا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وإلى سنة رسوله وإلى أفقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون وأفضل من تفضلون وأوفى من تبايعون، من لم يعيبه القرآن، ولم تجهله السنة، ولم تقعد به السابقة إلى من قربه الله تعالى قرابتين، قرابة الدين وقرابة الرحم إلى من سبق الناس إلى كل مأثرة إلى من كفى الله به رسوله، والناس متخاذلون، وقرب منه، وهم متباعدون، وصلى معه، وهم مشركون، وقاتل معه، وهم منهزمون، وبارز معه، وهم محجمون، وصدقه، وهم يكذبون إلى من لم ترد له راية، ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحق على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا

أهل الصلاح من أصحابه، ومثلوا بعماله، وانتهبوا ماله، فاشخصوا إليه، رحمكم الله فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون) شرح النهج ج٣ ص ٢٩٢.

كما ينقل شارح النهج أيضاً:

ولا يفوتنا هنا أن نثبت ما ذكره أبو مخنف نقلاً عن تميم بن حذيم الناجي، قال: (لما قدم علينا الحسن بن علي عليه السلام وعمار بن ياسر يستنفران الناس إلى علي عليه السلام، ومعهما كتابه، فلما فرغا من قراءة كتابه قام الحسن، وهو فتى حدث، والله إني لأرثي له لحداثة سنه وصعوبة مقامه، فرماه الناس بأبصارهم، وهم يقولون، اللهم سدد منطق ابن بنت نبينا، فوضع يده على عمود يتساند إليه، وكان علياً من شكوى به، فقال (الحمد لله العزيز الجبار المتعال، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء وعلى ما أحببنا أو كرهنا من شدة أو رخاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، امتن علينا بنبوته، واختصه برسالته، و أنزل عليه وحيه، واصطفاه على جميع خلقه، وأرسله إلى الإنس والجن حين عبدت الأوثان، وأطيع الشيطان، وجحد الرحمن، فصلى الله عليه وعلى آله، وجزاه أفضل ما جزى المسلمين، أما بعد:

فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون، إن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، أرشد الله أمره، وأعز نصره بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب وإلى العمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله، ولقد علمتم أن علياً صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده وأنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميع مشاهده، وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما

قد بلغكم، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه حتى غمضه بيده، وغسله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء، ثم أدخله حفرته وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أموره، كل ذلك مِنْ مَنِّ الله عليه، ثم والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تداكّ الناس عليه تداك الإبل الهيم عند ورودها، فبايعوه طائعين ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ولا خلاف أتاه حسداً له وبغياً عليه، فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجد والصبر والاستعانة بالله والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته، وألهمنا وإياكم تقواه، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه، ونستغفر الله العظيم لي ولكم، ثم مضى إلى الرحبة، فهيأ منزلاً لأبيه أمير المؤمنين).

قال جابر: فقلت لتميم: كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه، فقال: ولما سقط عني من قوله أكثر، ولقد حفظت بعض ما سمعت.

تبييض وجه الأئمة؟؟!!

لا يحتاج أئمتنا عليهم السلام لمن يبيض وجوههم أو يدفع عنهم محاولات التزييف الفاشلة التي أدمنها فلول بني أمية الذين لم يجدوا وسيلة لتبييض سوادهم (يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه) غير التشكيك وإبراز ما يظنونه تناقضات بين الأئمة عليهم السلام.

يزعمون أن ابن آكلة الأكباد أقام دولة ترعى مصالح المسلمين، وأنه كان سياسياً فذاً، والسياسة عند هؤلاء تعني الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق.

لم يجد القوم ما يبيض وجوه أئمة أهل النار أساطين الكذب والغش والتضليل ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ

فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾[1]، سوى الرقص والتلوي حول الكلمات وطرح الشكوك والشبهات، فتارة: لماذا صالح الإمام؟ وتارة أخرى: لماذا ثار الإمام؟ وهكذا: ولأنهم ربما يعتقدون أن الوقوف على التل أسلم والأكل من قصة معاوية أدسم والصلاة وراء علي أتم، أما أن يتفضل أحدهم على الناس بجواب أو تفسير لماذا نحن في ذيل الأمم؟ ولماذا يركض أحفاد معاوية وذراري البطل المغوار صلاح الدين بالركض وراء الصهاينة طلباً للأمان، فهذا ليس من واجبهم ولا التزامهم!!!.

يقول القرضاوي في كتابه الأعجوبة (تاريخنا المفترى عليه) (إننا إذا نظرنا إلى خليفة وحاكم مثل معاوية بن أبي سفيان نجده من أعظم حكام العالم وأقربهم إلى العدل والحكمة وإنما نزلت مرتبته لمقارنته بمثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب في مثاليتهما الرفيعة، ولأنه انحرف بالحكم عن سنة الخلافة الراشدة من ترك المسلمين يختارون لأنفسهم أو استخلاف أحد من غير عصبته)[2].

ثم لا يجد بأساً أن ينقل عن (محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي عن أحد العلماء الألمان قوله: إنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالا، من الذهب لمعاوية في عاصمتنا برلين، لأنه هو الذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغالب، ولولا ذلك لعم الإسلام العالم كله، ولكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوربا عرباً ومسلمين)[3].

في المحصلة النهائية لا نرى فارقاً يذكر بين موقف الإمامين علي بن أبي طالب والإمام الحسن ثم موقف الإمام الحسين من بعدهما، والفارق الوحيد هو في الظروف التي عايشها كل منهم.

١- القصص ٤١-٤٢.
٢- الشيخ يوسف القرضاوي: تاريخنا المفترى عليه. ص ٩٢-٩٣.
٣- المصدر نفسه ٩٤-٩٥.

نهاية الموقف:

ولما استقر الصلح بين الإمام الحسن ومعاوية خرج عليه السلام إلى المدينة، فأقام بها منتظراً لأمر ربه إلى أن تم لمعاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة ليزيد، فدس إلى الإمام الحسن مَن سمَّه، فبقي عليه السلام مريضاً أربعين يوماً، ومضى عليه السلام لسبيله في صفر سنة خمسين من الهجرة وله يومئذ ثمان وأربعون سنة، فكانت مدة إمامته عشر سنين وتولى أخوه ووصيه الحسين عليه السلام غسله وتكفينه، ودفنه عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشمٍ بن عبد منافٍ رحمة الله عليها بالبقيعِ.

لقي الإمام الحسن بن علي عليه السلام ربه شهيداً مظلوماً سيراً على خطى الأئمة والأنبياء الذين ضاقت البشرية بهم ذرعاً ولم تجد وسيلة لإسكاتهم سوى القتل والتصفية الجسدية، وهذا هو دأبهم إلى أن يظهر الحق، ويزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

آخر القول وليس نهاية الكلام:

أشكر السيد الجليل كاظم الخرسان الذي حفزني على كتابة هذا البحث الذي يمثل محاولة متواضعة للذب عن أحد السادة العظام، سادة الأنام محمد وآله الكرام، إلا أنه ليس نهاية الكلام.

البحث الجنائي وتحري الطب العدلي، في جريمة تسميم الإمام الحسن عليه السلام: دراسة تحليلية افتراضية

د. أحمد الصفار

Summary:

In this hypothetical-analytical study, the following conclusions are reached:

1. There is a clear concealment by the Umayyads and Abbasids to the identity of the killer and an intentional disguise of the person who either committed or instigated the act of killing.
2. The vast number of traditions lead to the loss of his exact date of death
3. Emphasising the traditions that collectively conveyed the image that the state of Imam Hasan (peace be upon him) was such that it was not considered possible to identify the identity of the killer and that the Imam was in such an ill state of health that he lost that personality that Prophet Mohammed had described, including that he was the master of the youths of paradise.
4. The intentional misrepresentation of the ability of his brother, Imam Hussain, to control himself and his hastiness to seek revenge from his brother's killer hence refraining from informing his brother of the poising as if Imam Hussain (peace be upon him) lacked the ability and the authority to investigate and ascertain the details pertaining to his brother's murder
5. This study emphasises that the martyrdom of Imam Hasan resulted from the intentional act of killing due to the ingestion of a poisonous substance that was placed in his food
6. The poisonous substance is likely to be the chemical compound is mercurous chloride. This study is consistent with the hypothesis that the demise of Imam Hasan (peace be upon him) had resulted from mercury poisoning. This hypothesis is consistent with the historical accounts.
7. The study concludes that Imam Hasan (peace be upon him) had developed acute liver failure and that this was the cause of his death
8. Although there was no autopsy or judicial investigation by the authorities at the time, it is not prohibited to use eyewitness accounts as evidence of the commission of the crime which is supported by the events that were detailed in the traditions and historical accounts
9. The study tends to support the Old historical documents (that go back to the Middle Ages) and which points to the agreement between Muawiyah and the Byzantine Emperor to kill Imam Hasan (peace be upon him). The crime was committed directly by Imam Hasan's wife, Ja'dah bint al-Ash'ath bin Qais al-Kindi.

الخلاصة

الدراسة المقدمة محاولة للغور فيما سطره التاريخ المتمثل بكتب السيرة والتاريخ والموسوعات أمام قضية مهمة جداً في تراث الأمة الإسلامية، وهي: تعرض سيد شباب أهل الجنة لحادثة قتل متعمد بالسمّ، وتعمد غير مسبوق على إيهام المسلمين في حصول الجريمة، ووحشيتها والتشويش على الحقيقة، وذلك في حقن بطون الكتب بروايات موضوعة ومكذوبة، والتستر على القاتل الحقيقي، وتسخيف سبب استشهاد الإمام الحسن عليه السلام. وتعرضت الدراسة استناداً لما جاء في الروايات لافتراض طبيعة السم المستعمل وكذلك المرض المؤدي إلى وفاته عليه السلام.

وتخلص هذه الدراسة التحليلية الافتراضية إلى ما يأتي:

التمويه الواضح من قبل الأمويين والعباسيين على هوية القاتل وتضييع متعمّد لشخص القاتل أو المحرّض على ارتكاب الجريمة.

كثرة الروايات التي ضيّعت التاريخ الحقيقي لوفاته عليه السلام.

تكريس الروايات التي مفادها أن الحسن عليه السلام كان في وضعٍ لا يسمح بذكر الشخص الذي شرع في قتله.

التعمّد في الإيهام بأن الإمام الحسن عليه السلام أحجم عن إخبار أخيه الحسين عليه السلام بقاتله خوفاً من أن يقدم الحسين عليه السلام على الانتقام لأخيه، فيتسبب ذلك بوقوع أبرياء؛ وكأن الحسين عليه السلام فاقد الأهلية في التحرّي والتثبّت قبل الفعل.

تؤكد الدراسة على أن قتل الحسن المجتبى عليه السلام كان بسابق اصرار، وترصّد بتسميمه بمادة سامة وضعت في أكله. وليس كما ادّعى بعضهم أنه مات بسبب المرض الذي ألمّ به.

أن مادة السمّ المستخدمة -على الأرجح- هي مركب كيميائي، وهو كلوريد

الزئبقوز (الكالوميل)، وتتفق هذه الفرضية الجنائية مع الموقف التاريخي. وتستبعد الدراسة أن يكون سماً نباتياً أو حيوانياً. ويدعم هذا الاستنتاج تلك الفرضية القائلة بأن وفاة الحسن عليه السلام كانت ناجمة عن التسمم بالكالوميل (كلوريد الزئبقوز).

تستنتج الدراسة بأن الحسن عليه السلام نتيجة تسميمه بالكالوميل قد أصيب بالفشل الكبدي الحاد، والذي بسببه فقد حياته.

صحيح أنه لم يتم إجراء تشريح للجثة أو تحقيق قضائي من قبل السلطات في ذلك الوقت، ولكن لا يمنع أن تستخدم روايات شهود العيان على أنها دليل على ارتكاب الجريمة التي تدعم الوقائع المذكورة في الروايات.

تميل الدراسة إلى دعم ما رواه العلامة المجلسي لرواية عن الإمام الحسن عليه السلام (التي ترجع إلى العصور الوسطى)، والتي تشير إلى اتفاق معاوية مع الإمبراطور البيزنطي على قتل الإمام الحسن عليه السلام. ونفذت الجريمة مباشرة من قبل جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي زوجة الإمام الحسن عليه السلام.

مقدمة

تعرّف الجريمة على أنها: عملٌ غير مشروع ناتج عن إرادة جنائيّة، ويُقرّر القانون لها عقوبةً أو تصرّفاً احتياطيّاً. وهي عملٌ يخترقُ الأسس الخلقية التي وُضعت من قبل الجماعة، وجعلت هذه الجماعة لاختراقها جزاءً رسمياً. والجريمة من جهة أخرى هي: "إشباع لغريزة إنسانية بطريقة شاذّة لا يسلكه الرجل العادي حيث يشبع الغريزة نفسها، وذلك لأحوال نفسية شاذة انتابت مرتكب الجريمة في لحظة ارتكابها بالذات"[1]. وهذا ما نلمسه في شخصية معاوية الذي يسعى لإشباع غريزته، وذلك بتأمير ابنه المستهتر يزيد، ولم يزل معاوية يروّض الناس على بيعة يزيد، ويعطي المقارب، ويداني المتباعد.

١ - أسس علم النفس الجنائي، أحمد محمد الزغبي، دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ٤٩

"فكتب معاوية إلى جميع نوّابه، فألقى إليهم هذا الخبر: أنه يريد أن يأخذ البيعة لابنه يزيد. قال: فكتب إليه مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر يأمرونه أن يتأنى في أمر يزيد، وألا يعجل حتى يطالع أهل المدينة في ذلك"[1].

أما تعريفُ المُجرم فهو: الإنسان البالغ الراشد الذي ارتكب فعلاً مؤذياً نصّ عليه قانون مُعيّن؛ مما تترتّب عليه عقوبات جنائية مُحدّدة في القانون ذاته[2]، وأن من أبرز الأسباب والدوافع لتنفيذ الجريمة: هو انعدام أو ضعف الوازع الديني، وضعف الوازع الأخلاقي[3]، والبيئة الفاسدة سواء التي ترعرع فيها أو التي تحيط بالمجرم، وما يحيط به من مجتمع تختفي فيه المعايير الاجتماعية.

ونقصد بالمجرم المخطط هو (معاوية بن أبي سفيان)، والمنفّذ للجريمة، وهو العنصر المساهم بالتنفيذ، وهو زوجة الحسن عليه السلام (جعدة)، وكلاهما يشتركان بأنهما نشآ وتربيا في بيئتين فاسدتين، فعائلة جعدة معروفة بالنفاق وهم من الناصبين العداء لأهل البيت عليهم السلام[4]، وكلاهما - جعدة ومعاوية - يفتقدان

١ - الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، (ت ٣١٤ ه)، ج ٤، ص ٣٢٩

٢ - الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للعائدات للجريمة، أسماء بنت عبد الله التويجري، ط ١، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠١١، ص ٣٥-٣٦.

٣- "قال معاوية متوعداً في عدم بيعة ابنه يزيد: إني أتقدم إليكم، وقد أعذر من أنذر، إني قائل مقالة، فأقسم بالله لئن رد علي رجل منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه، فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه، ولا يبقي إلا عليها". العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ه، ج ٥، ص ١٢١.

٤ - عائلة جعدة التي وصفها الإمام الصادق عليه السلام، قال: "إن الأشعث بن قيس شَرَك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام، ومحمد ابنه شَرَك في دم الحسين عليه السلام"، انظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ج ٢٦، ص ٣٧، فإن والد جعدة، وهو «الاشعث بن قيس الكندي كان أكبر منافقي الكوفة. أسلم، ثم ارتد بعد النبي، ثم أسلم، وَقَبِل أبو بكر إسلامه، وزوّجه أخته، وهي أم محمد بن الأشعث". انظر: صلح الحسن، راضي آل ياسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج ١، ص ٣٢٨. وأخوها "محمد من أشراف الكوفة، كان أول داخل على زياد بن أبيه لما جاء إلى الكوفة، وهو من أعدى أعداء أهل البيت، وقد ورث العداوة من أبيه لا عن كلالة، وهو الذي شرك في دم مسلم وهانئ" انظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت ١٣٧١)، دار التعارف للمطبوعات بيروت، ج ٤، ص ٥٧٧، وأخوها الآخر "قَيسَ بنَ الأَشعَثِ، الذي أَخَذَ قَطيفَة (كساء له خَمْل) كانت للحسين حين

إلى الوازعين الديني والأخلاقي، كما هو الحال مع معاوية في موقفه المشهور بالنخيلة الذي أفصح، وأبان عن مشروعه الحقيقي[1]، وإلا كيف يظهر معاوية عهداً مفتعلاً، تذكره كتب التاريخ، ويقرأه على الناس ليثبت فيه عقد الولاية ليزيد بعده[2]

وأما الضحية: فهو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وأما أركان الجريمة فهي: المجرم والوسيلة المستخدمة للجريمة والمادة الإعلامية المرافقة للتغطية والتمويه على مرتكب الجريمة، ومن ثم محاولة قلب حقيقة الجريمة لأجل التأثير على الرأي العام.

وعلى أي حال، سنمرّ على مجريات الجريمة، وكيف غُطيت في كتب السير، والتاريخ، ونحاول تحليل ما جاء فيها افتراضياً، ودراسة الظروف المحيطة بسبب الوفاة التي هي من شأن الطب العدلي أو الشرعي؛ "أقول تحليلاً افتراضياً»؛ لأن الجثة لم تخضع لعمليات تشريح الطب العدلي؛ والسؤال: لماذا اللجوء للتحري الجنائي؟ من المعلوم أنه عادة ما يُلتجأ الى التحرّي الجنائي في البحث عن جريمة ما، وذلك في سبيل التأكد من حدوثها من عدمه، أو السعي للكشف عن غموض واقعة معينة، والواقعة هنا هي جريمة تسميم الحسن عليه السلام.

قتل، فكان يسمى قيس قطيفة»، أنظر: الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري، ج ١، ص ٣٠٢. وقال قيس يوم الطفّ للحسين عليه السلام: "أ و لا تنزل على حكم بني عمّك، فإنّهم لن يروك إلا ما تحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه؟ فقال له الحسين عليه السلام: أنت أخو أخيك، أ تريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل، لا والله! لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل...إلخ". انظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تاريخ الطبري، ابن جزي الطبري، ج ٥، ص ٤٢٥.

١- "خطب معاوية بالنخيلة، فقال: يا أهل العراق، أ ترون أني إنما قاتلتكم لأنكم لا تصلون؟ والله إني لأعلم أنكم تصلون أو أنكم لا تغتسلون من الجنابة؟ ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، فقد أمّرني الله عليكم" ينظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك]، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٦ هـ، ج ١، ص ١١٧.

٢- "قال أبو الحسن المدائني: إن معاوية وبعد موت زياد بن أبيه سنة ٥٣هـ، أظهر عهداً مفتعلاً، فقرأه على الناس، فيه عقد الولاية ليزيد ابنه بعده، وإنما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد» انظر: العقد الفريد، مصدر سابق، ج ٥، ص ١١٧.

أسباب مرض الإمام الحسن عليه السلام ومدته

تمادى الوضاعون كثيراً في القول في سبب مرض الإمام الحسن عليه السلام، وكذلك المدّلسون المنتفعون، أو الخائفون من بطش الأمويين، والعباسيين، ولقد قالوا في أسباب موت المجتبى عليه السلام أسباباً عدة، وفي أغلبها يراد منها تبرئة ساحة معاوية من قتل الحسن عليه السلام. ومن بينها على سبيل المثال: ما ردده المستشرق البلجيكي لامنس Henri Lammens قائلا: "وطال مرض الحسن بعد قدومه المدينة من العراق حتى قيل: إنه مرض بداء السل[1]، ثم إنّه شرب شربة عسل، فمات منها. وقيل «توفي الحسن في المدينة بذات الرئة، ولعل إفراطه في الملذات هو الذي عجل بمنيته"[2]. وقيل: إنه مات: «لمرض الجدري المنتشر في تلك السنة!»[3]. وكما ترى أن هناك تفاوتاً كبيراً بين السم، وذات الرئة، والسل، والجدري، والإفراط في الملذات (كذا!) على أنها مسببات للموت. إنّ ما كتبه التاريخ يركز على سبب واحد، وهو تناوله للسم، ولكن اختلفوا في عدد الجرعات، ونوع السم كما سيأتي بيانه. وقد اختلفوا على المادة التي سقي منها: فقيل: عسل، أو ماء رومة، أو لبن، أو زبادي، أو تمر، أو ماء. ولمّا مرض الحسن عليه السلام وصفت حالته أثناء الإصابة بأن: "جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم، فاشتكى منه شكاة، قال: فكان يوضع تحته طست، وترفع أخرى نحواً من أربعين يوماً"[4].

التحري الجنائي عن أركان الجريمة

١- حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، ج ٢، ص ٤٧١، عن: عقيدة الشيعة لدونالدسون (THE SHIAH DOCTRINE OF THE IMAMATE, DWIGHT M. DONALDSON)، ص ٩٠، وذكر عين هذا المعنى لامنس في دائرة المعارف الإسلامية، ج ٧، ص ٤٠٠، وكذلك «أنه السّل ثم إنّه شرب شربة عسل، فمات منها» انظر: أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بالبلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري)، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٧، ج ٣، ص ٥٥.

٢- دائرة المعارف الإسلامية، فنسك وآخرين ج ٧، ص ٤٠١-٤٠٢.

٣- صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس أنموذجاً، شهيد كريم محمد الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٥، ص ٦٨٩.

٤- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج ١٢، ص ٦٤.

المجرم المخطط والمنفّذ المساهم في الجريمة

حينما نقرأ كتب التاريخ والسير نجد في بعض الروايات غموضاً متعمداً في الإفصاح عن القاتل الحقيقي كما في رواية ابن الجوزي عن عمير بن إسحاق[1] التي يقول فيها: "دخلت أنا ورجل على الحسن نعوده، فقال: قد ألقيت طائفة من كبدي، وإني قد سقيت السمّ مراراً فلم أسق مثل هذه المرة، ثم دخلت عليه من الغد، وهو يجود بنفسه، والحسين عند رأسه، فقال: يا أخي من تتهم؟ قال: لِمَ؟ لتقتله؟ قال: نعم. قال: إن يكن الذي أظن فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، وإن لم يكن فلا أحب أن يقتل بي بريء، ثم قضى رضي الله عنه"[2]. وكما ترى لا ذكر لمن دس السم إليه. وإذ أسدل الستار على اسم المنفّذ، فإنهم قد اختلفوا فيمن حرّض على القتل أيضاً؟ فقيل مرة: زوجته جعدة بنت الأشعث، بإيعاز من يزيد بن معاوية، وقيل: بإيعاز من معاوية نفسه، وقيل: بإيعاز من نفسها، وقيل من أبيها. وقيل: من قبل زوجته ابنة سهيل بن عمرو.

المبرؤون لمعاوية ويزيد وجعدة من قتل الحسن عليه السلام

ينكر أهل السنة خبر تسميم الحسن عليه السلام من أصوله، وينفون ـــــ عن معاوية أو يزيد، وحتى عن جعدة ـــــ تهمة قتل الحسن المجتبى عليه السلام، فيقول ابن خلدون: أن "ما نُقل من أن معاوية دسَّ إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة، حاشا لمعاوية من ذلك"[3]، وكذلك يفنّد الذهبي خبر تخطيط معاوية لسم الحسن عليه السلام، ويسفهّه الى درجة أن يقول: "هذا شيء لا يصح؛ فمن الذي اطلع عليه!"[4]، وينضم إلى هذه الجوقة ابن كثير،

١ – المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج بن الجوزي، دار الكتب العلمية، ج ٥، ص ٢٢٥-٢٢٦
٢ – جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شمس الدين أبو البركات محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي (ت ٨٧١ هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ج٢، ص ٢٠٩.
٣– مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، دار إحياء التراث العربي، ط ٤، بيروت، ج ١، ص ٢٠٦.
٤ – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الحافظ المؤرّخ الثقة شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، (ت ٧٤٨ ه) ج ٤، ص ٤٠.

فرجّح عدم صحة الرواية القائلة: إنّ زوجة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام جعدة بنت الأشعث هي التي دسّت له السم[1]. ويأتي ابن تيمية، فيغلّف فكرة إزالة التهمة من أصولها ودفع جريمة تسميم الإمام ونفي التهمة كذلك عن الآمر الفعلي وهو معاوية- بمسحة شرعية في كتابه منهاج أهل السنة في ما خلاصته قائلاً: "إن هذه الروايات القائلة بأن معاوية سمّ الحسن لم تثبُت ببيّنة شرعيّة، أو إقرار معتبر، ولا نقل يُجزم به، وهذا ما لا يمكن العلم به"[2]. فقد كانت مجرد أقاويل وروايات لم تؤكّد، ومن بين ما ذكره ابن تيمية إثباتاً لعدم صحتها حسب رأيه قائلاً: "ثم إنّ الأشعث بن قيس مات في سنة أربعين، وقيل: سنة إحدى وأربعين، ولهذا لم يذكر في الصلح الذي كان بين معاوية والحسن بن علي، في العام الذي كان يسمى عام الجماعة، وهو عام أحد وأربعين الذي حصل فيه اتفاق بين معاوية والحسن عليه السلام، وإذا كان مات قبل الحسن بنحو عشر سنين، فكيف يكون هو الذي أمر ابنته أن تسمّ الحسن؟"[3]. فتراه ينفي تورط معاوية من جهة، ويثبت من جهة أخرى بقول فجّ، فيقول: إنه [من باب التأول في قتل بعضهم بعضاً!] قائلاً: " فإن كان قد وقع شيء من ذلك فهو من باب قتال بعضهم بعضاً بتأويل"[4]، ومنهم من يروي نفس الخبر القائل: بتدسيس معاوية لجعدة في تسميم الحسن عليه السلام، ولكنه يردف الخبر بنفي التهمة عن معاوية، فيقول: «هذا أمر لا يعلمه إلا الله، ويحاشى معاوية منه"[5].

ويبدو أن بعضهم لا يستطيع نكران دور جعدة في تسميم الحسن عليه السلام، ويقيناً أنه بدسيسة ورشا من شخص ما، لكنّهم لم يذكروا اسمه بتجاهل مقصود من مثل

١- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٢، ج ٨، ص ٤٣، بتصرّف

٢- منهاج السنة النبوية، أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، دار الحديث، القاهرة، ج ٤، ص ٤٦٩-٤٧١، بتصرّف.

٣- المصدر نفسه.

٤- المصدر نفسه.

٥- الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني البري، مكتبة النوري، دمشق، ج ١، ص ٣٠.

النيسابوري وابن عساكر، فيقولان: "سمت ابنة الأشعث بن قيس الحسن بن علي، وكانت تحته، ورشيت على ذلك مالاً"[1]،[2]، ولم يذكرا هذه الرشا ممّن جاءت؟ كل ذلك فإن المال والسلطة الأموية قد فعلا فعلهما في تغيير الحقيقة وغمطها.

تشويه الروايات

ولعل إغداق الأمويين والعباسيين على بعض الكتّاب لتشويه التاريخ قائم، وله آثاره، فمثلاً ما فعله معاوية في شراء الذمم، فقد حاول بكل ما يستطيع استقطاب الأعيان ورواة الحديث ليكونوا عوناً إعلامياً له من جانب، وليشوشوا على ذلك الصوت الأصيل من جانب آخر، فثبّت في كلام له استمالة الرجال بأمواله، ويستمرّ في ذلك المنحى اللئيم حتى يزيغوا عن الحق إلى الضلال، فقال معاوية أمام مجلس عقده: "والله لأستميلنّ بالأموال ثقات عليّ، ولأقسّمنّ فيهم الأموال حتّى تغلب دنياي آخرته"[3]، وقد برزت الحاجة لتدوين التاريخ بسبب موت من يحفظ الحوادث التاريخية، عندما بدأت الرواية التاريخية تُفقد بسبب عوامل عدّة منها استشهاد كثير من الصحابة في الحروب، "وينسب إلى أحد الخليفتين الأمويين، عمر بن عبد العزيز، أو هشام بن عبد الملك، أنه قد كَلّف محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) تدوين ما جُمع من أحاديث. ويظهر مما كُتب عن الزهري، وما روي عنه، أنه لم يقتصر على جمع الأحاديث، وإنما درس حياة الرسول الكريم قبل البعثة وبعدها، ومغازيه، ومدّ ذلك إلى عهد الخلفاء الراشدين، وما حدث في أثناء انتخابات الخلافة، كما أظهر اهتماماً كبيراً بالأنساب، وكان واحداً من علمائها. ومن ثمَّ فإنه يمكن القول: إن ما دونه الزهري كان الأساس في كتب السيرة والمغازي، ولقد عرف

١- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، ١٩٨٨، ح ٤٨٦٨، ج ٣، ص ١٧٦.
٢- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٨٤.
٣- أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٠٠.

أن أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ)، وعروة بن الزبير (ت ٩٣هـ) قد ألّف كل منهما في ذلك، وبذلك يكونان قد وضعا اللبنة الأولى في التدوين التأليفي للتاريخ العربي الإسلامي. وأما مؤلَّف السيرة الأول فقد دوّنه محمد بن إسحاق بن يسار[1] (ت ١٥١هـ) استجابة لطلب من الخليفة العباسي المنصور كما يقال. وهو لم يقدم فيه سيرة الرسول الكريم فحسب، وإنما بحث في التاريخ قبل الإسلام وتاريخ الرسالة الإسلامية. وقد أورد ابن إسحاق في كتابه - على عادة رواة الخبر وأيام العرب - كثيراً من الأشعار. وعلى الرغم من النقد الذي وجه لكتاب ابن إسحاق والطعن بصاحبه، لتشيعه واعتزاله وروايته كثيراً من الأمور العقلانية، وبعض الأحاديث الموضوعة، فإنه غدا المصدر الرئيس في التاريخ الجاهلي وصدر الإسلام. ومن المعروف أن الكتاب لم يصل إليها، وإنما وصلت فقرات منه، عن طريق تلخيص المؤرخين له وتنقيحهم، وبصفة خاصة عن طريق عبد الملك بن هشام (ت٢١٨هـ)، في كتابه المشهور والمتداول تحت عنوان سيرة ابن هشام. فكتاب ابن اسحاق شُذب، ونُقح، وحُذف منه الكثير لاتهام ابن إسحاق بالتشيع، وقد تدخلت اليد العباسية في ذلك، بل إن الخلاف الدائم بين العلويين والأمويين - وهو خلاف سياسي اجتماعي - امتد لسنوات عدة قد: "أتاح لأصحاب الهوى أن يجدوا ما يثيرون به شعور الجماهير ضد بني أمية، وقد أعانهم على ذلك نشاط حركة تدوين التاريخ في ظل العباسيين ابتداء من نشوء الدولة العباسية عام ١٣٢ه، الذين كان لهم حظ في إظهار بني أمية بمظهر المعتدين على العلويين في صورة ظالمة. وأن موضوع السم واستعماله سلاحاً للتخلص من الخصوم وإن كان شائعاً بين الناس

١ - محمّد بن إسحاق بن يسار المدنيّ: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق عليه السّلام قائلاً: محمّد بن إسحاق بن يسار المدني مولى فاطمة بنت عتبة، أسند عنه، يكنّى أبا بكر صاحب المغازي، من سبي عين التمر، وهو أوّل سبي دخل المدينة، وقيل: كنيته أبو عبد الله، روى عنهما، مات سنة إحدى وخمسين ومائة، انتهى؛ وظاهره أنّ الرجل إماميّ، ونصّ عليه ابن حجر في التقريب حيث قال: محمّد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطّلبي مولاهم المدني نزيل العراق، إمام صدوق مدلّس، ورمي بالتشيع والقدر من صغار الخامسة. انظر: سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار مع تطبيق النصوص الواردة فيها على بحار الأنوار، عباس القمي، ج ٢، ص ٣٧٠.

إلا أنه حقل خصب للشائعات ترتع، وتسمن فيه؛ لأنه أمر خفي وسر مغيب، كان الاعتماد في نشره وإشاعته على مجرد وجود خصومة بين متنافسين على أمر، فإذا مات أحدهما أخلي الميدان لصاحبه، قيل: إن يداً خفية من خصمه قد وضعت له السم في الطعام فمات"[1]. ليبرر في ذلك قول ابن العربي في نفي تسميم معاوية للإمام الحسن عليه السلام القائل: "هذا محال من وجهين: أنه ما كان ليتقي من الحسن بأسا وقد سلّم الأمر، والثاني: أنه أمر مغيّب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحمّلونه -بغير بيّنة- على أحد من خلقه في زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم»[2].

وإن الكثير من الشواهد والأدلة التاريخية تثبت دخول كثير من الأحاديث الكاذبة، والروايات الموضوعة في الصحاح والمسانيد؛ بل إن من الأمور الواضحة التي لا يمكن لأحد نكرانها أنه بعد أن سيطر الحزب الأموي على مقاليد السلطة والخلافة، سعت وبكل الوسائل المتاحة من بذل الأموال، وشراء الذمم في خلق جيل من الوضاعين الكذّابين الذين لم يتورعوا عن اختلاق الأحاديث ونشرها بين المسلمين، كل ذلك في سبيل تثبيت دعائم الخلافة المغصوبة، ولفت الأنظار عن أهل البيت عليهم السلام"[3]، ولا ينكر عامل الخوف من بطش الأمويين والعباسيين الذي دفع بعض الكتّاب أن يترددوا في ذكر الحقيقة كاملة، وإنما إطلاقها مبهمة وغامضة كما حدث لابن الجوزي في روايته، التي يقول فيها: "دخلت أنا ورجل على الحسن نعوده، فقال: قد ألقيت طائفة من كبدي، ... فلا أحب أن يقتل بي بريء، ثم قضى رضي الله عنه»[4]، ويحتمل

١- الانتصار: مناظرات الشيعة في شبكات الأنترنت، العاملي، ج ٨، ص ٢٦، دار السيرة، بيروت، ١٤٢٢ه.
٢- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، القاضي أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣ ه)، تحقيق محب الدين الخطيب، مكتبة السنة، القاهرة، ط ٦، ١٤١٢ه، ص ٢٢١.
٣- العدة في أصول الفقه، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ ه)، ج ١، ص ٨٩ الهامش.
٤- جواهر المطالب، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٠٩.

بعيداً أن ابن الجوزي ذكر هذا الخبر «في غير حوادث سنة ٤٩ مخافة وثبة النواصب عليه، وانديا‌س خصيتيه كما داسوا خصيتي الحافظ النسائي عندما أخبرهم عن حرمان معاوية عن دعاء الخير!!»[١]. لقد أفرد الكعبي[٢] فصلًا في كتابه أسماه تقويض صورة الخليفة والقائد المثال، لنقد وردّ الخطاب الموجه ضد صورة الإمام الحسن عليه السلام، تلك الصورة التي لم تتوفر إلا على حزمة من الشتائم، والسباب، واجترار الأكاذيب التي روجتها وسائل الدعاية، والرواية، والتدوين الأموي والعباسي، والتي لم تكن لتخفى على بسطاء المطلعين.

لذلك لا نستغرب من عدم ذكر القاتل في بعض النصوص، واكتفت نصوص بعض المصادر[٣][٤]، ومن بينها تاريخ اليعقوبي الذي يذكر أن الحسن عليه السلام هو الذي قال بأنه قد سقي السمّ، وذلك في وصيته إلى أخيه الحسين عليه السلام التي قال فيها: "يا أخي إن هذه آخر ثلاث مرارٍ سقيت فيها السمّ، ولم أسقه مثل مرّتي هذه، وأنا ميّت من يومي»[٥]، وأيضاً يتكرر الغموض وتنكير الفاعل الحقيقي كما جاء في رواية طويلة عن حديث لرجل مع الحسن عليه السلام: "فقلت له: ما هذا يا ابن رسول الله، إني لأراك وجعاً، قال: أجل دس إلي هذا الطاغية (؟!) من سقاني سماً فقد وقع على كبدي، فهو يخرج قطعاً كما ترى، قلت: أ فلا تتداوى؟ قال: قد سقاني مرتين، وهذه الثالثة لا أجد لها دواء"[٦]. بلا ذكر لمعاوية ولا مروان ولا حتّى جعدة، وإن كانت المظنّة السياسية تعود إلى معاوية طبعاً.

ومنهم من يعد أحاديث ذكر يزيد وأبيه في التدسيس لجعدة غير صحيحة، ومنهم ابن كثير، فيقول: «وعندي أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه

١- جواهر المطالب، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٠٩.
٢- صورة أصحاب الكساء، مصدر سابق، ٢٠١٥ ص ٢٧.
٣- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، ح ٣٧٣٥٩، ج ٧، ص ٤٧٦.
٤- المحتضرين، ابن أبي الدنيا، ح ١٣٢، ج ١، ص ١١٣.
٥- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق اليعقوبي، دار صادر، ج٢، ص ٢٢٥.
٦- بحار الأنوار، المجلسي، (ت ١١١٠ه) دار الإحياء، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٤٤، ص ١٤٧.

معاوية بطريق الأولى والأحرى"[1]. وتبعهم في هذا المنهج من طمس الحقائق، وتضليل التاريخ، وإبعاد التهمة عن القاتل الحقيقي جمعٌ من المنكرين لاتهام معاوية ويزيد وجعدة ممن سودوا كتب التاريخ بكذبهم، وتزويرهم للروايات ممن لا نحصيهم هنا، وتبعهم من اللاحقين المعاصرين من غربيين مثل المستشرقيْن لامنس، ودونالدسون وغيرهما، ومن مغتربين، وعرب متغرّبين من مثل فيليب حتّي، وأحمد أمين وغيرهما، ممّن لا يؤبه بهم قد أحجموا عن ذكر القاتل، وأوكلوا قتل الحسن عليه السلام إلى الله تعالى: "فقال [الحسن]: لقد رأيت كبدي آنفا، ولقد سقيت السم مراراً، وما سقيته قط أشد من مرّتي هذه، فقال حسين: ومن سقى له؟ قال: لِمَ؟ أ تقتله؟ بل نكله إلى الله"[2]، وتُصوِّر هذه الرواية أن الحسن عليه السلام يجهلُ من قتله، ولذلك لا يريد أن يتسبب بقتل بريء! "قال [الحسن]: لئن كان الذي أظن، لله أشد نقمة، وإن كان بريئاً فما أحب أن يقتل بريء"[3] [4]. لقد أصرّ مثل هؤلاء على التستّر على جرم القاتل لشناعة الفعل وفظاعة الجرم. إلا أن سبباً يدفع في عدم وضوح القاتل الذي سبب في موته الأخير مع أني أميل الى أنها زوجته جعدة، وذلك لكثرة تشابك الروايات، وكلها تذكر تسميم الحسن عليه السلام وهذا الاختلاف الكبير يعود لكثرة عدد المرات التي سمّ الإمام الحسن عليه السلام فيها، فكانت ثلاثاً وأربعاً وسبعين، ومراراً، ولم يحدد العدد فيها. وقد ذكر آل ياسين[5] في كتابه عدة نصوص حول عدد مرات تسميم الحسن عليه السلام، جمعها من كتب التاريخ، وسنأتي على هذا الموضوع بالتفصيل.

فمن القاتل إذن؟

١ – البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٢، ج ١١، ص ٢٠٨.
٢ – جامع معمر بن راشد – باب ذكر الحسن، معمر بن راشد، ح ٢٠٩٨٢، ج ١١، ص ٤٥٢.
٣ – الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، ح ٣٧٣٥٩، ج ٧، ص ٤٧٦.
٤ – المحتضرين، ابن أبي الدنيا، ح ١٣٢، ج ١، ص ١١٣.
٥ – صلح الحسن، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٦٨.

من القاتل؟

تشتمل الروايات التي-سنأخذ نموذجاً منها- على ذكر شخص القاتل، وبمجموعها تنحصر في خمسة أشخاص، وهم: جعدة بنت الأشعث، هند ابنة سهيل بن عمرو، وخادمه، ومعاوية، ويزيد ابنه.

استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بسقاية جعدة بنت الأشعث

ذهب علماء السير أن من سمّم الحسن عليه السلام هي زوجته جعدة من غير أن يذكروا المحرّض على ذلك، وإنما كان فعلها لدوافع شخصية. فأشاروا الى سبب جرمها، وإقدامها على هذا الفعل إلى أنها: شانئة له[١]، وأن لها ضرائر[٢]، وهذا يعني أن هناك دوافع شخصية قد دفعتها للتخلص منه. وتشير عدة روايات إلى ذكر اسمها، وفعلها في الجريمة، ومن هذه الروايات: "قال قتادة، وأبو بكر بن حفص: سمّته امرأته بنت الأشعث بن قيس الكندي"[٣]، وفي تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي "قال علماء السير، منهم ابن عبد البر: سمّته زوجته جعدة"[٤]. واكتفى ابن قتيبة الدينوري بقوله: "ويقال: إن امرأته جعدة بنت الأشعث سمّته"[٥].

ولا ننسى غزارة الروايات الموضوعة، والكم الوفير من المرويات التي نسجها الأمويون والعباسيون في تصوير الحسن عليه السلام كان هو الدافع وراء عمل جعدة في الإقدام على هذا الفعل. وبأنه عليه السلام قد انفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق.

١- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى جابر البلاذري، من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج ٣، ص ٥٥.
٢- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٨٤.
٣- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٠.
٤- تذكرة الخواص، سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، (ت ٦٥٤ ه)، ج ١، ص ١٩١.
٥- المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦ ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ١٢٣.

وأَلصَقَت به هذه الأخلاق السائبة لقب المِطلاق[١][٢]. وأنه كان شخصية متخاذلة انصرف إلى ملذاته وشهواته"[٣]، مما زاد في غيرتها وحنقها عليه، وهو الدافع الذي دفع جعدة بالإضافة لغيرتها من نساء الحسن عليه السلام الأخريات، اللائي لم يتوقف الحسن عن التزويج بهن»[٤]. وإذا أضفنا لكل ذلك رغبتها بالزواج من يزيد بن معاوية بعد أن تتخلّص من الإمام الحسن عليه السلام بسمّه فقد «أرسل معاوية إلى جعدة بنت الاشعث أني مزوجك ابني يزيد على أن تسمي الحسن، وبعث إليها مائة ألف درهم"[٥].

وبصدد تعدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام يشير دونالدسون أنه قد أحصي له حوالي المائة زوجة[٦]، وهو بالتأكيد قد أخذها من المرويات المكذوبة من مثل ما ذكره الذهبي الذي يصف الحسن عليه السلام بوصف سائب ورخيص، ولكي يقوّي ادعاءه المشين هذا، ويعطيه وزناً أدرج اسم الإمام جعفر الصادق في روايته -فقوّله ما لم يقل- لتكون قابلة للتصديق؛ فيقول الذهبي: "كان منكاحًا مطلاقًا، تزوج نحوًا من سبعين امرأة، وقلما كان يفارقه أربع ضرائر، وفيما نُقل عن جعفر الصادق -والكلام للذهبي-: أن عليًا قال: يا أهل الكوفة! لا تُزوِّجوا الحسن، فإنه مطلاق، فقال رجل: والله لنزوجنّه، فما رضي أمسك،

١- موجز دائرة المعارف الإسلامية، هوتسما، أرنولد، باسيت، هارتمان، إعداد، تحرير إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، عبد الحميد يونس، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١، ١٩٩٨، ج ١٢، ص ٣٨٠٤.

2- The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co., London 1933, P 74

٣- الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة الانشقاق الأموي، سامي البدري، دار الفقه للطباعة والنشر، ص ٤٦-٤٩.

٤- صورة أصحاب الكساء، مصدر سابق ص ٦٨٨.

٥- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٥٧.

٦- يقول دونالسون معتمداً على ما نشره المستشرق لامنس في دائرة المعارف الإسلامية في الكتاب الرابع، الفصل ٢: «الشيعة أنفسهم يعترفون بأن الحسن كان لديه ستين زوجة والعديد من الإماء، وأن الزوجات اللواتي تزوج منهن بلغن ستين، إلى جانب إماء وزوجات مؤقتات. كما أعطيت الأرقام ثلاثمائة وتسعمائة، لكنه طلّق الكثير منهن.» ينظر: The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co., London 1933, P 74

التي أخذها على ما يبدو من راويها الحارثي في كتابه: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التّوحيد، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص ٤٠٨.

وما كره طلَّق"[1]،[2]، وهناك رأي آخر: «أن معاوية رأى في استغواء جعدة بالمال، فإن بريق المائة ألف من الأصفر الرنان يغشي البصر والبصيرة"[3]. أما "رواية السبعين والتسعين وغيرها من الروايات التي تصفه بأنه مطلاق، وأن والده كان يقول: لا تزوجوا ولدي الحسن، فإنه مطلاق، فلا مصدر لها إلا المدائني وأمثاله من الكذَبة كما يبدو من أسانيدها، والمدائني والواقدي وغيرهما من المؤرخين القدامى قد كتبوا التاريخ في ظل الحكومات التي كانت تناهض أهل البيت، وتعمل بكل ما لديها من الوسائل على تشويه واقعهم وانتقاصهم، ولم يكن حكام الدولة العباسية بأقل سوءاً وتعصباً من أسلافهم الأمويين، فقد شاركوهم في وضع الأحاديث التي تسيء إلى العلويين، وكانوا يحقدون على الحسنيين بصورة خاصة، لأن أكثر الثائرين على الظلم كانوا من أولاد الحسن وأحفاده"[4].

وأن من المصادر الشيعية تذكر صفة المِطلاق، ولكن تردّ في الهامش على هذه الرواية الواردة في بحار الأنوار والقائلة: "إنه خطب الحسن بن علي عليه السلام إلى عبد الرحمن بن الحارث بنته، فأطرق عبد الرحمن، ثم رفع رأسه، فقال: والله ما على وجه الأرض من يمشي عليها أعز علي منك، ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني، وأنت مطلاق، فأخاف أن تطلقها، وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي عليك، لأنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله فإن شرطت [أن] لا تطلقها زوجتك. فسكت الحسن عليه السلام، وقام، وخرج، فسمع منه يقول: ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقاً في عنقي"[5].

فيأتي توضيح سبب اشتهاره بالمطلاق فيما ذكره المدني في تحفة الأزهار،

١- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، ومن صغار الصحابة، الحسن بن علي بن أبي طالب، ج ٣، ص ٢٥٣، طبعة مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.
٢- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ ه)، دار إحياء التراث العربي، ج ٨، ص ٤٢
٣- موسوعة عبد الله بن عبّاس حبر الأمة وترجمان القرآن، محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، مركز الأبحاث العقائدية، ج ٥، ص ١٠٢.
٤- سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، هاشم معروف الحسني، المكتبة الحيدرية، ج ١، ص ٥٥٤.
٥- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٧١.

وأيضاً كتب هامش في بحار الأنوار تعليقاً على تلك الرواية ما يأتي: "اشتهر عنه عليه السلام أنه تزوج ثلاثمائة امرأة، والأصل في ذلك ما ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب[1] وكما نقله ابن شهر آشوب[2] فأرسله المؤرخون، إرسال المسلمات، ونقلوا ذلك في كتبهم بلا تثبت وتحقيق، مع كون الرجل ضعيف الرواية، ليس بثبت ولا ثقة والمدة بين وفاة الإمام الحسن عليه السلام (سنة ٥٠ ه) وظهور الرواية تزيد على ثلاثة قرون، وأن ما ذكره لا يصح في العقول بوجه من الوجوه:

وذلك لأن أولاده المذكورين بأسمائهم على اختلاف في عددهم (بين ١٥-٢١) إنما هم من عشرة من أزواجه عليه السلام، هو المتعارف المعتاد، فكان له عليه السلام ستة عشر ذكراً وخمس بنات، وقيل: « أَولاده ثلَاثة عشر ذكراً وَابْنَةً وَاحِدَة"[3]. فلو كان تزوج مائتين وخمسين امرأة أو ثلاث مائة امرأة، كان لا بد وأن يتولد منهن أكثر من مائتي ولد: ذكر وأنثى على الأقل بعد فرض العقم في جمع منهن.

ولا يحتمل العزل منهن؛ لأنه عليه السلام إنما كان يتزوج الشابة من النساء والأبكار رغبة في مباضعتهن، والالتذاذ من المباضعة لا يتحقق مع العزل كما لا يخفى، على أن الرجل إنما يعزل عن المرأة مخافة أن يولدها، وذلك إما لنقص في حسبها أو مخافة العيلة، أما ناقصة الحسب فلم يكن ليرغب فيها مثل الحسن السبط عليه السلام، وأما خوف العيلة فهو الذي كان يباري بجوده وفضله السحاب، وقد قال جده صلى الله عليه وآله وسلم: (تناكحوا، تناسلوا، تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط).

المدة بين زواجه سنة ١٨ ه حتّى بيعته سنة ٤٠ ه أي ٢٢ سنة، أما مدة ملازمته بيته فهي ١٠ سنوات لم يتمكن خلالها من قيامه بأي نشاط خاص من هذا

١- قوت القلوب، محمد بن أبي طالب المكي (ت ٣٨٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧، ج ٢، ص ٤١٢.
٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨)، تحقيق هاشم محمد حسين، قم، ١٣٧٩، ج٤، ص ٢٩.
٣- مناقب آل أبي طالب، المصدر السابق نفسه.

القبيل. فهل يصح القول بأنّه قد تزوج هذا العدد الهائل من النساء بين ٢٥٠-٣٠٠ خلال مدة ٢٢ سنة، أي بمعدل يتراوح بين ١١- ١٤ زوجة في كل سنة، على رغم مشاغله والمشاكل التي اعترضته ونهوضه بأمور المسلمين ومقارعة الظّالمين وصبره على الأذى.

ومماتقدم أنّه لا يصح في حكم المعقول أن يتزوج ٢٥٠-٣٠٠ امرأة لا يلد منهن إلّا عشراً. والحاصل أنه لا يصح في حكم العقل أن يتزوج ثلاثمائة امرأة، ولا يلد منهنّ إلا ستة عشر ذكراً وخمس بنات، وقيل: أَولاده ثلَاثة عشر ذكراً وَابْنَةً وَاحِدَة[١].

فالصحيح ما يظهر من كتب السير المعتبرة أنه تزوج ما بين ٢٠ إلى ٣٠ امرأة غير ما ملكت يمينه عليه السلام، وحيثما لا تكون تحته أكثر من أربعة حرائر كان عليه أن يطلق زوجة، وينكح أخرى، ولذلك اشتهر بكونه مطلاقاً، لما لم يكن يعهد ذلك من غيره، فزاد العامة من الناس على سيرتهم في سرد القضايا، فقالوا: إنه تزوج كذا وكذا من غير روية ولا دراية"[٢]،[٣]،[٤]،[٥].

وقد "وقف بعض المؤرخين من الحسن عليه السلام موقفاً يتسم بالاعتدال والتجرد، فقال المؤرخون بأن تعدد الزوجات كان شائعاً ومألوفاً بين المسلمين، ولم يكن أكثر زواجاً من غيره، وقل من مات من أعيان المسلمين عن أقل من أربع زوجات، فلقد تزوج، وطلّق حتى بلغ عدد زوجاته ومطلقاته نحواً من خمس عشرة امرأة"[٦]. ولا مانع من أن يكون تطليقه لبعض نسائه بسبب توجهاتهن، فكان لإحدى زوجاته من بني شيبان من آل همام بن مرة، فقيل له: "إنها ترى

١- مناقب آل أبي طالب، نفس المصدر السابق.
٢- تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، ضامن بن شدقم الحسيني المدني، التراث المكتوب، ج ١، ص ١٤٤.
٣- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٧٠-١٧٢.
٤- الأصول من الكافي، ج ٦، ص ٥٦.
٥- مناقب آل أبي طالب، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٩٢-١٩٣.
٦- سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٥٤.

رأي الخوارج، فطلقها، وقال: إني أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم"[1].

وبحسب التتبع لأحوال الإمام عليه السلام وانشغاله بأُمور المسلمين والحروب مع أبيه في الجمل وغيرها وكذلك مع معاوية وما عاناه من جيشه فإنّ الكثرة الّتي اتهم بها فهي بعيدة عن الواقع كلّ البُعد، ولذا اختلف الرواة في ذلك اختلافاً كثيراً، فقد روي أنه عليه السلام تزوج سبعين، وقيل: تسعين، وقيل: مائتين وخمسين، وقيل ثلاثمائة، «والمقطوع به هو تزوجه عليه السلام بباكرة واحدة، وهي جعدة، والظاهر أنّها أوّل زوجة تزوجها وتسع زوجات ثيّبات"[2].

لقد تمادى الرواة الوضّاعون بالإساءة للمجتبى عليه السلام ليس بوصفه مطلاقاً بالوصف المشين جداً وإنما تجاوز ذلك إلى أنه: "كان يميل إلى الترف والبذخ لا إلى الحكم والإدارة، ولم يكن رجل الموقف، فانزوى عن الخلافة مكتفياً بهبة سنوية، منحه إياها معاوية"[3]، وأنه "لم يكن الحسن على وفاق مع أبيه وإخوته عندما ماتت فاطمة، ولما تجاوز الشباب، وقد انفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق، فأحصي له حوالي المائة، والثلاثمائة، والتسعمائة زوجة[4]. وأنه -والعياذ بالله- "كان سيئ الخلق (غَلِق) وأنه يعطي بلسانه ما ليس في قلبه (مَلِق)، فقد روى محمد بن سيرين: أنه خطب الحسن بن علي عليه السلام إلى منظور بن ريان ابنته خولة، فقال: والله إني لأنكحك، وإني لأعلم أنك غَلِق طَلِق مَلِق غير أنك أكرم العرب بيتاً وأكرمهم نفساً، فولد منها الحسن بن الحسن"[5]. ومن المعلوم أن أغلب من بحث في السيرة، والقرآن من الغربيين بين أن

١- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٧٣.
٢- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي، دار الحديث، قم، ١٣٧٩، ج ٢، ص ٧٤٢.
٣- تاريخ العرب، فيليب حتّي، ص ٧٨، كتبه بالإنجليزية، وطبع لأول مرة في لندن سنة ١٩٣٧م.
4- The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co., London 1933, P 74.
٥- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٧١-١٧٢.

يكونوا علمانيين، ماديين، لا يؤمنون بالغيب، وبين أن يكونوا يهوداً أو نصارى، لا يؤمنون بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية، ونادراً ما تجد من كتب بإنصاف، فيصبح من المتعسر، بل من المستحيل تحقيق فهم صحيح لنسيج السيرة، ونتائجها، وأهدافها، والغاية الرئيسية التي تمحورت حولها. فاعتمدوا منهجاً خاطئاً؛ إذ غيبوا المرتكزات الغيبية من أبحاثهم في السيرة، فما زال، وسيظل الاستشراق بعيداً عنها، لأسباب كثيرة، بعضها راجع إلى طبيعة الاستشراق، وهدفه، ونشأته، وبعضها راجع «لعجز طبيعي فطري في هؤلاء الأعاجم يحول بينهم وبين امتلاك البحث في العلوم الإسلامية، وأدواته»[1]. ولذلك أساؤوا كثيرا إلى أصحاب الكساء صلوات الله عليهم، وتجاوزوا على الواقع من غير الالتفات -دائماً- إلى العنصر الغيبي في سيرة أهل البيت؛ بل من الاعتماد على الدراسة المجردة الانتقائية. عندئذ "تصبح أبحاثاً، وهي تعبث بمقدساتنا باسم العلم، وتحويلاً للسيرة لكي تكون حقلاً لتجارب العقل النقدي الغربي، ونحن يجب أن نرفض التعامل مع هذا العبث وأن نرفض حتى النظر فيه»[2].

وقد عزا أحدهم توغل المستشرقين في دراسة تراث أهل البيت إلى «الحضور السياسي للشيعة في العالم، وبالخصوص تأثيره في الشرق، ووصول آثاره للغرب، بحيث «إن البحوث الاستشراقية للفكر الذي يتبناه الشيعة قد تواترت بنحو ملحوظ في العقود الأربعة، ولا سيما ما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران»[3].

لقد عجز المستشرقون عن طرح صورة واضحة لمعتقدات الشيعة، من جهة، وعدم قدرتهم على بسط مواضيع بحوثهم بنحو لائق يتناسب مع أصول البحث العلمي المعتبرة، من جهة أخرى؛ حيث لم يراعوا الإنصاف والتجرد عن

١- الاستشراق في الميزان، عبد العظيم الديب، دار دون للنشر والتوزيع، ص ٦٧.
٢- المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٢٦ه، ص ١١.
٣- المستشرق المعاصر إيتان كوهلبرغ وحديث الإمامية، مصطفى مطهري، دار الكفيل، ٢٠١٤، ص ٩.

النزعة الفئوية، ولا سيما عند تناولهم بعض المواضيع الدينية المثيرة للجدل، وتشبيههم مذهب التشيع بسائر المذاهب والأديان دون أن يكترثوا بتعاليمه التي يكمل بعضها بعضاً، ناهيك عن تجاهلهم للكثير من المبادئ الرئيسة في هذا المذهب، واعتمادهم على فرضيات شخصية لا تمت بصلة لأسس البحث العلمي، فإن دراساتهم بنحو عام عارية من أي موقف منصف في الدفاع عن الشيعة -وهو أمر غير مطلوب منهم- بل إن منظومتهم الفكرية قد صيغت بالكامل بنحو يتضادّ مع التشيع.

يعد المستشرق البريطاني (Dwight M. Donaldson) دوايت دونالدسون[1] من أوائل المستشرقين الذين كتبوا عن الإمام الحسن عليه السلام في كتابه عقيدة الشيعة[2] (the Shi'ite Religion) في الباب السادس منه. «فقدّم سرداً تاريخياً بأحداث عصره، وسيرته وملابساتها، وقد وقع في أخطاء جسيمة ونسب لشخصه الكريم مجموعة من الأباطيل والأكاذيب، وكلها تتعارض مع سموّ أخلاقه عليه السلام»[3]؛[4].

١- (١٨٨٤-١٩٧٦) كان باحثًا إسلاميًا ومستشرقًا أمريكيًا، كتب عن تاريخ الشيعة في بلاد فارس والعراق. أمضى ١٦ عامًا مبشراً بريسبيتارياً في مشهد، إيران، حتى تم طرده في عام ١٩٤٠. وكان مديرًا رئيسيًا لكلية هنري مارتين للدراسات الإسلامية في أليغاره بالهند. وكتب كتاباً بعنوان عقيدة الشيعة، ويعد من الدراسات الاستشراقية المبكرة الشاملة لحياة وسيرة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، ودراسة في الجغرافية التاريخية لمزاراتهم في النصف الأول من القرن العشرين. وقد تطرق في الفصول الأخيرة من كتابه لتاريخ التشيع في القرن الرابع الهجري، وبالتحديد درس الدولة البويهية، ثم ذكر بدايات جمع الحديث عند الشيعة، وتطرق بنحو سريع لتاريخ العلوم الدينية، والاجتهاد عند الشيعة الإمامية من سقوط الدولة البويهية حتى العصر الصفوي، ومن بعده تكلم عن بعض عقائد الشيعة الإمامية مثل العصمة، والشفاعة، ومن ثم تكلم عن بعض الفرق التي تنتسب للتشيع، وخص منها الإسماعيلية، والبابية، والبهائية.

٢- عقيدة الشيعة، دوايت م. دونالدسون، تعريب: ع. م.، مؤسسة المفيد، ط ٢، بيروت، ١٩٩٠.

٣- دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط عليه السلام دونالدسن نموذجاً، علي زهير هاشم الصراف، مجلة دراسات استشراقية، العدد ٧، السنة الثالثة، ١٤٣٧ ه، ص ٧٣.

4- The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co., London 1933, P 60.

بينما استفاد (هنري لامنس Henri Lammens)[١] من الروايات التي وضعت إثر التقاء المصالح الأموية- اليهودية. وهنري لامنس هذا "يميل إلى جانب معاوية ممجداً له وللأمويين قبال موقفه المعادي للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته من أصحاب الكساء»[٢]. إذ غدت بلاد الشام موطناً آمنا لرجالات اليهود والنصارى الذين فقدوا رجالاتهم بسيف أمير المؤمنين عليه السلام، الذين وضعوا كثيراً من الروايات التي تحط من قدر النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، وترفع من مقام معاوية والأمويين[٣].

ولم يقف كتّاب التاريخ عند هذا الحد، بل إن هناك محاولات عدة عمدت إلى تضييع اسم جعدة من مسرح الاتهام تماماً، فقال أبو الفرج: "ومات [الحسن عليه السلام] شهيداً مسموماً، ودس معاوية إليه حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده وإلى سعد بن ابي وقاص سماً فماتا منه في أيام متقاربة. وكان الذي تولّى ذلك من الحسن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية. وقيل: اسمها سكينة، وقيل: شعثاء، وقيل: عائشة: والصحيح في ذلك جعدة"[٤]. علما أنه ليس من بين الأسماء المذكورة في الرواية زوجة للحسن عليه السلام غير جعدة[٥].

١- راهب يسوعي بلجيكي ١٨٦٢-١٩٣٧. وإن كتابات القس هنري لامنس حول التاريخ الإسلامي تدل بوضوح على عدم سلامة نواياه، وعلى عدم منطقية وعلمية منهجه في الكتابة. والذى يلفت النظر أن هذا المستشرق هو أحد الذين ساهموا في تدوين دائرة المعارف الإسلامية، وأن آراءه تلقى رواجاً في أوساط الباحثين في التاريخ الإسلامي؛ انظر: تاريخ اسلام در آينه پژوهش، موسسه آموزشي - پژوهشي امام خميني(ره)، قم، ٢٠٠٨، ج ٦، ص ٩.

٢- صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس أنموذجاً، شهيد كريم محمد الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٥ ص ١٣.

٣- منهجية المستشرقين في إحياء المرويات التي نسجها الأمويون والعباسيون وإعادة إنتاجها: تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام مثالاً، الدكتور أحمد الصفار، البحوث المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي السنوي السادس والسابع لفكر الإمام الحسن المجتبى، ٢٠٢٠، ج٢، ص٣٨٧.

٤- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، ط٢، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ١٩٦٥ م. ج ١، ص ٣١.

٥- ذكر المدائني: كان الحسن عليه السلام كثير التزويج: تزوج خولة بنت منظور بن زياد الفزارية، فولدت له الحسن بن الحسن، وأم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، فولدت له ابناً سماه طلحة، وأم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري، فولدت له زيداً، وجعدة بنت الأشعث، وهي التي سمته، وهندا بنت سهيل بن عمرو وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر، وامرأة من كلب، وامرأة من بنات عمرو ابن الأهتم

واعتبر ابن خلدون أن مجمل قضية التسميم هي ما ينقل عن الشيعة عامداً إلى إنكارها لما هو معروف عن مواقفه السلبية من الشيعة والتشيع، فيقول: «وما ينقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك»[1] وإذا كان يريد بقوله هذا تبرئة معاوية من هذا الفعل الشنيع فمن الذي دفع جعدة لتسميم الإمام إذن والأخبار الكثيرة تذكر ذلك حتى أنه سجد فرحاً لموت الحسن عليه السلام؟ ويضيف ابن خلدون من دون الإشارة إلى سبب موته بأنه هلك، فيقول: «فلم يزل مقيماً بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع وأربعين، [ولكي يؤكد افتراضه هذا استشهد بما ذهب إليه أبو الفرج الأصبهاني، فيقول:] وعلى فراشه بالمدينة»[2] من غير ذكر الجاني أو سبب الوفاة. حتى أن في بعض الأخبار ما يتجاهل تماماً الجاني، ويتمثل ذلك في نقل إحجام الحسن عليه السلام عن إخبار أخيه الحسين عليه السلام عمن سمّه، فيقول: "قال الحسين: من سقاك يا أَخي؟ قال: ما سؤالك عن هذا؟ أَ تريد أَن تقاتلهم، أَكِلُهُمْ إِلى اللَّه. فلما مات ورد البريد بموته على معاوية، فقال: يا عجبًا من الحسن، شرب شربة من عسل بماء رومة. فقضى نحبه"[3]،[4].

استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بسقاية هند ابنة سهيل بن عمرة

قال الهيثم بن عدي: دس معاوية إلى هند ابنة سهيل بن عمرو[5] امرأة الحسن

المنقري، وامرأة من ثقيف، فولدت له عمر، وامرأة من بنات علقمة بن زرارة، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة، فقيل له: إنها ترى رأي الخوارج، فطلقها ، وقال: إني أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم، انظر: بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٧٣ .

١- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (ت ٨٠٨)، ١٩٧١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج ٣، ص ١٨٧.

٢- المصدر السابق نفسه.

٣- الاستيعاب في معرفه الأصحاب، ابن عبد البر، ج١، ص ٣٩٠.

٤- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي [ابن عساكر] (ت ٥٧١)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١٣، ص ٢٨٣.

٥- روى أبو الحسن المدائني. قال: تزوج الحسن عليه السلام هندا بنت سهيل بن عمرو، وكانت عند عبد الله بن عامر بن كريز، فطلقها، فكتب معاوية إلى أبي هريرة، أن يخطبها على يزيد بن معاوية، قال الحسن عليه السلام فاذكرني لها، فأتاها أبو هريرة فأخبرها الخبر، فقالت: اختر لي؟ فقال: أختار لك الحسن، فزوجته.

مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها، ففعلت. وقد تكون هي الرواية الوحيدة التي جاءت عن طريق المدائني. ويقول الخرسان في موسوعته: «وهذه الرواية لم أقف عليها عند غير البلاذري، إلاّ أنّ ابن أبي الحديد ذكر عن المدائني خبراً يوحي من طرف خفي بحال تلك المرأة، ويقصد هنداً بنت سهيل بن عمرو، وكانت عند عبد الله بن عامر كريز فطلّقها»[1].

استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بسقاية خادمه إياه السم

يروي الواقدي قائلاً: "سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلطّف لبعض خدمه أن يسقيه سماً"[2]. وينقل عنه المستشرق دونالدسن (DWIGHT M. DONALDSON) في أن من سبب في تسميم الحسن عليه السلام هو خادمه، فيقول: «فتذكر القصة أنهم اتفقوا مع خادم له يحمل طعامه، أن يسمم له الطعام"[3]، ويقول آخر نقلًا عن دونالدسون أيضاً بأن «وصل الكتاب والسمّ المرسل إلى خادم الحسن، إلى يد الحسن نفسه"[4]، وكما ترى تدور الرواية شرقاً وغرباً، ومصدرها هو واحد، وهو الواقدي. وفي خبر يقول فيه الإمام الحسن عليه السلام عن خادمه، واسمه إسماعيل: «إسماعيل خدمنا، وختمها بذهابه إلى النار"[5] بعدما أعطاه يوماً بطّيخاً قد أعدّه للأكل بسكّين مسموم، وأطعم منه الإمام الحسن عليه السلام.

انظر: بحار الأنوار، المجلسي، (ت ١١١١ هـ) دار الإحياء، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٤٤، ص ١٧٣؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢١.

١- موسوعة ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، النجف الأشرف، ٢٠٠٠، ج٥، ص ١٠٣.

٢- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥، ج ٣، ص ٢٧٤.

٣- شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، حافظ، قم، ج ٣٣، ص ٥٦٠، نقلا عن: عقيدة الشيعة، دوايت دونالدسن، تعريب ع. م، ص ٩١، مؤسسة المفيد، بيروت.

٤- شرح إحقاق الحق، مصدر سابق، ج ٣٣، ص ٥٦١.

٥- كامل البهائي، الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبري المشهور بعماد الدين الطبري، (من علماء القرن السابع الهجري)، تعريب محمد شعاع فاخر، المكتبة الحيدرية، ج ٢، ص ٣٣٣.

استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بسقاية جعدة بنت الأشعث إياه السم بدسيسة يزيد ومنهم من رأى ذلك بتدسيس من يزيد[1]. وهناك كثير من المصادر التي تذكر تورّط يزيد بالقتل منها ما قاله ابن معاوية: « كانت جعدة بنت الأشعث بن قيس تحت الحسن بن علي، فدس إليها يزيد[2] صلى الله عليه وآله[3] صلى الله عليه وآله[4]،[5]: أن سمّي حسناً إنني زوجك، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إليه جعدة تسأل يزيد الوفاء بما وعدها فقال: إنا والله لم نرضك للحسن، فنرضاك لأنفسنا؟»[6]،[7]،[8]

استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بسقاية جعدة بنت الأشعث إياه السم بدسيسة معاوية من ترجمة الإمام الحسن من المعجم الكبير، قال الطبراني: "إن سعداً والحسن بن علي ماتا في زمن معاوية، فيروون أنه سمه"[9]،[10]،[11]، ويروي الخبر نفسه كثير من أرباب السير[12]،[13]،[14]. ولا نغفل أن لمعاوية ممارسات مماثلة سابقة، ولاحقة مع خصومه، ومن سوابق معاوية في هذا المجال أن دسّ السمّ لمالك الأشتر لما بعثه علي إلى مصر والياً، ودسّ السمّ إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لما عرف أن الناس يميلون إليه دون ولده يزيد، ودسّ السمّ

١- من حياة معاوية بن أبي سفيان، عبد الحسين الأميني، ج ١، ص ٢٥٥.
٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، ج ٦، ص ٢٥٢.
٣- ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٧.
٤- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب، ابن الدمشقي، ج ٢، ص ٢٠٧.
٥- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ ه)، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، ج ١٣، ص ٢٨٤.
٦- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٨٤.
٧- جواهر المطالب، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٠٩.
٨- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٢، ج ١١، ص ٢٠٨.
٩- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد، ح ٢٦٩٤، ج ٣، ص ٧١
١٠- مقاتل الطالبيين، عصر بني أمية، الأصبهاني، ج ١، ص ٦٠.
١١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٩.
١٢- درر السمط في خبر السبط، ابن الأبار الأندلسي، ج ١، ص ٩٠.
١٣- تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج ٦، ص ٢٥٢.
١٤- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ابن عساكر، ج ١٣، ص ٢٨٤.

لسعد بن أبي وقاص لما عرف عنه أنه لا يقبل بلعن علي عليه السلام.

ويذكر التستري "أن مروان أغرى إحدى زوجات الحسن بسمه، وأقنعها أن يزيد ابن الخليفة يرغب تزوجها، ولا يتمكن من ذلك ما دام الحسن حياً. فاتفقت معه على سمه. فوضعت له السم في المرة الأولى بالعسل، وأطعمته إياه، فمرض مرضاً شديداً، وأدرك ما جرى، فذهب إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصلّى، واحتك بحجر القبر، وذهب عنه الألم شيئاً فشيئاً، ويعتبر أنه شفي بمعجزة."[1].

تاريخ وفاته

وكما كان الاختلاف فيمن سمّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فهناك اختلاف واضح في سنة استشهاده عليه السلام، فقد استحدثت تواريخ عديدة فهناك على الأقل عشرة تواريخ محتملة لسنة وفاته عليه السلام فاختلفوا في تواريخ لاستشهاده، وكذلك اختلفوا في مدة عمره الشريف عند وفاته. ولا نستغرب مما نشاهده في اختلاف المؤرخين واضطرابهم في تاريخ ولادات ووفيات الأئمة الأطهار. وهذا هو شأن الحوادث التاريخية لتقادم العهد بها وعدم وجود من يضبطها، ولكن المتعارف هو أن هنالك قرائن تدعم الدعوى، فيعتمد عليها المؤرخ، ولذا نجد اختلافهم في شهادة الإمام الحسن عليه السلام فقيل: توفي سنة ٤٤ هـ[2]. وقيل توفّي الحسن بالمدينة سنة ٤٩ هـ[3]،[4]، وقال آخرون: مات سنة [5]٥٠، وقيل سنة

١- إحقاق الحق وإزهاق الباطل، القاضي نور الله المرعشي التستري، قم، ١٤٠٩، ج ٣٣، ص ٥٤٣.
٢- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ج٢، ص ٦٥.
٣- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير (٥٥٥-٦٣٠ ه)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥ ه، ج٣، ص ٤٦٠.
٤- التنبيه والإشراف، علي بن الحسين المسعودي، ج١، ص ٢٦٠.
٥- مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ج١، ص ٨٠.

[1] ٥١ أو [2] ٥٨، [3]، وقيل إن وفاة الإمام الحسن في "العام ٥٩ ه، وأقوال أخر بوفاة الإمام عليه السلام في العام ٥٨ و٥٧ و٥٦ ه»[4]، وقيل في "٥٠ في ربيع الأوّل، وقيل: ٥١، وهو يومئذ ابن سبع وأربعين سنة»[5]، وقيل: مات، وهو ابن ٤٨ سنة، وقيل ابن ٤٦ سنة[6]، والمشهور أنه مات سنة ٤٩، والاختلاف بيّن حتى في الكتب الشيعية، ويذكر الحلي[7] اختلاف هذه المصادر بتحديد تاريخ وفاته عليه السلام، فيقول: «في الإرشاد[8]، والمصباح: في صفر سنة خمسين من الهجرة، وله يومئذ ثمان وأربعون سنة، وفي الكافي[9] أنه عليه السلام مضى في شهر صفر في آخره من سنة تسع وأربعين، ومضى، وهو ابن سبع وأربعين سنة وأشهر، وكذا في كتاب الدر، وقيل: يوم الخميس من ربيع الأول سنة إحدى وخمسين، ومن كتاب الاستيعاب[10]، يقول: اختلف في وقت وفاته، فقيل: مات سنة تسع وأربعين، وقيل: في ربيع الأول سنة خمسين بعد ما مضى من خلافة معاوية عشر سنين، وقيل: بل مات سنة إحدى وخمسين، ودفن بدار أبيه ببقيع الغرقد"[11].

والأغلب أنه كان "للحسن يوم توفي سبع وأربعون سنة وأشهر"[12]، وهناك

١- تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ج١، ص ١٤٧.
٢- شرح إحقاق الحق، مصدر سابق، ج ٣٣، ص ٥٥٣.
٣- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ ه)، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٢، ج٨، ص ٢١٣.
٤- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٤٥.
٥- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري شيخ الحرم المكي (ت ٦٩٤ه)، ج٢، ص ١٢٩.
٦- مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص ٨٣.
٧- العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، رضي الدين علي بن يوسف المطهر الحلي، (من أعلام القرن الثامن)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، ١٤٠٨، ط ١، ص ٣٥٠-٣٥١.
٨- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت ٤١٣ه)، دار المفيد للطباعة، ج ٢، ص ١٥.
٩- الأصول من الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩ ه)، دار الكتب الاسلامية، طهران، ج ١، ص ٤٦١.
١٠- الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج١، ص ٣٨٩.
١١- بحار الأنوار، المجلسي، (ت ١١١١ هـ) دار الإحياء، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٤٤، ص ١٤٩.
١٢- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى جابر البلاذري، من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق محمد باقر

اختلاف بشهر الوفاة أيضاً، قال الواقدي: "توفي الحسن في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين، وهو ابن سبع وأربعين سنة»[1]، وقيل غير ذلك، من أن وفاته عليه السلام كانت بالمدينة "يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر، وقيل في السابع منه، وقيل لخمس بقين من ربيع الأول، وفي رواية الحاكم لخمس خلون منه سنة خمسين من الهجرة أو خمس وأربعين أو تسع وأربعين، أو إحدى وخمسين، أو أربع وأربعين، أو سبع وأربعين، أو ثمان وخمسين، وله سبع وأربعون سنة، أو ست وأربعون وأربعة أشهر وثلاثة عشرة يوماً، وقيل غير ذلك"[2].

ويذهب أحد الباحثين إلى أن سبب الاختلاف في تاريخ استشهاد الحسن عليه السلام فيه مصلحة للسياسيين فيقول: "إن التشكيك بعمر الإمام الحسن عليه السلام كان مشروعاً سياسياً بحتاً، ربما لم يلتفت إليه كثير من الباحثين. ومحاولة السياسيين خلط الأوراق، والتشويش على ذهنية المتلقي كانت لدفعهم إلى استحداث تواريخ عديدة لتضيع معها الحقيقة، فيهون أمر الإمام الحسن عليه السلام على الناس، فلماذا تختلف الأمة فيما بعد بهذا النحو الغريب لو لم يكن هناك مصلحة سياسية؟ وأن السياسيين هم الذين أرادوا طمس التاريخ الحقيقي من تعارض التواريخ التي وضعوها بأنفسهم"[3]، ولم يسلم مؤرخو الشيعة من هذا الارتباك في زحمة هذه التواريخ، ويبدو أنه نتيجة الصخب الذي أحدثه الرواة في رواياتهم الغريبة أحياناً. وكما أسلفت فهذا هو شأن الحوادث التاريخية لتقادم العهد بها وعدم وجود من يضبطها، ولا يغيب عن أذهاننا أن المؤرخين السنة ابتدأوا بكتابة التاريخ من الواقدي (ت ٢٠٧) حتى النسائي (ت ٣٠٣) فيكونون قد سبقوا المؤرخون الشيعة لمائة عام وذلك ابتداء من الصدوق (ت ٣١٢) وأبي القاسم الطبري الشيعي (ت ٣٣٤)، ولعله كثر في القرن الأول الأحاديث الموضوعة،

المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج ٣، ص ٦٦.

١- المصدر السابق نفسه.

٢- أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٧٧.

٣- الحسن بن علي عليه السلام، الإمامة المنسية، ج١-٢، صالح الطائي، دار الكفيل، كربلاء، ص ٢٥٧.

فكان هناك رصيد ضخم من الأخبار المشوهة والتي كانت مادة غنية لكتاب السير والتاريخ مثل ابن هشام وابن سعد في تشويه سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام إرضاء وتزلفاً للحاكم العباسي، والتي هي بحد ذاتها امتداد لكراهية الأمويين لأهل البيت عليهم السلام، وأيضاً فإن العصبية والعداوة تحول بين المرء وشعوره، فلا يعود يدري الراوي ما يقول.

وامتد التشكيك حتى في مسألة تسميم الإمام الحسن عليه السلام، حيث اتفق الرواة مع السياسيين وعلى رأسهم معاوية كما جاء في رواية البلاذري أنه: "قدِم معاوية مكة فلقيه ابن عباس. فقال له معاوية: عجباً للحسن شرب عسلة طائفية بماء رومة[1]، فمات منها!"[2]. أقول: إن المستشرقين قد اتفقوا مع النهج الأموي والعباسي في نسج قصة موته بغير السم لمرض ما كما أسلفنا سابقاً إمعاناً في تغييب الحقيقة وإبعاد التهمة بالأساس عن معاوية.

عدد مرات تسميم الحسن عليه السلام:

هناك اختلاف كبير في عدد المرات التي سمّ الإمام الحسن عليه السلام فيها، فكانت ثلاثاً، وأربعاً، وسبعين، ومراراً، ولم يحدد العدد فيها. وقد ذكر آل ياسين[3] في كتابه عدة نصوص حول عدد مرات تسميم الحسن عليه السلام، جمعها من كتب التاريخ قائلاً: "إن النصوص على اغتيال معاوية الحسن بالسم متضافرة كأوضح قضية في التاريخ، وقال ابن سعد في طبقاته: «سمّه معاوية مراراً»؛ وقال المدائني: «سقي الحسن السمّ أربع مرات»؛ وقال الحاكم في مستدركه: «إن الحسن بن علي سمّ مراراً، كل ذلك يسلم حتى كانت المرة الأخيرة التي مات فيها، فإنه

١ – عين يقال لها رومة؛ «بئر رُوْمَة: وهي في عقيق المدينة، وفيها بئر رومة" انظر: معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٧٩، ج ٣، ص ٢٩٩.

٢ – أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى جابر البلاذري، من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج ٣، ص ٦٢.

٣ – صلح الحسن، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٦٨.

رمى كبده»؛ وقال اليعقوبي: «ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أخي إن هذه آخر ثلاث مرات سقيت فيها السمّ، ولم أسقه مثل مرتي هذه، وأنا ميت من يومي»؛ وقال ابن عبد البر: «دخل الحسين على الحسن، فقال: يا أخي إني سقيت السمّ ثلاث مرات، ولم أُسق مثل هذه المرة. إني لأضع كبدي»؛ ويقال: إنّه سمّ أربع دفعات، فمات في آخرهن»[1]؛ ولعل هناك رواية تذكر عددا يصل إلى السبعين مرة، فقال الطبري في دلائل الإمامة: «وكان سبب وفاته أن معاوية سمّه سبعين مرة، فلم يعمل فيه السم»[2]، ولا أستغرب ذلك لكثرة محاولات تسميمه عليه السلام، وتضارب الأخبار فيها يعود للعامل الزمني بين الحوادث، ولتكرر ذكر شخص الإمام الحسن عليه السلام في هذه الحوادث بتكرر عمليات اغتياله عليه السلام وتسميمه جعل الفصل بين الروايات صعباً لكثرتها وتعددها. ومنها بالإضافة إلى ما ذكرناه وسنذكره محاولة اغتياله من قبل "سنان بن الجراح الأسدي إلى مظلم ساباط، فأقام به، فلما دنا منه تقدم إليه يكلمه، وطعنه في فخذه بالمعول طعنة، كادت تصل إلى العظم، فغشي عليه...، وأفاق الحسن عليه السلام من غشيته، فعصبوا جرحه، وقد نزف، وضعف، فقدموا به المدائن، وعليها سعد بن مسعود، عم المختار بن أبي عبيد، وأقام بالمدائن حتى برأ من جرحه"[3].

١- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى جابر البلاذري، من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج ٣، ص ٥٥.
٢- دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير، (من أعلام القرن الخامس الهجري)، مؤسسة البعثة، قم، ج ١، ص ١٦٠.
٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٦..

جغرافية السمّ

في الحقيقة لا يوجد نقاش كثير حول مصدر السمّ، إلا أنه ذكر في رواية أنه جاء من الطائف[1]، وهناك مصدر آخر، وهو ما جاء استنتاجاً من الخبر عن الإمام الحسن عليه السلام الذي يقول فيه: إن السمّ جاء من ملك الروم وسنتعرض لهذا الخبر فيما بعد، فيقول الحسن عليه السلام: "ولقد رقي إليّ أنه كتب (أي معاوية) إلى ملك الروم يسأله أن يوجه إليه من السمّ القتال شربة، .... ووجه إليه بهدايا وألطاف، فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دس بها فسُقيتها. واشترط عليه في ذلك شروطاً"[2]، ويستنتج الباحث أن مصدر هذا السمّ هو بيزنطة، وهناك دراسة قيمة حول هذا الموضوع[3]، ولماذا كانت بيزنطة؟ التي هي اليوم غرب تركيا، والقريبة من الشام.

مادة السمّ

هناك كلام حول طبيعة مادة السم المستخدمة لقتل الإمام المجتبى عليه السلام. فهناك من يقول بأنه أتي به من الطائف، ولا يعرف ما هو؟ بل تحدد بالعسل فقط، وكأن ذلك غير ممكن الحدوث وعبّر عنه معاوية باستغرابه، وهذا ما ذكره البلاذري: "قدِم معاوية مكة، فلقيه ابن عباس. فقال له معاوية: عجباً للحسن

١ – أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى جابر البلاذري، من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج ٣، ص ٦٢.
٢ – بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٤٧.
3- A forensic hypothesis for the mystery of al-Hasan's death in the 7th century: Mercury(I) chloride intoxication, Nicole Burke, Mitchell Golas,1 Cyrus L. Raafat, and Aliyar Mousavi, Med Sci Law. 2016 Jul; 171–167 :(3)56.

شرب عسلة طائفية بماء رومة[١]، فمات منها!"[٢]. ومنهم[٣] من ينقل عن المستشرق الدكتور دوايت دونالدسن القصة بكاملها، نوردها ليتسنى لنا فهم الأعراض المرافقة للتسميم، والتعرّف على مادة السمّ حسب روايته، فيسرد القصة، وخلالها يذكر سموماً مختلفة نتوقف عندها، ويقول دونالدسون: "الخبر عن وفاة الحسن، وكذلك الخبر الذي تأخذ به الشيعة هو: أنه مات مسموماً بعد عدة محاولات غير ناجحة لسمّه"[٤].

سم السقنقور

ويستمر دونالدسون: فتذكر القصة أنهم اتفقوا مع خادم له يحمل طعامه، أن يدسّ السمّ في طعامه، فكتب إليهم أنه فعل ذلك ثلاثاً فلم يحدث شيء. فأرسلوا رسولاً بكتاب إلى الخادم، ومعه زجاجة بها سمّ قتّال، من سائل يفرزه السقنقور[٥]، وقيل: «إنّ نصيبه من السّم نصيب متوسّط، لا يكمل أن يقتل، ومتى دبّر جاء منه سمّ قاتل»[٦]، ويصف كامل البهائي حالة الحسن عليه السلام الصحية عند تسممه بوصف (غير لائق) بأن أعصابه قد اضطربت، فيوحي بأن الحسن عليه السلام هو بهيأة ما أفقدته توازنه، وغيّبت رشده ووعيه، وحاشا أهل البيت عليهم السلام ذلك بقوله: "لكن الرسول كان جائعاً، فنزل في مرحلة ليأكل، فلما أكل أصابه

١- عين يقال لها رومة؛ «بئر رُوْمَة: وهي في عقيق المدينة، وفيها بئر رومة" انظر: معجم البلدان للشيخ الامام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٧٩، ج ٣، ص ٢٩٩.
٢- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى جابر البلاذري، من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج ٣، ص ٦٢.
٣- شرح إحقاق الحق، مصدر سابق، ج ٣٣، ص ٥٦١.
٤- إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، ج ٣٣، ص ٥٤٢، عن: عقيدة الشيعة، دوايت دونالدسن، تعريب: ع، م، مؤسسة المفيد، بيروت ص ٩١.
٥- السقنقور هو (Sandfish) سمك الرمال، تنتمي إلى مجموعة الزواحف رغم امتلاكها أربعة قوائم، وهي تشبه إلى حد كبير الورل؛ إلا أنها أصغر حجماً منه بكثير، تختبئ في الرمال عن طريق الغطس، شأنها شأن السمكة في البحر، ولذلك سميت سمكة الرمال.
٦- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ج ١٠، ص ١٥٥.

مغص شديد. لقد وضعت (جعدة) للحسن عليه السلام السمّ في المرة الأولى بالعسل، وأطعمته إياه، فمرض مرضاً شديداً، وحاولت مرة أخرى تسميمه، ووضعت السم في تمر، وأخذ الحسن سبع تمرات مسمومات، فشعر بمرض شديد، وبعد هذه الحوادث اضطربت أعصاب الحسن، فقال لأصحابه: إن صحته منذ سنوات عديدة لم تكن على ما يرام في المدينة، وقد قرر الذهاب إلى الموصل، وكان أحد أسباب ذلك رغبته في الابتعاد عن زوجته التي كان يخافها (!!)، وكان في الموصل رجل أعمى يكره الحسن عليه السلام فسمّم رأس عكازته، وجاءه يوماً يطلب صدقة، وكان الحسن جالساً متربعاً، وإحدى رجليه على الأرض، ووضع الأعمى رأس عصاه على رجل الحسن، وداسها بثقله، وأعلن الأطباء أن العصا كانت مسمومة، وسقوه بعض الأدوية، فشفي[1]،[2]. فكيف يكون ذلك؟ وهو يتعارض مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي رواه الحسن عليه السلام بقوله: "سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لا يفارق العقل منّا أهل البيت ما دام الروح فينا"[3] وهذا بوضوح يتنافى مع ما وصفه البهائي بقوله: اضطربت أعصاب الحسن (!!) لربما كان يشير إلى ضعفه عليه السلام وعدم قدرته على تناول الأشياء لضعف بدنه، والله العالم.

المحاولة الأخرى: أغرى معاوية واحداً من أهل التصوّف أعمى في الموصل، وأعطاه مالاً من الدنانير، وأعطاه عصى فيها زجّ مسموم[4]، فجاء الإمام الحسن، وأظهر محبّته، وكان لا يفارق الإمام عليه السلام، وعزم يوماً على زيارة الإمام الحسن كما هي عادة المتصوّفة حيث يقبّلون يد الشيخ، فتقدّم إلى الإمام بحجّة تقبيل يده، فوقع الزجّ على قدمه[5]، واتكأ عليه بكلّ قوّته[6]، فأراد الناس قتل الصوفيّ،

١- كامل البهائي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٣٢.
٢- إحقاق الحق، المرعشي، مصدر سابق، ج ٣٣، ص ٥٤٣.
٣- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٦٠.
٤- عصى ذات زج، أي حديدة في أسلفها، يتوكأ عليها.
٥- كامل البهائي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٣٢
٦- مثل هذه القصة تتكرر بالتمام في اغتيال عبد الله بن عمر، فتقول الرواية: «وكان سبب وفاته أن

ومنعهم الحسن عليه السلام، والأخرى حينما خرج عليه السلام من الموصل متجهاً الى دمشق، فأمر عبد اللّه[1] بضرب عنقه في الطريق[2].

الماس المسحوق

ما زلنا نسرد ما ذكره المستشرق دونالدسون، فيقول: ولم يجد الحسن الراحة التي كان ينشدها في الموصل، فعاد إلى المدينة، وسكن بعيداً عن زوجته التي شك فيها، واتخذ الحيطة في مأكله ومشربه، ولكن أسماء[3] جاءت ليلاً، ومعها سم من الماس المسحوق[4]. وكان إلى جانب الحسن إناء فيه ماء للشرب، ففكرت في تسميم الماء، ولكن فوهة الإناء كانت مشدودة بقطعة من القماش مختومة. غير أن القماش كان ناقعاً، فرشّت السمّ عليه، فامتصه، فتسمّم الماء، ولما أمر الحسن ابنته (انتبه! التركيز على القاتل الفعلي بأنها ليست جعدة وإنما ابنته !!) أن تسقيه ماء، ففعلت، فأصابه مرض شديد حتى قذف

الحجاج أمر رجلاً، فوضع زج رمح مسموم على قدمه في الزحام، فمات سنة ٧٣ه»؛ انظر: معالم المدرستين، مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج١، ص ١٤٨. وكذلك في محاولة اغتيال الشاعر دعبل الخزاعي، فيقول الخبر: إنه «سارع مالك بن طوق، فبعث رجلاً حصيفاً مقداماً، وأعطاه سماً، وأمره باغتيال دعبل،... فضربه على ظهر قدمه بعكا له زج مسموم، فتسمم بدنه، ومات في غده"، انظر: دعبل الخزاعي (٢٤٦ ه)، وشعره في الغدير، عبد الحسين الأميني، ج١، ص ٣٧.

١- عبد الله بن عباس، وقيل قثم بن عباس.

٢- كامل البهائي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٣٢.

٣- هي جعدة بنت الأشعث بن قيس.

٤- يبدو أن الشائع، والمتداول بين الناس آنذاك أن هذه المادة قاتلة، فمما قيل: إن «من خواصه أن الإنسان إذا ابتلع منه قطعة ولو كانت أصغر ما يكون حرقت أمعاءه، فقتلته على الفور». أنظر: مطالع البدور ومنازل السرور، علي بن عبد الله الغزولي البهائي الدمشقي (ت ٨١٥هـ)، ج١، ص ٢٢٤. ويؤكد هذا الكلام ما جاء في مصدر حديث أن غبار الماس «ربما السم الأكثر فظاعة في الوجود»، انظر: The Poisoner's Handbook, Maxwell Hutchkinson, Loompanics Unlimited, Port Townsend, WA, ١٩٨٨؛ بينما هناك مصدر آخر لا يعد هذا المسحوق ذو سمية قاتلة؛ انظر: APC Insight into Textbook of Forensic Medicine and Toxicology, Avichal Publishing Company, Anil Aggrawal,ch.34؛

بأحشائه. وعلى كل حال فإن هذا الوصف التصويري يذكر بأنه قذف بكبده قطعة قطعة حتى بلغت مائة وسبعين قطعة.

وتروى القصة ذاتها مع إضافات أخرى في مكان آخر[1] جاء في آخرها:

"فقال ذات يوم: الهواء هنا لا يطاق، وينبغي عليّ أن أذهب إلى الموصل. وكتب مروان إلى معاوية أنّ الحسن سمّ مرّات، فما أثّر السمّ فيه، فلا تغفل عنه، فاستدعى معاوية واحداً من أهل التصوّف أعمى، وأعطاه مالاً عدداً من الدنانير، وأعطاه عصى فيها زجّ مسموم، فجاء الإمام الحسن وأظهر محبّته، وكان لا يفارق الإمام عليه السلام، وعزم يوماً على زيارة الإمام الحسن كما هي عادة المتصوّفة حيث يقبّلون يد الشيخ، فتقدّم إلى الإمام بحجّة تقبيل يده، فوقع الزجّ على قدمه، واتكأ عليه بكلّ قوّته[2]، فأراد الناس قتل الصوفيّ، ومنعهم الحسن عليه السلام، فخرج من هناك، وركب إلى دمشق، فأمر عبد اللّه[3] بضرب عنقه في الطريق.

وأعاد معاوية الكرّة، "فأرسل السمّ ثانية إلى مروان مع مسحوق من الماس، فبعث مروان به، وبالسمّ إلى جعدة مع هدايا، وعهود، ومواثيق جديدة، فأصلحت جعدة من نفسها، وأقبلت إلى الإمام الحسن عليه السلام، وقالت في نفسها: إن بصر بي أحد فأنا ذاهبة إلى زوجي، وإلّا فسوف أعمل ما أريد، ووضعت اللعينة سلّماً، وارتقت إلى سطح الدار، فرأت القوم نياماً، ورأت الكوز الذي يشرب منه

١- كامل البهائي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٣١-٣٣٤.

٢- مثل هذه القصة تتكرر بالتمام في اغتيال عبد الله بن عمر، فتقول الرواية: «وكان سبب وفاته أن الحجاج أمر رجلاً، فوضع زج رمح مسموم على قدمه في الزحام، فمات سنة ٧٣ه»؛ انظر: معالم المدرستين، مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج١، ص ١٤٨. وكذلك في محاولة اغتيال الشاعر دعبل الخزاعي، فيقول الخبر أنه «سارع مالك بن طوق، فبعث رجلاً حصيفاً مقداماً، وأعطاه سماً، وأمره باغتيال دعبل،... فضربه على ظهر قدمه بعكاز له زج مسموم، فتسمم بدنه، ومات في غده"، انظر: دعبل الخزاعي (٢٤٦ ه)، وشعره في الغدير، عبد الحسين الأميني، ج١، ص ٣٧.

٣- عبد الله بن عباس، وقيل قثم بن عباس.

الحسن مغطّى، فوضعت مسحوق الماس في الكوز، ومسحت يدها به، ونزلت من أعلى الدار، وخبأت السلّم، ولمّا استيقظ الإمام وجد الكوز على حاله، وكان محتاطا من غدر جعدة، ولمّا شرب جرعات من الماء عاوده الألم بأكثر ممّا كان،... ولمّا انفلق عمود الصبح ترك الوجود الفاني إلى الوجود الباقي، وفارق الدنيا إلى الرفيق الأعلى"[١]. ويؤكد المسعودي رواية مقتل الإمام الحسن عليه السلام بأن أمر معاوية جعدة وأن سبب وفاته لأكله الماس[٢]

برادة الذهب

تصف إحدى الروايات أن السم الذي أعطته جعدة بنت الأشعث للحسن عليه السلام كان من برادة الذهب، فقيل: إنها "سقت الحسن السم في برادة الذهب في السويق المقند"[٣]، والسويق هو «طعامٌ يُتَّخَذ من مدقوق الحنطةِ والشعير؛ وسُمِّي بذلك لانسياقه في الحلق"[٤]، والمقنّد يعني «المحلّى بعسَل قصَب السُّكَّرِ"[٥]. وقيل مرة أخرى: إنه سقي برادة الذهب[٦]، وعلى أي حال، فالذهب فلزٌّ غير سام، ويعد خاملاً نسبياً، وله استخدامات مهمة في طب الأسنان. وهو لا يذوب في حامض الهيدروكلوريك المركز وحده، وهو الحامض الموجود في معدة الإنسان، ولذلك فالذهب في هذه الرواية ليس هو المادة المسممة. وإنما ذكر الذهب في تلك الرواية قد يكون للون المادة المستخدمة وأن هيأتها المضافة إلى الطعام تشبه برادة الذهب. وهذا ما دفع مجموعة من الباحثين[٧] إلى البحث عن أي مادة سامة تشبه الذهب باللون والهيأة واللمعان،

١- كامل البهائي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٣٤.
٢- ترجمه إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام (فارسي)، علي بن حسين المسعودي (ت ٣٤٦ ه)، ترجمة محمد جواد نجفي، الإسلامية، طهران، ج ١، ص ٢٩٧.
٣- دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (من أعلام القرن الخامس الهجري)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٣ ه، ج ١، ص ١٦٠.
٤- المعجم الوسيط: مادة سوق.
٥- لسان العرب: مادة قند.
٦- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٥٨.
٧- A forensic hypothesis مصدر سابق.

وتؤدي بتأثيرها السمّي ذات الأعراض التي ظهرت على الإمام الحسن عليه السلام من اخضرار الجلد والنزف المعوي كما ورد في الروايات. فتوصلوا إلى أن هذه المادة هي (كلوريد الزئبقوز، الكالوميل: Hg2Cl2)، ودعموا استنتاجهم هذا جغرافياً لتوفر مناجم الزئبق في غرب تركيا (غرب بيزنطة آنذاك) القريبة من الشام، والمحتوية على مادة الكالوميل السامة التي يمكن أن تظهر كقشرة ذهبية صفراء، وكذلك دُعم الافتراض بالموقف التاريخي القاضي بطلب معاوية من ملك الروم بتجهيزه بسم لقتل الحسن عليه السلام كما رواه الحسن عليه السلام بنفسه قائلاً: "ولقد رقي إليّ أنه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجه إليه من السم القتال شربة، فكتب إليه ملك الروم: أنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا، فكتب إليه: إن هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة قد خرج يطلب ملك أبيه، وأنا اريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلك، فأريح العباد والبلاد منه، ووجه إليه بهدايا وألطاف، فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دس بها، فسُقيتها. واشترط عليه في ذلك شروطا"[1].

وللفائدة فإن هناك مادة أخرى لها نفس الصفات الفيزيائية لبرادة الذهب، وهي الزرنيخ التي وصفها ابن سينا قائلاً: "وأجوده الأصفر المتسرّح الأرمني الذهبي الصفائحي الرقيق، وكأنه طلق أصفر"[2]. إلا أن أعراض التسمم بهذه المادة -وإن كانت معروفة آنذاك- إلا أنها لا تتطابق مع ما ورد في الروايات، ولذلك تم استثنيتها. ومنهم في يومنا هذا من يبعد التهمة عن معاوية وابنه يزيد في لجوئهما إلى تسميم الإمام الحسن عليه السلام، ويرجح عدم إعطائه أي مادة كيميائية أو سم ذو قدرة على إحداث تثبيط لعوامل تخثر الدم. أو السموم ذات القدرة على إحداث نزف دموي»[3].

١- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٤٧.
٢- القانون في الطب، أبو علي بن الحسين بن علي بن سينا (ت ٤٢٨ ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ج ٤، ص ٢٩٤.
٣- مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري: دراسة نقدية مقارنة، خالد بم محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء،

السموم النباتية:

السموم النباتية كانت معروفة وأكثر استخداماً، ونادراً ما يذكر المؤرخون السموم المستخدمة عند وصف حوادث التسمم. وعلى أي حال، فإن الشوكران (hemlock) في العسل هو السم المفضل»[1]، ونستثنيه وإن كان معروفاً لعدم تطابق أعراضه السمية أيضاً مع ما جاء في الروايات.

تصرفات الحسن عليه السلام كما تذكرها الروايات قبل موته عليه السلام

إخراجه من غرفته للنظر في ملكوت السموات

تقول الرواية: "لما حضر الحسن بن علي قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن حتى أنظر في ملكوت السماوات، فأخرجوا فراشه، فرفع رأسه، فنظر، فقال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس علي»[2].

جزعه

لا نستغرب من تصرفات دعاة السوء والذين كانوا يلبسون الحق بالباطل في أيام بني أمية وبني العباس تقرباً إليهم، فكانت واحدة من دسائسهم هي إظهار المجتبى عليه السلام بوضع نفسي ميؤوس منه وأنه جزع؛ فقال أبو نعيم: "لما اشتد [المرض] بالحسن بن علي بن أبي طالب جزع، قال: فدخل عليه رجل، فقال: يا أبا محمد ما هذا الجزع ما هذا؟.."[3]. توحي تلك الصور التي يذكرها كتّاب السير أن الحسن المجتبى عليه السلام إنما كان خائفاً جزعاً من الموت وأنه لا يعلم أن الموت هو افتراق الروح عن الجسد، وأنه متشبث بالحياة الدنيا. وإن عدم ذكر اسم الشخص الداخل على الحسن عليه السلام يبعث على الريبة في أصل الرواية، وإذا

٢٠٠٠، ص ٣٩٦.

1- History of Toxicology and Environmental Health, Cilliers, Louise; Retief, Francois; Elsevier Inc.; 2014; chapter 12, pp127-137.

٢- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٣.

٣- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج١، ص ٢١٤.

ما عُرّف هذا الشخص غير المجهول في هذه الرواية، فتذكره رواية أخرى[١] بأنه الحسين عليه السلام، وتوحي هذه الرواية أن الحسن عليه السلام هو بهيأة من الكآبة التي أفقدته توازنه، وغيّبت رشده ووعيه، وحاشا أهل البيت ذلك.

كيف يكون ذلك، والحسن عليه السلام يقول: "سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لا يفارق العقل منّا أهل البيت ما دام الروح فينا"[٢]، نعم إن الحسن عليه السلام برر بكاءه لخصلتين، فقال مجيباً السائل في سبب بكائه قائلاً: "يا عطاء إنما أبكي لخصلتين: هول المطلع، وفراق الأحبة"[٣]، وقال للحسين عليه السلام: "يا أخي إني أقدم على أمر عظيم مهول، لم أقدم على مثله قط"[٤]، وكذلك فإن بكاءه عليه السلام كان لذات السبب الذي دفع أمه الزهراء عليها السلام لبكائها حينما دخلت على أبيها ساعة احتضاره، "فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وآله انكبت عليه، وبكت، وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها، وضمها إليه، ثم قال: يا فاطمة لا تبكي فداك أبوك، فأنت أول من تلحقين بي مظلومة مغصوبة، وسوف تظهر بعدي حسيكة النفاق، ويسمل جلباب الدين"[٥]، فهمّه عليه السلام هو بقاء دين محمد صلى الله عليه وآله قائماً بين الناس، ويمكن أن نلحظ بوضوح تامّ حرص الإمام عليه السلام على حفظ الشيعة في وصاياه العامّة ونصحه وموعظته في كثير من المقامات، وفي هذا أحاديث كثيرة، منها: "دخل جنادة بن أبي أمية على الإمام الحسن عليه السلام في مرضه الذي تُوفي فيه، فقال: "عظني يا بن رسول الله، قال: نعم، استعد لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا، والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أنّ

١- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٥.
٢- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٦٠.
٣- كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي من علماء القرن الرابع، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١ ه، ج ١، ص ٢٤.
٤- تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٨٧.
٥- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٣٦، ص ٢٨٨.

الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك، فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن في وزر، فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فالعتاب يسير، واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عزّ وجلّ، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت شدّ صولك، وإن مددت يدك بفضل مدها، وإن بدت منك ثلمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتدأك، وإن نزلت بك إحدى الملمات واساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلق عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك"[1].

ولم يتوقف عليه السلام عن إعداد الرجال المصلحين والمبلّغين والدعاة إلى الإسلام حتى في أحرج الظروف الصحية، فقد كان عليه السلام يحث الآخرين على سؤاله والاستفسار منه، وهو في فراش الموت وفي أيامه الأخيرة عند ما سقي السقم. عن عمير بن إسحاق، قال: "دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي نعوده، فقال: يا فلان سلني، قال: لا والله لا نسألك حتى يعافيك الله، ثم نسألك، ثم دخل، ثم خرج إلينا، فقال: سلني قبل أن لا تسألني، فقال: بل يعافيك الله ثم أسألك، قال: لقد ألقيت طائفة من كبدي وإنّي سقيت السمّ مراراً، فلم أسق مثل هذه المرة، ثم دخلت عليه من الغد، وهو يجود بنفسه"[2].

١- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٤٠.
٢- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٣٨.

بكاؤه ونحيبه

قال ابن عمر: «مات الحسن بن علي سنة خمسين لخمس خلون من ربيع الأول، وهو ابن ست وأربعين سنة، وصلى عليه سعيد بن العاص (!!)، وكان يبكي، وكان مرضه أربعين يوماً»[١] ويقول آخر: إن بكاءه كان شديداً: "قال: لما أن حضر الحسن بن علي الموت بكى بكاء شديداً وأراد الإمام الحسين عليه السلام أن يطيب نفسه « قال: فوالله ما زاده إلا بكاء وانتحاباً"[٢].

التشييع والحداد والنوح على الحسن عليه السلام

ولاستكمال الصورة، نقول: من المعروف أن الحسن عليه السلام لم يدفن بالقرب من جده وإنما أُجبر المشيعون لدفن الحسن عليه السلام في البقيع، وكانوا جمعاً غفيراً حتى أنهم بلغوا من الاحتشاد «لو طرحت إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان"[٣]، وتقول الروايات: إنه لما مات الحسن عليه السلام فأقمن نساء بني هاشم النوح عليه، ولكن اختلفت الروايات في فترة الحداد، وكذلك في عددها. ومنها ما قاله النيسابوري: "فلما مات أقام نساء بني هاشم النوح عليه شهراً"[٤]، بل وامتد النوح عليه لسنة على رواية ابن عمر: «حد نساء الحسن بن علي سنة"، وأغلقت الأسواق، و"مكث الناس يبكون على الحسن بن علي وما تقوم الأسواق"[٥].

وبعد؛ ندرس الآن أبرز المشاهدات وما نسميه اليوم بأعراض التسمم كما رويت، وسنحاول جمعها، ومن ثم ندرسها.

المشاهدات والأعراض من الروايات

١- المستدرك، مصدر سابق، ح ٤٨٥٧، ج ٣، ص ١٧٣.
٢- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٥.
٣- المستدرك، مصدر سابق، ح ٤٨٥٧، ج ٣، ص ١٧٣.
٤- المصدر السابق.
٥- المصدر السابق نفسه.

كثيرة هي الأعراض التي ذُكِرت في الروايات، ومن تلك الأعراض نلخصها فيما يأتي:

استمرار عوارض التسمم مدة شهرين، أو أربعين يوماً

وأنه كان مبطوناً، أي فيه علّة في بطنه، واصطلاحاً وهي عدم إمكان إمساك غائطه[١]، تقول الرواية: " وكان حسن رجلًا، قد سقي، وكان مبطوناً، إنما كان تختلف أمعاؤه»[٢]، يرافقه آلام في أحشائه، مما يستدعيه الذهاب إلى بيت الخلاء، وفي رواية: "كنت مع الحسن والحسين عليهما السلام في الدار، فدخل الحسن عليه السلام المخرج[٣].

النزف الدموي، فكان عليه السلام يتقيأ دماً متخثراً، وأصابه مرض شديد حتى قذف بأحشائه. ويلفظ كبده قطعاً من أثر السّم. وتتأكد هذه الرواية من مصدر آخر[٤]، وفي رواية: "لقد سقيت السم مراراً، ما سقيته مثل هذه المرة، لقد لفظت قطعة من كبدي[٥]، فجعلت أقلبها بعود معي»[٦].

اصفرار وجهه وشحوب لونه، فصار أصفر اللون، يجود بنفسه، وفي رواية طويلة «ثم انقطع نفسه، واصفر لونه، حتى خشيت عليه، فمرض أربعين يوماً"[٧].

1-www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/مبطون/

٢- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢١.

٣- المخرج: الكنيف أو المرحاض، انظر: مجمع البحرين، ج ٢: ص ٢٩٤.

٤- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٤٨؛ ص ١٥١

٥- يسمّى الجوف بكامله كبداً، والرّواية على تقدير صحّتها نصّت على أنّ السّمّ أثر في كبده حتّى قاء بعضاً منه... وهنا تكون الرّواية غير منافية للطّبّ حيث إنّه ألقى من جوفه قطعاً من الدّم المتخثّر، والّتي تشبه الكبد؛ انظر: الحسين وبطلة كربلاء، محمد جواد مغنية، مؤسسة الكتاب الإسلامي، ج ١، ص ٣٢٣.

٦- الإرشاد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٦.

٧- بحار الأنوار، المجلسي، (ت ١١١٠ه) دار الإحياء، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٤٤، ص ١٣٥-١٤٠.

وبعد هذه الحوادث اضطربت أعصابه[١].

وأصابه جزع[٢]، وبكاء[٣] ونحيب[٤].

واخضّر جلده. و"لما دنت وفاته، ونفدت أيامه، وجرى السم في بدنه، تغير لونه واخضر، فقال له الحسين عليه السلام: ما لي أرى لونك مائلاً إلى الخضرة؟»[٥]، وقريب منه باللفظ في موضع آخر[٦]. ولعل أعراض تلون الجلد بالأخضر ظهرت أيضاً في حالة تسمم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام... وتقول الرواية: إنه: "لما أكثر عليه (الطبيب) أخرج إليه راحته فأراها الطبيب، ثم قال: هذه علتي، وكانت خضرة وسط راحته تدل على أنه سم»[٧]. وقال موسى بن جعفر عليه السلام: "إني أخبركم أيها النفر أني قد سقيت السم في تسع تمرات، وإني أخضرّ[٨] غدا، وبعد غد أموت"[٩].

وانقطاع نفسه

ثم انتفض، ومات، أو ظهرت على بطنه بثور كما في الرواية: «وأما الحسن فاستمسك في بطنه ثم انتفط[١٠] به فمات"[١١].

١- شرح إحقاق الحق، مصدر سابق، ج ٣٣، ص ٥٦١.
٢- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، مصدر سابق، ج١، ص ٢١٤.
٣- المصدر السابق ص ٢١٥.
٤- المصدر السابق نفسه.
٥- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٤٥.
٦- مجموعة وفيات الأئمة، ويليه وفاة السيدة زينب، مجموعة من العلماء الأعلام، دار البلاغة، ١٩٩١، بيروت، ج ١، ص ١١٦.
٧- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٨، ص ٢١٢.
٨- من الاخضرار، يعني يصير لوني إلى الخضرة.
٩- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٨، ص ٢١٢.
١٠- نَفَطَت: قرحت عملًا أو مجلت، وفي بعض النسخ انتقض.
١١- بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ١٤٥.

الأعراض السريرية المرافقة للمشاهدات الروائية:

ليس من السهل أن نجمع كل تلك المشاهدات والأعراض، ونعزوها لسبب التعرض لمادة سامة واحدة، ولكن نحاول أن نجمع تلك المشاهدات المتنوعة، والأعراض السريرية لمادة معينة واحدة، ولكن هذه المادة السامة لا تنطبق عليها مشاهدات أخرى. إذ ليس من السهولة بمكان أن نخضع هذه العملية للتحري الجنائي من غير الفحص السريري، ولكنها تضلّ ضمن دائرة الاحتمالات. ولا ننسى أنه عليه السلام قد تعرّض للتسميم عدة مرات كما مرّ بنا سابقاً من الروايات، فمن المحتمل أن هذه المشاهدات والأعراض تعود لمواد سميّة مختلفة.

الفشل الكبدي الحاد

يظن الكاتب أن أغلب تلكم الأعراض والمشاهدات الواردة في الروايات تشبه إلى حد كبير الأعراض السريرية للفشل الكبدي الحاد، وليس بالضرورة أن كل الأعراض تنطبق على ما مر به الحسن عليه السلام، وذلك: إما لنقص في المعلومات، وإما أضيفت أعراض ليست عند المجتبى عليه السلام. وسنذكر أعراض فشل الكبد الحاد، والتي تشابه ما ذكرتُ في أعلاه من المشاهدات، والأعراض الوارد ذكرها في الروايات.

علامات وأعراض فشل الكبد الحاد

من العلامات الأولية لفشل الكبد الحاد؛ الشعور بالغثيان والتعب، والتوتر، وفقدان الشهية، والإسهال. ثم تتبعها أعراض أخرى عندما يستمر فشل الكبد في القيام بوظائفه: اصفرار الجلد والمقلتين (اليرقانJaundice)، وألم في أعلى البطن الأيمن، وانتفاخ البطن بسبب تجمع السوائل في التجويف البطني خارج الأمعاء، وشعور عام بالتوعك، أي الشعور بالضيق، وسهولة النزف سواء في داخل التجويف المَعِدي أو المَعَوي أو خارجه. وأحياناً تتطور الحالة إلى ما يعرف بالاضطراب العقلي الكبدي (Hepatic encephalopathy)، وفيه يكون

المصاب مشوّش الذهن، ويشعر بالنعاس، وقد يدخل في غيبوبة[١].

يصاحب فشل الكبد تبعات أخرى مثل:

التهاب البنكرياس، وبدوره الأخير إذا تعطل عن أداء وظيفته، قد يؤدي إلى الفشل في إفراز الأنزيمات الهاضمة للدهون مما يزيد في الإسهال وشدته.

فشل كلوي متمثل بارتفاع معدلات الكرياتينين واليوريا نيتروجين في الدم. ويؤدي ذلك "إلى التعب الشديد، والتشنج في الساقين، وتراجع أو فقدان الشهية، وصداع، وغثيان، وتقيؤ، ومشاكل في التركيز"[٢]. مع العلم أن "الأعراض السريرية وعلامات التسمم بالزئبق غير العضوي يمكن أن تتطور إلى المتلازمة الكلوية في الحالات الشديدة، مع بول مصحوب بدم أو إلى انقطاع البول"[٣]، حيث إن ابتلاع مركبات الزئبق، يجعلها تتراكم بنحو رئيس في الكلى، وتحدِثُ تلفًا فيها»[٤].

انخفاض مستوى السكر، والفوسفات، والمغنيسيوم، والبوتاسيوم في الدم. وإن نقص البوتاسيوم يؤدي إلى الضعف، وأوجاع العضلات والضعف في العضلات. وفي الحالات الأشد صعوبة يمكن أن يحصل فشل في المسالك التنفسية بسبب ضعف عضلات التنفس.

ارتفاع مستوى الأمونيا في الدم[٥]، مما يؤدي الى وعكة صحية شديدة خلال الأسابيع الأولى. وعادةً ما تبدو على المريض أعراض النعاس، وسرعة التنفس

1- www.webmd.com/digestive-disorders/digestive-diseases-liver-failure2#
2- What Is Uraemia? "www.healthline.com", Retrieved in 2018-11-09 .
3- World Health Organization; International Program on Chemical Safety. Inorganic mercury: environmental health criteria 118. Geneva: World Health Organization; 1991.
4- Journal of Preventive Medicine and Public Health 352-344 :(6)45 ;2012. Jung-Duck Park and Wei Zheng.
5- Acute liver failure in adults: Aetiology, clinical manifestations, and diagnosis. UpToDate, Eric Goldberg, Sanjiv Chopra, Topic 3574 Version 28.0.

والتقيؤ، ويمكن أن تصير حالته المرضية خطيرة[١].

وفيما يخص اليرقان؛ لا يخفى على القارئ أن الكبد مسؤول عن التعامل مع صبغة البيليروبين بنوعيه المباشر وغير المباشر. ومن المعروف علمياً أن ارتفاع البيليروبين غير المباشر يؤدي إلى اصفرار الجلد، أو الاصفرار المائل للخضرة في حال ارتفاع البيليروبين المباشر. وإن فشل الكبد في حد ذاته أو التأثير المباشر لبعض السموم قد يؤديان إلى ما يعرف بـ (Cholestasis) وهو الركود الصفراوي (أي ركود العصارة الصفراوية) وهذا الأخير يؤدي إلى اخضرار الجلد والحكّة[٢] إضافة إلى الأعراض العامة لفشل الكبد السابق ذكرها[٣]. وقد يعود اللون الأخضر إلى "نوع من فقر الدم يسمى فقر الدم الناقص الصبغي hypochromic anaemia، ويسمى أيضاً الالتهاب الكلوري أو المرض الأخضر للجلد chlorosis or green sickness، وهو من الآثار الجانبية المعروفة للتسمم بالكالوميل"[٤]. هذا النوع من فقر الدم ناجم عن نقص الهيموغلوبين، ترافقه الأعراض الآتية: بالإضافة إلى الأعراض العامة مثل "الوهن، وضيق التنفس، وسوء الهضم، والصداع، والدوخة، وضعف الشهية، وشحوب اللون»[٥].

وقد يعود الفشل الكبدي الحاد إلى عدد كبير من السموم المستخدمة تاريخياً، والتي نحصي منها بعض ما يمكن استخلاصه من النباتات. ومن النادر ما يذكره المؤرخون من السموم النباتية المستعملة عند وصف حوادث التسمم. ومع ذلك، "يعد الشوكران (hemlock) في العسل هو السم المفضل،

1- www.orphan-europe.com/ar/patients-and-families/فرط-أمونيا-الدم.
2- DRUG INDUCED CHOLESTASIS, Manmeet S. Padda et al, Hepatology. 2011 Apr; 53(4): 1377–1387. doi: 10.1002/hep.24229.
3- Green Jaundice Revisited, Antony F. McDonagh, September 2010Volume. 123, Issue 9, Page e23.
4-A forensic hypothesis مصدر سابق.
5- www.nhs.uk/conditions/iron-deficiency-anaemia.

وقد سجل تاريخياً أن الملك البريطاني، Catuvolcus قد انتحر باستخدامه مستخلص الطقسوس (yew)؛ وكما توفي كلوديوس بعد تناول الفطر المسموم Amanita phalloides."[1].

١ – History of Toxicology. مصدر سابق.

المصادر العربية

- إحقاق الحق وإزهاق الباطل، القاضي نور الله المرعشي التستري، قم، ١٤٠٩.
- الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري.
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، دار المفيد للطباعة.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر.
- أسس علم النفس الجنائي، أحمد محمد الزغبي، دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ٤٩.
- الأصول من الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩ هـ)، دار الكتب الاسلامية، طهران.
- أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت ١٣٧١)، دار التعارف للمطبوعات بيروت.
- الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة الانشقاق الأموي، سامي البدري، دار الفقه للطباعة والنشر.
- الانتصار: مناظرات الشيعة في شبكات الأنترنت، العاملي، دار السيرة، بيروت، ١٤٢٢ه.
- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري)، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٧.
- بحار الأنوار، المجلسي، (ت ١١١١ هـ) دار الإحياء، بيروت، ١٩٨٣م.
- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٢.

- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (ت ٨٠٨)، ١٩٧١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الحافظ المؤرّخ الثقة شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، (ت ٧٤٨ هـ).
- تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك وصله تاريخ الطبري، ابن جري الطبري.
- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق اليعقوبي، دار صادر.
- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي [ابن عساكر] (ت ٥٧١)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، ضامن بن شدقم الحسيني المدني، التراث المكتوب.
- تذكرة الخواص، سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، (ت ٦٥٤ هـ).
- ترجمة الامام الحسن عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر.
- ترجمه إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام (فارسي)، علي بن حسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، ترجمة محمد جواد النجفي، الإسلامية، طهران.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي.
- جامع معمر بن راشد، باب ذكر الحسن، معمر بن راشد.
- الجزء المتمم لطبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك]، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٦ هـ.

- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبو طالب عليه السلام، شمس الدين أبي البركات محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي (ت ٨٧١ هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
- الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني البري، مكتبة النوري، دمشق.
- الحسين وبطلة كربلاء، محمد جواد مغنية، مؤسسة الكتاب الإسلامي.
- حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي.
- الخصائص الاجتماعية والاقتصادية العائدات للجريمة، أسماء بنت عبد الله التويجري، ط١، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- دائرة المعارف الإسلامية، فنسك وآخرون.
- درر السمط في خبر السبط، ابن الأبار الأندلسي.
- دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (من أعلام القرن الخامس الهجري)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٣ هـ.
- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري شيخ الحرم المكي (ت ٦٩٤هـ).
- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار مع تطبيق النصوص الواردة فيها على بحار الأنوار، عباس القمي.
- سير أعلام النبلاء، ومن صغار الصحابة، الحسن بن علي بن أبي طالب، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.
- شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، حافظ، قم.

- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد.
- صلح الحسن، راضي آل ياسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي، هنري لامنس أنموذجاً، شهيد كريم محمد الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٥.
- العدة في أصول الفقه، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ).
- العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، رضي الدين علي بن يوسف المطهر الحلي، (من أعلام القرن الثامن)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، ١٤٠٨، ط ١.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، القاضي أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، مكتبة السنة، القاهرة، ط ٦، ١٤١٢هـ.
- الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، (ت ٣١٤ هـ).
- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي، دار الحديث، قم، ١٣٧٩.
- القانون في الطب، أبو علي بن الحسين بن علي بن سينا (ت ٤٢٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.
- قوت القلوب، محمد بن أبي طالب المكي (ت ٣٨٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧.
- كامل البهائي، الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبري المشهور بعماد الدين الطبري، (من علماء القرن السابع الهجري)،

تعريب محمد شعاع فاخر، المكتبة الحيدرية.

- كتاب الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)؛ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث ١٩٩٣م، ط٢.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة.
- مجموعة وفيات الأئمة، ويليه وفاة السيدة زينب، مجموعة من العلماء الأعلام، دار البلاغة، ١٩٩١، بيروت.
- المحتضرين، ابن أبي الدنيا.
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، ١٩٨٨.
- مطالع البدور ومنازل السرور، علي بن عبد الله الغزولي البهائي الدمشقي (ت ٨١٥هـ)
- المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- معالم المدرستين، مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٧٩.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد.
- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، ط٢، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ١٩٦٥ م.

- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، دار إحياء التراث العربي، ط ٤، بيروت.
- من حياة معاوية بن أبي سفيان، عبد الحسين الأميني.
- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨)، تحقيق هاشم محمد حسين، قم، ١٣٧٩.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج بن الجوزي، دار الكتب العلمية.
- منهاج السنة النبوية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار الحديث، القاهرة.
- موجز دائرة المعارف الإسلامية، هوتسما، أرنولد، باسيت، هارتمان، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، عبد الحميد يونس، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١، ١٩٩٨.
- موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- موسوعة ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، النجف الأشرف، ٢٠٠٠.
- نهاية الأرب في فنون الادب، النويري.
- ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي.

المصادر الأجنبية

A forensic hypothesis for the mystery of al-Hasan's death in the 7th century: Mercury(I) chloride intoxication, Nicole Burke, Mitchell Golas,1 Cyrus L. Raafat, and Aliyar Mousavi, Med Sci Law. 2016 Jul; 171–167 :(3)56.

Acute liver failure in adults: Aetiology, clinical manifestations, and diagnosis. Eric Goldberg, Sanjiv Chopra, Topic 3574 Version 28.0

APC Insight into Textbook of Forensic Medicine and Toxicology, Avichal Publishing Company, Anil Aggrawal, Ch. 34.

DRUG INDUCED CHOLESTASIS, Manmeet S. Padda et al, Hepatology. 2011 Apr; 1387–1377 :(4)53. doi: 10.1002/hep.24229

Green Jaundice Revisited, Antony F. McDonagh, September 2010Volume 123, Issue 9, Page e23.

History of Toxicology and Environmental Health, Cilliers, Louise; Retief, Francois; Elsevier Inc.; 2014; chapter 12, pp137-127.

Journal of Preventive Medicine and Public Health -344 :(6)45 ;2012 352. Jung-Duck Park and Wei Zheng

Nanomedicine, Volume IIA: Biocompatibility, Landes Bioscience, Georgetown, TX, 2003

The Poisoner's Handbook, Maxwell Hutchkinson, Loompanics Unlimited, Port Townsend, WA, 1988

The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co., London 1933, P 74

World Health Organization; International Program on Chemical Safety. Inorganic mercury: environmental health criteria 118. Geneva: World Health Organization; 1991

المواقع الإلكترونية

- www.orphan-europe.com/ar/patients-and-families
- www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/مبطون
- www.nhs.uk/conditions/iron-deficiency-anaemia
- www.webmd.com/digestive-disorders/digestive-diseases-liver-failure2#What Is Uraemia?
- www.healthline.com" Retrieved in 2018-11-09

مجلة الزكي العلمية

AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

الخطاب الحسني: دراسة تواصلية في ضوء استراتيجية التضامن

د. نعمة دهش فرحان الطائي

توطئة

الخطاب مفهوماً:

تتنوع أنماط الخطاب وتتعدد تبعاً لوظيفة الاقتران، إذ يقترن لفظ الخطاب في الغالب بلفظ آخر، مثل، الخطاب الثقافي، الخطاب الاجتماعي، الخطاب الأخلاقي... وهلم جرا، لذلك تعددت تعريفات الخطاب، بوصفه فعلاً يجمع بين القول والعمل، حتى غدت سمة مهمة من سماته الأصلية، ليس فيه شيء من التشتت، بقدر ما فيه من غنى وسعةٍ في التصنيف. فالخطاب لغة هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان، أو ما يخاطب به الرجل صاحبه، ونقيضه الجواب، وهو مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل (المتكلم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسل إليه (السامع أو القارئ)، يبعث الأول رسالة، ويفهمها الآخر، بناء على نظام لغوي مشترك بينهما. وبذلك يكون معنى الخطاب متمثلاً في (الحوار)، الذي يرتبط بدوره بوجود ثلاثة عناصر، هي: (المرسل، المستقبل، الرسالة). أما اصطلاحاً فقد عرفه الفرنسي (إميل بنفنست) بأنه كل تلفظ يفرض متكلماً ومستمعاً، وعند الأول هدف التأثير في الثاني بطريقة ما، أو هو سلسلة من الملفوظات التي يمكن تحليلها، بوصفها وحدات أعلى من الجملة، تكون خاضعة لنظام يضبط العلاقات السياقية والنصية بين الجمل.

وينقسم الخطاب عدة أنواع، فحسب قناة التواصل يمكن أن نميز بين الخطاب الصريح والخطاب الضمني، وحسب المرجع نميز بين الخطاب العلمي والخطاب الفلسفي والخطاب الديني... وغيرها من الخطابات.

ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية، في عدة مواضع، إذ ورد في القرآن الكريم بصيغ متعددة منها: صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿**وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً**﴾ الفرقان:٦٣، وصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿**وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ**﴾ ص: ٢٠، عد الرازي صفة فصل الخطاب، من الصفات التي أعطاها الله للنبي داود عليه السلام، معداً

إياهـا مـن علامـات حصـول القـدرة (الإدراك والشـعور) التـي يمتـاز بهـا الإنسـان مـن بقيـة أجسـام العـالم الأخـرى مـن الجـمادات والنباتـات وجملـة الحيوانـات بيـد «أن النـاس مختلفـون في مراتـب القـدرة عـلى التعبـير عـما في الضمـير، فمنهـم مـن يتعـذر عليه الترتيـب مـن بعـض الوجـوه، ومنهـم مـن يكـون قـادراً عـلى ضبـط المعنـى والتعبـير عنه إلى أقصـى الغايـات، وكل مـن كانـت هـذه القـدرة في حقـه أقـل، كانـت تلـك الآثـار أضعـف، لأن فصـل الخطـاب عبـارة عـن كونـه قـادراً عـلى التعبـير عـن كل مـا يخطـر بالبـال، ويحضـر في الخيـال، بحيـث لا يختلط شيء بشـيء، ينفصـل كل مقام عـن مقام».

أمـا كلمـة اسـتراتيجية، فتعنـي الخطـط أو الطرائـق التـي توضـع، لتحقيـق هـدف معـين عـلى المـدى البعيـد، اعتـماداً عـلى التكتيـكات والإجـراءات الأمنيـة في اسـتعمال المصـادر المتوافـرة في المـدى القصـير، وحينـما نسـمع أو نقـرأ كلمـة: (اسـتراتيجية)، يخطـر في أذهاننـا التعبـير العسـكري لهـذه الكلمـة، عـلى الرغـم مـن أنهـا تسـتعمل اليـوم بكثـرة، في سـياقات مختلفـة، مثـل: الاسـتراتيجية العسـكرية، الاسـتراتيجية الوطنيـة، الاسـتراتيجية التسـويقية.... وغيرهـا.

ويعـود أصـل الكلمـة إلى اليونانيـة: (strategos)، التـي تعنـي الأمـر العسـكري في عهـد الديمقراطيـة الأثينيـة وبوصـف الاسـتراتيجية ظاهـرة مهمـة، فقـد ظهـرت أول مـرة في المؤلفـات العسـكرية قبـل أكثـر مـن عشـرين قرنـاً عنـد العسـكرين الصينـين، تلتهـا مؤلفـات أخـرى لعسـكريين ومفكريـن أغريـق ورومـان وعـرب وأوربيـين، تناولـت جميعهـا بعـض المفاهيـم والمبـادئ الأساسـية والتفصيليـة للحـرب. ممـا أنتـج نشـوء فـرعٍ جديـدٍ مـن فـروع المعرفـة الإنسـانية، اصطلـح عـلى تسـميته بالفن العسـكري أو بالفـن الحـربي، ومـن ناحيـة أخـرى فقـد تطـور مفهـوم كلمـة اسـتراتيجية عـبر التاريـخ العسـكري المديـد، عـلى وفـق اختـلاف التقنيـة العسـكرية وتطورهـا في كل عصـرٍ، وعـلى وفـق تباين المـدارس الفكريـة والسياسـية لـكل قائـد أو مفكـر، ومـن هنـا تنبـع الصعوبـة لتقديـم تعريـف جامـع مانـع لكلمـة اسـتراتيجية، لأنـه لا يوجـد تعريـف موحـد متفـق عليـه حتـى الآن لهـذه الكلمـة، لأن الاسـتراتيجية تتطـور تبعـاً

لتطور الاقتصاد والسياسة والعلوم. ومما تقدم آنفا، نضع كلمة الإمام الحسن عليه السلام في معايير الاستراتيجية التضامنية، لنستشف منها المضامين الخطابية التي مثلت عمق شخصية الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه وغاياته الاجتماعية، في ضوء ما قاله عليه السلام من خطب وكلمات، تضمنت أحداثاً كلامية عبر سلسلة من الأحداث الاجتماعية، والوقائع التاريخية التي مر بها المجتمع المسلم، كان للإمام الحسن عليه السلام معها وقفات في منتهى الدقة وغاية الوعي، في مجتمع تخللته أمواج متدفقة، وتيارات متدافعة، وعقائد متصارعة، مثلت المحك الأساسي لحركة التاريخ، الحوارات مفعمة بالأحداث والمتغيرات، على وفق الاستراتيجية التضامنية، لملاءمتها ذلك الخطاب، على أن تكون هذه الشذرات اللبنة الأولى من مشروع بناء استراتيجية الخطاب الحسني، المزمع تنفيذه في كتاباتٍ لاحقة فجاء البحث في مبحثين، هما:

المبحث الأول: اتجاهات الخطاب الحسني

جسدت بنية الخطاب الحسني المجتمع الذي قيلت فيه، إذ تضمنت التراث الثقافي التي اختزله ذهن الإمام الحسن عليه السلام بما فيه من مجتمعات صالحة، وحركات مصلحة، جرت عبر أمكنة وأزمنة متتالية، يمثل هذا الخطاب صرخات مدوية على الظلم، وتنبأ بما سيؤول إليه المجتمع، فقد كان المجتمع متحركاً ساخناً، يتشابه فيه الأفراد من حيث النوع والماهية، لكنهم مختلفون تمام الاختلاف من حيث المبادئ والإيديولوجية والأخلاق والأهداف والغايات.

عند تتبع المحاولات الأولى لتحليل الخطاب، سوف نجد أن هناك محاولتين معزولتين لدراسة مستوى ما فوق الجملة، هما: الأولى: قام بها اللساني الأمريكي (زيلغ هاريس) الذي اعتمد في محاولته على النص المكتوب، إلا أنها لم تخرج عن إطار المدرسة البنيوية- البلومفيلدية، ذلك أن هدف (هاريس) كان صياغة أسلوب شكي من أجل تحليل الاتصال المنطوق والمكتوب، ولكن يبقى (هاريس أول

لساني حاول توسيع حدود موضع البحث اللساني بجعله يتعدى من الجملة إلى الخطاب، وعرف الخطاب بأنه: ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون منغلقة، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بوساطة المنهجية التوزيعية وبنحو يجعلنا نظل في مجال لساني محض. والأخرى: قام بها اللساني (ف.ميتشال) الذي اعتمد على النصوص المنطوقة، في مقالته: (الشراء والبيع في قورنية)، والحقيقة أن الإرهاصات الدلالية في تحليل الخطاب جاءت على يده، فقد حدد في هذه المقالة طبيعة السياق وعناصره، كما حدد المشاركين المناسبين في هذا السياق.

وقد ورد لفظ الخطاب في قول الإمام الحسن عليه السلام بعد أن يئس من أصحابه، وقد أجبر على الصلح مع معاوية، فكتب إليه: «أما بعد، فإن خطبي انتهى إلى اليأس، من حق أحييته وباطلٍ أمته، وخطبك خطب من انتهى إلى موارده، وإني اعتزل هذا الأمر وأخليه لك، وإن كان تخليتي إياه شراً لك في معادك، ولي شروط اشترطها... وستندم يا معاوية كما ندم غيرك، ممن نهض بالباطل أو قعد عن الحق، حين لم ينفع الندمُ والسلامُ»[1].

فقد استحوذ معاوية على السلطة حينما خوله الإمام الحسن عليه السلام إياها في عبارة: (وإني اعتزل هذا الأمر وأخليه لك) بما يتفق مع ما تقتضيه قاعدة التخيير، كما تسميها (لاكوف)، فعندما يخير المرسلُ المرسلَ إليه في شيء ما، فقد منحه السلطة، حتى وإن كانت تؤول في بداية التفاعل الخطابي إلى المرسل، ويتم ذلك غالباً في طلب الرأي أو المشورة، أو التنازل عن بعض حقوق المرسل.

وهكذا يتقمص المرسل إليه السلطة بالتفويض، وذلك بإعطائه حرية التصرف -وإن كانت مشروطة- ويحصل هذا الأمر عادةً عندما يصعب على المرسل محاسبة المرسل إليه، بعدما فوضه ما هو حق له في الأصل، وفي ما يفسر وجوب عدم تخويل السلطة، لأنه يترتب عليها إنجاز أفعال لغوية معينة. لم يمارس الإمام الحسن عليه السلام

١- موسوعة كلمة الإمام الحسن عليه السلام، ص/ ١١٢.

سلطته الشرعية بوصفه الإمام المعصوم المفترض الطاعة في خطابه لمعاوية، إذ لم يعتمد خطابه عليه السلام على الإكراه أو الوعيد بالدرجة الأولى، بل على الاقتناع والتأثير المشروطين، اللذين باتا من العناصر الحاسمة في إيصال الخطاب لمتلقيه، وهو نوع من السياسات اللغوية التي امتاز بها الخطاب الديني عموماً والخطاب الحسني خصوصاً، إذ لاشك أن فكرة الهيمنة عبر آلية الإقناع، تحقق إجماعاً مع التعدد الشكلي والعقيدي داخل المجتمع، وهو ما يعرف في اللسانيات الحديثة بـ (الهيمنة الناعمة[1] التي دفعت بمدارس التحليل النقدي للخطاب نحو الاهتمام بتحليل الخطاب الإعلامي، الذي يظهر عملية الصراع والهيمنة عبر الإقناع واستعماله وعي الجماهير. تقترب آلية (الهيمنة الناعمة) مما طرح (ميشيل فوكو) من نظرة متميزة للخطاب. حين ربطه بالسلطة، فهو عنده شيء بين الأشياء، وهو ككل الأشياء موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة، فهو ليس فقط مظهراً للصراعات السياسية، بل هو المسرح الذي يتم فيه استثمار الرغبة، فهو ذاته مدار الرغبة والسلطة [2] إن خطورة الوسائل القمعية التي تمارسها السلطة بوساطة الخطاب. ليست راجعة في نظرة فوكو، إلى وسائل التحكم الخارجية التي عرفتها الكلمة المكتوبة عبر تاريخها العصيب، منذ عهود الظلام، وحتى بدايات عصر الديمقراطية الحديثة، وإنما إلى عملية التنظيمات الداخلية للخطاب نفسه، التي تقتضي في ظل ضروب من الإقصاء والاستبعاد، بإقامة مساحات من الصمت، والإضمار، ومساحات من الإفصاح والإعلان، تحكم ما يجب أن يقال، وما يخضع للتحديد والكشف والابتكار، وما يتبع نظم التعقيب والتسويغ، والتكرار، وذلك على وفق معايير ضمنية من الخطأ والصواب، والحقيقة والزيف، لعل أبرزها ما يتجلى من التحريات التي تنصب على موضوعات السياسة، التي عبر عنها الإمام الحسن عليه السلام، حين سأله شخص عن رأيه في السياسة، فقال عليه السلام: «هي أن ترعى

1- Teum a. van kdijk dislourse swmantics and ldeology discourse society vol. 6 no. 2 253 P1995

٢- المصدر نفسه.

حقوق الله، وحقوق الأحياء وحقوق الأموات فأما حقوق الله فأداء ما طلب، والاجتناب عما نهي، وأما حقوق الأحياء فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك ولا تتأخر عن خدمة أمتك، وأن تخلص لولي الأمر ما أخلص لأمته، وأن ترفع عقيرتك في وجهه، إذا ما حاد عن الطريق السوي، وأما حقوق الأموات فهي أن تذكر خيراتهم، وتتغاضى عن مساوِئهم، لهم رباً يُحاسبهُم»[١].

وهذا التصنيف الثلاثي يمنح الخطاب نوعا من الاثبات في المبدأ، تبنى على وفقه المصالح، فالمصالح متغيرة ومتعددة بحسب المبادئ الثابتة، وهذا هو الفارق بين سياسة محمدٍ وآله الأطهار وسياسة الحكام والرؤساء الظالمين، وقد عبر عن هاتين السياستين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة، والله ما أستغفل بالمكيدة، ولا أستغمز بالشديدة»[٢].

وإذا كان هناك ارتباط وثيق بين السلطة والخطاب، كما يذهب فوكو، فإن ذلك ليس مجرد تخطيط وتنظيم من السلطة حسب، بل هو علاقة انطولوجية تجمع بين اللغة وأنماط الهيمنة الاجتماعية[٣]، وخير شاهد على ذلك كلام الإمام الحسن عليه السلام بعد أن أحضره معاوية في مجلسه مرغماً، لكي يوبخه وينال من أبيه علي أمير المؤمنين عليه السلام، بعد أن أشار إليه عمرو بن العاص بقوله: «ألا تبعث إلى الحسنِ بن علي فتحضره فقد أحيا سيرة أبيه، وخفقت النعال خلفه، إن أمرَ فأطيع، وإن قال فصدق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه، فقصرنا به وبأبيه، وسببناهُ وسببنا أباهُ، وصغرنا بقدرهِ وقدر أبيهِ، وقعدنا لذلك حتى

١-موسوعة كلمة الإمام الحسن، ص/ ٧١.
٢-نهج البلاغة، ص/ ٢٩١.
3 – teum a. van kdijk dislourse swmantics and Ideology discourse society vol.6 No. 2 1995 p253

صدق لك فيه»[1]، وقد فعل معاوية ذلك، وسمح لكل من: (عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، والمغيرة بن شعبة) أن ينالوا من الإمام زوراً وبهتاناً وحسداً، فأجابهم الإمام عليه السلام بقولٍ طويل، حول فيه الغلبة من كلمة السلطان إلى سلطة الكلمة، وذلك حين قال محتجاً: «الحمد الله الذي هدى أولكم بأولنا، وآخركم بآخرنا... إنه لعمر الله يا ازرقُ، ما شتمني غيرك، وما هؤلاء شتموني، ولا سبني غيُرك وما هؤلاء سبوني، ولكن شتمتني وسببتني، فحشاً منك، وسوء رأي، وبغياً وعدواناً، وحسداً علينا، وعداوة لمحمد صلى الله عليه وآله قديماً وحديثاً... وإنه والله لو كنتُ أنا وهؤلاء يا أزرق! مشاورين في مسجد رسول الله، حولنا المهاجرون والأنصار، ما قدروا أن يتكلموا مثل ما تكلموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به، فاسمعوا مني أيها الملأ المجتمعون المعاونون علي، ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدقوا بباطل نطقت به»[2].

لقد نهى الإمام الحسن عليه السلام عن مفهومين اجتماعيين خطرين، أبتلي بهما المجتمع حينا، هما: كتمان الحق، وتصديق الباطل، في عبارة: (ولا تكتموا حقا علمتموه، ولا تصدقوا بباطل نطقتُ به) وكلاهما من أفعال الكلام الدالة على الإنجاز، وما أفعال الكلام إلا وحدات أساسية للتواصل اللغوي، عندها يمكن أن نصف وقائع التواصل المعقدة حسب ما يثيره كل فعل ناتج عن قولٍ وعلى هذا الأساس فإن الفعل الكلامي يعني: التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثم فـ(الفعل الكلامي) يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، وهو بهذا المعنى يعد النواة المركزية لمفهوم التداول في صورته اللغوية، إذ تتركز فيه كل الأنماط الأخرى من الأفعال القولية، التي تطمح إلى تحقيق أغراض إنجازية، كالطلب والأمر والوعد والوعيد.. وسواها،

١-موسوعة كلمة الإمام الحسن، ص/ ١٢١.
٢-موسوعة كلمة الإمام الحسن، ص/ ١٢١.

وهكذا فإن هذا الفعل يتلمس التأثير في المخاطب، لغرض تحقيق شيء ما. واصل الإمام عليه السلام خطابه بقوله: «وسأبدأ بك يا معاوية، فلا أقول فيك إلا ما دون ما فيك. أنشدكم بالله! هلْ تعلمون: أن الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين وأنت (يا معاوية) تراهُما جميعاً ضلالة، تعبد اللات والعزى؟ وبايع البيعتين كلتيهما: بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر والأخرى ناكث؟»[1].

استعمل الإمام الحسن عليه السلام المبدأ الحجاجي (النموذج والنموذج المضاد) وسيلة عن حجة السلوك، بوصفها قدرة تستوحى من الأشخاص أو الجماعات أو الأفكار أو المذاهب وتؤكد قيمة الأفعال، وذلك الميل طبيعي في الناس نحو الاقتداء بنموذج معين، إذ يعد النموذج في القول الحجاجي مقدمات معينة تستخلص منها، تؤدي إلى امتداح سلوك خاص، يمتلك بعض مظاهر التميز، والنموذج الصالح الذي اعتمده عليه السلام أسلوباً في الحجاج، يدفع به إلى فعل شيء مستوحً من النموذج نفسه، لوجود سلوك عفوي للاقتداء به، ولا يخفى على المتلقي أن النموذج الصالح والأسوة الحسنة في خطبة الحسن عليه السلام تمثل بأمير المؤمنين عليه السلام في سياق قوله: (أن الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين) و(وبايع البيعتين كلتيهما: بيعة الرضوان وبيعة الفتح) وبذلك استعمل الإمام الحسن عليه السلام هذا النموذج، ليسهم في تشكيل سلوكيات الأفراد والجماعات والأوساط والحقب وثقافتهم، انطلاقاً من الطريقة التي تصور هذا النموذج والكيفية التي تحقق بها ضماناً لقيمتها.

وقبالة النموذج استعمل الحسن عليه السلام النموذج المضاد أو (مخالفة النموذج) وسيلة حجاجية للاقناع، وتقنية خطابية في التأثير، إذ يفقد النموذج الصالح النموذج المضاد قيمته وفاعليته، ويحوله في مجالات مقامية معينة إلى الهزء والهز والهزل والسخرية... وسواها، وهذه الواقعة مليئة بهذا اللون من المحاججة، تتجلى في عبارات: (وسأبدأ بك يا معاوية، فلا أقول فيك إلا ما دون ما فيك) و(وأنت يا معاوية تراهما جميعا وأنت في ضلالة، تعبد اللات والعزى) و(وأنت يا معاوية

١-نفسه، ص/ ١٢٢.

بـالأولى كافـر والأخـرى ناكـث). وهكـذا ويتخـذ النمـوذج المضـاد شـكلاً آخـر في الحجـاج، وذلـك في ضـوء التمايـز وبيـان الفـروق في السـلوك بـين النمـوذج والنمـوذج المضـاد، في ضـوء الموازنـة بـين صفـات النموذجـين، باسـتعمال التقنيـات الحجاجيـة للتأثـير في المتلقـي، ومنهـا مفهـوم: (المسـكوك الاجتماعـي) بقولـه عليه السلام: (أنشـدكم بـالله)، والمسـكوك الاجتماعـي عبـارة عـن التراكيـب التـي تسـتمد مـن الواقـع المـاضي، ومـا يختزلـه ذلـك الواقـع مـن تجـارب إنسـانية وأحـداث تاريخيـة أو شـخصية عـلى نحـو عبـارات سـياقية وحكـم وأمثـال وحكايـات وكنايـات... وسـواها، وهـي بمجملهـا مسـتمدة مـن الواقـع أو مقتبسـة مـن النصـوص المعروفـة ذات القيـم الاجتماعيـة[1].

ثـم واصـل الإمـام الحسـن عليه السلام حجاجـه بقولـه: «أمـا أنـت يـا عمـرو بـن العـاص الشـانئُ اللعـينُ الأبـتر، فإنـما أنـتَ كلـب، أولُ أمـرك أمـكَ لبغيـة، وإنـك ولـدتَ عـلى فـراش مشـترك، فتحاكمـت فيـك رجـالُ قريـش، منهـم: أبـو سـفيان بـن حـربٍ.... كلهـم يزعـم أنـك ابنـه، فغلبهـم عليـك مـن بـين قريـش الأمهـم حسـباً، وأخبثُهـم منصبـاً، ثـم قمـت خطيبـاً وقلـت: أنـا شـانئُ محمـد، وقـال العـاص بـن وائـل: محمـد رجـل أبـترُ لا ولـد لـه، فلـو قـد مـات انقطـع ذكـره، فانـزل الله تبـارك وتعـالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثـر/ ٣، أمـا أنـت يـا وليـدُ بـن عقبـةٍ، فـوالله مـا ألومُـك أن تبغـض عليـا، وقـد جلـدك ثمانـين سـوطاً، وقتـل أبـاك بـين يـدي رسـول الله، وأنـت الـذي سـماه الله الفاسـق. وسـمى عليـاً المؤمـن، حيـثُ تفاخرتمـا، فقلـت لـه: اسـكت يـا عـلي، فأنـا أشـجعُ منـك جنانـاً، وأطـول منـك لسـاناً، فقـال لـك عـلي: اسـكتْ يـا وليـدُ، فأنـا مؤمـن وأنـت فاسـق، فانـزل الله في موافقـة قولـه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾ السـجدة/ ١٨، أمـا أنـت يـا عتبـةُ...»[2] وهكـذا.

مـن التقنيـات الحجاجيـة التـي اسـتعملها عليه السلام للتأثـير في المتلقي(الشـاهد). ويعنـي التقنيـة التـي تؤكـد الأطروحـة موضـوع القـول، أو الطريقـة التـي تقـوي الاسـتدلال

١-ينظر: وقفة سوسيولسانية في واقعة الطف، د. نعمة دهش، ص/ ٢٢.
٢-موسوعة كلمة الإمام الحسن، ص/ ١٢١-١٤١.

والحجاج، وذلك بإعطاء القول مظهراً حياً ملموساً، إذ لا يتعلق الأمر بالدليل، بقدر ما يعمل الشاهد على تحريك المخيلة عند المتلقي، وهذه الطريقة لا تتعلق بالضرورة بحقيقة الشاهد، وإنما تتجاوز شكلها الخارجي الإطار اللغوي، ليرتبط بالمقتضيات التداولية[1].

إذا كان استعمال (الشاهد) يقوم على تجسيد الفكرة باستحضارها في صورة شاخصة، فإن الغاية منه لا تكمن فقط في تعويض المجرد الملموس، وتبديل أو نقل الأطروحات من مجال إلى آخر -كما هو الشأن في المثل- وإنما تمكن أساساً في الفكرة وتأكيد حضورها في الذهن، لهذا يخضع اختيار الشاهد لمعايير تقتضيها الشروط المقامية التي تجد لها صدى شعورياً وعاطفياً عند المخاطب، فتقوم بدور المحرك لخياله، وتفرض عليه الانتباه، وتسهل عليه عملية الفهم[2]، إذ يفترض في المتكلم والمتلقي «أن يكون له معرفة سابقة بالشاهد المقصود، وقدرة على تصوره بيسر ودراية بوجود أثره في مجال التداول»[3].

ويستمد الشاهد طاقته من العيان والمشاهدة ويقصد به «استشهاد على شيء ما بقرآن أو حديثٍ أو شعرٍ أو مثلٍ أو خبرٍ مروي بهدف إثباته أو إنكاره أو الاجتماع له أو بطلانه أو نحو ذلك»[4]، ومن الشواهد القرآنية التي تضمنها النصُ المتقدم: ﴿**إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ الكوثر/ ٣، وقوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ**﴾ السجدة/ ١٨، استغل الإمام الحسن عليه السلام سلطته الشرعية في فرض محور الخطاب الذي أراد التحدث من خلاله، ويحصل ذلك الفرض عادة في الحوارات المباشرة، ولا سيما «في الخطاب الشفهي سواء أكان الخطاب وجهاً لوجهٍ أم كان باستعمال أدوات الاتصال البعيد، مثل: الهاتف، فقد يبيح لنفسه التدخل في أي لحظة، كما يتلاعب باتجاه الحديث، بتحويله من منحى إلى آخر، ويضرب

١-ينظر: عندما نتواصل نغير/ ٩٣.
٢-ينظر: نفسه/ ٩٦.
٣-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام/ ١١١.
٤-البيان والتبيين، الجاحظ ج١/ ٨٦.

قيوداً على الآخر، بتوجيهه، ليتحدث فيما يريد من موضوعات، مع إدراكه أن هذا التوجيه لاختيار سيفرضه على ذاته هو بوصفه أحد المشاركين، مما يعني أنه قد يحظى حديثه بموافقة المرسل واستحسانه، أو بتجاوز هذا الأمر إلى إيقاف الخطاب، وفرض الصمت»[1] ومن هنا يتبين الارتباط الوثيق بين مقاصد المتكلمين والاستراتيجيات التي يتبناها المتخاطبون من أجل تحقيق مقاصدهم. فالاستراتيجيات هي وسيلة تحقيق المقاصد، وقد أدركت اللسانيات الحديثة، وبخاصة التداولية، أنه يستحيل فهم دلالات الخطاب الصريحة منها والضمنية، ما لم نفهم المقاصد التي وجُدت وراء إنتاجه. وقد توصل علماء الأصول والفقه وعلماء النحو والبلاغة العرب القدامى إلى ربط الخطاب بمقصد المتكلمين كما ذكرنا سلفاً، وقوفاً على السياق ومقصد المتكلم، وقد حصر مفهوم الاستراتيجية الخطابية عند الإمام الحسن عليه السلام في فضاءين:

١ - فضاء من العقاب يحتوي على معطيات دنيا، لا بد أن تتوافر، ليكون الفعل اللغوي متحققاً، متمثلة بقوله عليه السلام: «وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض بالباطل أو قعد عن الحق، حين لم ينفع الندمُ والسلامُ»[2]، استعمل الإمام الحسن عليه السلام (التمثيل) طريقة حجاجية، تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، إذ لا يرتبط التمثيل بمفهوم المشابهة وعلاقتها دائماً، بل يرتبط بمفهوم العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبداً، فهو بمنزلة العامل الأساسي في عملية الحجاج الموازن (المقارن) من دون أن تكون له علاقة المشابهة الصورية أو المنطق التمثيلي، إذ لا يطرح المتكلم معادلة صورية متكاملة، بل ينطلق من التجربة بهدف إفهام فكرة أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك بنقلها من مجالٍ إلى مجالٍ آخر، مغاير تماماً جرياً على مبدأ الاستعارة[3].

١-استراتيجيات تحليل الخطاب، ص/ ٢٣٠.
٢-موسوعة كلمة الإمام الحسن، ص/ ١١٢.
٣-ينظر: عندما نتواصل نغير ص/ ٩٨.

٢- فضاء يحيل إلى الخيارات الممكنة للمتخاطبين في أثناء مشاهدة الأفعال اللغوية[١]، ففي قوله عليه السلام: «أنتم شيعتنا وأهلُ مودتنا، فلو كنتُ بالحزم في أمر الدنيا أعملُ، ولسلطانها أركضُ وأنصبُ، ما كان معاوية بأبأس مني بأسا، ولا أشد شكيمة، ولا أمضى عزيمة، ولكني أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلتُ إلا حقنَ الدماء فارضوا بقضاء الله، وسلموا لأمره والزموا بيوتكم وأمسكوا»[٢]، لا تتحقق العملية التخاطبية إذا لم يتوافر هناك عامل العقد، الذي يضمن الاستقرار والقابلية على توقع السلوكات بصفة تمكن الذات المتكلمة من اللعب بمعطيات العقد أو داخل هذه المعطيات، فكلمات السبط المقدس تدل على مغزىً عظيم، فإنه عليه السلام أراد الهتاف بغايته العظيمة من أجل حقن دماء المسلمين، وتعريف الملأ نفسه ونفسيته، ومبدأ أمره ومنتهاه، ولم يبرح يواصل هذا بأمثاله إلى حين شهادته، دحضاً لما كان الأمويون وحلفاؤهم يموهون على الناس، بأن الحسن بن علي قد أذل المؤمنين بصلحه مع معاوية، حتى بلغ الأمر أن رجلاً من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام يقال له: سفيان بن ليلى، وهو على راحلة له، فدخل على الحسن عليه السلام وهو في فناء داره، فقال له: «السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال له الحسن: انزل ولا تعجل، فنزل، فعقل راحلته في الدار، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إليه، فقال له الحسن عليه السلام: ما قلت؟ قال قلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال عليه السلام وما علمك بذلك؟ قال: عمدت إلى أمر الأمة، فحللته من عنقك، وقلدته هذ الطاغية، يحكم بغير ما أنزل الله، فقال الحسن عليه السلام: سأخبرك لم فعلت ذلك، سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لن تذهب الأيام والليالي حتى يلي على أمتي رجل واسع البلعوم، رحب الصدر، يأكل ولا يشبع، وهو معاوية، فلذلك فعلت. ما جاء بك؟ قال سفيان: حبك؟ فقال الحسن عليه السلام: والله لا يحبنا عبد أبداً، ولو كان أسيراً بالديلم إلا نفعه الله بحبنا، وإن حبنا ليساقط الذنوب من ابن آدم كما يساقط

١-ينظر: معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين ١٩٨٨ و ٢٠٠٠، عمر بلخير(٢٠٠٦)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، غير منشورة، ص/ ٢٣٢.
٢-المصدر نفسه.

الريح الورق من الشجر»[1]. إن تحديد الإستراتيجية التضامنية في خطاب الإمام الحسن عليه السلام يتمحور حول عددٍ من الرهانات، منها:

أ- رهان إضفاء الشرعية، الذي يحدد وضعية سلطة المتكلم، والمتمثلة بقوله: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لن تذهب الأيام والليالي حتى يلي على أمتي رجل واسع البلعوم، رحب الصدر، يأكل ولا يشبع، وهو معاوية، فلذلك فعلت).

ب- رهان الصدق، الذي سعى إلى تحديد وضعية صدق المتكلم، المتمثلة بقوله عليه السلام: (والله لا يحبنا عبد أبداً ولو كان أسيراً بالديلم إلا نفعه الله بحبنا، وإن حبنا ليساقط الذنوب من ابن آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر).

ج- رهان الإثارة، الذي تكمن الغاية منه في حمل الآخر على المشاركة في العملية التبليغية، انطلاقاً مما يدور في خلد المتكلم، وقد تمثل بـ (المحاورة) التي سمح بها الإمام عليه السلام، فقد تثير قضية الإقناع إشكالاً، يتعلق بمضمون ما يمكن إيصاله للمتلقي، فقد يكون معنى أو قضية أو فكرة أو فرضية أو خبراً أو اقتراحاً أو اعتقاداً أو موقفاً أو شعوراً... وسواها من المعلومات القيمية، ذلك أن العلامات اللغوية تتجاوز نقل المضمون، إلى إيحاءات المعاني وظلالها، التي سبق لها أن انطبعت في أذهان المتلقين عبر تجاربهم، فارتبطت بعواطفهم، وتداخلت مع مشاعرهم، وكونت تطلعاتهم، بل شكلت نظرتهم للعالم وللآخرين[2].

١- الاختصاص، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، ص/ ٨٢.
٢- ينظر: بنفسه/ ٣٨.

المبحث الثاني: أدوات التضامن وآلياته في الخطاب الحسني

يقول غرايس في مصطلح (المعنى الضمني- implicatur) أنه المعنى المتعارف للكلمات المستعملة نلمح في هذا القول شرطاً أساسياً يعتمد عليه محلل الخطاب، وهو ضرورة المعرفة بطبيعة العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، فضلاً عن عدد من القواعد التي يلتزم بها المتكلمون عادة، والمتمثلة بصورة أوضح في استراتيجيات الخطاب، مثل: الإستراتيجية التضامنية أو مبدأ التعاون، الإستراتيجية التوجيهية، وإستراتيجية الإقناع... وسواها.

إن من طبيعة المفاهيم أنها نسبية، وهذا سبب تباين الناس في تعريفها وتحديد شروطها ونتائجها بدقة صارمة، وليس التضامن بدعاً من ذلك والنتيجة لهذا التعدد، فإن «مفهوم التضامن مفهوم معقد ومراوغ، فهو صنف نظري بحت»[1]، ولكننا نقترب من تعريف إستراتيجية التضامن إجمالاً بأنها «الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبة في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها، وإجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه، وتقريبه»[2].

وتتجسد الإستراتيجية التضامنية بوساطة علامات لغوية معينة، تشير إلى رغبة المرسل في التضامن مع المرسل إليه، مما يجعله يستنتج أن المرسل قدم تنازلات عن سلطته التي يتمتع بها.

وإذا كانت العلاقة بسيطة بين طرفي الخطاب، أو لا يوجد بينهما أي نوع من أنواعها، فإن المرسل يسعى إلى تأسيسها بالتلفظ بالخطاب، بأن يقترب من المرسل إليه، بما يجعله واثقاً بأن المرسل يميل إليه ميلاً طبيعياً خالياً من أي دوافع أو

1-William bright: International encyclopedio of linguistics volume I 1992 p: 258.

٢-استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظاهر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت لبنان، ٢٠٠٤م، ص/ ٢٥٧.

اغـراض نفعيـة. وهـذا هـو عـين التـأدب في الخطـاب، إذ إن مقتضـاه أن يـأتي المتكلـم بفعـل القـول عـلى الوجـه الـذي يـبرز بـه دلالتـه القريبـة، ويقـوي أسـباب الانتفـاع العاجـل بـه، فـلا يخفـى أن هـذا الضـرب مـن التهذيـب يـولي الأهميـة في التخاطـب لعمليـة التبـادل، والمعلـوم أن كل تبـادلٍ بـين طرفـين يكـون مبنـاه أساسـاً، عـلى سـعي كل منهـما إلى تحقيـق أغـراض تكـون مشـتركة أو متسـاوية بينهـما، وإلى طلـب العـوض عـن أعمالـه التـي لا يـأتي الطـرف الآخـر بمثلهـا، لذلـك تجـد المتكلـم في هـذه المرتبـة من التعامـل حريصـاً عـلى أن يحفـظ عـرى التواصـل، حتـى يجلـب أقصـى مـا يمكـن مـن المنفعـة لنفسـه ولمخاطبـه، فيجتهـد في التوسـل بـما يجلـب إقبـال المخاطـب عـلى سـماعه، وفهـم مـراده، وتلقيـه لـه بالقبـول، طمعـاً في أن يبادلـه نفـس الحـرص عـلى التواصـل وعـلى الوصـول إلى المنفعـة المشـتركة[1].

ويـبرز في هـذه الاسـتراتيجية مبـدأ المسـاواة بـين طـرفي الخطـاب بالقـدر المسـتطاع، مـما يضيـق أطـر الفرقـة بينهـما، وينفـي عوامـل التشـتت، حتـى تصبـح العلاقـة بينهـما في نهايـة الخطـاب أفضـل مـن بدايتـه، فتؤثـر في عـدد مـن العوامـل الاجتماعيـة، مـما يدعـو طـرفي الخطـاب إلى تطويرهـا.

وهنـا تتحقـق للتضامـن سـمته الغالبـة، مـن أنـه «علاقـة التكافـؤ المفترضـة التـي مـن شـأنها أن تربـط بـين النـاس، في جماعـات تشـترك في اهتماماتهـا، وسـلوكها، وتمثيـل ذاتهـا»[2].

ومـن هنـا يتضـح أن هـذه الاسـتراتيجية تقـترب مـن مفهـوم إسـتراتيجية الاحـترام والتبجيـل، لكـن الأخـيرة تتميـز مـن الأولى بأنهـا تجسـد درجـة مـن درجـات التضامـن بنحـو ضعيـف، لأنهـا تميـل إلى المحافظـة عـلى التعامـل الحيـادي، وحفـظ حقوق المرسـل إليـه أكثـر مـن ميلهـا إلى غـيره، فهـي إذن ليسـت الاسـتراتيجية التـي تشـبع طمـوح

١-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص/ ٢٢٣.

2-William bright: International encyclopedio of linguistics volune l 1992 p: 258.

المرسل لتحقيق التضامن بالدرجة التي يرغبها.

ومن ناحية أخرى تميل التبجيلية إلى المصالح والأهداف النفعية الأولوية في عملها، في حين تميل التضامنية في أولوياتها إلى التعامل الأخلاقي بالخطاب، وهذا ما يسميه طه عبد الرحمن بـ(التخلق)[1] وقد ثبت أن التخلق يدعو المتكلم إلى الخروج من الأغراض، ويلزمُهُ أن يحقق مزيداً من الانسانية، إذ لا إنسانية من دون أن يزيد من شأن المتلقي على حساب الذات، بحيث لا تصح نسبة الكلمات إلى المتكلم حتى تزيد أنس المتلقي بها، ويتوقف حصول هذا الأنس على شعوره بأن المتكلم قد تخلص في أقواله وأفعاله مما يقصر نفعه على نفسه، ولا يتعداه إلى غيره[2].

وأطلق الدارسون على مفهوم (إستراتيجية الخطاب التضامنية) عدة تسميات، فقد استعمل (براون وجيلمان) مصطلح التضامن، واستعمل (ليفنسون) مصطلح البُعد، واستعمل (ليتشن) الُبعد الاجتماعي، وذلك للتفاوت في تحديد مفهومها، واختلاف طرحهم حولها، وتعدد الرؤى بصدد ما يحيط بها من آثار، بيد أن المفهوم الذي يقصدونه واحد[3].

وتبرز أهمية استعمال هذه الإستراتيجية في الحقول التعليمية، حيث يكون التأدب والتخلق في الخطاب مع المتلقي وسيلة، لتيسير الفهم، وتقديم النصح، وزرع الحب، فتصبح طريقاً للعلم، وسبيلاً إلى المعرفة، فقد ذكر ابن كثير عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال لأصحابه: «إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان عظيمُ ما عظمهُ به في عيني صغرُ الدنيا في عينيه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجدُ، ولا يكثرُ إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له عقلهُ ولا رأيه، كان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يمد

١-ينظر: إستراتيجيات الخطاب، ص/ ٢٥٨.
٢-ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص/ ٢٢٤.
٣-ينظر: إستراتيجيات الخطاب، ص/ ٢٥٩.

يداً إلا على ثقة المنفعة، ولا يخطو خطوة إلا لحسابه، كان لا يسخط ولا يتبرمُ، كان إذا اجتمع بالعلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا غلب على الكلام، لا يغلبُ على الصمت. كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بز القائلين، كان لا يشارك في دعوى، لا يدخلُ في مراء، ولا يُدلي بحجة، حتى يرى قاضياً يقول ما لا يفعلُ ويفعلُ ما لا يقولُ، تفضلاً وتكرماً. كان لا يغفلُ عن إخوانه ولا يستخص بشيء دونهم، كان لا يكرمُ أحداً فيما يقع القدرُ بمثله. كان إذا ابتدأهُ أمران، لا يدري أيهما أقرب إلى الحق، نظر فيما هو أقربُ إلى هواهُ فخالفه»[1].

يقودنا هذا النص إلى الدلالة الاحتمالية لذلك الوصف، فهو إما أن يكون وصفاً حقيقياً (عملياً)، وإما أن يكون وصفاً مجازياً (مفترضاً)... وربما أن الأيدلوجية التي يحملها الإمام الحسن عليه السلام ساعدته على جلاء الشيء وإيضاحه بطريقة الوصف المفترض، عبر آلية حجاجية تعليمية على قاعدة: (إياك أعني واسمعي يا جارة)، ليجيب بمقدار الضرورة عن الأشياء الغامضة، والإشكالات المتعلقة بالعقيدة والأيدلوجية الجمعية، من دون المساس بمتلقيه مباشرة، مستخدماً عبارات سياقية وعلامات تقابلية رمزية، قد لا يقبلها العقل والمنطق في مساحة المتلقين، لكنها موجودة في الحقيقة، وحاصلة في الواقع، وبذلك فتح الإمام الحسن عليه السلام المجال أمام المستمعين والقراء لاستعمال قدراتهم العقلية في فك هذا التقابل الرمزي، انطلاقاً من تأويلهم الخاص، وهنا تكمن قوة التقابل الحجاجي: تقابل لا يقبله منطق العقل، ولا يرفضه منطق الواقع.

يعدُّ هذا الوصف بمنزلة الأسلوب التعليمي الموجه عبر قاعدة التضامن، تبعاً لما يسمى بمفهوم (الاصابية)، وهي نظرية سيكولوجية تعمل على اختيار ما يأخذ بكلام المتخاطبين وما يؤثر فيهم من أقوال وحجج، ومبدأ (الاصابية) ليس بقاعدة، لكنه يعمل محركاً لعمليات التأويل على مستوى النظام المركزي للذهن، وبهذا المعنى تقترب الإصابية من (مبدأ التعاون) الذي جاء به غاريس

١-البداية والنهاية، ابن كثير، ج٣/ ٣٦.

إلا أن مبدأ التعاون يمكن خرقه، بخلاف (الاصابية) التي لا يمكن خرقها، لأنها لا تتطلب معرفة سابقة من طرف المتخاطبين من أجل تحقيق التواصل الملائم، بل إنها موجودة سابقاً عند الإنسان ولا تعرف الاستثناء[١] هكذا فـ (الإصابية) مؤسسة على التصور المعرفي والاستدلالي بين التخاطبيين، ومدعومة في الوقت نفسه بأسباب سيكولوجية ومنطقية، يصعب خرقها، فهي بهذا المعنى قاعدة الفعل التواصلي بامتياز[٢] لقد وعى الإمام الحسن عليه السلام الخطر الاجتماعي الذي تحدثه اللغة، في مرحلة من أشد مراحل التاريخ خطورة، نستطيع تسميتها بمرحله (التزوير المنظم) تمثلت باللغة الإعلامية التي قادها الإعلام الأموي، وما أحدثته من تأثيرٍ في حياة الأمة، تلك اللغة التي تميزت بالقدرة على تحويل الايجاب إلى سلب، والسلب إلى إيجاب، ودليل ما نراه الآن من قضايا ظاهرة البطلان تجد من يعتقد صدقها، وأخرى واضحة الصدق تجد من يعتقد كذبها، فينشأ عن هذا الاختلاف (نزاع داخلي)، هو حالة عادية، لأن الحرب الداخلية في كل مجتمع لا تتوقف إلا تحت ضغط الحرب الخارجية، فما دامت الحرب في الخارج، فالسلم في الداخل، وما دام السلم في الخارج، فالحرب، هذا هو التبادل المميز للمجتمع[٣] ومع كل ذلك فقد كان الإمام الحسن عليه السلام ماهراً في أن يتواصل مع المتلقين، محاولاً إيجاد قواسم مشتركة تفرضها الطبيعة التواصلية الإنسانية، فهناك أزمة اجتماعية، سببها التباين الكبير بين الذي يطمح له مبدع النص والواقع الحياتي المعاش فيه، لذلك نجد أن هذه رؤية امتلكت حساسية في الكشف عن عالم رحب متناقض، حتى أصبحت هذه الرؤية ذاتا مؤرخة بالأحداث، أعطتنا محاور مهمة عن شخوص، ورموز، وزمان، ومكان، ووقائع مذهلة مر بها التاريخ، وكشفت هذه الرؤية عن عمق التجربة الشخصية للإمام الحسن عليه السلام، الذي حملت رؤاه مسائل العصر، ونجد أن وعيه قد بلور الرؤية ليس بوعي مجرد، وإنما بوعي مقترن بمفاهيم أخلاقية واجتماعية[٤]

١-ينظر عندما نتواصل نغير/ ٣٢.
٢-ينظر: عندما نتواصل نغير/ ٣٤.
٣-ينظر: اللغة والمجتمع، م. م جاكسون/ ٢٣٣.
٤-ينظر: دراسات في نهج البلاغة ، د. علي إبراهيم / ٦، بحث منشور على شبكة الانترنت.

ومن الأمثلة الأخرى التي جسد فيها الإمام الحسن عليه السلام الإستراتجية التضامنية رده على عدي بن حاتم الطائي حينما قال للإمام: «يا بن رسول الله، لو وددتُ أني متُ، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنية من أنفسنا، وقبلنا الخسيس التي لم تلق بنا»[1]، فرد عليه الإمام عليه السلام قائلًا: «يا عدي، إني رأيتُ هوى معظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فما أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيتُ دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأنٍ. إني خشيتُ أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردتُ أن يكون للدين ناع.

أنتم شيعتنا وأهلُ مودتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعملُ، ولسلطانها أركضُ وأنصبُ ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، ولا أشد شكيمة، ولا أمضى عزيمة، ولكني أرى غير ما رأيتم، وما اردتُ بما فعلتُ إلا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله، وسلموا لأمره والزموا بيوتكم وأمسكوا»[2].

استعمل الإمام عليه السلام هنا عدة وسائل خطابية للتأثير في المتلقي، وهي على قسمين، هما :

أولاً: الأدوات: ونقصد بها الإشارات عموماً، ومنها:

أ- أسلوب النداء، في قوله عليه السلام: (يا عدوي)، فهو من وسائل التأثير والاستمالة (الرمزية)، أي استعماله عليه السلام للعلامات اللغوية المؤثرة التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، كأسلوب النداء، الدال على المشاركة في الحدث الكلامي، فهو باب وما حواهُ من أحكام وقوانين يمثل ضرباً من الخطاب الكلامي، الذي لا يكون له أثر في التواصل إلا بوصفه عنصراً من عناصر مسرح اجتماعي، يضم مرسلاً ومستقبلاً أو مخاطباً ومتلقياً.

١-موسوعة كلمة الإمام الحسن، ص/ ١٠٠.
٢-المصدر نفسه.

يضم أسلوب النداء في جوهره منادياً ومنادى، ولا يكون النداء في فراغ، إذ يقتضي الأمر وجود طرفين بينهما علاقة من نوع ما، استلزمت مقامي توظيف هذا الأسلوب خاصة، وقد أشار النحاة إلى هذا الرابط بين الأسلوب الندائي والأسلوب المقامي وتنوع الأحكام تبعاً لتنوع ظروف المقام[١].

لذا فإن أسلوب النداء لغوي متداول بين العرب، توزعت أدواته على المنادى بحسب المقام، فللمنادى البعيد وشبهه أدوات خاصة، وللمنادى القريب أداة خاصة (الهمزة)، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله[٢]:

وللمنادي النا أو كالنا يا وأي و آكذا أيا ثم هيا

ولعل السر في هذا التصنيف الوظيفي لأدوات النداء هو محاولة الربط بين أسلوب الخطاب وواقع الحال، لذا اشتمل أسلوب النداء للبعيد المخاطب على عدة أدوات، امتازت باشتمالها على حروف المد باستثناء (أي)، لأن البعيد يحتاج إلى مد الصوت ليسمع المتلقي، حتى يقع التواصل بين طرفي الرسالة.

وربما استعمل الإمام الأداة (يا) للقريب والبعيد بحسب قاعدة المتلقي المقصود وغير المقصود، المباشر وغير المباشر وهو بذلك قد خرق أصلاً من أصول إستراتيجية التضامن، لأنه يريد التقارب مع المتلقي، وتذويب الفوارق بحسب ظروف السياق.

ب- ظاهرة الحذف: في قوله عليه السلام: (أن يجتث المسلمون) حذف الفاعل الحقيقي وهو معاوية وجيش الشام، وربما مال الإمام إلى استعمال أسلوب البناء للمجهول، ترفعاً عن ذكر خصمه، وتنزهاً عن النطق باسمه، وقد أطلق (براون وليفنسون) على هذا التأدب في الخطاب بـ (إستراتيجية التأدب السلبي) في قبالة (إستراتيجية التأدب الايجابي) التي استعملها الإمام مع شيعته في قوله عليه السلام: (أنتم شيعتنا وأهلُ

١-ينظر: علم اللغة الاجتماعي ، د. كمال محمد شبر/ ٩٩.
٢-ينظر: شرح ابن عقيل ٣/ ٢٥٥.

مودتنا).

أولت الدراسات التداولية الحديثة المخاطب (المتلقي المشارك في عملية التواصل) اهتماماً خاصاً، انطلاقاً من مبدأ خطابي: الخطاب يتوجه (من وإلى) أحد الطرفين، ولم يكن هذا الأمر غائباً عن أنظار النحاة الأوائل، فلا ينقطع حديثهم عن (الحذف) والإشارة إلى العلم بالمحذوف، بعده القطب الذي ترتكز عليه ظاهرة (الحذف)، ويشبه (علم السامع) أن يكون مسوغاً ثابتاً للحذف، وهو يجري من كتبهم كالأصل الثابت المتواتر، وهم يصرحون به تصريحاً غير ملتبس[1]، فكثيراً ما يحذف في اللغة بعض أجزاء الكلام ثقة من المخاطب بعلم المخاطب، إذ يقوم المتكلم بحذفه غالباً، اعتماداً على إدراك السامع، ويقدر السامع المحذوف اعتماداً على قصد المتكلم، الذي يجهد في إدراكه، مستعيناً بالقدرة والكفاءة التداولية على معرفة المحذوف في مثل تلك المواضع، ومنها ما جاء في النص: (ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، ولا أشد شكيمة ولا أمضى عزيمة)، حيثُ حذفت شبه الجملة (مني) في الجملتين الأخيرتين لدلالة ما تقدم ذكره.

ومما تقدم ذكره آنفاً تبين للباحث أن ظاهرة الحذف في البنية النحوية لها القدرة على استيعاب المقام التداولي، الذي يمثله أساساً المتكلم والمخاطب وظروف استعمال القول، وذلك لاشتماله على موضع قارٍ للوسم بما يحدد عناصر المقام، ويجعل المعنى الخطابي مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بعلم المخاطب، واستعمالات العرب، بحيث لا تكون العلاقة الدلالية بين الخطاب وما يحيل عليه سوى مظهر من وضع تداولي معقد، يشارك في تحديد كل من المتكلم والجمل التي يتلفظ بها، وما تحيل عليه، والمخاطب، والسياقين المقامي والمقالي.

ت- أسلوب الاستثناء، في قوله ﷺ: (وما أردتُ بما فعلتُ إلا حقن الدماء) الذي يفيد التخصيص، وهو استثناء ناقص منفي.

١-ينظر: الصورة والصيرورة ، نهاد الموسى/ ١٢٨، دار الشروق للنشر، عمان ، ط١، ٢٠٠٣م.

ث- (الإشارات ـ Deictics)، كاسم الإشارة في قوله عليه السلام: (فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما)، واسم الموصول في قوله عليه السلام: (ولكني أرى غير ما رأيتم) والضمائر كافة، كضمير المخاطبة في قوله عليه السلام: (وكرهوا الحرب) وظرف الزمان في قوله عليه السلام: (فان الله كل يوم هو في شأنٍ)، وهذه يسميها النحاة العرب بـ(المبهمات)، إلا أنها عامل مهم في تكوين بنية الخطاب، لما لها من أثر في الإحالة إلى المعلومات.

وهذه الإشارات تمثل جانباً مهماً من جوانب الخطاب، ومساراً مؤثراً من مسارات الدراسات الأدبية الحديثة، فهي تعني «تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساسي بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه»[1]، فكل فعل لغوي يكون ناجحاً إذا علم المخاطب قصد العبارة وإحالتها، وإذا كان المتكلم غرضاً، ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة، فالمتكلم يشكل المركز الذي من طريقه يمكنُ أن نحدد مسألة القرب والبعد المادي والإجتماعي[2]، لذلك نرى الإمام عليه السلام استعمل (ياء المتكلم) قبالة (ضمائر الجمع المخاطبة)، وهما ضميران إشاريان يرمزان إلى المتكلم والمخاطب، لأن مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي يستعملان فيه، وبين هذين الرمزين تضامن ممزوج بالتأدب الإيجابي في الإحالة من تحقق شرط التعاون، الذي أكده عدي بن حاتم على نحو الخصوص، والشيعة الموالين على نحو العموم، فتحقق عند الإمام الحسن عليه السلام مطابقة المرجع(الخبر) للواقع.

ح- اسم العلم، في قوله عليه السلام: (عدي، معاوية)، فقد استعمل الإمام الاسم الصريح على وفق أولويات إستراتيجية التضامن، وتتفاوت من ناحية تجسيدها الاستراتيجية التضامنية، فأبرزها الاسم فالكنية فاللقب، فهذا هو الترتيب في قوة دلالتها على التضامن.

١-مقاربة تداولية دراسة لغوية، ليلى آل حمد/ ٧، المملكة العربية السعودية، بحث منشور على شبكة الأنترنت.

٢-ينظر: المقاربة التداولية، ارمينكو فرانسواز/ ٥٠، ترجمة: سعيد علوش الرابط مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦.

ويتمثل هذا الاستعمال للمسلَّمة التراتبية بحسب درجة التقارب بين المتكلم والمتلقي، وهذا التقارب إما أن يكون تقارباً مادياً، أو تقارباً معنوياً، وقد لا يكون التقارب موجوداً من قبلُ، ولكنه حصل مع مرور الوقت، وتنامي التعامل بين طرفي الخطاب[1].

وحينما يتلفظ كل من طرفي الخطاب بالاسم دون الكنية أو اللقب، فإن ذلك يدل على أن التضامن قد بلغ حداً كبيراً، بحيث لم يعد يبدو هناك أي درجة من الفوارق، فغدا طبيعياً أن يستعملا هذه الإستراتيجية حتى أمام الآخرين[2].

إلا أننا نستنتج بعداً اجتماعياً من استعمال الأسماء والألقاب والكنايات في العلاقة الرسمية بين المتخاطبين، إذ إن التركيب الكنائي الدال على صيغة التبجيل في قول عدي بن حاتم: (يا ابن رسول الله) يرمز إلى التفاوت المقامي بين الإمام وعدي، مع مراعاة المسافة الاجتماعية التي أوجبت على (عدي) استعمال اللقب أو الكنية، قبالة استعمل الإمام عليه السلام النداء بالاسم المجرد، للدلالة على نوع تلك العلاقة من جهة الفوقية والتحتية، فمسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب مسألة نسبية تختلف من موقف إلى آخر، من حيث قرب الأطراف أو بعدهم، أو تفاوتهم، أو تساويهم في الوظيفة والرتبة، سواء كان هذا التفاوت في القرب والبعد التساوي مادياً أم اجتماعياً أم نفسياً، فإنها تدل على التفاوت المقامي بين المخاطبين.

وقد يجتمع الاسم والكنية واللقب وهذا التفاوت في التسمية بين طرفي الخطاب إنما يسير على وفق مبدأ التأدب الايجابي المفيد لإنجاح العملية التواصلية، ما دام حق الطاعة متوافراً عند المتلقي، وما يؤيد هذا القول أسلوب الأمر الذي استعمله الإمام الحسن عليه السلام في نهاية الخطاب: (فارضوا بقضاء الله وسلموا لأمره، والزموا بيوتكم وأمسكوا)، هي أفعال أمرية، تغلب على سمة الأفعال الانجازية، بوصفها وحدة لغوية فعلية متكاملة أنتجت فعلاً مؤثراً في المستمعين، وإلى هذا

١-ينظر: إستراتيجيات الخطاب، ص/ ٢٧٠.
٢-ينظر: إستراتيجيات الخطاب، ص/ ٢٧١.

المعنى ذهب كل من (أوستين) و (سيرل) من أتباع المدرسة الفلسفية التحليلية، إلى أن الإنسان المتكلم وهو يستعمل اللغة، لا يستعمل الكلمات الدالة على المعنى حسب، بل يقوم بفعل[1]، وهو ما يسمى بـ (الفعل الكلامي)، ويعني التصرف أو العمل الاجتماعي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ويُراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة.

وهذا يعني أن المعاني والمقاصد التي مر ذكرها آنفاً أفعال كلامية، لأننا لا ننظر إليها على أنها مجرد دلالات ومضامين لغوية، وإنما هي إنجازات وأغراض تواصلية، ولا سيما أنها صادرة مما هو أعلى رتبة من المتلقين، وصفه الإمام المفترض الطاعة، وهذه الأغراض والإنجازات ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو فردية بالكلمات، والتأثير في المخاطب بحمله على فعل أو تركه، أو تقرير حكم من الأحكام، أو توكيده، أو التشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد المتكلم للمخاطب، أو وعيده أو سؤاله واستخباره عن شيء، أو إبرام عقد من العقود، أو فسخه، ومجرد الإفصاح عن حالة نفسية معينة.. وسواها.

فمن هذا المنظور لا تكون اللغة مجرد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية، أو رموزاً للتعبير عن الفكر كما تتصورها المدارس التوليدية التحويلية، وإنما هي أداة للتغيير، وصنع الأحداث، والتأثير في المخاطب. ثانياً: الآليات: وهي ذلك الشكل الخطابي الذي يختاره المتكلم لينتج خطابه في ضوئه، وما ينبغي ذكره أن هذه الآليات لا محيص عن حاجتها إلى القوالب اللغوية المتمثلة بالأدوات اللغوية المذكور آنفاً، فالأداة اللغوية عماد الخطاب.

ومن هذه الآليات ما يأتي:

أ- أسلوب التأدب الايجابي، الذي استعمله الإمام الحسن عليه السلام مع شيعته للتقارب بينه وبين متلقيه (عدي بن حاتم)، مما يجعل هذا اللون من التأدب والتودد مجسداً

1-ESthetiue de la communication p: 95-96

للإستراتيجية التضامنية، عبر استعمال الضمير (نا) في كلمتي: (شيعتنا، مودتنا) الدالتين على الانتساب، وعبر قبول المهادنة من أجل المسلمين في قوله عليه السلام: (إني خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض) و (وما أردتُ بما فعلتُ إلا حقنَ الدماء).

ب- الصيغ الاجتماعية، المتمثلة في استعمال الألفاظ والتراكيب الاجتماعية، مثل: (معظم الناس، الصلح، الحرب، الدين) وغير ذلك مما يتجلى مدى التضامن غالباً، في تعابير القرب أو البُعد، الدخول في الجماعة مقابل الخروج منها[1].

ت- الضمائر المحددة، بوضعها في اللغة والدلالة على أطراف الخطاب، فهي: للمتكلم ضميران، هما: (نا المتكلم أو ياء المتكلم) كما في قوله عليه السلام: (إني، ولكني) و(ونحن والنا) للمتكلم الجمعي كما في قوله عليه السلام: (شيعتنا، مودتنا)، قصد نفسه وحده، أو قصد نفسه وغيره، وضمائر الجمع المخاطبة، كضمير الجماعة في قوله عليه السلام: (أنتم، رأيتم).

ث- المكاشفة، يعد كشف الذات عنصراً من عناصر التضامن، أو دليلاً على القرب، فقد يصرح المتكلم بكل خصوصياته للمتلقي، وقد لا يصرح، وهذا التصريح نسبي يتفاوت فيه المتلقين، وكلما كانت هذه المكاشفة والمصارحة بين طرفي الخطاب كبيرة، وصف الخطاب بأنه ناجح ومتضامن، ونحن نرى أن الإمام الحسن عليه السلام كان صريحاً في مكاشفة متلقيه، فلم يستعمل التعمية ولا التكنية في خطابة، دلالة على عمق الثقة بينهما، وقوة العلاقة الرابطة، التي يطلق عليها بـ (الحميمة) وهي «استعدادُ الإنسان لإطلاع إنسانٍ معين على بعض خصوصياته الشخصية، وعلى بعض ما يخفيه عن الآخرين من عالمه الداخلي، والاستعداد مبني على الثقة الشخصية، وكذلك على المشاعر الجيدة»[2].

١- ينظر: المصدر نفسه، ص/ ٢٦٨.

2- Helen spencer; reconsidering power and distance. Journal of pragmatics volume 26. No 1-1. july 1996. P 5.

توصل البحث إلى نتائج، منها:

١- تميز الخطاب الحسني بوضوح التعبير عبر إستراتيجية الخطاب التضامنية، لفتح مغاليق عقول المتلقين، وسماع كلماته ﷺ، فاهتدى من اهتدى وضل من ضل، عبر مراحل من الزمن، لأن لغة الخطاب التضامني هي الأقرب إلى قلبه وعقله، وإن أي تجاوز عن تلك اللغة من قبله يُعد خروجاً من دائرة التأثير، سواء كانت تلك اللغة تتعلق بالأسلوب الكلامي علواً أم نزولاً، من جهة كونه نوعاً معرفياً أو موضوعياً أو سياسياً أو ما إلى ذلك، مما يعد لغة واضحة في التفهيم والتواصل مع الطرف المتلقي.

٢- تمثل السياسة عند الإمام الحسن ﷺ مراعاة: (حقوق الله، وحقوق الأحياء، وحقوق الأموات)، وهذا التصنيف الثلاثي منح الخطاب الحسني نوعا من الثبات في المبدأ، بُنيت على وفق المصالح العامة، فالمصالح المتغيرة والمبادئ الثابتة، وهذا هو الفارق بين سياسة محمد وآله الأطهار والحكام والرؤساء الظالمين.

٣- نهى الإمام الحسن ﷺ عن مفهومين اجتماعيين خطرين، تبُتلى بهما المجتمعات عادة، هما: كتمان الحق، وتصديق الباطل، في عبارة: (ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدقوا بباطل نطقت به) وكلاهما من أفعال الكلام الدالة على الإنجاز، وما أفعال الكلام إلا وحدات أساسية للتواصل اللغوي، عندما يمكن أن نصف وقائع التواصل المعقدة حسب ما يثيره كل فعلٍ ناتجٍ عن قولٍ معين.

٤- إحداث الإمام ﷺ تأثيراً في المستمع المقصود، فعلى مستوى التعبير بلغت خطبته الذروة في البيان، تمثلت بتشكيل سلسلة من الأصوات اللغوية، لها نظام معلوم وثابت، وكذلك على مستوى الإنجاز وعلى مستوى الإجابة، باستعمال المسار الحجاجي المؤثر والناجح على وفق الطرح الإشكالي والنتيجة.

٥- استعمل الإمام الحسن ﷺ المبدأ الحجاجي (النموذج المضاد) وسيلة عن حجة السلوك، بوصفها قدرة تستوحى من الأشخاص أو الجماعات أو الأفكار أو

المذاهب، وتؤكد قيمة الأفعال، وذلك لميل طبيعي في الناس نحو الاقتداء بنموذج معين، إذ يعد النموذج في القول الحجاجي مقدمات معينة تستخلص منها، تؤدي إلى امتداح سلوك خاص، يمتلك بعض مظاهر التميز.

٦- استعمل الإمام الحسن عليه السلام للتأثير في المتلقي تقنية: (الشاهد)، وهي تقنية تؤكد الأطروحة موضوع القول، أو الطريقة التي تقوي الاستدلال والحجاج، وذلك بإعطاء القول مظهراً حياً ملموساً إذ لا يتعلق الأمر بالدليل، بقدر ما يعمل الشاهد على تحريك المخيلة عند المتلقي، وهذه الطريقة بالضرورة بحقيقة الشاهد، وإنما تتجاوز، بشكلها الخارجي الإطار اللغوي، ليرتبط بالمقتضيات التداولية.

٧- حصر مفهوم الإستراتيجية الخطابية عند الإمام الحسن عليه السلام في فضاءين:

أ- فضاء من العقاب يحتوي على معطيات دنيا، لا بد أن تتوافر، ليكون الفعل اللغوي متحققاً.

ب- فضاء يحيل الخيارات الممكنة للمتخاطبين في أثناء مشاهدة الأفعال اللغوية.

٨- حددت الإستراتيجية التضامنية في خطاب الإمام الحسن عليه السلام بعدة رهانات، منها:

أ- رهان إضفاء الشرعية، الذي يحدد وضعية سلطة المتكلم.

ب- رهان الصدق، الذي سعى إلى تحديد وضعية صدق المتكلم.

ج- رهان الإثارة، الذي تكمن الغاية منه في حمل الآخر على المشاركة في العملية التبليغية، انطلاقاً مما يدور في خلد المتكلم.

٩- تقترب إستراتيجية الخطاب التضامني للإمام عليه السلام من مفهوم إستراتيجية الاحترام والتبجيل، لكن الأخيرة تتميز من الأولى بأنها تجسد درجة من درجات التضامن بنحو ضعيف، لأنها تميل إلى المحافظة على التعامل الحيادي، وحفظ

حقوق المرسل إليه أكثر من ميلها إلى غيره، فهي إذن ليست الإستراتيجية التي تشبع طموح المرسل لتحقيق التضامن بالدرجة التي يرغبها.

ومن ناحية أخرى تميل التبجيلية إلى إعطاء المصالح والأهداف النفعية الأولوية في عملها، في حين تميل التضامنية في أولوياتها إلى التعامل الأخلاقي بالخطاب.

١٠- تتميز إستراتيجية التضامن في خطاب الإمام الحسن عليه السلام في الحقول التعليمية، حيث يكون التأدب والتخلق في الخطاب مع المتلقي وسيلة، لتيسير الفهم، وتقديم النصح، وزرع الحب، فتصبح طريقاً للعلم، وسيلة إلى المعرفة.

١١- استعمل الإمام الحسن عليه السلام طريقتين حواريتين للتأثير في المتلقي، هما: الحوارية الواقعية، والحوارية المفترضة، لأن الأيدلوجية التي يحملها الإمام الحسن عليه السلام ساعدته على جلاء الشيء وإيضاحه بطريقة الوصف المفترض، عبر آلية حجاجية تعليمية على قاعدة (إياك أعني واسمعي يا جارة).

١٢- لم يمارس الإمام عليه السلام سلطته الشرعية على المتلقي، وكأنهُ يخاطب المجتمعات الديمقراطية الحديثة، إذ لم تعتمد خطبته عليه السلام على الإكراه بالدرجة الأولى، بل على الإقناع والتأثير اللذين باتا من العناصر الحاسمة في إيصال الخطاب لفئات المجتمع كافة، وهو نوع من السياسات اللغوية التي امتاز بها الخطاب الحسني، إذ لا شك أن فكرة الهيمنة عبر آلية الإقناع تحقق إجماعاً مع التعدد الشكلي والعقيدي داخل المجتمع، وهو ما يعرف في اللسانيات الحديثة بـ (الهيمنة الناعمة).

١٣- استعمل الإمام الحسن عدة أدوات تضامنية، للتأثير في المتلقي، ومن هذه الأدوات: (أسلوب النداء، وأسلوب الحذف، والإشاريات، واسم العلم).

كذلك استعمل عدة آليات، منها: (أسلوب التأدب الايجابي، والصيغ الاجتماعية، الضمائر المحددة، والمكاشفة). فضلاً عن استعماله ضمناً تقنيتين خطابيتين مهمتين، هما:

أ- التمثيل: وهو طريقة حجاجية، تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، إذ لا يرتبط التمثيل بمفهوم المشابهة المستهلك وعلاقتها دائماً بل يرتبط بمفهوم العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبداً، فهو بمنزلة العامل الأساسي في عملية الحجاج الموازن (المقارن) من دون أن تكون له علاقة المشابهة الصورية أو المنطق التمثيلي.

ب- المسكوك الاجتماعي: تراكيب استمدت من الواقع الماضي، وما يختزله ذلك الواقع من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية أو شخصية على نحو عبارات سياقية وحكم وأمثال وحكايات وكنيات، ذات قيم اجتماعية.

والحمد لله رب العالمين

مجلة الزكي العلمية

AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

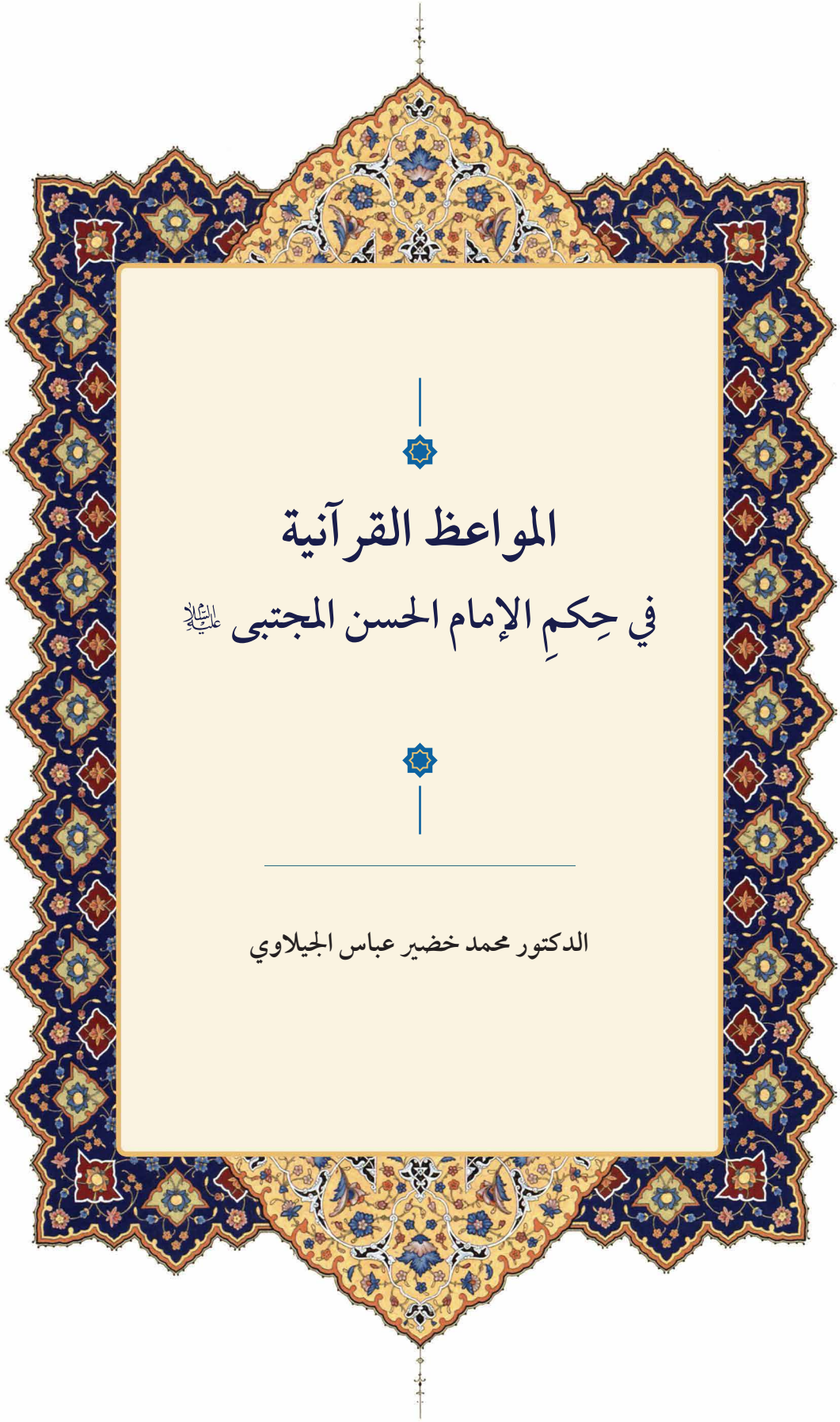

المواعظ القرآنية

في حِكمِ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

الدكتور محمد خضير عباس الجيلاوي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد: فالإمام الحسن المجتبى عليه السلام كريم أهل البيت، ورابع أصحاب الكساء تربى بحضن النبوة، وترعرع في كنف الرسالة، وشهد الوحي، وتلقف حكمة السماء من منبعها العذب، ونشأ في حجر جده المصطفى]، وتربى في حضن أمه الزهراء البتول الطاهرة المطهرة بضعة النبي وروحه التي بين جنبيه، فتلقف من حجرها الطاهر سائغ الإيمان والعقيدة الحقة، ثمَّ عكف على علم رباني آخر، تلقاه من أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أخي رسول الله وصنوه وموضع سره وكهف علمه ووزيره الذي هو منه بمنزله هارون من موسى، فمن هنا تلقى الإمام الحسن عليه السلام علمه ومن تلك الشخوص القدسية بزغ نوره ومن بين تلك الحجرات الطاهرة نشأ، وتربى، وتمثل المعرفة الربانية والحقيقة الإلهية، وارتشف من معين الحكمة الصافي، وأخذ من صنوف العلم ما لا يحصى، فكانت كلماته تسيل علماً جماً، وتنهمر منها المواعظ الفريدة، وتتفجر منها النوادر العجيبة، ولا غرو في ذلك، فهو ربيب طه وابن أمير المؤمنين وبضعة الزهراء.

وقد تطرقت في هذا البحث عن المواعظ القرآنية في حِكَمِ الإمام الحسن عليه السلام، وقمت بتحليلها تحليلاً علمياً دقيقاً مشفوعاً بمقارنتها مع النص القرآني، فوجدت أنَّ الإمام عليه السلام قد تأثر به أيما تأثر، لذلك كان القرآن الكريم المورد العذب الذي نهل منه الإمام عليه السلام فأخذ يحاكي أسلوبه، ويترسَّم خطاه؛ ليزيّن بها مواعظه وأقواله، فيضفي عليها طابع الجزالة والرَّصانة والرَّونق والبهاء.

وقد كان البحث مسبوقاً بتمهيد تعرض لمعنى الموعظة والحِكمَة في اللغة والاصطلاح، ليكون مدخلاً للبحث الذي خاض في مواعظ الإمام الحسن عليه السلام وحِكَمِهِ، آخذاً بالتحليل لها ومقارنتها مع النص القرآني المعجز لأبين مدى تأثر

الإمام عليه السلام بالقرآن الكريم ومدى إفادته منه. ثمَّ خلص البحث إلى خاتمة أبانت أبرز النتائج التي توصلت إليها.

وكانت قائمة المصادر التي نهل منها البحث حاضنة لمظان كثيرة ومتنوّعة، منها: المعجمات اللغويّة، وكتب الحديث، والتاريخ والسير، وهي التي تطلّبها موضوع البحث.

التمهيد: المَوعِظَة والحِكْمَة لغة واصطلاحاً

المَوْعِظَةُ في اللغة: مصدر الفعل وعظ.

جاء في كتاب العين للخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): وعظ، العظة: الموعظة.

وعظت الرجل أعظه عظة وموعظة: واتعظ: تقبل العظة، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه[١].

وقال الجوهري (ت ٣٩٣هـ): الوَعظ: النصح والتذكير بالعواقب. تقول: وعظته وعظاً وعظة فاتعظ، أي قَبِل الموعظة. يقال: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره[٢].

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): الوَعظ: الواو والعين والظاء كلمة واحدة. فالوعظ: التخويف والعظة الاسم منه[٣].

وقال الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ): الوَعْظُ: زجر مقترن بتخويف[٤].

وقال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ): هو تذكيرك للإنسان بما يُلَيِّن قلبَه من ثواب

١-الخليل الفراهيدي، العين، (مادة: وعظ)، ٢/ ٢٢٨.
٢-الجوهري، الصحاح، ٣/ ١١٨١.
٣-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٦/ ١٢٦.
٤-الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، ٨٧٦.

وعِقاب. وَعَظْته وَعْظاً فاتَّعَظ [١].

وقد وردت لفظة (المَوْعِظَة) في القرآن الكريم على ثلاثة عشر وجهاً، وهي كما يأتي: (أَوَعَظْتَ، أعِظُكَ، أعِظُكُمْ، تَعِظُونَ، يَعِظُكُمْ، يَعِظُهُ، عِظْهُمْ، فَعِظُوهُنَّ، تُوعَظُونَ، يُوعَظُ، يُوعَظُونَ، الْوَاعِظِينَ، مَوْعِظَةٌ).

المَوْعِظَةُ اصطلاحاً:

المَوْعِظَةُ: باب من أبواب الدعوة إلى الله تعالى، وأسلوب من أساليب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر [٢].

والموعظة الحسنة، معناها الوعظ الحسن، وهو الصّرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله، وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع، وقيل: إنَّ الحِكمة هي النبوّة، والموعظة الحسنة مواعظ القرآن الكريم [٣].

والأصل في الموعظة أنها: القول الذي يلين نفس المخاطب ليستعد لفعل الخير والاستجابة له. والموعظة في معناها تدل على ما يجمع الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة، ولهذا قال ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ): الموعظة الحسنة: التخويف والترجئة والتلطف بالإنسان بأنْ تجله، وتنشطه، وتجعله بصورة من يقبل الفضائل [٤].

ويشير الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إلى معنى لطيف في هذا حين يقول: إنَّ الموعظة الحسنة هي التي لا تخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم [٥].

١-ابن سيده، المخصص، ٣/ ١٦٩.
٢-الحمد، أدب الموعظة، ٩.
٣-الخوئي، منهاج البراعة، ٧/ ١١٥.
٤-أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٥/ ٥٣١.
٥-الزمخشري، الكشاف، ٤٣٥.

ومن الوعظ الحسن إلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير:) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [١].

الحِكْمَة في اللغة:

قال الجوهري: الحُكْم الحِكْمَةُ من العِلْمِ، والحَكِيمُ العالِمِ وَصاحِب الحِكْمَة. والحَكيم: المتقن للأمور. وقد حَكُمَ أي صار حَكِيماً [٢].

وقال ابن فارس: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو: المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها. يقال: حكمت الدابة، وأحكمتها. ويقال: حكمت السفيه، وأحكمته إذا أخذت على يديه[٣].

وقال الراغب الأصفهاني: الحِكْمَةُ: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحِكمة من اللهَّ تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات[٤].

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): قيل: الحَكِيمُ ذو الحِكمة، والحِكْمَةُ عبارة عن معرفة أفضل الأَشياء بأفضل العلوم. ويقال لَمَنْ يُحْسِنُ دقائق الصِّناعات ويُتقنها: حَكِيمٌ[٥].

وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في تاج العروس: الحِكْمَةُ، بالكَسْر: العَدْلُ في القَضاءِ كالحُكْمِ.

والحِكْمَةُ: العِلْمُ بحَقائق الأَشْياءِ على ما هي عَلَيْه، والعَمَلُ بُمُقْتَضاها،

١-سورة طه، الآية ٤٣-٤٤.
٢-الجوهري، الصحاح، ٥/ ١٩٠١.
٣-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٩١.
٤-الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، ٢٤٩.
٥-ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ١٤٠.

ولهذا انقسمت إلى عِلْمِيَّةٍ وَعَمَلِيَّة. ويقال: هي هيْأة القُوَّة العَقْلِيَّة العِلْمِيّة. وقيل: الحِكْمَةُ، إِصابَةُ الحَقِّ بالعِلْمِ والعَمَلِ[1].

هذه أهم المعاني اللغوية التي وردت في الحِكمة وأصلها. وكلها تدور حول المنع؛ لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فيما يذم فيه، أو ما قد يندم عليه، وتمنعه من اختيار المفضول دون الفاضل، أو المهم قبل الأهم.

وقد ورد لفظ (الحِكْمَة) في القرآن الكريم عشرين مرة، في تسع عشرة آية، في اثنتي عشرة سورة، وقد ورد لعدة معان. وأنَّ لفظ (الحَكِيمْ) ورد في القرآن الكريم عشرات المرات. والحَكيم اسم من أسماء الله تعالى. ونسب سبحانه وتعالى الحِكمة إلى نفسه، وجعل إيتاءها من عنده. وقد ورد لفظ (حَكِيمْ) في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، و(حَكِيمَاً) ستة عشر مرة.

الحِكْمَةُ اصطلاحاً:

وردت كلمة (الحِكْمَة) في نصوص الشرع مراداً بها: الكتب السماوية من القرآن الكريم والإنجيل وغيرها. ومراداً بها أيضاً: النبوة، والهدى، والرشاد، والعدل، والعلم، والحلم والتفقه.

وتطلق الحِكمة على معان: منها المصلحة، كقولك: الحِكمة من هذا الشيء كذا. ومنها الموعظة، مثل الحِكمة ضالة المؤمن، ومنها العلم والفهم، ومنه قوله تعالى:) وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ [2]. ومنها النبوة، كقوله تعالى:) وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ [3].

وتطلق الحِكمة على الفلسفة. وقال قائل: الحِكمة هي علم الفقه. وقال

١-الزبيدي، تاج العروس، ١٦/ ١٦١.
٢-سورة لقمان، الآية ١٢.
٣-سورة ص، الآية ٢٠.

آخر: هي جميع العلوم الدينية. وقال ثالث: هي طاعة اللهَّ تعالى فقط.

ومهما قيل أو يقال فإنَّ الحِكمة لا تخرج أبداً عن معنى السداد والصواب، ووضع الشيء في موضعه قولاً وعملاً، فالحَكيم هو الذي يُحكم الشيء، ويأتي به على مقتضى العقل والواقع، لا بحسب الميول والرغبات، ولا يستعجله قبل أوانه، أو يمسك عنه في زمانه، أو ينحرف به عن حدوده وقيوده.

وعلى هذا فالحِكمة لا تختص بالأنبياء والأولياء، ولا بالفلاسفة والعلماء، فكل من اتقن عملاً، وأحكمه فهو حَكيم فيه، سواء أكان فلاحاً، أو صانعاً، أو تاجراً، أو موظفاً، أو واعظاً، أو أديباً، أو خطيباً، أو حاكماً، أو جندياً، أو غيره [1].

وقال الإمام علي عليه السلام في وصيته للإمام الحسن المجتبى عليه السلام في باب الموعظة والحِكمة: (أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وأَمِتْه بِالزَّهَادَةِ، وقَوِّه بِالْيَقِينِ، ونَوِّرْه بِالْحِكْمَةِ)[2].

المواعظ القرآنية في حِكَمِ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

قال عليه السلام في التفكر فيما يودع الصدر: (عَجَبٌ لِمَن يَتَفَكَّرُ في مَأكولِهِ، كَيفَ لا يَتَفَكَّرُ في مَعقولِهِ ! فَيُجَنِّبُ بَطنَهُ ما يُؤذيهِ، ويودِعُ صَدرَهُ ما يُرديهِ)[3].

قال القاضي سعيد القمي (ت ١١٠٣ هـ) في شرح التوحيد: اعلم ! أنَّ الغذاء على نحوين: غذاء الأجسام، وغذاء الأرواح. وفي الخبر في تفسير قوله عزَّ شأنه:) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ[4]. وقال: إنما هو العالم وما يخرج منه من العلم، فكما أنَّ لطيف الأغذية يصير جزءاً للمغتذي، ويكمل به، ويسمن

١-ينظر: محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ١/ ٤٢٢.
٢-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/ ٦٢.
٣-قطب الدين الراوندي، الدعوات (سلوة الحزين)، ١٤٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١/ ٢١٨.
٤-سورة الواقعة، الآية ٢٠-٢١.

من أجله، كذلك العلم يصير جزءاً للنفس يتقوى به، ويتكامل بسببه[1]. فعلى الإنسان أنْ يتزود فضلاً عن طعامه لجسمه ما هو مفيد لفكره وعقله وآخرته، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرِ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[2]. أي اجعلوا زادكم لمعادكم اتّقاء القبائح لا ما يتّخذ من الطعام؛ وذلك لأنَّ زاد الدنيا يخلصك من احتياج الدنيا وعذاب منقطع، وزاد الآخرة ينجّيك من عذاب دائم.

وفي قول الإمام عليه السلام في المأكل فقد جاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾[3].

وقال الشيرازي في تفسيره للسورة: وإذا ما أعطت السورة كل هذه الأهمية لغذاء البدن، فهي تدفع الإنسان للتحري عن سلامة غذائه الروحي؛ لأنَّ فعل التعليمات المنحرفة والتوجيهات الفاسدة الباطلة كفعل الغذاء المسموم، فهي تنخر في البناء الروحي، وتعرض حياة الإنسان للخطر. ومما يحز في نفوس المؤمنين أنْ يروا قسماً من الناس، وقد تكالبوا على غذاء البدن بكل دقة واعتناء، وأهملوا الغذاء الروحي، فترى - مثلاً - من يقرأ أيَّ كتاب وإنْ كان فاسداً ومفسداً، ويستمع لأي حديث وإنْ كان ضالاً مضلاً، من دون أنْ يضع لتوجيهاته أي ضابط بقيد أو شرط ! وقد جسد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هذا المعنى بقوله: (عجب لمن يتفكر...)[4].

إنَّ الذي يعنى بصحته لا يتناول طعاماً من يد شخص مصاب بالسل أو الجدري؛ لأنه لا يطمئن إلى سلامة الطعام ونظافته. وهناك أفراد مصابون بالأمراض الروحية والخلقية، ولذلك فإنَّ أقوالهم وكتاباتهم التي تعد بمثابة غذاء روحي للناس ليست مأمونة؛ وذلك لأنَّه من الممكن أنْ يلوث فساد الفكر

١-الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ٦/ ٥٣٨.
٢-سورة البقرة، الآية ١٩٧.
٣-سورة عبس، الآية ٢٤.
٤-ينظر: الشيرازي، الأمثل، ١٩/ ٤٣٩.

ألسنتهم وأقلامهم أيضاً، ويؤدي ذلك إلى انتشار الانحراف والفساد في المجتمع... فعلى الإنسان أنْ ينتبه إلى علمه الذي هو غذاء روحه عمن يأخذه. فإنْ كان المعلم منحرفاً وفاسداً فلا يمكن الاطمئنان إلى سلامة أقواله وتعاليمه[١].

وقد ورد لفظ الحث على التفكر في الكتاب العزيز: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]. ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾[٤]. ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]. ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٨]. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٩]. ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٠].

وقال الإمام الحسن عليه السلام أيضاً في فضل التفكر: (عَلَيكم بِالفِكرِ، فَإِنَّهُ حَياةُ قَلبِ البَصيرِ ومَفاتيحُ أبوابِ الحِكمَةِ)[١١].

إنَّ حقيقة التفكر طلب علم غير بديهي من مقدمات موصلة إليه كما إذا تفكر أنَّ الآخرة باقية والدنيا فانية، فإنه يحصل له العلم بأنَّ الآخرة خير من الدنيا، وهو يبعثه على العمل للآخرة، فإنَّ التفكر سبب لهذا العلم والعمل.

١-الميلاني، محاضرات محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، ٢١٠.
٢-سورة البقرة، الآية ٢١٩، والآية ٢٦٦.
٣-سورة الأنعام، الآية ٥٠.
٤-سورة آل عمران، الآية ١٩١.
٥-سورة الأعراف، الآية ١٧٦.
٦-سورة يونس، الآية ٢٤.
٧-سورة الرعد، الآية ٣؛ سورة الروم، الآية ٢١؛ سورة الزمر، الآية ٤٢؛ سورة الجاثية، الآية ١٣.
٨-سورة النحل، الآية ١١، والآية ٦٩.
٩-سورة النحل، الآية ٤٤.
١٠-سورة الحشر، الآية ٢١.
١١-الديلمي، أعلام الدين، ٢٩٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ١١٥.

وقيل: التفكر سير الباطن من المبادي إلى المقاصد، وهو قريب من النظر. ولا يرتقي أحد من النقص إلى الكمال إلا بهذا السير. ومبادئه الآفاق والأنفس، بأنَّ يتفكر في أجزاء العالم وذراته، وفي الأجرام العلوية، وفي الأجرام السفلية، وفي أجزاء الإنسان وأعضائه. وغير ذلك مما لا يحصى كثرة. ويستدل بها وبما فيها من المصالح والحكم والتغيير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته وعدم ثبات ما سواه.

ومن هذا القبيل التفكر في أحوال الماضين، وانقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها، ورجوعهم إلى دار الآخرة، فإنه يوجب قطع المحبة عن غير الله تعالى، والانقطاع إليه بالتقوى والطاعة، ولذا أمر بهما بعد الأمر بالتفكر، ويمكن تعميم التفكر بشكل يشمل التدبر في معاني الآيات القرآنية والأخبار النبوية والآثار المروية عن الأئمة الأطهار والمسائل الدينية والأحكام الشرعية. وبالجملة كلما أمر الشارع بالخوض فيه والعلم به[1].

وقال عليه السلام في كيفية مصاحبة الناس: (صاحب النّاس بمثل ما تحبّ أنْ يصاحبوك به تكن عدلاً)[2].

إنَّ المصاحبة تعني المعاشرة والملازمة. وجاء في رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام [3] وكتاب الأمالي ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ): أما حق الصاحب فإنْ تصحبه بالمودة والإنصاف وتكرمه كما يكرمك، ولا تدعه يسبقك إلى مكرمة فإنْ سبق كافئته، وتوده كما يودك، وتزجره عما يهم به من معصية، وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوة إلا بالله تعالى[4].

وفي آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) قال: الصحبة على

١-ينظر: الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ٨/ ٢٩٠.
٢-الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ١٩٥؛ المحمودي، نهج السعادة، ٧/ ٣٥٥.
٣-الإمام زين العابدين عليه السلام، رسالة الحقوق، ٦.
٤-الشيخ الصدوق، الأمالي، ٤٥٥؛ ومن لا يحضره الفقيه، ٢/ ٦٢٣.

وجوه، لكل واحد منها آداب ومواجب ولوازم، فالصحبة مع الله تعالى باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، ودوام ذكره، ودرس كتابه، ومراقبة أسراره أنْ يختلج فيها ما لا يرضاه، والرضا بقضاء الله تعالى، والصبر على بلائه، والرحمة والشفقة على خلقه، وما ينحو نحوه من هذه الأخلاق الشريفة... والصحبة مع الأهل والولد بالمداراة، وحسن الخلق، وسعة النفس، وتمام الشفقة، وتعليم الأدب والسنة، وحملهم على الطاعات. والصفح عن عثراتهم، والعفو عن مساوئهم، ما لم يكن إثماً ومعصية.

والصحبة مع الإخوان بدوام البشر، وبذل المعروف، ونشر المحاسن، وستر القبائح، واستكثار قليل برهم، واستصغار ما منك إليهم، وتعهدهم بالنفس والمال، ومجانبة الحقد والحسد والبغي والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه، وترك ما يعتذر منه.

والصحبة مع العلماء بملازمة حرماتهم، وقبول قولهم، والرجوع إليهم في المهمات والنوازل، وتعظيم ما عظم الله تعالى من محلهم حيث جعلهم خلفاً لنبيه وورثته.

والصحبة مع الوالدين ودهما بالنفس والمال، وخدمتهما في حياتهما، وإنجاز وعدهما، والدعاء لهما في كل الأوقات ما داما في الحياة، وحفظ عهدهما بعد الممات.

والصحبة مع الضيف بحسن البشر، وطلاقة الوجه، وطيب الحديث، وإظهار السرور، والكون عند أمره ونهيه، ورؤية فضله، واعتقاد المنزلة حيث أطربك بدخول منزلك، وتكرم بطعامك[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[2]: أي مصاحباً معروفاً،

١-ينظر: السلمي، آداب الصحبة، ١١٧-١٢١.
٢-سورة لقمان، الآية ١٥.

تقول: صاحبه مصاحباً ومصاحبة. فالصحبة هنا بين ولد ووالدين مختلفين بالاعتقاد.

وقال ابن عاشور (ت ١٢٨٤هـ) في تفسيره للآية: المصاحبة: المعاشرة، ومنه حديث معاوية بن حيدة، أنه قال لرسول الله]: من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ [١]. قال: ((أمك)) - قالها ثلاث مرات - ثمَّ قال: ((أبوك)) [٢].

وقد رفع القرآن الكريم منزلة شكر الوالدين إلى منزلة شكر الله تعالى على الرغم من أنَّ نعم الله تعالى التي يشكرها الإنسان لا تعد، ولا تحصى. وإنَّ ما جاء في القرآن الكريم لا يسمح بأدنى إهانة للوالدين، ولا يجوز ذلك، وعلى الرغم من أنَّ الجهاد يعدّ من أبرز التعاليم الإسلامية، إلا أنَّ رعاية الوالدين تعد أبرز منه؛ بلْ لا يجوز إذا أدى الأمر إلى أذية الوالدين، بالطبع هذا إذا لم يكن الجهاد عينياً، وإذا توافر العدد الكافي من المتطوعين له.

والمتتبع لمادة (صحب) ومشتقاتها في القرآن الكريم: ﴿تصاحبني﴾ [٣]، و﴿صاحبهما﴾ [٤]، و﴿يصحبون﴾ [٥]، و﴿الصاحب﴾ [٦]، و﴿صاحبكم﴾ [٧]، و﴿صاحبه﴾ [٨]، و﴿صاحبهم﴾ [٩]، و﴿صاحبي﴾ [١٠]، و﴿صاحبة﴾ [١١]،

١-ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/ ١٦٠.
٢-الإمام البخاري، صحيح البخاري، ٧/ ٦٩؛ الإمام مسلم، صحيح مسلم، ٨/ ٢.
٣-سورة الكهف، الآية ٧٦.
٤-سورة لقمان، الآية ١٥.
٥-سورة الأنبيّاء، الآية ٤٣.
٦-سورة النساء، الآية ٣٦؛ سورة القلم، الآية ٤٨.
٧-سورة سبأ، الآية ٤٦؛ سورة النجم، الآية ٢؛ سورة التكوير، الآية ٢٢.
٨-سورة التوبة، الآية ٤٠؛ سورة الكهف، الآية ٣٤-٣٧.
٩-سورة الأعراف، الآية ١٨٤؛ سورة القمر، الآية ٢٩.
١٠-سورة يوسف، الآية ٣٩ - ٤١.
١١-سورة الإنعام، الآية ١٠١؛ سورة الجن، الآية ٣.

و﴿صاحبته﴾ [١]، و﴿أصحابهم﴾ [٢]، و﴿أصحاب[٣]﴾. يجد أنها قد وردت سبعاً وتسعين مرة، وليس هناك اختلاف بين المعنى اللغوي الذي ذكره أصحاب اللغة وبين الصحبة في القرآن الكريم[٤]. فقد أطلقها القرآن الكريم في ما يتعلق بالعشرة بين مؤمن ومؤمن، وبين مؤمن وكافر، وبين كافر وكافر.

وفي الكتب السماوية الأخرى، فقد ذكر في الكتاب المقدس مشتقات صَحِبَ: (صَاحَبَ)، و(صاحب)، و(صَحَبَ)، و(صاحبي)، و(صحبة)، و(صحبه)، و(مصاحبة)، و(صاحبك)، و(صاحبكم)، و(صاحبة)، و(صاحبه)، و(تصاحب)، (يصاحب)، و(يصاحبه)، و(صاحبها)، و(صاحبتها)، و(صاحباهما)، و(صاحبته)، و(صاحباتكن)، و(اصطحب)، و(أصحابهما)، و(أصحابها)، و(أصحابهم)، و(أصحابه)، و(أصحابي)، و﴿أصحاب﴾ [٥]، ومجموع ما ذكر في الكتاب المقدس من مشتقات صحب أكثر مما جاء في القرآن الكريم. ولم يكن لها ذاك المعنى الاصطلاحي كما جاء عن العلماء المسلمين في القرآن الكريم، وليس لها أية فضيلة لصحبة الأنبياء عندهم.

وقال عليه السلام في وصف التقوى: (التّقوى باب كلّ توبة، ورأس كلّ حِكمة، وشرف كلّ عمل، بالتقوى فاز من فاز من المتقين) [٦].

قال اللهَّ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ [٧]. وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُّ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٨]. وقال عليه السلام في فضل

١-سورة المعارج، الآية ١٢؛ سورة عبس، الآية ٣٦.
٢-سورة الذاريات، الآية ٥٩.
٣-عبد الباقي، المعجم المفهرس، ٤٠١-٤٠٢، فقد وردت كلمة (أصحاب) ٧٧ مرة.
٤-الموسوي، نظرية عدالة الصحابة، ١١.
٥-ينظر: فهرس الكتاب المقدس.
٦-الفيض الكاشاني، الوافي، ٢٦/ ٢٣٤.
٧-سورة النبأ، الآية ٣١.
٨-سورة الزمر، الآية ٦١.

التقوى: ﴿فاتقوا اللهَّ عباد اللهَّ واعلموا أنه وَمَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [1] من الفتن ويسدده في أمره ويهيئ له رشده ويفلجه بحجته ويبيض وجهه ويعطيه رغبته [2] ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً﴾ [3].

هذه الموعظة جامعة يسديها الإمام الحسن عليه السلام إلى الملإ المسلم ليصلح بذلك دنياهم وأخراهم، كما هو شأن الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فإنَّ الإنسان مهما أوتي من ملكة صالحة، ونفس طيبة، لا بد أنْ يحتاج إلى الوعظ والإرشاد، فإنَّ في الوعظ جلاء القلوب، وشفاء الصدور. فيأمر الإمام عليه السلام بكلامه هذا بالتقوى، ويحذر الناس سوء العاقبة ووخامة المصير، وإنَّ الخوف من الله سبحانه واتقاء عذابه رأس كل فضيلة، وسنام كل حسنة، ومنتهى كل غاية.

والتقوى، استعملت في اللغة في معان مختلفة، مثل الصيانة والستر من الأذى، ومخافة الله تعالى والعمل بطاعته، والخشية، والهيبة، وغيرها، فيظن القارئ في أول نظرة أنها متباينة، وكل واحدة منها قسيم للآخر، ولكن بالنظر العميق يستكشف أنها جمعاء ترجع إلى معنى واحد، وهو التحفظ عن الوقوع في المكروه، وصون النفس عن المكاره وستره عن حلول الأذى فيها، وهذا المعنى يختلف في المقامات، فتارة يحصل صون النفس وحفظها عن المضرات بالعمل وإيجاد فعل، وأخرى يتوقف حفظ النفس وصيانتها من الآلام والأذى على ترك العمل وكف النفس عن الفعل، فمرجع الجميع إلى ما ذكر، وهذا بحسب اللغة والعرف.

وأما بحسب الشرع فلها مراتب، وأول مراتبها الذي تنعقد به العدالة هو إتيان ما أوجب الله تعالى عليه، وترك ما نهى الله تعالى عنه، والظاهر أنها

١-سورة الطلاق، الآية ٢.
٢-ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٢٣٢؛ المحمودي، نهج السعادة، ٧/ ٦٢.
٣-سورة النساء، الآية ٦٩.

عند الشارع أيضاً باقية على معناها الأول، أي اللغوي والعرفي؛ إذ صون النفس وحفظها عن سخط الله تعالى وعذابه على نحو اليقين والقطع يتوقف على العمل بما أوجب الله تعالى عليه، وترك ما حرم الله تعالى، ونهاه عنه، فعلى هذا يقال: إنَّ حقيقة التقوى في اللغة والعرف والشرع، هو صون النفس عن توجه الأذى والألم إليها، والتحرز عن الضرر وما لا يلائم النفس، وهذا المعنى لا يكون مقطوعاً به للمكلف إلا إذا أتى بالواجبات وترك المحرمات[1].

وقد ورد الحث الأكيد على التقوى والأمر بها في كثير من الآيات القرآنية حتى ذكرت التقوى بمادتها منطوقاً ومفهوماً في القرآن المجيد في أكثر من مئتين وخمسين مقاماً[2]. منها: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[3].

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[4]. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[5]. ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾[6]. ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾[7]. ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾[8]. ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[9]. ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[10].

والآيات في الأمر بالتقوى كثيرة، منها: قال تعالى:

١-المحمودي، نهج السعادة، ٧/ ٥٧.
٢-البغدادي، الشفاء الروحي، ١٥٢.
٣-سورة البقرة، الآية ١٩٧.
٤-سورة المائدة، الآية ٢.
٥-سورة الأعراف، الآية ٢٦.
٦-سورة التوبة، الآية ١٠٨.
٧-سورة الحج، الآية ٣٧.
٨-سورة الفتح، الآية ٢٦.
٩-سورة المجادلة، الآية ٩.
١٠-سورة المدثر، الآية ٥٦.

﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ [1].

إنَّ حقيقة التقوى هي ذلك الإحساس الداخلي بالمسؤولية، ولولا هذا الإحساس فإنَّ الإنسان لا يندفع، ولا يتحرك باتجاه أي برنامج بناء[2]. فالتقوى هي الهدف الأسمى للهداية والانتفاع بآيات الله تعالى، كما جاء في الآية الثانية من سورة البقرة: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾. وحقاً أنَّ المرحلة النهائية للتقوى تحصل بعد الإيمان والعمل طبقاً لأوامر الله سبحانه، إلا أنَّ مرحلتها الابتدائية تقع قبل كل هذه المسائل؛ لأنَّ الإنسان إذا لم يحس بالمسؤولية داخلياً، فإنه لا يسعى للتحقق من دعوة الأنبياء والتثبت منها، ولا يصغي إليها، وحتى مسألة (دفع الضرر المحتمل) التي عدها علماء الكلام والعقائد أساس السعي ودعامته إلى معرفة الله تعالى، فإنها في الحقيقة فرع على التقوى[3].

وللتقوى درجات: أولها اجتناب ذنب الشرك الذي هو أعظم الذنوب الذي معه لا يقبل الله تعالى منه شيئاً، ويجعل معه أعماله هباءً منثوراً. وإنَّ التقوى ذات شعب وفروع، منها: التقوى السياسية، والمالية، والإدارية، والاقتصادية والاجتماعية.

وقال عليه السلام في الأدب والحياء والمروة ووصف العقل: (لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودّة لمن لا همّة له، ولا حياء لمن لا دِين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تُدرك الدارن جميعاً، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً) [4].

إنَّ من أكبر المصاديق على قول الإمام الحسن عليه السلام "لا أدب لمن لا عقل له" هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [5]؛

١-سورة الأنفال، الآية ٢٩.
٢-الشيرازي، الأمثل، ١٣/ ١٥٦.
٣-ينظر: م ن.
٤-ابن الصباغ، الفصول المهمة، ٧١١.
٥-سورة الحجرات، الآية ٤.

لأنَّ هذه الآية نزلت بحق من نادى الرسول (بصوت أرفع وأجهر من صوته) من خلف الحجرات (الغرف)؛ أي لم يطرق الباب، أو بمعنى آخر: لم يتصرف بأدب، والتي سبقتها الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ**﴾[1]. وهذا لا يفسر إلا بأحد شيئين: إما نوع من استخفاف به وهو الكفر، وإما إساءة الأدب بالنسبة إلى مقامه وهو خلاف التعظيم والتوقير المأمور به[2].

أما الفهم العرفي والبديهي لهذا الفعل فإنه يصدر ممن لا أدب له، فكيف إنْ كان ذلك الفعل قد صدر بحق رسوله الكريم.

أما في قوله عليه السلام: (ولا مودة لمن لا همة له) فيأتي بيانها في الآية الكريمة الآتية: ﴿**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾[3].

والأمر واضح أنَّ من لا يود شخصاً فإنه لا يهتم بأمره، فمن آذى آل بيت النبوة عليهم السلام لا يمكن بأي حال من الأحوال أنْ يكون مسلماً، فضلاً عن أنْ يكون عنده لهم مودة.

قيل: إنَّ الخطاب لقريش والمودة في القربى هي المودة بسبب القرابة، وأنَّ المراد بها هي مودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا مودة قريش، والمراد هم عترته من أهل بيته[4].

أما الهمة فلقد وردت في قوله تعالى: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى**

١-سورة الحجرات، الآية ٢.
٢-السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ١٨/ ٣٠٨.
٣-سورة الشورى، الآية ٢٣.
٤-ينظر: السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ١٨/ ٤٤.

﴿بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

والهم هنا هو السوء، ويأتي بمعنى الاقتراب دون الارتكاب[2]. ويمكن أنْ يأتي المعنى في قوله: ولا مودة لمن لا همة له؛ أي إنَّه لا حب لمن لا يخشى على من يود، وقد تكون الإشارة إلى مودة أهل البيت G خاصة، وبالمعنى العام شمولاً.

أما في قوله عليه السلام: (ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل)، فهي موجودة في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قد جاءت على صيغة الأمر، وكذا في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[4]. فالإسلام استقام بثلاث: خلق النبي وسيف علي وأموال خديجة[5] صلوات الله عليهم أجمعين، وبهذا تظهر الثمرة من معاشرة الناس بالجميل والقول الطيب والحسنى بكل مصاديقها.

وعن أبي الربيع الشامي، قال: كنا عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام والبيت غاصّ بأهله، فقال عليه السلام: (اعْلَمُوا أَنَّه لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَه عِنْدَ غَضَبِه، ومَنْ لَمْ يُحْسِنْ صُحْبَةَ مَنْ صَحِبَه، ومُخَالَقَةَ مَنْ خَالَقَه، ومُرَافَقَةَ مَنْ رَافَقَه، ومُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَه، ومُمَالَحَةَ مَنْ مَالَحَه)[6].

أما في قوله عليه السلام: (وبالعقل تدرك الدارين جميعاً)، فالقصد واضح، وهو

١-سورة يوسف، الآية ٢٤.
٢-السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ١١/ ١٢٨.
٣-سورة فصلت، الآية ٣٤.
٤-سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
٥-المالكي، مناقب خديجة الكبرى، ٣.
٦-الشيخ الكليني، الكافي، ٢/ ٦٣٧.

أنَّه بالعقل تدرك دار الدنيا والآخرة) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ [1]. فالمتقون في حدائق وأعناب، ولا بد أنْ يكون من صفاتهم العقل؛ لأنَّ الله سبحانه في أكثر من آية من ذكره الحكيم يصف الكافرين بالأنعام؛ بلْ هم أضل سبيلاً وغيرها من الصفات الحيوانية التي تدلل على عدم وجود العقل لغير المتقين أو المؤمنين بالله تعالى وكتبه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ﴾.[2] ﴿و أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [3].

أما قوله عليه السلام: (من حرم العقل فقد حرمهما جميعاً)، فإنها معطوفة على قوله عليه السلام وبالعقل تدرك الدارين جميعاً؛ لأنَّ الإيمان وما يتبعه من لوازم العقل.

وقال: عليه السلام في ذم الكبر والحرص والحسد: (هلاك المرء في ثلاث: الكِبر، والحرص، والحسد. فالكِبر: هلاك الدين، وبه لُعن إبليس، والحرص: عدوّ النفس، وبه أُخرج آدم من الجنّة، والحسد: رائد السوء، ومنه قَتل قابيلُ هابيلَ) [4].

قوله: عليه السلام (هلاك المرء في ثلاث: الكِبر...). إنَّ الكبر من أسباب هلاك المرء ففيه أدلة قرآنية ووجدانية. فالكافرون لم يؤمنوا بما أنزل على رسوله الكريم محمد استكباراً منهم، فهم كانوا سادة قريش والعرب، واستكبروا أنْ يكونوا أتباعاً للرسول الأمي وأنْ يفقدوا مراكزهم القيادية في مكة، وكذا الحال في نفاق عبد الله بن سلول الذي وجد نفسه بين يوم وليلة، وقد فقد مركزه؛ لأنْ يكون ملكاً على

١-سورة النحل، الآية ٣٠.
٢-سورة الأعراف، الآية ١٧٩.
٣-سورة الفرقان، الآية ٤٤.
٤-ابن الصباغ، الفصول المهمة، ٧١٢.

يثرب، فاستحب النفاق على الإيمان. أما ما جاء في كتابه الكريم في هذا الصدد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ .[1] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ .[2] ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ [3]. قَالَ ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ﴾ [4].

هذه الآيات المباركات تشير وبنحو واضح إلى أنَّ إبليس اللعين قد لعن بسبب كبره واستعلائه على آدم عليه السلام [5].

أما في قوله عليه السلام: في (الحرص)، فالحرص عدو النفس، وبه أخرج آدم عليه السلام من الجنة [6]، والحرص هنا هو الفتنة. فالحرص هو شدة الحب حتى يكون الافتتان، وفتنة الشيطان هي حب الدنيا، والمثال في الافتتان لقول الإمام الحسن عليه السلام: هو تذكرة واستشهادٌ بافتتان آدم عليه السلام. وعن أبي بصير، قال: سأل طاووس اليماني أبا جعفر عليه السلام لم سمي آدم آدم؟ قال عليه السلام: (لأنه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى)، قال: فلم سميت حواء حواء ؟ قال عليه السلام: (لأنها خلقت من ضلع حي)، يعني ضلع من آدم[7]. وجاء في قوله تعالى في ذم الحرص: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [8].

أما قوله عليه السلام في (الحسد)، فالحسد رائد السوء، ومنه قتل قابيل هابيل. وهي إشارة من الإمام عليه السلام إلى شر الحسد وشدة مهالكه وسوء نتائجه. ولقد جاء ذكر

١-سورة البقرة، الآية ٣٤.
٢-سورة الإسراء، الآية ٦١.
٣-سورة ص، الآية ٧٤.
٤-سورة ص، الآية ٧٥.
٥-ينظر: الشيخ الطوسي، التبيان، ٨/ ٥٨١؛ الشيرازي، الأمثل، ١٤/ ٥٦٠.
٦-السيد مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت عليهم السلام، ٤٨.
٧-الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٦٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١١/ ١٠٠.
٨-سورة الزخرف، الآية ٣٥.

هابيل وقابيل في كتابه العزيز بعد أنْ قتل قابيل هابيل حسداً لأخيه، والحسد رائد الجوع[1]، ولم يعرف كيف يصنع بجثته بقوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[2].

ووردت هذه القصة في الإصحاح الرابع من سفر التكوين[3]. وحاصلها أنَّ هابيل كان راعياً للغنم، وكان قابيل عاملاً في الأرض، وحدث أنْ قدم كل منهما قرباناً للرب، وكان هابيل قد قدم من أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولم ينظر إلى قربان قابيل، فاغتاظ قابيل جداً، فقتل أخاه هابيل[4].

وهذا الاستدلال الذي أظهره الإمام عليه السلام أراد منه أنْ يبين خطورة الحسد ومهالكه الاجتماعية لأول جريمة قد حصلت على وجه الأرض.

وقال عليه السلام في معرفة الله تعالى: ﴿مَن عَرَفَ اللهَ أَحَبَّهُ﴾[5].

إنَّ في قوله عليه السلام: من عرف الله أحب الله أو من عرف الله أحبه الله، وفي هذا يأتي قول رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: (يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا)[6].

وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثمالي، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: (إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ، فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ فَإِنَّمَا يَعْبُدُهُ هَكَذَا ضَلَالاً)، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ؟ قَالَ عليه السلام: (تَصْدِيقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وتَصْدِيقُ رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله ومُوَالاةُ عَلِيٍّ عليه السلام والِائْتِمَامُ

١-الشافعي، مطالب السؤول في مناقب الرسول]، ٣٥٩.
٢-سورة المائدة، الآية ٣٠-٣١.
٣-الاصحاح الرابع، سفر التكوين، يوحنا اللاهوتي.
٤-ينظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ١/ ٥٦؛ الشيرازي، الأمثل، ٣/ ٦٨٠.
٥-الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ٣/ ٢٩٩.
٦-المجلسي (الأول)، روضة المتقين، ٢٧٣.

بـه وبِأَئِمَّـةِ الْهُـدَى ﷺ والْـبَرَاءَةُ إِلَى اللهَّ عَـزَّ وجَـلَّ مِـنْ عَدُوِّهِـمْ، هَكَـذَا يُعْـرَفُ اللهَّ عَـزَّ وجَـلَّ)[١].

وعـن عمـرو بـن أبي المقـدام، عـن جابـر، قـال: سـمعت أبـا جعفـر عليه السلام يقـول: (إِنَّـمَا يَعْـرِفُ اللهَّ عَـزَّ وجَـلَّ، ويَعْبُـدُه مَـنْ عَـرَفَ اللهَّ، وعَـرَفَ إِمَامَـه مِنَّـا أَهْـلَ الْبَيْـتِ، ومَـنْ لَا يَعْـرِفِ اللهَّ عَـزَّ وجَـلَّ، ولَا يَعْـرِفِ الإِمَـامَ مِنَّـا أَهْـلَ الْبَيْـتِ، فَإِنَّـمَا يَعْـرِفُ ويَعْبُـدُ غَـيْرَ اللهَّ هَكَـذَا واللهَّ ضَـلَالاً)[٢].

وجـاء في كتابـه العزيـز تفصيـلٌ للذيـن يحبهـم الله عَـزَّ وَجـلَّ، الذيـن يكرههـم سـبحانه في عـدة آيـات[٣].

ومـن آيـات معرفـة الله عـزَّ وجـلَّ، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ فِي السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَـاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُـمْ وَمَـا يَبُـثُّ مِـن دَابَّـةٍ آيَـاتٌ لِّقَـوْمٍ يُوقِنُـونَ وَاخْتِلَـفِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ وَمَـا أَنـزَلَ اللهُّ مِـنَ السَّـمَاءِ مِـن رِّزْقٍ فَأَحْيَـا بِـهِ الأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا وَتَصْرِيـفِ الرِّيَـحِ آيَـاتٌ لِّقَـوْمٍ يَعْقِلُـونَ تِلْـكَ آيَـاتُ اللهَّ نَتْلُوهَـا عَلَيْـكَ بِالْحَـقِّ فَبِـأَيِّ حَدِيـثٍ بَعْـدَ اللهَّ وَآيَاتِـهِ يُؤْمِنُـونَ﴾.[٤] ﴿وقَـالَ فِرْعَـوْنُ وَمَـا رَبُّ الْعَالَمِـينَ قَـالَ رَبُّ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُـمَا إِنْ كُنْتُـمْ مُوقِنِـينَ قَـالَ لِمَـنْ حَوْلَـهُ أَلَا تَسْـتَمِعُونَ قَـالَ رَبُّكُـمْ وَرَبُّ آبَائِكُـمُ الْأَوَّلِـينَ قَـالَ إِنَّ رَسُـولَكُمُ الَّـذِي أُرْسِـلَ إِلَيْكُـمْ لَمَجْنُـونٌ قَـالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْـرِبِ وَمَـا بَيْنَهُـمَا إِنْ كُنْتُـمْ تَعْقِلُـونَ﴾[٥]. و ﴿سَـنُرِيهِمْ آيَاتِنَـا فِي الْآفَـاقِ وَفِي أَنْفُسِـهِمْ حَتَّـى يَتَبَـيَّنَ لَهُـمْ أَنَّـهُ الْحَـقُّ أَوَلَمْ يَكْـفِ بِرَبِّـكَ أَنَّـهُ عَـلَى كُلِّ شَيْءٍ شَـهِيدٌ أَلَا إِنَّهُـمْ فِي مِرْيَـةٍ مِـنْ لِقَـاءِ

١-الشيخ الكليني، الكافي، ١/ ١٨٠.
٢-الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١/ ١٢٠.
٣-ينظر: سورة البقرة، الآية ١٩٥، الآية ٢٠٥، الآية ٢٢٢، الآية ٢٧٦؛ سورة آل عمران، الآية ٣٢، الآية ٥٧، الآية ٧٦، الآية ١٣٤، الآية ١٤٦، الآية ١٥٩؛ سورة النساء، الآية ٣٦، الآية ١٠٧؛ سورة المائدة، الآية ٤٢، الآية ٨٧؛ سورة الأنعام، الآية ١٤١، سورة التوبة، الآية ١٠٨؛ سورة النحل، الآية ٢٣؛ سورة الحج، الآية ٣٨؛ سورة القصص، الآية ٧٦.
٤-سورة الجاثية، الآية ٣-٦.
٥-سورة الشعراء، الآية ٢٣-٢٨.

رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ [١]. و﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [٢].

من وجهة النظر القرآنية في خلق الإنسان آيات بيّنات ودلالات واضحات تقوده إلى معرفة الله سبحانه، وهذا يعني أنَّ الإنسان لا يمكن أنْ يرى نفسه دون أنْ يرى ربّه، أو يكون عارفاً بنفسه وغير عارف بربّه، ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن هذا الموضوع، يمكن تقسيمها موضوعياً إلى تسعة أقسام[٣].

وفي الواقع أنّ الشرط الأَساس للاستفادة من آيات معرفة الله سبحانه ودلائلها، هو التخلص من موانع المعرفة وحُجبها فلو حجبت الرّؤية العقليّة عن النَّاس لسُلب منهم إمكان إدراك الحقائق العقلية، ومن هنا فإنَّ القرآن الكريم يعدّ الأَشخاص من أُولي الأَبصار وأُولي الأَلباب وأَهل التقوى والإيمان، إذا كانوا يستفيدون من رؤية عقولهم؛ لأَجل إدراك الحقائق التي توصلهم إلى سلوك طريق الحياة الصحيح. وبناءً على ذلكِ فإنّ أَقلّ درجات التقوى، هي التقوى العقلية الضرورية إلى حدّ الوصول إلى أَدنى درجات معرفة الله الّتي تسهم في إزالة موانع المعرفة شرط الاستفادة من التأَمل في آيات معرفة الله، فإذا ارتقت التقوى العقلية بواسطة الإيمان إلى التقوى الشرعية، فإنّها تزيد من مراتب معرفة الإنسان إلى أَعلى درجات التقوى حتّى يصل إلى قمة هرم المعرفة فلا يرى في عالم الوجود شيئاً إلاّ الله سبحانه[٤].

وجاء عن الغزالي (ت ٥٠٥هـ) فيمن أحب الله تعالى وعرفه، قال: فاعلم أنَّ من عرف الله أحبه لا محالة، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته، والمحبة إذا تأكدت سميت عشقاً، فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة، ولذلك

١- سورة فصلت، الآية ٥٣-٥٤.
٢- سورة الغاشية، الآية ١٧-٢٠.
٣- ينظر: الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ٣/ ١٥٥.
٤- م ن، ٣/ ٢٣٠.

قالت العرب: إنَّ محمداً قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء[1].

وقال عليه السلام في عدم إجابة المتكلم قبل السلام: (مَنْ بَدَأَ بِالْكَلَامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُوه) [2].

إنَّ السلام مبدأ من المبادئ التي عمق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين، فأصبحت جزءاً من كيانهم، وعقيدة من عقائدهم. ولفظ الإسلام مأخوذ من مادة السلام؛ لأنَّ السلام والإسلام، يلتقيان في توفير الطمأنينة والأمن والسكينة.

وتحية المسلمين التي تؤلف القلوب وتقوي الصلات وتربط الإنسان بأخيه الإنسان، هي السلام. وقد جعل الله تحية المسلمين بهذا اللفظ، للإشعار بأنَّ دينهم دين السلام والأمان، وهم أهل السلم ومحبو السلام. وما ينبغي للإنسان أنْ يتكلم مع إنسان قبل أنْ يبدأه بكلمة السلام، وهذا ما أكدّ عليه الإمام عليه السلام في حديثه.

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم: (السَّلامُ قَبْلَ الْكَلامِ)[3]. وسبب ذلك: أنَّ السلام أمان، ولا كلام إلا بعد الأمان.

وقال السعدي ت ١٣٧٦هـ) في تفسيره للآية ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ**﴾ :[4] ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا**﴾ من الملائكة الكرام، رسولنا (إِبْرَاهِيمَ) الخليل. (بِالْبُشْرَى) أي: بالبشارة بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم أنْ يمروا على إبراهيم، فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه (قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ) أي: سلموا عليه، ورد عليهم السلام. ففي هذا مشروعية السلام،

١-الغزالي، إحياء علوم الدين، ٦/ ١٥٦.
٢-ابن الصباغ، الفصول المهمة، ٧١٣؛ الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ١٩٨. وقيل هذا الحديث عن النبي]. ينظر: الشيخ الكليني، الكافي، ٢/ ٦٤٤.
٣-المجلسي، بحار الأنوار، ٩٠/ ٣١٣.
٤-سورة هود، الآية ٦٩.

وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام وأنَّ السلام قبل الكلام[١].

والسلام اسم من أسماء الله الحسنى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾[٢].

وقد وردت لفظة: (سلَام) في القرآن الكريم تسعة عشر مرة. وتحية الله للمؤمنين تحية سلام: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾[٣].

وتحية الملائكة للبشر في الآخرة سلام: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[٤]. وأهل الجنة لا يسمعون من القول، ولا يتحدثون بلغة غير لغة السلام: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً إِلَّا قِيلا سَلَاماً سَلَاماً﴾[٥]. وخاطب الله سبحانه وتعالى رسله بالسلام لما له من قيمة كما في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[٦]. ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٧]. ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[٨]. ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[٩].

وقال عليه السلام في حُسن السؤال: (حُسنُ السُّؤالِ نِصفُ العِلمِ، ومداراة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة)[١٠].

السؤال هو مطلق الطلب، وأنَّ للسائل حقاً، وهو عدم نهره أو زجره ولا

١-السعدي، تيسير الكريم، ٣٨٥.
٢-سورة الحشر، الآية ٢٣.
٣-سورة الأحزاب، الآية ٤٤.
٤-سورة الرعد، الآية ٢٣-٢٤.
٥-سورة الواقعة، الآية ٢٥-٢٦.
٦-سورة الصافات، الآية ٧٩.
٧-سورة الصافات، الآية ١٠٩.
٨-سورة الصافات، الآية ١٢٠.
٩-سورة الصافات، الآية ١٣٠.
١٠-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨/ ١٠٨.

الرد عليه بغلظة[1]، فمن استرشدك، فأرشده ومن سألك، فأجبه، ولا تنهره. وقد جاء في قوله تعالى عن السائل: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[2]. المعنى يشمل الفقير علمياً والفقير مادياً، والأمر بتلبية احتياجات السائل في المجالين[3]. كذلك فإنَّ على السائل أو الطالب أنْ يحسن في السؤال، ويتلطف بطلبه بما يقبله العقل والإنصاف مع دماثة الخلق الرفيع، فليس من المعقول أنْ يطلب السائل بما لا يستطيع المسؤول إجابته. وإنَّ السؤال هو مطلق الطلب ومنه طلب العلم، فمن أحسن في طلبه بالخير فهو نصف العلم، والسؤال والطلب هما إرادة السائل من المسؤول وأنَّ خيرهما من يريد منهما الآخرة.

وهناك آيات عديدة ورد فيها السؤال، يقول الله في كتابه العزيز: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[4]. ويقول عزَّ من قائل: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾[5]. ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[6]. فالسؤال مفتاح العلم وتحفيز للذهن، وقد جاءت الأسئلة بكثافة كبيرة في القرآن الكريم تستدعي التأمل والتدبر.

أما في قول الإمام عليه السلام: (ومداراة الناس نصف العقل)، فالمداراة أنْ يكون موقف الإنسان تجاه الناس موقفاً يخدم في جلب الناس وهدايتهم إلى خطّ الإسلام والأخلاق والفضيلة بشتّى السبل المشروعة. فلو طلب كاتب ناشئ من مؤلّف قدير أنْ يقرأ مقالاً كتبه، وبعد قراءته للمقال وجد أخطاءً بعدد كلماته وذكر له أخطاءه كلّها في المرة الأولى، فإنّ هذا الشخص قد يفقد الأمل بالصعود في مجال الكتابة ويترك الأمر. أمّا إذا تعامل معه بتدبّر وعقلانية وحكمة وأخبره ببعض

١-ينظر: السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ٢٠/ ٣١١.
٢-سورة الضحى، الآية ١٠.
٣-الشيرازي، الأمثل، ٢٠/ ٢٨٤.
٤-سورة النحل، الآية ٤٣.
٥-سورة النبإ، الآية ١.
٦-سورة المائدة، الآية ١٠١.

الأخطاء وقلّلها في عينه، ثمَّ ذكر له في المرّة القادمة أخطاء أخرى وهكذا فإنه لن يفقد الأمل؛ بلْ تنمو عنده قابلية أنْ يصبح كاتباً له شأنه.

ويظهر من الروايات أنَّ النبي يونس عليه السلام كان قد ترك المداراة وفعل غير ما ينبغي له (من باب الأولوية) ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ [1]. ونزل به ما نزل[2]. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من عاش مداريا مات شهيداً) [3].

وفي تفسير قوله عليه السلام: (والقصد في المعيشة نصف المؤونة). فقد كان من أبرز الجوانب التي عالجها الإسلام، ووضع لها القواعد التفصيلية الدقيقة، وشرع لها الأحكام الشاملة التامة الاقتصاد، أي بمعنى آخر كل ما يتعلق بمعاش الإنسان في دنياه وآخرته، وكانت عناية الإسلام بالجوانب الحياتية والمعيشية – أي الاقتصادية –لأجل حفظ المال، ولاشك أنَّ هذا المقصد لا يتأتى إلا بعد المرور بقنوات عديدة واستعمال أدوات كثيرة ومتنوعة، ولعل من أبرز هذه الأدوات والوسائل هو التدبير والاعتدال والتوسط والقصد في المعاش، أي السير في إطار الوسطية والاعتدال. وإلى هذا النحو من الاقتصاد أشار قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [4]. ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [5]. ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [6]. وهؤلاء المسرفون هم المتجاوزون الحد في أمورهم.

وقال عليه السلام في الحج إلى بيت الله تعالى: ﴿إنّي لأستحي من ربّي أنْ ألقاه ولم امشِ إلى بيته﴾ [7].

١-سورة الصافات، الآية ١٤٢.
٢-ينظر: المداراة من طرق الهداية، ٢-٤. www.araQic.shirazi.ir
٣-الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ٣٨٠.
٤-سورة الفرقان، الآية ٦٧.
٥-سورة الأنعام، الآية ١٤١؛ سورة الأعراف، الآية ٣١.
٦-سورة غافر، الآية ٤٣.
٧-ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣/ ١٨٠.

الحياء: هو من خلق المؤمنين، والاستحياء المبالغة في الحياء ورأس الإيمان وأصل الأخلاق الحسنة، وموجب لاجتناب المعاصي؛ بل المكروهات، وينبغي العناية به. ولذلك جاء التأكيد على هذه الصفة في الإنسان.

وجاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ... إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [1]. وهذه الخصلة من خصال النبي ﷺ؛ إذ كان يستحي من أصحابه، وأنَّ بعض أصحابه كان يدخل بيت النبي ﷺ من دون إذنه، وكان يحب مجالسته قبل الطعام وبعده، والنبي ﷺ يحتمل ذلك، ويصبر على هذه المشقة من عامة أصحابه معه، فكان يتأذى منها ولم يخبرهم بذلك، حتى لا يجرح عواطفهم. وهذا الصبر هو أنبل وأعلى صفة خُلُقية، لا تجدها إلا في الأنبياء والرسل وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

أما في قوله عليه السلام: (ولم امشِ إلى بيته) فالمشي إلى بيت الله تعالى هو الحج، والحج ركن من أركان الإسلام، وأعظم قربة يتقرب بها العباد، تجتمع فيه العبادة البدنية والمالية.

والحجّ مشياً أفضل إلَّا مع الضعف عن العبادة فالركوب أفضل [2]. وعن ابن عبّاس، قال: لمّا أصيب الحسن قال معاوية: ما آسى على شيء إلَّا على أن أحجّ ماشياً، ولقد حجّ الحسن بن عليّ خمساً وعشرين حجّة وإنّ النجائب لتقاد معه، وقد قاسم الله ماله مرتين حتى إن كان ليعطي النعل، ويمسك النعل، ويعطى الخف، ويمسك الخف [3].

وقال القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار: إنَّ الحسن والحسين عليهما السلام حجا، فخرجا إلى الحج يمضيان - من المدينة - فلم يمرا براكب، فراهما

١-سورة الأحزاب، الآية ٥٣.
٢-ينظر: المحقق الحلي، المختصر النافع، ٧٦.
٣-ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣/ ١٨٠.

يمشيان إلا نزل يمشي، فاشتد ذلك على كثير من الناس. فقالوا لسعد بن أبي وقاص: قد اشتد علينا المشي، ولا يسعنا أنْ نركب، وأبناء رسول الله صلى الله عليه وآله يمشيان. فجاء سعد إلى الحسن عليه السلام، فقال: يا أبا محمد، إنَّ المشي قد ثقل على جماعة ممن معك من الناس، ولم يسعهم الركوب، وأنتما تمشيان، فلو ركبتم لركب الناس. قال: قد جعلت على نفسي أنْ أمشي، ولكني أتنكب الطريق. فأخذا جانباً حيث لا يراهما الناس[1]. فمن خلق المؤمن أنْ يستحي من ربه وأنْ يحج إلى بيته الحرام مع الاستطاعة على أقل تقدير، وجاء في كتابه العزيز: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾[2].

وقد نزلت سورة كاملة في الحج، وهناك آيات أخرى ذُكرتْ في الحج[3].

وقال عليه السلام في طلب المساعدة من الناس الذين هم أهلٌ لذلك: (لا تأت رجلاً إلاّ أنْ ترجُوَ نَواله، وتخاف يده، أو تستفيد من علمه، أو ترجُوَ بَركةَ دعائه، أو تصل رحماً بينَك وبينَه)[4].

قوله عليه السلام: (لا تأت رجلاً إلا أنْ ترجو نواله)، فالمقصود من النوال هو الوصول إلى الطلب أو المراد أو الغاية أي ترجو من مجيئك له تحقيق ذلك المراد، ونقول نال الرجل مبتغاه، أي حصل على مراده، وجاء في قوله تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[5]. وهذه الآية نزلت بحق بني إسرائيل وهو من باب التوبيخ لهم على حب الدنيا وإيثار المال والمنال على دين الله تعالى[6].

١-شرح الأخبار، ٣/ ١١١.
٢-سورة آل عمران، الآية ٩٧.
٣-سورة البقرة، الآية ١٥٨؛ الآية ١٨٩؛ الآية ١٩٦-١٩٧.
٤-الشافعي، مطالب السؤول، ٣٥٩.
٥-سورة آل عمران، الآية ٩٢.
٦-السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ٣/ ٣٤٤.

والمراد هنا أنْ لا نأتي رجلاً في أمر أو طلب أو حاجة حتى نعلم أنه لا يَردُّنا أو يستطيع تحقيق جزء من طلبنا أو أخذ غايتنا منه.

أما في قوله عليه السلام: (وتخاف يده)، فهي كناية عن المسؤول لا السائل، أي من تأتيه تخاف يده من الله تعالى، هذا من جانب ومن جانب آخر فإنَّ اليد هي رمز للعطاء والكرم، وجاء ذلك الوصف في شعر الفرزدق (ت ١١٠هـ) في مدح الإمام السجاد عليه السلام بقوله:

كلتا يديْه غياثٌ عمَّ نفعهُما ... تُستَوْكِفَانِ ولا يَعْرُوهما عَدَم
سهلُ الخليقة لا تُخشى بوادرُهُ ... يَزينُهُ خِصلتانِ الحلمُ والكرمُ[1].

وقوله عليه السلام: (تستفيد من علمه) فإنَّ مطالب الإنسان متنوعة ومتعددة، ومنها طلب العلم،)وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ[2].

وتفسير أهل الذكر في الآية هو حفظ معنى الشيء، وقال الراغب الأصفاني في المفردات: يراد به هيأة للنفس بها يمكن للإنسان أنْ يحفظ ما يقتنيه من المعرفة[3].

والمعرفة هي العلم، وقد ورد طلب العلم في موارد كثيرة حتى في الصدقات في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ

١-الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٨٩.
٢-سورة النحل، الآية ٤٣.
٣-الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٣٢٨.

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[1] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾[2]. ومن هذا يتضح فضل طلب العلم عند الله تعالى.

أما في قوله عليه السلام: (أو ترجو بركة دعائه)، فإنَّ الدعاء هو الصلة مع الله تعالى، وبه يرفع البلاء، وهو طريق المؤمنين، وجاء في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[3]. و﴿قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[4].

فالذي ترجو بركة دعائه لا بد أنْ يكون ممن تحسُّ به الدين والإيمان، والذي لا تحسَّ به ذلك لا ترجُ دعاءَه وكما في الآيتين الكريمتين.

أما في قوله عليه السلام: (أو تصل رحماً بينك وبينه)، فإنَّ الإنسان لا يصل رحم آخر إلا أنْ يكون ممن يرجو فضله ويحسن الظن به، وممن حسنت سمعته، فلذلك يصل معه الرحم، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5].

وقال عليه السلام في ذم الحسد: (ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، نفس دائم، وحزن لازم، وعبرة لا تنفد)[6].

وردت لفظة حسد مرة واحدة في كتابه العزيز، وكذا لفظ حاسد من الآية نفسها في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[7]. وفيه أنَّ الحسد شر يصيب

١-سورة البقرة، الآية ١٧٧.
٢-سورة التوبة، الآية ٦٠.
٣-سورة إبراهيم، الآية ٤٠.
٤-سورة غافر، الآية ٥٠.
٥-سورة الأنفال، الآية ٧٥.
٦-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥/ ٢٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ٣/ ٢٨٦.
٧-سورة الفلق، الآية ٥.

الإنسان المحسود من الحاسد، والحسد هو أنْ يتمنى الحاسد زوال النعمة من المحسود حتى تصير إليه.

وجاء تفسير الآية في تفسير الميزان: أنَّ الآية تشمل العائن، فعين العائن نوع حسد نفساني، يتحقق منه إذا عاين ما يستكثره، ويتعجب منه[١]، وقبل أنْ نخوض في المراد من قول الإمام السبط ﷺ سأورد هذه القصة عن أحد العائنين حتى نبين شر العين والحسد.

كان بخراسان رجل عائن، فجلس يوماً بجماعة، فمر بهم قطار وجِمال، فقال لهم العائن: من أي جَملٍ تريدون أنْ أطعمكم من لحمه الساعة ؟ فأشاروا إلى جَملٍ من أحسنها، فنظر إليه العائن، فوقع لساعته، وكان صاحب الجَمل حكيماً، فقال: من ربط جَملي فليحله، وليقل: بسم الله عظيم الشأن، شديد البرهان، ما شاء الله كان، حبس حابس، من حجر يابس، وشهاب قابس، اللهم إني رددت عين العائن إليه، وعلى أحب الناس إليه، وفي كبده وكليتيه لحم رقيق، وعظم دقيق، فيما له يليق ﴿فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[٢] فوقف الجَمل لساعته كأنه لم يكن به شيء، وبرزت عين العائن[٣].

فالحاسد ظالم، وبظلمه ظلم نفسه، وما الله بظلام للعبيد. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ[٤]﴾. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٥]. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾[٦].

١-السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ٢٠/ ٣٩٣.
٢-سورة الملك، الآية ٣-٤.
٣-الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٢٨٨.
٤-سورة هود، الآية ١٠١.
٥-سورة النحل، الآية ١١٨.
٦-سورة الزخرف، الآية ٧٦.

وقال عليه السلام: في ذم الحرص والطمع: (اجعل ما طلبت من الدّنيا فلن تظفر به بمنزلة ما لم يخطر ببالك، واعلم أنَّ مروّة القناعة والرّضا أكثر من مروّة الإعطاء وتمام الصّنيعة خير من ابتدائها)[1]. وفي الحديث: (اعْمَلْ لدُنْياك كأَنك تَعيش أَبداً، واعْمل لآخرتك كأَنك تَموتُ غَداً)[2].

إنَّ للإنسان مساعي في هذه الدنيا يصبو إليها، منها ما يتحقق، ومنها لا يتحقق، فيقول الإمام عليه السلام اجعل الذي طلبته من هذه الدنيا، ولم تستطع تحقيقه، ولم تظفر به، وكأنَّ هذا الأمر لم يكن في خاطرك أو بالك أو سعيك أنْ تحققه من الأصل، وفي هذا توجيه لقسم الله سبحانه، والرضاء بمشيئته، وعدم الاعتراض على حكمه، ويعلمنا أنَّ خير الخصال للإنسان هي القناعة والرضا، وهي أفضل عند الله تعالى من العطاء والبذل عند القدرة.

وإنَّ الرضا لهو أعظم عند الله تعالى من العطاء؛ لأنَّ العطاء لا يكون إلا مع القدرة عليه، ولكن القبول والقناعة والرضا هي أعظم عند الله؛ وذلك لأنَّ الذي يعطي يكون مقتدراً في العطاء، ولا يعطي كل ما يملك، أما الذي عنده قناعة ورضا فهو يرضى بما قسم الله تعالى له على أي حال، وهذه موارد في ذكره الحكيم عن العطاء: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.[3] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[4].

أما في قوله عليه السلام: (وتمام الصنيعة خير من ابتدائها) فإنَّ الأمور بخواتيمها، وجاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[5] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ

١-الشافعي، مطالب السؤول، ٣٥٩.
٢-العلامة الحلي، تحرير الأحكام، ٢/ ٢٤٩.
٣-سورة طه، الآية ٥٠.
٤-سورة الليل، الآية ٥-٧.
٥-سورة الأعراف، الآية ١٢٨.

عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾.[1] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

وفي هذا حال إبليس اللعين الذي كان يلقب بطاووس الملائكة، ثمَّ كان في الدرك الأسفل من المعصية في النهاية.

وتمام الصنيعة خير من ابتدائها، فيها توجيه كما في قول رسول الله : (رحم الله امرءاً عمل عملاً فأتقنه)[2].

وقال ﷺ في فضل القرآن الكريم والرجوع إليه والتمسك به والعمل به: (إنَّ هذا القرآن فيه مصابيح النّور وشفاء الصّدور، فليجل جال بضوئه، وليلجم الصّفة قلبه، فإنَّ التفكير حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظّلمات بالنّور)[3].

إنَّ مصابيح النور التي قصدها الإمام ﷺ هي التوحيد والإيمان والهداية كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[4].

والنور رمز الوحدة، والظلمة رمز التشتت، وإنَّ لفظة (نور) ترد في القرآن الكريم بصيغة المفرد، في حين تأتي الظلمة بصيغة الجمع (ظلمات). وقد يكون هذا إشارة لطيفة إلى حقيقة كون الظلام - المادي والمعنوي - مصدراً دائماً للتشتت والانفصال والتباعد، في حين يكون النور رمز التوحد والتجمع[5].

أما في قوله ﷺ: (وشفاء الصدور) فلقد ورد في كتابه العزيز ست آيات

١-سورة طه، الآية ١٣٢.
٢-الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ١/ ٥.
٣-المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ١١٢؛ الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/ ٢٥١٩.
٤-سورة الحديد، الآية ٩.
٥-ينظر: الشيرازي، الأمثل، ٤/ ٢٠٧.

مباركات عرفت بآيات الشفاء الست، ولقد وردت في كثير من الكتب للاستشفاء من الأمراض[1]. كما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.[2] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[3] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾.[4] ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.[5] ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[6] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[7].

أما في قوله عليه السلام: (فليجل جال بضوئه) فالنظر بضوء القرآن الكريم يريك الحق حقاً والباطل باطلاً.

أما في قوله عليه السلام: (وليلجم الصفة) فإنَّ التفكير حياة القلب البصير، أما في الصفة فإنَّ هناك من جعل لله تعالى يداً وفماً، وقالوا: إنَّ الله تعالى جالس على كرسي وغيرها وهو مما أخذوه من ظاهر بعض الآيات كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.[8] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[9]. لذا فإنَّ الإمام عليه السلام قد بين ذلك بعلمه اللدني الرسالي عما سيكون من هذه الأوصاف، فأشار إلى لجم تلك الصفات البعيدة عن الذات الإلهية.

أما في قوله عليه السلام: (إنَّ التفكير حياة القلب البصير) فهو دلالة على طلب العلم، ونقول فلانٌ فكّر أي أعمل فكره في الموت.

١-ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٥/ ١٥٨. الكفعمي، المصباح، ١٩٦.
٢-سورة النحل، الآية ٦٩.
٣-سورة الإسراء، الآية ٨٢.
٤-سورة الشعراء، الآية ٨٠.
٥-سورة التوبة، الآية ١٤.
٦-سورة يونس، الآية ٥٧.
٧-سورة فصلت، الآية ٤٤.
٨-سورة الفتح، الآية ١٠.
٩-سورة الحج، الآية ٦١.

أما في قوله عليه السلام: (كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور) فهو تمييز لمن يستنير بالعلم عن من يبقى في الجهل.

وقال عليه السلام في الوفاء بالوعد والإنجاز: (الوعد مرض في الجود، والإنجاز دواؤه)[1].

إنَّ كلمة الوعد مقرونة بكل الكمالات الإلهية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾.[2] ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ﴾.[3] ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.[4] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾.[5] ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾[6].

ولّما جاء القول: إنَّ وعد الحرّ دين، فإنه مدلول الوفاء على ما وعد عند الكرماء والصلحاء والكرام في البذل والجود، والنقيض منه هو عدم الوفاء والخيانة، وجاء في حديث للرسول صلى الله عليه وآله إنَّ من آيات المنافق أنه: ((إذا وعد اخلف)))، وهي من صفات الشيطان كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَّمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[7].

لذا كان من واجب من وعد أنْ يفي بوعده الذي يكون لازماً له لا يزول

١-النويري، نهاية الأرب، ٣/ ٢٥٤.
٢-سورة آل عمران، الآية ١٥٢.
٣-سورة إبراهيم، الآية ٤٧.
٤-سورة مريم، الآية ٦١.
٥-سورة الحج، الآية ٤٧.
٦-سورة المزمل، الآية ١٨.
٧-سورة إبراهيم، الآية ٢٢.

عنه وقيداً لا يكسر حتى يؤديه، فيكون بذلك الإنجاز دواءً لروحه.

وقال عليه السلام: (الإنجاز دواء الكرم) [١].

يقول الشاعر أبو الطيب المتنبي:

إذا أنتَ أكرَمتَ الكريم ملَكتَه وَإِنْ أنتَ أكرَمتَ اللَّئيم تمرّدا [٢]

فالكريم يكون مديناً للمكرَم حتى يرد عليه ذلك بقدر ما أكرم به؛ أي يكون مديناً لمن أكرمه حتى ينجز رد ذلك، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ [٣].

فلا يجازى الإحسان إلا برد ما أحسن به.

وقال عليه السلام في ذم المزاح: (المزاح يأكل الهيبة، وقد أكثر من الهيبة الصامت) [٤].

يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في النهي عن المزاح، والذي هو وجه للمرح والسعادة والتبختر وغيرها: ﴿**وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا**﴾ [٥]. ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [٦].

الصعر: ميل في العنق، والتصعير إمالته عن النظر كبراً، وقال الراغب الأصفهاني المَرَحُ: شدّة الفرح والتّوسّع فيه [٧].

١-المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ١١٣، ٧٥/ ١١٥.
٢-الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ٢٦٦.
٣-سورة الرحمن، الآية ٦٠.
٤-المطهر الحلي، العدد القوية، ٣٧.
٥-سورة الإسراء، الآية ٣٧.
٦-سورة لقمان، الآية ١٨.
٧-الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٧٦٤.

وفي هذا يقول الشاعر الفرزدق في قصيدته المأثورة عن الإمام السجاد عليه السلام:

يُغضي حَياءً ويغضى من مَهابته فما يُكلَّمُ إلاّ حينَ يبتسمُ[1]

وقد كانت هيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هدوئه ووقاره وهيبته، فما كان يضحك إلاتبسماً، ولم يكن يسمع منه ضحك أو مزاح، وفي ذلك سيرة أهل البيت عليهم السلام.

وقال عليه السلام في الرئاسة والوفاء والإنجاز: (المسؤول حرّ حتّى يعد، ومسترقٌّ المسؤول حتّى ينجز)[2].

إنَّ المسؤول هو صاحب الأمر أو المكلف به، وهو مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى أولاً وأمام مسؤوليته الدنيوية بمختلف تشعباتها الرعوية والأسرية والمجتمعية وغيرها ثانياً. وجاء في قوله تعالى: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾[3]. أي احبسوهم؛ لأنهم مسؤولون، أي حتى يسأل عنهم، والسياق يعطي أنَّ هذا الأمر بالوقوف، والسؤال إنما يقع في الصراط[4].

وجاء في جملة من الكتب عن قوله عما يسألون فقيل: عن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[5].

والسياق عن مطلق السؤال، ويوم الحساب هو يوم السؤال، وجاء في قوله تعالى: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[6].

١-الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١/ ٥١.
٢-المطهر الحلي، العدد القوية، ٣٧.
٣-سورة الصافات، الآية ٢٤.
٤-السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ١٧/ ١٣٢.
٥-ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ١١٨؛ ابن حجر، لسان الميزان، ٤/ ٢١٢.
٦-سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

وجاء في كتابه العزيز كثير من الآيات من أنَّ الله تعالى لا يخلف وعده: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللهِ قِيلاً﴾.[1] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.[2] ﴿أَلَا إِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.[3] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.[4]

وقوله عليه السلام: (ومسترق المسؤول حتّى ينجز).

الاسترقاق هو العبودية، وهذا الدين الذي هو الوعد يكون عند الحر مرهوناً به بمثابة العبد لسيده، فلا ينفك عنه إلا عندما يؤديه، وهو الإنجاز.

١-سورة النساء، الآية ١٢٢.
٢-سورة الأعراف، الآية ٤٤.
٣-سورة يونس، الآية ٥٥.
٤-سورة إبراهيم، الآية ٢٢.

الخاتمة:

خلص البحث إلى ما يأتي:

١- تأثر الإمام الحسن عليه السلام كثيراً بأسلوب القرآن الكريم، فتمثله قولاً وحكماً ومواعظ جلية.

٢- كانت لمواعظ الإمام عليه السلام وحكمه وقعاً مؤثراً على نفوس المسلمين، فتناقلوها في كتبهم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن.

٣- إنَّ نظرة فاحصة في حكم ومواعظ الإمام الحسن عليه السلام وسبر أغوارها ومقارنتها بالقرآن الكريم لخير دليل للدارسين على أنَّ القرآن الكريم وأهل بيت النبوة عليهم السلام هما سراج واحد وصنو واحد يكمل أحدهما الآخر، ولا يمكن التفريق بينهما البتة.

المصادر والمراجع:

- خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس (العهد القديم)، (دار الكتاب المقدس، ١٤٠١هـ).

المصادر:

- الأربيلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ):
- كشف الغمة في معرفة الأئمة، (دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- الإمام البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ):
- صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ):
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ).
- الحاكم الحسكاني، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي (ت ٤٩٠هـ):
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمدي، (مؤسسة الطبع والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد، مجمع إحياء الثقافة، ١٤١١هـ).
- ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):
- لسان الميزان، تحقيق دائرة المعرفة النظامية، (مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ).
- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦هـ):
- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٨هـ).
- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ):
- وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، تحقيق تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مطبعة مهر، قم، ١٤١٤هـ).

- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الجياني (ت ٧٤٥هـ):
- تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ).
- الخليل الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):
- كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دار الهجرة، قم، ١٤٠٩هـ).
- الدميري، أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي الكمال (ت ٨٠٨هـ):
- حياة الحيوان الكبرى، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ).
- الديلمي، أبو الحسين الحسن بن محمد (ت ق ٨هـ):
- أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (الناشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، د ت).
- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ):
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢هـ).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ):
- مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، (منشورات طليعة النور، قم، ١٤٢٧هـ).
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ):
- تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ).
- الإمام زين العابدين، أبو السجاد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (ت ٩٤هـ):
- رسالة الحقوق، (المكتبة الشاملة).
- السبكي، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ):
- طبقات الشافعية الكبرى، (دار المعرفة، بيروت، د.ت).
- السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي النيسابوري (ت ٤١٢هـ):

- آداب الصحبة، (دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ١٤١٠هـ).
- ابن سِيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ):
- المخصص، (بولاق، المطبعة الأميرية الكبرى، ١٣١٦هـ).
- الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة (ت ٦٥٢هـ):
- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول،تحقيق ماجد أحمد العطية،(د مط، دت).
- ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين الحلبي (ت ق ٤هـ):
- تحف العقول عن آل الرسول (تحفة العقول)، تحقيق علي أكبر غفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ).
- ابن شهرآشوب، محمد بن علي السروي (ت ٥٨٨هـ):
- مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ).
- الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ):
- الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، (مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ).
- من لا يحضره الفقيه، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، (الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د ت).
- الشيخ الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٤٨هـ):
- الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، (مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ).
- الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت ٤٦٠هـ):
- التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ).
- العلامة الحلي، أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ):
- تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، تحقيق الشيخ إبراهيم البهادري، (المطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٠هـ).
- العيني، أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي (ت ٨٥٥هـ):
- عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ):
- إحياء علوم الدين، (دار الكتاب العربي، بيروت، د ت).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ):
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ).
- الفتال النيسابوري، الشيخ العلامة زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ):
- روضة الواعظين، وضع المقدمة محمد مهدي حسن الخرسان، (منشورات الرضي، قم، د ت).
- الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب التميمي (ت ١١٠هـ):
- شرح ديوان الفرزدق، عني بجمعه وطبعه والتعليق عليه عبد الله بن إسماعيل الصاوي، (مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٣٥٤هـ).
- الفيض الكاشاني، محمد حسن (ت ١٠٩١هـ):
- الوافي، تحقيق ضياء الدين الحسيني، (الناشر مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، أصفهان، ١٤٠٦هـ).
- القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ):
- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، تحقيق آصف بن علي أصغر، (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ):
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان (تفسير القرطبي)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- قطب الدين الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ):
- الدعوات (سلوة الحزين)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي، (مطبعة أمير، قم، ١٤٠٧هـ).
- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القيسي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ):

- قصص الأنبياء، (مطبعة دار التأليف، الناشر دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٨٨هـ).
- الكفعمي، تقي الدين إبراهيم بن علي الحسن بن محمد بن صالح العاملي (ت ٩٠٥هـ):
- المصباح (جنة الأمان الواقية وجنة الايمان الباقية)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ).
- الشيخ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٨هـ):
- الكافي (الأصول من الكافي)، تحقيق علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ).
- المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ):
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ).
- المجلسي (الأول)، محمد تقي (ت ١٠٧٠هـ):
- روضة المتّقين في شرح من لا يحضر الفقيه، علّق عليه وأشرف على طبعه السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي پناه الإشتهاردي، (الناشر بنياد فرهنك اسلامي حاج محمد حسين كوشانپور، دمط، د ت).
- المحقق الحلي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي (ت ٦٧٦ هـ):
- المختصر النافع في فقه الإمامية، (منشورات الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، توزيع مؤسسة البعثة، قم، ١٤٠٢هـ).
- الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ):
- صحيح مسلم، (دار الفكر، بيروت، د.ت).
- المطهر الحلي، رضي الدين علي بن يوسف (ت ٧٠٥هـ):
- العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، تحقيق السيد مهدي الرجائي، (مطبعة سيد الشهداء صلى الله عليه وآله وسلم، إيران، ١٤٠٨هـ).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ):
- لسان العرب، (نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ):

- نهاية الإرب في فنون الأدب، (مطابع گوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، د ت).
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ):
- شرح ديوان المتنبي، (المكتبة الشاملة).
- المراجع:
- البغدادي، عبد اللطيف:
- الشفاء الروحي، (د.ط، بيروت، ١٤٢٠هـ).
- الحمد، محمد بن ابراهيم:
- أدب الموعظة، (طبع ونشر مؤسسة الحرمين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ).
- الخوئي، العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ):
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق السيد إبراهيم الميانجي، (منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٣هـ).
- الريشهري، محمد:
- موسوعة العقائد الإسلاميّة، (مطبعة دار الحديث، بيروت، ١٤٢٥هـ).
- ميزان الحكمة، (دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ).
- الزبيدي، أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ):
- تاج العروس من شرح القاموس(المسمى تاج العروس من جواهر القاموس)، تحقيق علي شيري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ):
- تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ).
- الشاهرودي، علي النمازي (ت ١٤٠٥هـ):
- مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن علي النمازي، (مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٨هـ).
- الشيرازي، ناصر مكارم:
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (طبع الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٤هـ).
- ابن الصباغ، عليّ بن محمّد أحمد المالكي المكي (ت ٨٥٥هـ):
- الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، حققه ووثّق أصوله وعلّق عليه سامي

الغريري، (مطبعة سرور، قم، ١٤٢٢هـ).
- الطباطبائي، محمد حسين (ت ١٤١٢هـ):
- الميزان في تفسير القران (تفسير الميزان)، (الناشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، د.ت).
- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٢٨٤هـ):
- التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ).
- عبد الباقي، محمد فؤاد:
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (مطبعة الشعب، مصر، ١٣٦٤هـ).
- المالكي، محمد بن علوي الحسني:
- مناقب خديجة الكبرى، (قام بنشره بعض طلبة العلم، طبع بترخيص من وزارة الاعلام).
- محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ):
- التّفسير الكاشف، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م).
- المحمودي، محمد باقر:
- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت).
- السيد مهدي الصدر:
- أخلاق أهل البيت عليهم السلام، (دار الكتاب الإسلامي، د ت).
- الموسوي، عبد الرحيم:
- نظرية عدالة الصحابة، مراجعة محمد هادي اليوسف وصائب عبد الحميد، (مطبعة المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام في علم الدراية، (الناشر جامعة الإمام الصادق A، قم، ١٤٢٢هـ).
- الميلاني، فاضل الحسيني:
- محاضرات محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، (دار التعارف، بيروت، د ت).

حقوق الإنسان في بنود صلح الإمام الحسن عليه السلام سبق في التأصيل والإعلان

مقاربة للرؤيتين الإسلامية والغربية لوثيقة الحقوق

م.د. علي خضر محمد الشكري
جامعة الكوفة / كلية الفقه

ملخص البحث

تدور هذه الدراسة في فلك التأصيل لحقوق الإنسان في المنظومتين الحقوقيتين الإسلامية والغربية، وبيان منشأ الحق لدى كلٍ منهما، مع رصد مفاصل المسيرة الحقوقية تأريخياً لدى الإسلام والغرب.

وقد اتخذ البحث من بنود صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية منطلقاً للمقاربة بين الرؤيتين ليظهر بجلاء سبق الإسلام بتشريعاته السماوية التي جاءت في القرآن الكريم تارة وفي أقوال النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وأفعالهم وتقريراتهم وهو ما يُعَبَّرُ عنه بالسنة المطهرة تارة أخرى.

فالصلح الحسني وثيقة عُمُرُها أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، بينما نجد التقنينات الحقوقية الغربية حديثةَ العهد، سيّما أجلى وثائقها العالمية الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمدته هيأة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م .

من هنا فقد دارت رحى البحث منطلقة من بيان الرؤيتين الإسلامية والغربية مروراً بالمقاربة بين نتاج المرجعيتين الحقوقيتين وقوفاً عند الخلوص إلى ثبات الحق الإنساني إسلامياً وسبقه لا على صعيد التشريع فحسب بل على صعيد الممارسة العملية أيضاً في غير واحد من المفاصل التأريخية للأمة الإسلامية سيّما في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن ثم عصر الوصي عليه السلام.

Abstract This study
revolves around the rooting of human rights in the Islamic and Western human rights systems, and the statement of the origin of the right in each of them, while monitoring the joints of the human rights process historically in Islam and the West. The research took the terms of Imam al-Hassan A.A.'s reconciliation with Muawiyah as a starting point for the approach between the two visions to clearly show the precedence of Islam with its heavenly legislation, which is mentioned in the Holy Qur'an at times and in the sayings of the Prophet Al-Khatim (pbuh) and the people of his house (pbuh), their actions and reports, which is expressed in the purified Sunnah at other times. Al-Solh al-Hassani is a document that is more than fourteen centuries old, while Western human rights codifications are new, especially the most important of its universal documents, the Universal Declaration of Human Rights, adopted by the United Hence, the research began from the statement of .1948 Nations in the Islamic and Western visions through the approach between the products of the two human rights references and stood at the conclusion of the stability of the human right in Islam and preceded it not only at the level of legislation but also at the level of practice in other than one of the historical joints of the Islamic Ummah, especially in the era of the Prophet (pbuh) and then the era of the guardian (pbuh). for you

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين..

وبعد...

فإن موضوع حقوق الإنسان يمثل اليوم واحداً من أهم معالم المنظومة الفكرية المعاصرة، ولا يخفى ما لدراسة حقوق الإنسان من أهمية في حياة الإنسان نفسه وفي فاعليته وجوده في التركيبة الاجتماعية التي يعيش، إذ إن دراستها تُعرّف الفرد بما له وما عليه.

ومن الدواعي التي شجعت على البحث في مجال حقوق الإنسان في ضوء جهود أهل البيت عليهم السلام تلك الرغبة الجامحة في النفس للوقوف إلى جانب أولئك الذين ضمخوا طريق الحرية وضمخوا طريق كفاح الإنسان من أجل نيل حقوقه واستيفاء كرامته بعطر السلوك الإنساني الفذ وبدماء الشهادة دفاعاً عن الكرامة الإنسانية، فرأيت أن أتقدم ولو خطوة باتجاه أولئك الرهط، وما أرى في حدود معرفتي أناساً رصعوا لوحة حقوق الإنسان بأحرف من نور وبعثوا الحياة في تلك الصور الإنسانية حتى صارت سلوكاً يمشي بين الناس مثل آل محمد عليهم السلام أولئك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فعرفاناً بالقليل من حقهم، واستلهاماً لقبس من أنوار ما جادوا به حاولت في هذه الصفحات أن أتوقف عند ذلك الصلح الاستراتيجي الذي عقده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام متأملاً في بنوده، مُنطلِقاً بعد ذلك إلى عقد مقاربة بين ما جاء في بنود ذلك الصلح وما جاء في أجلى وثيقة معاصرة في الميدان الحقوقي هي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان / ١٩٤٨.

وقد عمد البحث في بعض مواضعه إلى الإشارة إلى تبني بعض المتبنّيات ورفض الأخرى أو تضعيفها مع المحافظة على النَفَس العلمي المحايد إيجاباً.

وقد واجه البحث بعض الصعوبات، منها أن هناك صعوبة في ميدان المقاربة بين بنود الوثيقة «صلح الإمام الحسن عليه السلام» ومواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إذ إن اللغة التي كتبت بها وثيقة الصلح لغة مضغوطة بينما لغة الإعلان كانت لغة معاصرة، ومع هذا أرجو أن يكون التوفيق قد حالف البحث في عقد المقاربة بين النصين وما جاء بهما لنصل بالتالي إلى بيان اشتمال تلك البنود وبخاصة البند الرابع منها وكذا الخامس على كثيرٍ مما جاء في المواد الثلاثين التي تضمنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، يضاف إلى ذلك قلة الدراسات التوثيقية أو التدوينية التي تدعو إلى التأصيل لثقافة حقوقية إسلامية، نعم يوجد في تراثنا كثير من الجذور ولكنها ترنو بعين الترقب إلى الباحث الغيور الذي يشمّر عن ساعد الجد ويمخر عباب ذلك البحر الزاخر بالعطاء فيخرجها إلى النور، فالواقع يشهد بأن كثيراً من تراثنا الفكري لا يزال حبيس الدورات الفقهية والروائية أو كتب السير والتراجم.

وقد اتفق لهذا البحث أن انتظم في ثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت أهم نتائجه، أما المبحث الأول فكان لتجلية المبادىء التصورية للدراسة وجاء بعنوان «حقوق الإنسان ماهيّةً ومنشأً» وقد تناولت فيه حقوق الإنسان من حيث المدلول اللغوي والمدلول الإصطلاحي، وكذا أوضح البحث فيه مِلاك تلك الحقوق ومنطلق نشأتها بالنظر إلى الرؤيتين الإسلامية والغربية، وتناولت الدراسة في المبحث الثاني المعنون بـ «منظومتا حقوق الإنسان الغربية والإسلامية معطيات وحقائق» الحراكَ الحقوقي لدى الغرب انطلاقاً من الماغناكارتا البريطانية مروراً بما صدر في فرنسا من إعلان حقوق الإنسان والمواطن ثم كتابة الدستور الأمريكي وانتهاءً عند الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨م، وإسلامياً كان المنطلق من أوائل دعوة الإسلام ومروراً بالمعالم الحقوقية في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ثم جهود أبنائه البررة سيّما الإمام الحسن عليه السلام، وجاء المبحث الثالث تحت عنوان «تأصيل أهل البيت عليهم السلام

لحقوق الإنسان في ضوء المقاربة بين الصلح الحسني والإعلان العالمي» وتمت فيه عملية مقاربة بين بنود الصلح والإعلان العالمي من خلال استعراض بعض بنود صلح الإمام عليه السلام في مقابل بعض مواد الإعلان العالمي، وإيقاف القارئ على طبيعة بعض بنود الصلح، فبعضها كان حقوقياً أو اقتصادياً محضاً، في حين كان البعض الآخر اجتماعياً، ثم تلت المباحث الثلاث خاتمة بما تمخض عنه البحث من نتائج، سائلاً المولى تعالى أن يأخذ بأيدينا لما فيه الخير والصواب وأن يسدد ألسنتنا وأقلامنا لنكون من السائرين على نهج قافلة الأنبياء والأوصياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، راجياً من الأحبة الذين تقع أبصارهم على هذا البحث أن يوقفوني على ما فيه من مواضع النقص فيكونون بذلك قد أسدوا إليّ معروفاً ولهم مني فائق الامتنان، والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق ومنه نستمد العون.

المبحث الأول

حقوق الإنسان ماهيةً ومنشأً

سيغطي هذا المبحث جملة من المبادئ التصورية التي تسهم في إيضاح مطالب هذه الدراسة والوصول إلى الهدف من ورائها، ولعل في مقدمة تلك المبادئ الوقوف على المراد من المفردات في معجمات اللغة العربية ومن ثم ما أراده المختصون منها، ومن الجدير بالاهتمام بيان منشأ الحق، وهو ما سيتناوله البحث في المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الأول

حقوق الإنسان في اللغة والاصطلاح

المعنى اللغوي لكلمة الحق

كلمة الحق كما يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين: «نقيض الباطل، وحقَّ الشيء حقاً أي وجب وجوباً»[1]، وقال ابن فارس: «الحاء والقاف أصلٌ واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحّته، فالحقُّ نقيضُ الباطل، ثم يرجع كلُّ فرعٍ إليه بجَودة الاستخراج وحُسْن التّلفيق ويقال حَقَّ الشيءُ وجَبَ»[2].

ويقول ابن منظور في اللسان: «الحق: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق، وقال: الحق من أسماء الله وقيل من صفاته»[3].

وعليه يتضح مما أورده هؤلاء الأعلام الثلاثة أن الحق في اللغة نقيض الباطل وفي الوقت عينه هو الواجب، وذلك الوجوب إنما يختلف ماهيةً بحسب الأفراد

١- الفراهيدي، الخليل ابن أحمد، العين، ج ٣، ص ٣، (من برنامج المعجم الإصدار الثالث).
٢- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: مادة حق، ٢/ ١٥.
٣- ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص٤٩ – ٥٠ ، (من برنامج المعجم الإصدار الثالث).

والأحوال، فالله سبحانه هو واجب الوجود، والحق ما كان قد وجب أن يُستوفى ويستمتع به أصحابه.

المعنى الاصطلاحي لحقوق الإنسان.

في معرض الإجابة عن ماذا تعني هاتان الكلمتان؟ نجدنا أمام أكثر من طريقة من التعبير، الأمر الذي يحدونا إلى ذكر بعض ما قيل في بيان المراد منهما، ولنبدأ بما ذكر عن «رينيه كاسان» إذ إنه أحد واضعي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ والحائز على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٦٨، فقد عرّف حقوق الإنسان قائلاً: «حقوق الإنسان هو فرع خاص من فروع العلوم الاجتماعية، موضوعه هو دراسة العلاقات القائمة بين الأشخاص وفق الكرامة الإنسانية، مع تحديد الحقوق والخيارات الضرورية لتفتُّح شخصية كل كائن انساني»[١].

وقد عرّف الفرنسي «آسف مادو» في كتابه «حقوق الإنسان والحريات العامة» الصادر سنة ١٩٧٦ بخصوص المصطلح وتعريفه «موضوع حقوق الإنسان هو دراسة الشخصية المعترف بها وطنياً ودولياً والتي في ظل حضارة معينة تضمن الجمع بين تأكيد الكرامة الإنسانية وحمايتها من جهة والمحافظة على النظام العام من جهة اخرى»[٢].

ولا يخفى أنه يرد على هذا التعريف أنه استغرق في الكشف عن موضوع حقوق الإنسان ولا نراه قد عرّفها، فذكر الموضوع لا يُسمى تعريفاً.

وكذلك عُرّفت حقوق الإنسان بأنها: «الحقوق التي يملكها الكائن البشري لمجرد أنه كائن بشري»[٣].

١- غانم جواد، تطور وثائق حقوق الإنسان في الثقافة العربية والإسلامية، ط ١ / ٢٠٠٧ م، بغداد، زيد للنشر، ص ٣٤.
٢- م. ن، ص ٣٤.
٣- انظر قاموس الفكر السياسي، مجموعة المختصين ترجمة انطوان حمصي.

وكم كانت رائعة تلك الزاوية التي نظرت من خلالها «ليا ليفين» إلى المصطلح «فقد رأت أن لمفهوم حقوق الإنسان معنيين أساسيين، الأول: هو الإنسان ـ بمجرد أنه إنسان ـ له حقوق ثابتة وطبيعية، وهذه هي الحقوق المعنوية النابعة من إنسانية كل كائن بشري والتي تستهدف ضمان كرامته، أما المعنى الثاني لحقوق الإنسان: فهو الخاص بالحقوق القانونية التي أُنشئت طبقاً لعمليات سن القوانين في المجتمعات الوطنية والدولية على السواء، وتستند هذه الحقوق إلى رضا المحكومين، أي رضا أصحاب هذه الحقوق، وليس إلى نظام طبيعي كما هو قائم في المعنى الأول»[1].

ووردت تعريفات متعددة لحقوق الإنسان في الأدبيات السياسية والقانونية ومنها أن حقوق الإنسان هي: «مجموعة الحقوق الطبيعية التي يمتلكها الإنسان واللصيقة بطبيعته، والتي تظل موجودة وإن لم يتم الاعتراف بها، بل أكثر من ذلك حتى ولو انتُهِكَت من قبل سلطة ما»[2]، ويبدو أن هذا التعريف هو الأقرب إلى روح الواقع من بقية التعريفات.

وأما على صعيد الوثائق الإسلامية فإن الباحث لا يكاد يقف على المركب الإضافي «حقوق الإنسان» كما هو في المصطلح اليوم، ولكن يُتَصَيَّدُ مدلولُ هذا التعبير من ألفاظ أخرى مثل: الدعوة للتسامح والمساواة، وإقامة العدل، وأدب التخاطب «الحوار»، ومنع الفتنة «بمعنى التعذيب، أو بمعنى الاضطرابات أو الفتن والحرب الأهلية»، وحق التقاضي «المثول أمام محكمة عادلة»، والحث على كسب الرزق وأمثال ذلك مما عُبِّرَ عنه في الشريعة الإسلامية أحيانا بالواجبات [3].

١- انظر ليا ليفين - حقوق الإنسان أسئلة وأجوبة ـ اتحاد المحامين العرب اليونسكو - ١٩٨٦. وكذا غانم جواد، تطور وثائق حقوق الإنسان، ص ٣٤.
٢- انظر د. محمد سعيد مجذوب / الحريا ت العامة وحقوق الإنسان: ص ٩.
٣- بتصرف واختصار عن تطور وثائق حقوق الإنسان لغانم جواد، ص ١٩.

المطلب الثاني

منشأ الحق الإنساني

قبل الخوض السريع في المسيرة التأريخية لحقوق الإنسان لا بد من الإجابة على سؤال مفاده من أين نشأ الحق أو ما هو مصدره؟

إن الإجابة على هذا السؤال توقف البحث قهراً على رأيين مختلفين أحدهما يمثل الرؤية الإسلامية والآخر يمثل الرؤية الغربية في التأصيل لحقوق الإنسان.

أولاً:

منشا حقوق الإنسان في الرؤية الغربية

لقد انقسم فقهاء القانون على مذهبين:

١- المذهب الفردي: ويرى أصحاب هذا المذهب أن الفرد هو الغاية والهدف من وراء كل تنظيم قانوني، وأن الفرد يولد متمتعاً بحقوق طبيعية بصفته إنساناً، وأنّ تمتعه بهذه الحقوق يعود إلى ما قبل وجود القانون، أما وظيفة القانون فتقتصر على:

أ- حماية تلك الحقوق والمحافظة عليها.

ب- تمكين الأفراد من التمتع بها.

٢- المذهب الجماعي: ويرى أصحابه أن الجماعة هي الهدف من وراء كل تنظيم قانوني، ولا يجوز للفرد التمسك بحقوق طبيعية مزعومة في مواجهة الجماعة، والفرد لا يملك من الحقوق إلا ما تمنحه إياه الجماعة باسم القانون، فالقانون عند

هـؤلاء هـو أسـاس الحـق [1].

والمذهبـان في نهايـة المطـاف يصـيران إلى محصلـة نهائيـة هـي أن مصـدر الحـق إمـا أنـه الطبيعـة، ومـا القانـون إلا حافـظ لـه وممكّـن منـه، أو أن مصـدر الحـق هـو القانـون نفسـه.

ثانياً:

منشا حقوق الإنسان في الرؤية الإسلامية

ربـما لا يخفـى أن هنـاك تأصيـلاً عقديـاً في الشريعـة الإسـلامية أكدتـه النصـوص القرآنيـة هـو أن منشـأ كل حـق إنـما هـو مـن الله تعـالى، وهـذا مـا نجـده جليـاً في غـير واحـد مـن مواضـع القـرآن الكريـم، مـن ذلـك قولـه تعـالى: ﴿**الحـق مـن ربـك فـلا تكونـنّ مـن الممتريـن**﴾ [2] بغـض النظـر عـن طبيعـة ذلـك الحـق والـذي يشـمل في عمومـه حقـوق الإنسـان وغـيره، ولا شـك أن الدقـة وتخـير اللفـظ القـرآني نجدهمـا حاضريـن بقـوة في هـذا البيـان السـماوي، إذ أكـدت الآيـات في هـذا النطـاق أن الحـق مـن الله وليـس معـه؛ إبعـاداً لشـبهة الإثنينيـة بـين الله سـبحانه والحـق بـل هـو منـه، فهـو ناشـيء عـن هـذه الـذات المقدسـة وأسـمائها الحسـنى وصفاتهـا العليـا، وكل أحـد إنـما تُقـاس صوابيـة موقفـه وعدمهـا بالقيـاس إلى انسـجام مواقفـه مـع دائـرة الحـق أو خروجـه منهـا.

مـن هنـا يـرى فقهـاء الإسـلام أن حقـوق الإنسـان فضـل وعطـاء مـن الله تعـالى اختـص بـه الإنسـان سـاعة خلقـه، فحيـث وُجِـد الإنسـان وُجِـدت حقوقـه؛ لأنهـا

١- الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم / عن المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية إعداد سيد جلال الدين ميرآقائي. ص ٢٨٨.

٢- البقرة: ١٤٧، وكذا ما في: آل عمران: ٦٠، النساء: ١٧٠، يونس: ٩٤، ١٠٨، هود: ١٧، الكهف: ٢٩، الحج: ٥٤، السجدة:٣.

رافقت عملية تكوينه أو خلقه أو إيجاده واندمجت معها [1]* .

فالله سبحانه وحده هو الذي منح الحقوق للإنسان ليمارسها بالفعل؛ لأن تلك الممارسة لتلك الحقوق شرط أساس لنجاح عملية الابتلاء الإلهي «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً»[2].

فحقوق الإنسان ليست منحة أو هبة أو تكرماً من الأسرة أو القبيلة أو الشعب أو الأمة أو السلطة، فهي سابقة لوجود أولئك كلهم، وما وُجِدت هذه المؤسسات إلا لحماية حقوق الإنسان وممارستها بحيث لا يطغى حق إنسان على حق إنسان آخر، وجدير بالذكر أن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كان دورهم مقتصراً على الكشف عن هذه الحقوق وبيان مسالكها ولفت انتباه الظلمة وبني الإنسان لخطورة مصادرتها او الحيلولة بين الإنسان وبين ممارستها والآثار المدمرة المترتبة على ذلك، فلم يقل أي واحد من الرسل والأنبياء الكرام عليهم السلام أنه أوجد حقوق الإنسان أو وهبها لإنسان بل شهدوا جميعاً بأنها عطية الله الخالصة للإنسان، وكعلامة على قرب انتهاء دورة الحياة الدنيا، ختم الله أنبياءه بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وختم تعاليمه وتوجيهاته الإلهية لبني الإنسان بالشريعة «الإلهية الإسلامية» التي تمثل تكامل التعاليم والتوجيهات الإلهية بشكلها ومضمونها النهائي لكل زمان ومكان [3]* إذن فقد اختص الله تعالى الإنسان بالتكريم فجعله شريفاً ذا كرامة في نفسه وأعلن هذا التكريم لكل المخلوقات فقال وهو أصدق القائلين: «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً»[4].

١-* جدير هنا أن يقف الإنسان على حقيقة فطرية الحقوق الإنسانية فارجع إلى ما ذهبت إليه ليا ليفين عندما قسمت الحقوق.
٢- سورة الملك - ٢.
٣-* وأرجو أن لا يعترض معترض دون تأمل ويقول فما لنا نرى المسلمين بالذات في أسوأ الأحوال ؟! فإننا نقول: إن الخلل إنما هو في التطبيق لا في التشريع والتوجيه الإلهي الباحث.
٤- الإسراء - ٧٠.

هـذا وإن الواهـب للحقـوق الإنسـانية أوجـد إضافـة إلى منـح تلـك الحقـوق حمايـة خاصـة لـكل حـق منهـا واعتـبر الاعتـداء عـلى أي منهـا اعتـداءً عـلى حـدوده هـو سـبحانه وتعـالى.

ومـن هنـا كانـت الحمايـة لهـذه الحقـوق قويـة والعقوبـة المختصـة بمـن يعتـدون عليهـا رادعـة.

ويبـدو أنـه لا مبالغـة إذا قلنـا: إن نـزول الشرائـع وبعـث الأنبيـاء والرسـل عليهم السلام مـا كان إلا لتحقيـق غايـات كـبرى، منهـا تعريـف الإنسـان بـالله الخالـق الواهـب لهـذه الحقـوق، وحمايـة هـذه الحقـوق وتمكـين كل إنسـان مـن ممارسـتها عـلى الوجـه الأكمـل وتنظيـم العلاقـات بـين الإنسـان وبـين الله وبـين الإنسـان والإنسـان وبـين الإنسـان والكـون وصـولاً إلى تحقيـق الحيـاة المثـلى التـي أرادهـا الله سـبحانه للإنسـان الكريـم[1].

وعمليـة التأصيـل هـذه «قـد أسـفرت عـن تحديـد مجموعـة مفاهيـم خاصـة بالحـق الإنسـاني، مـن حيـث مصـادره ومصاديقـه ومرتكزاتـه وحـدوده، فالشريعـة متمثلـة في الكتـاب والسـنة هـي مصـدر الحقـوق؛ لأن الله سـبحانه وتعـالى هـو الخالـق للإنسـان، وهـو أعـرف بـما يصلـح لـه ومـا يـضره.

فالحقـوق التـي عدّتهـا الشريعـة هـي الحقـوق الأصليـة والمعتـبرة؛ لأنهـا تنسـجم مـع الفطـرة الإنسـانية أولاً، ومـع غايـة الوجـود الإنسـاني ثانيـاً.

وإن حقـوق الإنسـان في المنظومـة الإسـلامية، كـما يقـول المفكـر الإسـلامي محمـد عـمارة، تجـاوزت مرتبـة الحقـوق، إلى اعتبارهـا «ضرورات» فالمـأكل والملبـس والأمـن، والحاجـة للحريـة في الفكـر، والاعتقـاد، والتعبـير، والعلـم، والمشـاركة في صياغـة النظام العـام للمجتمـع، والمراقبـة والمحاسـبة لأوليـاء الأمـور.. جميـع هـذه الأمـور في نظـر

١- مقتبس بتصرف يسير واختصار من حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوة للمحامي أحمد حسين يعقوب من ص ١٩ إلى ص ٤٣.

الإسلام ليست «حقوقاً» للإنسان فحسب، من حقه أن يطلبها ويسعى في سبيل التمسك بها، ويحرم منعه عن طلبها، وإنما هي ضرورات واجبة لهذا الإنسان»[1].

وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد بيان بهذا الصدد عند الحديث عن المنظومة الحقوقية الإسلامية بعد أن نشير إلى الإعلانين العالميين لحقوق الإنسان فترقّب ذلك.

وبعد هذه الجولة مع المفهوم بمعنييه اللغوي والاصطلاحي والكلام حول منشأ الحق ومصدره، لنا إطلالة وإلمامة سريعة أيضاً على مسيرة قافلة حقوق الإنسان في العصر الحديث سيّما في بلاد الغرب لنبحث في المنظومة الحقوقية الغربية، وبعدها إن شاء الله تعالى ستكون لنا عودة إلى التجذير والتأصيل الحقوقي في المنظومة الحقوقية الإسلامية.

١- مجلة المنهاج / العدد ١١ / السنة ١٩٩٨ / عدد خاص بمناسبة نصف قرن على إعلان مبادئ حقوق الإنسان / ص ٢٠٢.

المبحث الثاني

منظومتا حقوق الإنسان الغربية والإسلامية معطيات وحقائق

لّما انتهينا في المبحث السابق إلى وجود مرجعيتين لحقوق الإنسان إحداهما: الغربية، والأخرى: الإسلامية فسيقوم البحث هنا بجولة في المسيرة الحقوقية في التراث الغربي، ومثلها في التراث الإسلامي، مستعرضاً أهم الوثائق والمدونات الحقوقية لدى الغرب تارة، ولدى المسلمين تارة أخرى.

المطلب الأول

المنظومة الحقوقية الغربية

يتكفل هذا المطلب باستعراض الحراك الحقوقي بشكله التقنيني من الماغناكارتا إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بوساطة إلقاء نظرة سريعة على الشرائع الوضعية سواء في أوربا أو غيرها فهي توقفُنا على أنه قبل عصر النهضة كان الشعب الإنكليزي يناضل جاهداً في سبيل الحصول على وثيقة دستورية موقعة من السلطة الملكية، تعترف له بحقوقه وتضمن ممارستها، وقد تمكن من ذلك بعد قيامه بالثورة ضد الطغيان والاستبداد.

وهذه الوثيقة هي «الماغناكارتا (magna carta)» التي وقعها الملك جون في سنة ١٢١٥ ميلادية وسميت العهد العظيم، الذي تعهد بموجبه الملك بعدم التعرض لحقوق الشعب والمساس بها، ومن ثم عُدِّل هذا العهد مرات متتالية في عهد الملك هنري الثالث في الأعوام: ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢٢٥م [١] [٢].

«وأما إذا ما خرجنا عن نطاق إنكلترا سيّما في عصر النهضة الأوربية في

١- د. سعدي محمد الخطيب، حقوق الإنسان وضماناتها الدستورية في ٢٢ دولة عربية دراسة مقارنة:ص ٥.
٢- في الحقيقة ينبغي أن نذكر أن قبل الماكناكارتا كانت شرعة الحريات التي أعلنها الملك هنري الأول عام ١١٠١ نزولاً عند الحاح النبلاء والبرجوازيين.

القرنين الخامس عشر والسادس عشر وأوائل القرن السابع عشر نجد أنه تم الاعتراف بالمزيد من الحقوق والحريات للشعوب الأوربية، ومنذ النصف الثاني من القرن السابع عشر وحتى القرن الثامن عشر بدأت كتابات سياسية تندد بالنظام الاستبدادي داعية إلى الحد من السلطة الملكية وتطالب بسيادة الشعب وتدافع عن حقوق الفرد، فكانت كتابات جان جاك روسو وفولتير ومونتسكيو»[1].

التي أثّرت كثيراً على عقول الناس، إضافة إلى كتابات الفيلسوف البريطاني جون لوك ١٦٣٢ ـ ١٧٠٦ فكانت تلك الكتابات بمثابة المثوّر لروح ترسيخ عقيدة الحرية في أذهان الأحرار، وبعد هذا وذاك اندلعت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، فكانت ولادة إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي أصدرته الجمعية التأسيسية في ٢٦ آب عام ١٧٨٩، ومما ورد في قرار إصدارها لهذا الإعلان: «أن ممثلي الشعب الفرنسي اتفقوا في كلامهم على أَنَّ تناسي حقوق الإنسان واحتقارها كانا سببين رئيسيين في إذلال الشعب وإشقائه وإلقاء بذور الفساد والفوضى في الجهاز الحكومي، فقرروا نشر حقوق الإنسان الطبيعية وإعلانها بين جميع أفراد الشعب ليتنسى لكل مواطن معرفة حقوقه وواجباته» وجاء الإعلان بسبع عشرة مادة تضمنت مبادئ بالحقوق والحريات وذكرت فيه المبادئ التي يرتكز عليها النظام السياسي لكي يستطيع ضمان حقوق المواطنين، ومن أهم المبادئ التي أشار إليها الإعلان المذكور هو مبدأ الفصل بين السلطات، حيث جاء في المادة ١٦ منه «إن كل مجتمع لا تُؤَمّن فيه ضمانة للحقوق، ولا يحدد فيه الفصل بين السلطات، هو مجتمع بدون دستور».

أما في أمريكا فقد قامت ثورة التحرير ضد الاستعمار الإنكليزي عام ١٧٧٥ ونتج عنها إعلان الاستقلال الأمريكي في ٤ تموز سنة ١٧٧٦م الذي أدى إلى تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٨٩م ومن ثم صدور الدستور الأمريكي[2].

١- وهؤلاء يطلق عليهم فلاسفة الأنوار.
٢- د. سعدي الخطيب، حقوق الإنسان وضماناتها الدستورية، ص ٦ – ٨.

وكما ترى هذا التحرك الحثيث نحو التأكيد على حقوق الإنسان وبشكل مقنن ضمن عهود ودساتير حكومية هنا وهناك فمن إنكلترا إلى فرنسا إلى أمريكا إلى غيرها، كان التحرك دائباً وأحياناً في السنة التي يُكتَب فيها دستور هنا يكون قد عدل أو كتب آخر في دولة أخرى «ففي حين صدر الدستور الفرنسي سنة ١٧٩١م وضع الكونكرس وثيقة الحقوق التي تضم عشرة تعديلات على الدستور الأمريكي» [١].

ورغم التطور الذي حصل في الميدان الحقوقي إبان القرن الثامن عشر رغم هذا وذاك لم تَحُلْ هذه المحاولات والجهود دون اندلاع الحرب العالمية في القرن العشرين وانتهاك حقوق الإنسان، لذلك نجد أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، تم توقيع ميثاق الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو في ٢٦ حزيران ١٩٤٥م الذي أنشئت بمقتضاه هيأة دولية سميت بالأمم المتحدة والتي من أهدافها حفظ الأمن والسلم الدوليين وتعزيز حقوق الإنسان، وكان إعداد شرعة دولية لحقوق الإنسان أحد الشواغل الأساسية للأمم المتحدة فما إن حل شهر يناير١٩٤٦م حتى دعيت لجنة حقوق الإنسان «المنشأة بموجب ميثاق الأمم المتحدة « إلى العمل من أجل إعداد شرعة دولية لحقوق الإنسان، فبدأت اللجنة أعمالها في شباط ١٩٤٧م فكانت ولادة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ١٠ كانون الأول ١٩٤٨ م [٢]. وهكذا كرست الحقوق في وثيقة عالمية ولكن هذا الإعلان هو وثيقة مهمة ذات صفة معنوية فحتى تضفى عليها القوة القانونية أُتبعت بثلاثة صكوك وهي:

الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية «١٩٦٦».

الأتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية «١٩٦٦» [٣].

١- م. ن، ص ٨.

٢- الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم، ص ٣٠١ - ٣٠٨.

٣- هاتان الاتفاقيتان أو ما يعبر عنهما بالعهدين الدوليين لم يدخلا حيز التنفيذ إلا في العام ١٩٧٦ عندما بلغ عدد الدول المصادقة عليها النصاب المطلوب.

البروتوكول الاختياري المتعلق بها.

وتكتسب هذه الصكوك أهميتها من جهة أنها ملزمة للدول التي صادقت عليها بالاعتراف بحقوق الإنسان الواردة فيها وبضرورة احترامها وحمايتها.

المطلب الثاني

المنظومة الحقوقية الإسلامية

لقد تعامل الإسلام مع الإنسان على أنه قيمة عليا، خلقه بارئه وخلق كل شيء لأجله من بين مخلوقاته، ووقعت على عاتق هذا الإنسان مسؤولية أن يكون في الأرض خليفة لله تعالى «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...»[1]، وهذا الكائن قد حصل على تشريف وتكريم رباني من مختلف النواحي سواء المادية منها أو المعنوية «ولقد كرمنا بني آدم...»[2] وكذلك عبر المولى تعالى عن تكريم هذا الإنسان بقوله تعالى «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم»[3].

وبعث الله تعالى إليه الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين حتى بلغ عدد الأنبياء على الرواية المعوّل عليها في الأوساط العلمية ١٢٤ ألف نبي، ولتختتم هذه القافلة النبوية بنبوة نبينا الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم يوم جاء برسالة الإسلام الخالدة لتضم بين طياتها كل ما يضمن السعادة في الدارين لمن اعتقد بمبادئها السامية وعمل في ضوئها.

ولا غرابة فهي الرسالة الخاتمة وما كان ما سبقها من الرسالات السماوية إلا معداً ومهيئاً للنفوس لتلقّيها وقبولها بالقبول الحسن وقد «جاء الحديث عن

١- البقرة: ٣٠.
٢- الإسراء: ٧٠.
٣- التين: ٤.

حقوق الإنسان في الإسلام في أصل التشريع، حيث ثبت هذه الحقوق في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فكان الكتاب والسنة هما أصل هذه الحقوق وأصل إثباتها، وإذا ما رجعنا إلى القرآن الكريم نراه يؤصِّل لهذه الحقوق عبر مبدأين عظيمين أساسيين هما: مبدأ الكرامة ومبدأ العزة.

أما مبدأ الكرامة فمن قوله تعالى ﴿**ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً**﴾ [1] وهذا التكريم ليس خاصاً بالمسلمين وإنما هو شامل لكل من تناسل من ذرية آدم عليه السلام وهو أول البشر وأبوهم، وينقل الدكتور صبحي الصالح عن تفسير الآلوسي لقوله تعالى «ولقد كرمنا بني آدم...» « أي جعلناهم قاطبة، بارهم وفاجرهم، ذوي كرم أي شرف ومحاسن»[2].

وأما مبدأ العزة فمن قوله تعالى ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ [3] والعزة التي هي صفة لله تعالى جعلها للناس ليدرك الإنسان أنه ليس مخلوقاً ليكون ذليلاً ولا مَخْزِيّاً، وأن سعيه يجب أن يكون لتوفر هذه العزة فإذا ما حُرم هذه العزة فذلك بتهاونه بحق نفسه فرداً أو مجتمعاً.

وهذان المبدآن هما أصل حقوق الإنسان وحرياته وهذه الحقوق والحريات هي مظهر شخصية الإنسان المعنوية [4].

أما في السنة المطهرة فإن الصحيفة المعروفة بوثيقة المدينة التي أصدرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في سنة ١ هجرية الموافقة لسنة ٦٢٢ م تعد أول مدونة حقوقية تُنشئ الأمة على أسس من التعددية في أول كيان مجتمعي إسلامي في الأشهر الأولى من السنة الأولى للهجرة وإن من يُنعم النظر في تلك الصحيفة بشيء من تدقيقاً وتحقيقاً يجد ذلك البعد الدستوري وذلك التأسيس لما يمكن أن نطلق عليه

١- الإسراء: ٧٠.
٢- الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم، ص ٣١١.
٣- المنافقون: ٨..
٤- انظر د. فتحي الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ، ص ١٠٨.

اليوم العقود المدنية فقد «تميز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمعالجة إنسانية متطورة للعلاقة بين التكوينات الاجتماعية والسياسية للمجتمع الأهلي الحديث العهد بالرسالة الإلهية، وتعد الصحيفة بمثابة الخطوة الأولى لبرمجة الحقوق المدنية والاجتماعية في الإسلام، والمتضمنة للمبادئ والأسس الخاصة بالتعايش السلمي بين المكونات الاجتماعية التي تشكل مجتمعَ المدينةِ بصيغة التعددية والمؤلفة من المسلمين والنصارى واليهود والقبائل العربية التي بقيت على وثنيتها ولم تسلم بعد، وهذه الوثيقة هي أول اصدار مدني شرّعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره حاكماً ينظم العلاقات الاجتماعية ويؤسس لانبثاق الأمة المنطلقة نحو عالميتها ذات الصفة التعددية، ومن يقرأ الصحيفة يلاحظ أنها كتبت بلغة العقود المدنية بين الأطراف الموقعة عليها والملزمة بما ورد في الوثيقة المحتوية على بنود التعايش والتعاون ووحدة المصير والهدف ليعلن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ميلاد المجتمع الأهلي «المدني»في نواته الأولى»[1].

وإن من أهم النصوص التي تحدثت عن حقوق الإنسان نص خطبة الوداع التي خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع في أكبر جمع من المسلمين، السنة العاشرة من الهجرة التي وافقت العام ٦٣٢ م إذ تضمنت هذه الخطبة إعلان مبدأ المساواة بين الناس في أصل العنصر والمساواة بين الراعي والرعية أي بين الحاكم والمحكوم وراعت العدالة بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات، ووحدة القانون الذي يخضع الناس له وهو كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

واذا ما تأملنا قليلاً فيما جاء في هذه الخطبة العظيمة على إيجازها وانتقلنا بالنظر إلى ما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لوجدنا أن الإسلام كان سباقاً إلى سن وتطبيق معظم تلك الحقوق الإنسانية على الصعيد الاجتماعي للمسلمين ولمن اكتسب حق المواطنة معهم، فمن الكرامة إلى الحرية إلى حرمة سفك الدماء إلى حرية التعبير وغير ذلك كثير، وتجلت تطبيقات ما جاء في تلك الخطبة

١ – غانم جواد، تطور وثائق حقوق الإنسان، ص ٦٥ – ٦٦.

بوضوح أيام حكومة أمير المؤمنين عليه السلام إذ العدالة والمساواة والحرية وحرية الرأي والتعبير كانت من سمات مدة حكمه عليه السلام حتى إننا لم نسمع من قبل عن قائد يسمح لمعارضيه بفتح مكاتب داخل عاصمته وهي الكوفة يوم ذاك شريطة أن لا يُؤذوا المسلمين بشيء «ويمثل علي بن أبي طالب الفروسية بأروع معانيها وبكل ما تنطوي عليه من ألوان الشهامة، والإباء والترفع أصلان من أصول روح الفروسية، فهما إذن من طبائع الإمام، لذلك كان بغيضاً لديه أن ينال أحد الناس بالأذى وإن آذاه، وأن يبادر مخلوقاً بالاعتداء ولو على ثقة بأن هذا المخلوق إنما يقصد قتله، وبروح الإباء والترفع هذه هي التي ارتفعت به عن مقابلة الأمويين بالسباب يوم جعلوا يرشقونه به، فليس من خلق العظيم أن ينال من ناصبوه العداء بالسباب ولو سبوه، بل إنه منع على أصحابه أن ينالوا الأمويين بالشتيمة المقذعة فهو ما كاد يسمع قوماً من أصحابه هؤلاء يسبون أهل الشام أيام حروبهم بصفين؛ لأنهم سايروا الغدر وماشوا الخديعة، حتى قال لهم: « إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدِهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»[1].

وانظر إلى الحق في التقاضي وهذا الأصل من حقوق الإنسان واضح في التشريع الإسلامي وسيرة المسلمين «لقد عرف المسلمون في بعض مقاطع التأريخ إحدى المؤسسات التي كانت تتولى الدفاع عن حقوق الإنسان وهي ديوان المظالم بموجب ما أورده القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» من أن الإمام علي عليه السلام أنشأ أول ديوان للمظالم عند قدومه إلى الكوفة سنة ٣٦ هـ في إطار تطوير النظام السياسي للخلافة الإسلامية لتوفير قناة اتصال مباشر مع الحاكم للمظلومين لرفع شكاواهم، إضافة إلى وظيفة المحتسب وكلاهما يعتبران آلية

١ – الإمام علي صوت العدالة الإنسانية،جورج جرداق: ص ٦٦.

لضمان الحقوق الإنسانية»[١].

وهكذا نجد أن حقوق الإنسان في الإسلام مقررة من قبل الشارع الحكيم وأن الحفاظ عليها من الدين ومخالفتها هي مخالفة للدين تعود على صاحبها بالأثم والعقوبة.

ولما كانت الحياة في ظل انعدام تمتع الإنسان بحقوقه حياة ضيق وحرج ومعاناة نجد أن فقهاء الإسلام قد أدركوا هذه الحقيقة وفهموا أن الشريعة قد جاءت لرفع الحرج والحفاظ على الحياة في أرقى مستوى ممكن واعتبروا أن مقاصد الشريعة هي حفظ كليات خمسة تندرج تحتها كافة الحقوق التي لا غنى للإنسان عنها وهي:

١- حفظ الدين ٢. حفظ النفس ٣. حفظ النسل ٤. حفظ العقل ٥. حفظ المال

وهذه الكليات متعلقة جميعها بالإنسان[٢] [٣].

ولما كان ختام الحديث فيما مضى عن المنظومة الغربية لحقوق الإنسان بالإشارة إلى نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فإن من الملائم بمكان أن يُختم الحديث عن الإلمامة السريعة بالمنظومة الحقوقية الإسلامية بالقول: إن هناك إعلاناً عالمياً حقوقياً آخر جديراً بالذكر هو الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان[٤]، وقد كان أكثر تفصيلاً من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وتضمّن مسائل لم يشر إليها ذلك الإعلان ومنها: الإشارة إلى أحكام الحروب فيما يتعلق بالشيخ والمرأة والطفل في الحرب، والجريح والمريض والأسير وحرمة التمثيل وحرمة قطع

١- تطور وثائق حقوق الإنسان، ص ٥٣.
٢- انظر: الإسلام والأمة الإسلامية، ص ٣٣٠.
٣- انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي،أحمد الرسيوني: ص 152 وما يليها.
٤- الإسلام والأمة الإسلامية، إعداد سيد جلال الدين ميرآقائي، ص 315.

الشجر أو إتلاف الزرع والضرع، والحفاظ على سمعة الإنسان في حياته وبعد موته وحماية جثمانه ومدفنه، وما يقع على الدولة من إزالة العوائق أمام الزواج وتيسير سبله، وأن الإنفاق على الأسرة على عاتق الرجل، وذكر حقوق الأبوين على الأبناء، وحق الأقارب على ذويهم وفقاً لأحكام الشرع، وكفالة الدولة والمجتمع لحق العمل لكل قادر عليه، والحق في الكسب المشروع دون احتكار أو غش أو إضرار بالنفس أو الغير، ومنع الربا، وأن الإعلام ضرورة للمجتمع، ويحرم استغلاله وسوء استعماله والتعرض للمقدسات، وكرامة الأنبياء فيه، وممارسة كل ما من شأنه إصابة المجتمع بالتفكك والانحلال، والضرر أو زعزعة الاعتقاد[1].

إذاً فهذه جملة من الفوارق بين الإعلانين ولمزيد معرفة بهذا الأمر لا بأس بمراجعة ما كتبه الكاتب المغربي محمد دكير في مجلة المنهاج العدد الحادي عشر السنة الثالثة ١٩٩٨م فلقد أجاد الرجل حقاً هناك بما أفاد.

وإذا أراد المتتبع لقضية حقوق الإنسان في الإسلام ومديات التشريع أن يتوسع في هذا الميدان فبين يديه الآتي وهو غيض من فيض:

- الصحيفة أو دستور المدينة، وقد تقدم الحديث عنها.
- عهد الإمام علي عليه السلام إلى عامله في مصر مالك الأشتر.
- وثيقة صلح الإمام الحسن عليه السلام وهي المحور الأهم من بين محاور بحثنا هذا وسنأتي على عود الكلام فيها عما قليل إن شاء الله تعالى.
- رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليهما السلام.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي
- تحرير الكلام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة.

١- المحامي الشيخ مصطفى ملص / مقالة أو محاضرة في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية.

المبحث الثالث

تأصيل أهل البيت عليهم السلام لحقوق الإنسان في ضوء المقاربة بين الصلح الحسني والإعلان العالمي

توطئة

إن الحديث في هذه الصفحات إنما هو عن جانب من نتاج شخصية تسنمت من العلياء أعلاها ومن الهيبة والسؤدد شأوهما الذي لا يدانى، إنها شخصية الإمام المجتبى الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وإن الحديث عن الحسن عليه السلام لهو حديث ذو شجون فإن هذه الشخصية العظيمة قد وقع عليها حيف في ماضي الأمة وما زال الحيف واقعاً عليها في حاضرها، مع أنها مصداق تربية السماء متمثلة بالنبي الخاتم وخاتم الأوصياء.

وقد كان لتلك التربية أثرها الخاص على الحسن سلام الله عليه في كل مفصل من مفاصل حياته وإن الوقوف على شيء من سيرته عليه السلام ليمثل لنا بلة الصادي عند واحة خضراء وسط بيداء أيامنا وما فيها من إرهاصات الأسى والألم.

المطلب الأول

أولاً: بين يدي الصلح

مشت الليالي والأيام من حياة إمامنا الحسن عليه السلام كما رسمت لها يد القدرة الإلهية وإذا هو الحزن يطبق الكوفة بأسرها وإذا بصرخات الكوفيين، فهاهنا جفن مقرح، وهناك قلب كمد، وبسمة خبت، وآمال ذوت، وللشامتين بسمة حاقدة علت الشفاه.

فهذا علي صلوات الله عليه وهو مضمخ بدماء الشهادة مسجى على فراش الرحيل ملقياً آخر وصاياه، وهو كيان مقدس عرفته ساحات الوغى، ومعاهد العلم، ومحاريب العبادة، فقد آن لهذا البيرق أن يلف ولذلك العاشق أن يلاقي معشوقه، رحل أمير المؤمنين عليه السلام وسماء الإسلام ملبدة بغيوم النفاق الأموي والحقد الرومي وآفاق المستقبل المرعب.

وابتدأت رحلة الكفاح المضني بعد رحيله، وقد تسلم الإمام الحسن صلوات الله عليه زمام السلطة الدينية والزمنية في مناخ سياسي قلق للغاية فلقد آلت إليه الأمور على أعقاب اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام وما لحدث كهذا من أثر في إحداث هزة في الوضع الإسلامي بعامة والوضع في العراق بخاصة، ناهيك عن تلك التهديدات والاستفزازات التي كانت تصدر بين الحين والآخر من قائد التمرد معاوية في الشام ولعل أول تلك الاستفزازات هو ذلك الجهد الاستخباراتي والتجسسي ضد الإمام الحسن عليه السلام والذي واجهه سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوة وحزم وتسديد رباني، فبعد أن تم القبض على جاسوسين دسهما معاوية أحدهما في الكوفة والآخر في البصرة كتب الإمام الحسن صلوات الله عليه إلى معاوية: «أما بعد، فإنك دسست إلي الرجال كأنك تحب اللقاء، لا أشك في ذلك، فتوقعه إن شاء الله، وبلغني عنك أنك شمتّ بما لم يشمت به ذوو الحجى وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

فإنا ومن قد مات منا لكالذي ... يروح فيمسي في المبيت ليغتدي

فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى ... تجهز لأخرى مثلها فكأن قدِ»[1]

فكان من بعد ذلك الحرب ثم تلك الاتفاقية التي عُرِفت بصلح الحسن عليه السلام وسيغض البحث الطرف عن أسباب هذا الصلح فإن له مجالاً آخر وفيه أكثر

١- انظر مقاتل الطالبيين / أعلام الهداية / ج ٤ / ص ١٢٤.

من قراءة بين الماضي والحاضر والنظر التقليدي والمعاصر، ويحسن جداً الاطلاع على ما كتبه السيد سامي البدري في هذا المجال[1].

والذي يعنينا في هذه الدراسة بنود الصلح إذ تمثل مادة للمقاربة من جهة وللتأصيل من جهة أخرى.

ثانياً: بنود الصلح

بحدود الاطلاع في المصادر والمراجع التي تناولت صلح الإمام الحسن سلام الله عليه وبنود ذلك الصلح، يمكن القول: إنك لا تكاد أن تجد نصاً تأريخياً واحداً يجمع لنا البنود الخمسة التي ذكرها الشيخ راضي آل ياسين رحمه الله في كتابه «صلح الإمام الحسن ﷺ» وإنما جمعت هذه البنود من أكثر من مصدر، فتجد بعضها في مصدر وبعضها في آخر[2] وعلى أية حال فقد تشكلت تلك البنود بالآتي:

أولاً: تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ وبسيرة الخلفاء الصالحين[3].

١- انظر: الإمام الحسن ﷺ في مواجهة الانشقاق الأموي، سامي البدري: ٥٣٠-٥٧٠.

٢- لقد ذكر الدكتور محمد حسين علي الصغير في كتابه الإمام الحسن ﷺ رائد التخطيط الرسالي وإنما عمد إلى صياغة معاهدة دقيقة نشر فيها الإمام ﷺ شروط الصلح في ضوء ما عليه القيادة الرائدة للأمة، مؤكداً على نقاط من أوثق المصادر العربية الأساسية:

١ – اشترط الإمام الحسن ﷺ على معاوية: العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين، وأن لا يعهد لأحد من بعده عهداً. / ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة / ١٤٥.(وقد اعتمد بحثنا نسخة دار الحديث فانظر ج١ ص٧٢٩) الباحث.

٢ – أن يكون الأمر من بعده للحسن بن علي وبعده للحسين بن علي. / جمال الحسني / عمدة الطالب / ٥٢.(اعتمدنا في الإحالة ط٢ المطبعة الحيدرية، العراق، النجف الأشرف، ج١ ص٢٥) الباحث.

٣– أن لا يسميه الإمام الحسن أمير المؤمنين. / ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ٢٠٦.

٤ – أن يترك معاوية سب أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ. / الأمين العاملي / أعيان الشيعة ٤/ ٤٣ .

٥ – أن يؤمن معاوية الناس جميعاً. / الأصبهاني / مقاتل الطالبيين / ٢٦.

٦ – أن يستوفي كل من قتل مع أمير المؤمنين في الجمل وصفين جميع حقوقهم المالية بما يعادل ألف ألف درهم. / ابن قتيبة / الإمامة والسياسة / ٢٠٠.

٧– أن لا يبغي معاوية الغوائل لأهل البيت سراً وجهراً. / المجلسي / بحار الأنوار / ١٠ / ١١٥.

٣- لا يخفى ما لهذه الكلمة (الصالحين) من مداليل تختلف تمام الإختلاف عن مداليل كلمة (الراشدين) فتنبه.

ثانياً: أن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السلام، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد.

ثالثاً: أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً عليه السلام إلا بخير.

رابعاً: استثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف، فلا يشمله تسليم الأمر، وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين عليه السلام ألفي ألف درهم، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس، وأن يُفرّق في أولاد مَن قتل مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد [1].

خامساً: على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، ولا يأخذ أهل العراق بإحنة، وعلى أمان أصحاب علي عليه السلام حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي عليه السلام بمكروه، وأن أصحاب علي عليه السلام وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب علي عليه السلام حيث كانوا.

وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا أحد من أهل بيت رسول الله غائلة، سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً في أفق من الآفاق [2].

١- بحار الأنوار / ج ٤٤ / ص ١٠. وهناك حاشية لطيفة فيها تعليل لاختيار الإمام لخراج دار أبجرد على وجه الخصوص.
٢- انظر، عباس القمي / منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل: ج 1 / ص 321.

المطلب الثاني

البنود بين التأصيل والمقاربة

إذا ما أنعم الباحث النظر في تلك البنود يجدها وقد توزّعها أكثر من وصف حيث إنها جاءت في أكثر من مجال، فبعضها كان سياسياً أو بمعنى آخر إدارياً، وبعض آخر صُبّ في المجال العَقَدي، وآخر كان اقتصادياً وحقوقياً بحتاً.

وعند عقد مقاربة بين ما جاء في بنود صلح الإمام الحسن عليه السلام وما جاء في مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يعدّ من أجلى مصاديق حقوق الإنسان وحرياته في العصر الحديث سيّما بلحاظ جانب التدوين والتقنين لتلك الحقوق والحريات، يصير البحث من جهةٍ إلى إلزام دعاة حقوق الإنسان بما ألزموا به انفسهم، ويوقف القارئ على سبق أئمة الهدى عليهم السلام إلى تأسيس وتجذير الحق الإنساني والحرية البشرية من جهةٍ أخرى، فانطلاقاً من هذا وذاك إذا أنمعنا النظر في ما جاء في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ومواده فإننا نجد «أن الحقوق التي تضمنها جاءت مندرجة في إطار أربعة عناوين كبرى جاء في مقدمتها ما يتعلق بالحقوق المرتبطة:

بشخصية الإنسان (المواد ٣ – ١٤) وهي تتضمن:

الحق في الحياة، وفي الحرية، وفي السلامة، وفي الكيان القانوني والذاتي، وفي تحريم العبودية، والرق، والتعذيب، وفي المساواة أمام القانون، وفي الحصول على الحماية والضمانات القانونية من خلال احترام المباحث الإساسية للقانون الجزائي، وعدم رجعية العقوبات، واعتبار المتهم بريئاً حتى تثبت إدانته، وفي عدم انتهاك حرمة المنزل، والمراسلات الشخصية، وفي حرية التنقل ذهاباً وإياباً، وفي تأمين المسكن[1].

١ – الإسلام والأمة الإسلامية / ص ٢٩٧.

وإذا ألقينا نظرة على البند الخامس من بنود صلح الإمام وقد جاء فيه»على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم وأن يؤمن الأسود والأحمر» نجد أن هذا المقطع من البند المذكور قد اشتمل على ما جاء في:

المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

إضافة إلى ما جاء في المادة الثانية من ذلك الإعلان: لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين، أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر...

وكذا المادة الثالثة: لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

وهاك المادة الثامنة عشرة: لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة واقامة الشعائر، ومراعاتها، سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة.

وانظر إلى المادة التاسعة عشرة: لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية [1].

إذن فحق الأمن والاستقرار لكل الناس حيث قال الإمام عليه السلام «على أن الناس آمنون» وكلمة الناس لها مدلول غير مدلول كلمة (المؤمنون) فالأخيرة أخص.

١ – عبد الله لحود وجوزف مغيزل، حقوق الإنسان الشخصية والسياسية، منشورات عويدات، بيروت – باريس، موسوعة زدني علما، ط ٢ / ١٩٨٥/ ص ١٤٠.

فسبط النبي ﷺ يقرر هذا الحق للإنسان كائناً من يكون – نعم لا يخفى على اللبيب أن هذا الحق إنما هو ثابت لمن لا يكون محارِباً فتطبق عليه أحكام الحرابة آنذاك – كما تضمن هذا الجزء من البند على تقرير حق المساواة بين بني البشر جميعاً بغض النظر عن اللون أو العرق أو ما شاكل ذلك حيث عبر عليه السلام بقوله « وأن يُؤْمَنَ الأسود والأحمر» فهذا إشارة إلى تعدد الأعراق والقوميات من خلال ذكر هذين اللونين، ويذكر المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه «حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوة والفكر المعاصر» في معرض حديثه عن حماية حق الإنسان بالأمن العام: «فهو الذي يمكن الإنسان من ممارسة حقوقه وبدونه يستحيل ممارستها، وبما أن الإخلال بالأمن العام يأتي من المجتمع، فإن المجتمع بمؤسساته وعلى رأسها السلطة ملزم بتوفير الأمن العام لأفراده».

وقد احتوت الشريعة الإسلامية قواعدَ ونصوصاً تضمن توفير الأمن العام للإنسان وتؤدي إلى القضاء على الخوف والإرهاب بكل أشكالها من ذلك أنّ «من شهر السلاح لإخافة الناس نفي من البلد ومن شهر فعقر اقتص منه ثم نفي من البلد، ومن شهره وأخذ المال قطعت يده ورجله، ومن شهر وأخذ المال وضرب وعقر ولم يقتل، فأمره إلى الإمام إن شاء قتله وصلبه، وإن شاء قطع يده ورجله، ومن حارب فقتل ولم يأخذ المال كان على الإمام أن يقتله، ومن حارب وقتل وأخذ المال فعلى الإمام أن يقطع يده اليمنى بالسرقة، ثم يدفعه إلى أولياء المقتول فيتبعونه بالمال ثم يقتلونه، وإن عفا عنه أولياء المقتول كان على الإمام أن يقتله، وليس لأولياء المقتول أن يأخذوا الدية منه فيتركوه»[1] وتعرف هذه الجريمة بجريمة المحاربة، أو جريمة الإفساد في الأرض، أو جريمة الإرهاب.

ثم جاء في البند الخامس: «وأن لا يَتبع أحداً بما مضى» وهذا التعبير من الإمام إنما هو سابق بقرون وقرون لما جاء في المادة الثانية عشرة والتي جاء فيها

١ – مباني تكلمة المنهاج لمرجع المسلمين السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (قده)، ١/ ٣١٩، المسألة ٢٦٠.

«لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو بحملات على شرفه وسمعته...».

وكذلك تأمل في المادة التاسعة عشرة من الإعلان حيث جاء فيها: « لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل...» فتلك الجماهير التي وقفت مع الإمام الحسن صلوات الله عليه سيّما شيعته وشيعة أبيه من قبل أراد الإمام أن يحفظ لها حقها في عدم الملاحقة إذ إن هؤلاء أحرار في اعتناق الرأي وقد رأوا تأييد الحسن عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام وذلك الخط الذي ساروا عليه.

فعليه اشترط الإمام عليه السلام أن لا يتبع معاوية أحداً منهم بما مضى ولا يأخذ أهل العراق بإحنة...وأن أصحاب علي آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم.

وهنا يتجلى تأصيل الإمام عليه السلام لحق صيانة حرمة الأسرة ودار السكنى وما شابه تلك الأمور التي وردت في المادة الثانية عشرة من الإعلان.

إلى أن ورد في البند الآنف الذكر «يوصل إلى كل ذي حق حقه وعلى ما أصاب أصحاب علي عليه السلام حيث كانوا» فالإمام يريد لهؤلاء المواطنين في الدولة الإسلامية أن يتمتعوا بحقوقهم المدنية والاقتصادية أسوة بأفراد المجتمع المسلم وحفظ حق المواطنة[1] لهم في أقل التقادير.

الأمر الذي أشارت إليه المادة الثانية والعشرون من مواد الإعلان والتي جاء فيها:

١- وأجدني في هذه اللحظة مأسوراً لأن أكتب ما نقله الهمداني الرحماني في كتابه الإمام علي عليه السلام من حبه عنوان الصحيفة / ص٦٨٦، نقلاً عن الوسائل: (مر شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما هذا ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: استعملتموه حتى إذا كبر، وعجز منعتموه ؟ أنفقوا عليه من بيت المال).

«لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية، وفي أن تحقق بواسطة المجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته».

أما البند الثالث من بنود الصلح والذي جاء فيه «أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً إلا بخير».

إن هذه الكلمات التي تضمنها هذا البند يمكننا أن ننظر إليها من أكثر من زاوية، فتارة ننظر إلى المشترِط وهو الحسن عليه السلام على أن هذا الرجل إنما هو أبوه علي عليه السلام وهو يريد حفظ كرامته وأن يبقى مرفوع الشأن إلى أبد الآبدين.

وتارة ننظر إلى الحسن عليه السلام على أنه الإمام المعصوم والقائد الرسمي للأمة فتقع على عاتقه مسؤولية الحفاظ على كيانها ومن صلب ذلك الكيان قادتها وعظماؤها وهل أشرف من علي عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟!! ولا يخفى أن هذا الشرط لم يكن بلحاظ أنه أبوه أو أنه كان قائداً وخليفة للمسلمين بل بلحاظ أنه إنسان تم التعدي على كرامته والتي يجب حفظها لكل أحد ولذا جاءت في سياق رفع الحيف عنه وعن غيره وإنما جرى تخصيصه بالذكر لأن السلطات الأموية كانت قد أوغلت في سبه وشتمه والحط من منزلته بغير حق، وإن كان قد ترفّع عن حقدهم ودناءة عنصرهم وانتصرت له الضمائر الحرة في كل زمان.

ومن زاوية ثالثة لك أن تقول إن ما تضمنه هذا البند هو تقرير لكرامة الإنسان حياً كان أو ميتاً، الأمر الذي يلفت الانتباه إلى أن هذا مثّل ارتقاءً في النظرة الحقوقية للإنسان وهو مالم تشر إليه وثيقة حقوق الإنسان العالمية، فالإمام قرر الكرامة الإنسانية للحي والميت.

وقد جاء في الديباجة: «لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء

الأسرة البشرية...» وإن الكرامة المتأصلة في شخص علي صلوات الله عليه لا بد لمن يتسلم السلطة وقيادة الأمة أن يدافع وينافح عنها.

فتجد أن الإمام الحسن عليه السلام قد قرر هذا الحق وكأنه أقره دستورياً بهذا البند.

وأما البند الرابع من بنود الصلح فقد جاء فيه:

«استثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف، فلا يشمله تسليم الأمر وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين عليه السلام[1] ألفي ألف درهم، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصِلات على بني عبد شمس، وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل، وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد».

وقد وقع حول هذا البند كلام كثير بين قبول ورفض من قبل المؤرخين والمحققين والباحثين، يقول رسول جعفريان في كتابه الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام: «أما الشرط المالي الذي أورده بعض المؤرخين في معاهدة الصلح فقد كذبه الإمام عليه السلام شخصياً إلا أنه قد ورد في رواية أخرى أن هذا الشرط كان من أجل توفير أرزاق عوائل شهداء الجمل وصفين.

وفي مثل هذه الحالة يحتمل أن يكون هذا الشرط خارج نص معاهدة الصلح المتفق عليها، وعلى كل الاحتمالات فمن البديهي أن الإمام عليه السلام – ومع جميع ما ورد في التأريخ بشأن كرمه وجوده ـ لا يطرح مثل هذا الشرط لمصالحه الشخصية، رغم ما لأهل البيت عليهم السلام من حق وافر في بيت مال المسلمين.

ويحتمل كذلك أن تكون إشاعة الشرط المالي التي اتخذت طابع الخبر التاريخي قد أفرزتها الرسالة التي بعثها معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام يحثه فيها على

١- هكذا وجدت الاسم في أكثر من مرجع من مراجع البحث.

قبول الصلح ويعلن فيها استعداده لوضع مبلغ قدره مليون درهم سنوياً تحت تصرفه بالإضافة إلى خراج (دار أبجرد) (فسا) ومن ثم نقلها المؤرخون المغرضون أو الجهلة فيما بعد على أنها أحد بنود معاهدة الصلح»[1].

وفي الواقع يرى البحث عدم استبعاد هذا البند وبخاصة بعد ما نقل عن صاحب البحار في الجزء الرابع والأربعين صفحة ٢ – ٣.

فإن هذه الأموال – متمثلة آنذاك ببيت المال ومصادره من خراج وغيره – إنما هي للمسلمين عامة والإمام الحسن عليه السلام أراد أن يضمن لتلك العوائل المتضررة حقوقاً مالية ثابتة لها[2]، ولا يُستبعَد أن هذا الشرط قد جاء في سياق رفع الإجحاف الواقع بحق بعض الطبقات الاجتماعية التي حاولت السلطة الأموية محاصرتها اقتصادياً بغية إضعافها وإذلالها، سيّما تلك القواعد الشعبية التي كان لها موقف مناوئ من معاوية يوم اصطفت في معسكر علي صلوات الله عليه.

وهذا التأسيس الحقوقي للضمان الإجتماعي وما اشبهه كان أمامنا الحسن عليه السلام قد أثبته بهذا البند وواضح أنه بند حقوقي اقتصادي محض.

إذن فما المادة الثانية والعشرون من مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إلا صدى لذلك التأسيس الذي قام به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام وتفريع

١ – رسول جعفريان الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام / ص ١٠٧.

٢ – عن الحسن عليه السلام، قال: (أن علياً عليه السلام لما هزم طلحة والزبير أقبل الناس منهزمين، فمروا بامرأة حامل على الطريق ففزعت منهم فطرحت ما في بطنها حياً، فاضطرب حتى مات، ثم ماتت أمه من بعده؛ فمر بها علي عليه السلام وأصحابه وهي مطروحة على الطريق وولدها على الطريق فسألهم عن أمرها، فقالوا: إنها كانت حبلى ففزعت حين رأت القتال والهزيمة، قال: فسألهم أيهما مات قبل صاحبه ؟ فقيل: إن ابنها مات قبلها، قال: فدعا بزوجها أبي الغلام الميت فورثه ثلثي الدية، وورث أمه ثلث الدية، ثم ورث الزوج من المرأة الميته نصف ثلث الدية التي ورثتها من ابنها، وورث قرابة المرأة الميتة الباقي، ثم ورث الزوج ـ أيضاً ـ من دية امرأته الميتة نصف الدية وهو الفان، خمسمائة درهم، وورث قرابة المرأة الميتة نصف الدية وهو ألفان وخمسمائة درهم، وذلك أنه لم يكن لها ولد غير الذي رمت به حين فزعت، قال: وأدى ذلك كله من بيت مال البصرة) الوسائل / ج٧ / ص ٣٩٣ / ط عبد الرحيم، نقلا عن الهمداني الرحماني / الإمام علي عليه السلام / من حبه عنوان الصحيفة / ص ٦٨٦.

عليه، فالمجهود القومي المذكور في المادة يقابله نتاج الأمة وإنتاجها وبيت مال المسلمين.

وهكذا وقف الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ذلك الموقف لتلمع تلك الصفحات المشرقة من سيرته في سماء الحرية والحق والعدالة الإنسانية، وهو بذلك يمثل لنا ولكل المدافعين عن إنسانية الإنسان نبراساً حياً وأنموذجاً عملياً صاغته السماء ليستلهم منه أهل الأرض معاني المطالبة بالحق الإنساني والكرامة.

خاتمة بنتائج البحث

يسجل البحث في الختام جملة من النتائج، أهمها:

سبق أهل البيت عليهم السلام إلى التأسيس للحق الإنساني والإقرار به والدعوة إلى ممارسته سيّما الإمام أبي محمد الحسن المجتبى صلوات الله وسلامه عليه قبل كتابة الإعلان العالمي بقرون.

مما يثير الانتباه أن حقوق الإنسان بهذه الكيفية المتداولة اصطلاحياً اليوم، يمكن القول بعدم وجودها صراحة في المنظومة الحقوقية الإسلامية، بل وجدت متناثرة في ألفاظ مرادفة لها من حيث المعنى كما في: حق التقاضي، الدعوة إلى التسامح والمساواة وحق الجار، وما أشبه ذلك.

فقر المكتبة العربية عامة والإسلامية على وجه الخصوص في الميدان التوثيقي والتأصيلي لحقوق الإنسان في المنظومة الحقوقية الإسلامية، مع وجود الكم الهائل من المعلومات الروائية وغيرها والتي من شأنها أن تكون أرضاً خصبة لإثمار تأصيل إسلامي لتلك الحقوق.

عدم التوثيق للدساتير الحقوقية الإسلامية، إما لعدم وجودها أصلاً ! أو لتجاهل الموثِّق المسلم لتلك الدساتير، نعم وثقت بعض الدساتير كما ذكرت في البحث.

يصطدم الباحث بحقيقة أن هناك مرجعيتين لحقوق الإنسان إحداهما إسلامية والأخرى غربية، ولكل من هذين المرجعيتين أسسه التي يقوم عليها ونتائجه التي يخرج بها.

لم يقف االبحث – بحدود الاطلاع – على نص تأريخي واحد يجمع لنا البنود الخمسة «بنود الصلح» وإنما وجدت مبعثرة هنا وهناك.

فحق الحرية، والمساواة، وحفظ الكرامة، وحفظ السمعة، وحق الضمان الاجتماعي، وحق التعويض، وحق الأمن والاستقرار، وغيرها.

جريدة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. بحار الأنوار / المجلسي ره / المطبعة الإسلامية / ١٣٦٩ هـ ش.

٢. منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل عليهم السلام / الشيخ عباس القمي / ط ٢ / ٢٠٠٥.

٣. أعلام الهداية / المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام / ط ٣.

٤. الإمام الحسن عليه السلام رائد التخطيط الرسالي رؤية معاصرة في قيادته الإستراتيجية / د. محمد حسين علي الصغير / منشورات مؤسسة العارف للمطبوعات / بيروت / ط ١ / ٢٠٠٢.

٥. حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوة والفكر المعاصر / المحامي أحمد حسين يعقوب / قم دار الهدى / ط ١ / ١٤٢٩ هـ.

٦. حقوق الإنسان وضماناتها الدستورية في ٢٢ دولة عربية، دراسة مقارنة / د. سالم محمد الخطيب / منشورات الحلبي الحقوقية بيروت / ط ١ / ٢٠٠٧.

٧. تطور وثائق حقوق الإنسان في الثقافة العربية والإسلامية / غانم جواد / بغداد زيد للنشر / ط ١ / ٢٠٠٧.

٨. الإمام علي عليه السلام من حبه عنوان الصحيفة / أحمد الرحماني الهمداني / إيران / المنير للطباعة والنشر / ط ١ / ١٤١٧ هـ.

٩. الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم (مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات للمؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية) إعداد سيد جلال الدين مير آقائي / ١٤٢١ هـ.

١٠. الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام / رسول جعفريان / دار الحق / ط ١ / ١٤٩٤.
١٧. حقوق الإنسان الشخصية والسياسية / عبد الله لحود وجوزيف مغيزل / منشورات عويدات / بيروت ـ باريس / موسوعة زدني علما / ط ٢ / ١٩٨٥.
١٨. مجلة المنهاج / العدد ١١ / السنة الثالثة / خريف ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
١٩. الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية / جورج جرداق / قم / ذوي القربى / ط ٢ / ١٤٢٤ هـ / ج١.
٢٠. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الرسيوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، نشر وتوزيع الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط ١٩٩٢.
٢١. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق وتوثيق وتعليق: سامي الغريري، مؤسسة دار الحديث، إيران - قم، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٢. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (ت ٨٢٨ هـ) تصحيح محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية، العراق - النجف الأشرف، ط ٢، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.
٢٣. مباني تكملة المنهاج، أبو القاسم الخوئي (ت١٤١١هـ)، مطبعة الآداب، العراق - النجف الأشرف، ط٢، ١٣٩٦هـ.
٢٤. الحريات العامة وحقوق الإنسان، محمد سعيد مجذوب، جرس برس، طرابلس، ط٢.
٢٥. حقوق الإنسان أسئلة واجوبة، ليا ليفين ـ اتحاد المحامين العرب اليونسكو ـ ١٩٨٦.
٢٦. قاموس الفكر السياسي، مجموعة المختصين - ترجمة أنطوان حمصي، سوريا - دمشق وزارة الثقافة ١٩٩٤.
٢٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا

(ت ٣٩٥هـ)، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان ـــ بيروت، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٨. الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة الانشقاق الأموي، سامي البدري، الفقه للطباعة والنشر، ايران ـــ قم، ط١، ١٤٣٣هـ ـــ ٢٠١٢م.

مجلة الزكي العلمية

AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

حقيقة الوثيقة
قراءة في نصوص وثيقة الصلح

السيد زيد الحلو

حقيقة الوثيقة
قراءة في نصوص وثيقة الصلح

موجز تاريخي لأحداث الصلح:

كثر الحديث والكلام عن مرحلة الإمام الحسن عليه السلام وما جرى فيها من أحداث ووقائع، حيث شكلت منعطفاً في التأريخ الإسلامي وفي مسيرة الرسالة الإسلامية، والتي شهدت صدامات عديدة مع أعداء الرسالة والمنافقين الذين لم يؤمنوا بالإسلام ومبادئه ومنهجه، فبدأوا بحياكة المؤامرات والتخطيط لمحق الإسلام وتحويله إلى ملكية، والسيطرة على ذلك الملك وحكمه بالحديد والنار.

فيوجد لدينا - تاريخياً - مفهوم المعارضة وشخصيات معارضة اتفقت في المنهج مع اختلافها الشخصي، فواجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم محاولات اغتيال، أو تحريف لمفاهيم الإسلام، أو إيقاع الفتنة بين المسلمين، فتحول الصدام إلى صراع فكري وجسدي حتى وافى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجله المحتوم، فشهد الصراع طوراً آخر، فمع وجود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يجرؤ أحد على ادّعاء النبوة، فمهدوا الطريق للاستيلاء على الحكم وبأساليب متعددة وإحالة الإسلام من دين إلى نظام حكم بحت يُنصَّبُ فيه حاكم بحسب ضوابط شخصية، مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على أنه أمر إلهي وأن الخلافة في الإسلام بتنصيب من الله تعالى، ولكن الخط المواجه حرّف، وكذّب، واعتدى، وفرض منطق القوة لاقتناص الفرصة في السيطرة على مقاليد الحكم، وانفتحت شهيته الدموية لارتكاب أبشع الجرائم بحق آل الرسول مستغلين الضعف العقدي الذي لم يكتمل بعدد وتأثيرات القوى الخارجية المترصدة بالإسلام، فأزاحوا الحق عن مكانه، فبات أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في محنة من انقلاب القوم عليهم وتهديد الإسلام ديناً وفكراً، ولكن وصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ألزمت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالسكوت ومداراة الوضع الحرج الذي تمر به الأمة والتحديات الخارجية المحدقة بها، فمارس الإمام علي عليه السلام

منهج الحفاظ على كيان الدين الإسلامي في حفظ القرآن وجمعه وقضاء حاجات المسلمين وتعليمهم أصول دينهم وتقديم المشورة لتصحيح مسار الإسلام والقضاء بين المسلمين، وهو ما يمثل جوهر الدين الإسلامي.

وهذا ما حققه الإمام علي عليه السلام اجتماعياً من إصلاح وعدالة ونشر للعلم والمعرفة حتى آلت الخلافة إليه، فصنع دولة العدالة الإسلامية والإنسانية، وصارت أنموذجاً عبر التاريخ لكل من يريد إقامة دولة عادلة على أسس إسلامية صحيحة مع استمرار العداء والصراع مع الإسلام وأهل البيت عليهم السلام، لأسباب سياسية عقدية وتاريخية ملأت قلوب أعداء الرسالة والمنافقين بالضغائن والكراهية والحقد الذي توارثوه عمن سبقهم ليمتد ذلك الصراع الأزلي بين الحق والباطل والخير والشر بشخوص مثلت رموزاً شاخصة قادت مسيرة الإنسانية باتجاه السلام والخير، ونقاط ضعف إنساني، مثّلها شخوص تغلبت إراداتهم الشخصية على المصلحة العامة.

وبعد أن سجل التاريخ المقولة الخالدة لأمير المؤمنين عليه السلام حينما ضرب في محرابه (فزت وربّ الكعبة) معلناً شهادته التي بدأت بها مرحلة جديدة وإرث ثقيل وصراع مستمر وتقليد الإمامة لولده الإمام الحسن عليه السلام الذي واجه شخصيات أسكتها الإمام علي عليه السلام لتظهر من جديد زعماً منها أن الإمام الحسن عليه السلام لا يملك مقومات النجاح ولا يستطيع الوقوف أمام أمواج التمرد التي سيواجهها، خصوصاً وأن الحرب على الإمام الحسن عليه السلام بدأت منذ زمن جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ببث الشبهات وتوجيه الاتهامات إليه لتضعيفه وتوهينه، ظناً منهم أنه لا يحمل الكفاءة التي يحملها جده وأبوه.

وقد شرع معاوية ـ الذي كان يعلم جيداً من هو الحسن بن علي عليه السلام وقدرته على النهوض بوظائفه في قيادة الأمة الإسلامية، ولكن الماكنة الإعلامية التي سخرها معاوية لتضليل الناس أعطته الإشارة إلى مواصلة حربه على أهل البيت عليهم السلام –

بتجييش جيوشه العسكرية والاقتصادية والإعلامية لخوض حربه على الإمام الحسن عليه السلام والمطالبة بالخلافة وإكمال ما بدأه سلفه من مخطط القضاء على الإسلام، وبدأت صورة المواجهة تتضح أكثر فأكثر، وأطراف الصراع تتحدد، وتتشخص، والخط القابيلي يكشف عن مفصل جديد.

ومن جهة أخرى فإن الإمام الحسن عليه السلام وبعد مبايعته من قبل المسلمين بيعة مستقرة لعلمهم ومعرفتهم بالإمام الحسن عليه السلام نسباً وحسباً وعلمهم بكفاءته في إدارة الدولة، فهو قد تربى بحجر النبوة ومدرسة القرآن وهو تلميذ علي أمير المؤمنين عليه السلام فجمع كل حيثيات النجاح والمؤهلية. إلا أن الخط الأموي المتربص بالإسلام بدهائه ومكره وغدره استطاع أن يكون نداً في النزاع مع الحسن عليه السلام مستخدماً كل أساليب الكذب والنفاق والحيلة لتحقيق غايته بضرب الإسلام في مقتله.

إن معاوية وخلال فترة حكمه الشام استطاع أن يؤدلج الشاميين على ثقافة أموية بعيدة كل البعد عن الإسلام وروحه واضعاً أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم غرضاً لسهامه، فجعل منهم بنظر الشاميين عدواً لدوداً وشخصيات بسيطة، لا تملك الشرعية، وسبباً في مقتل الخليفة الثالث، وأن قضية الشاميين في المطالبة بالثأر للخليفة قضية عادلة، فشوش عليهم حقائق الأمور وطبيعة الأشياء.

ولما خرج معاوية عن الخليفة الشرعي للمسلمين الإمام الحسن عليه السلام كان لا بدّ للإمام الحسن عليه السلام من اتخاذ موقف اتجاهه، فعزم على قتاله، وعرض الأمر على المسلمين قائلاً: (أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه، وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: (واصبروا إن الله مع الصابرين) فلستم نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون. إنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير، فتحرك لذلك، فأخرجوا رَحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى نرى، و تروا، وننظر، و تنظروا)[1] فكان رد القوم عليه هو السكوت والتخاذل والانثناء

١- مقاتل الطالبيين أبو الفرج الأصفهاني ص٣٩.

عن القيام، إلا المخلصين من أصحابه أمثال حجر بن عدي وقيس بن سعد وعبد الله بن عباس الذين حثوا الناس، وأنبوهم على قعودهم عن نصرة الإمام الحسن عليه السلام ولهذا كان المؤشر الأول لعدم الاستعداد للحرب والمواجهة، والتقاعس عن النصرة، وهي نقطة ضعفٍ قد شخصها الإمام الحسن عليه السلام مبكراً.

ولكن الإمام أصبح ملزماً بالخروج بعد قبولهم وتهيئهم للقتال، وكان جيشه أخلاطاً من الناس كما عبرّ الشيخ المفيد، فبعضهم شيعة له، وبعضهم محكمة خوارج، يؤثرون قتال معاوية، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية[1].

وبعث بابن عمه عبيد الله بن عباس بجيش عداده اثنا عشر ألف مقاتل إلى منطقة مسكن بعد أن أوصاه بعدة وصايا من مداراة أصحابه والسير بجيشه بالحكمة وملاقاة معاوية وحبسه حتى يلحق الإمام الحسن عليه السلام به.

والتقى الجمعان بمنطقة الأخنونية بإزاء مسكن، ومعاوية متسلح بالخدع والجيل والمكر، وجنّد أجهزته الإعلامية للتأثير على جيشه بإقناعهم بأحقيتهم، وبالمقابل ستعمل هذه الماكنة في التأثير سلباً على جيش الكوفة وتفكيك أواصرهم الضعيفة.

وفي هذا الوقت تحرك الإمام الحسن عليه السلام إلى المدائن، وكان السبب في نزوله المدائن، لاستخبار نيات أصحابه ومعرفة خباياهم، فخطب بهم قائلاً (الحمد لله بكل ما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق وائتمنه على الوحي. أما بعد فو الله إني لأرجو أن أكون أصبحت، وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم

١- ينظر: الإرشاد ٢: ١١.

مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا)[1]، ويستشف من هذه الخطبة علم الإمام الحسن عليه السلام بأنهم غير متوافقين مع رأيه عليه السلام وتحركه للحرب وهو بهذا ألزمهم الحجة في اتباعه.

وبالمقابل فإن جيش الإمام الحسن عليه السلام أدركوا مراد الإمام، وبدأوا بالتمرد والانقلاب، لأنه يريد مصالحة معاوية، خصوصاً بعد وصول خبر التحاق ابن عباس بمعاوية وتركه لجيش الإمام الحسن عليه السلام بعد العروض التي قدمها معاوية له من الأموال واقطاع الأراضي له، فبدأت الصورة تتضح شيئاً فشيئاً وأن الأمور ذاهبة باتجاه الانهيار لمعسكر الإمام الحسن عليه السلام.

وبدأ معسكر الكوفة بالتفكك والانقلاب على الإمام الحسن عليه السلام، فصار رأيهم رأي الخوارج، ونفس هذه الظروف ونفس الفتنة التي وقعت في صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وقعت اليوم مع الإمام الحسن عليه السلام وأصبح الحسن عليه السلام مهدداً بحياته فبعد رجوعه إلى فسطاطه في ساباط للتهيؤ للصلاة واجه هجوماً عنيفاً من المنشقين، فانتهبوا فسطاطه حتى مطرفه على ظهره وسجادة الصلاة، فأي مصيبة هذه، وأي نكران هذا، وأي جرأة على سبط رسول الله، انكشفت النوايا، وبانت الخفايا، وظهروا على حقيقتهم التي كشف عنها الإمام الحسن عليه السلام منذ أول لحظة، فهَمّ جماعة من أنصاره وشيعته من ربيعة وهمدان، واستنقذوه من براثن الفاسدين والمجرمين، فركب فرسه متوجهاً إلى المدائن، وفي مظلم ساباط كَمَنَ له الجراح بن سنان لاغتياله، وعند مرور الإمام الحسن عليه السلام هجم عليه، وطعنه بمِغول في فخذه، وهو يصرخ: الله أكبر، أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، فبلغ المغول العظم لشدة الطعنة، فاعتنقه الحسن عليه السلام، وخر إلى الأرض، فوثب عبد الله بن خطل، وانتزع المغول من يده، وخصخض به جوفه، وأكب عليه ظبيان بن

١- كشف الغمة ـ ابن أبي الفتح الإربلي، ٢: ١٦٢.

عـمارة، فقطـع أنفـه، وضربـه بالحجـر، فقتلـه.

إن هـذا الاعتـداء الآثـم هـو محنـة في تاريـخ الإسـلام ووصمـة عـار في تاريـخ المسـلمين عندمـا يعامـل سـبط النبـي ﷺ وخليفـة المسـلمين بهـذا النحـو المشـين، ولم يصمـد مـع الإمـام عليه السلام إلا القلـة القليلـة ممـن صدقـوا عـلى مـا عاهـدوا، وأصبـح الإمـام الحسـن عليه السلام مضطـراً للحفـاظ عليهـم مـن الفنـاء لكيـلا يفقـد الإسـلام خلاصتـه وحملـة فكـره، وتتوقـف مسـيرته ممـا دعـا الإمـام الحسـن عليه السلام إلى مصالحـة معاويـة في ظـل هـذه الظـروف القاسـية والمخيبـة للآمـال.

هـذا (وكتـب جماعـة مـن رؤسـاء القبائـل إلى معاويـة في السـر بالطاعة، واسـتحثوه عـلى السـير نحوهـم، وضمنـوا لـه تسـليم الحسـن عليه السلام إليـه عنـد دنـوّه مـن عسـكرهم أو الفتـك بـه)[1] في مثـل هـذه المواقـف المتخاذلـة والمؤامـرات وجـد الإمـام الحسـن عليه السلام أن السـلامة في إيقـاف الحـرب ومهادنـة معاويـة بعـد أن وصـل التهديـد بتسـليم الإمـام الحسـن عليه السلام إلى معاويـة، وبهـذا سـيكون الشـيعة والإسـلام في خطـر، وفي تقديـر الإمـام الحسـن عليه السلام أن بعـض الـشر أهـون، فمهادنـة معاويـة أفضـل مـن إراقـة الدمـاء وقتـل أصحـاب أمـير المؤمنـين عليه السلام وتـشرذم الإسـلام وضياعـه، فالإبقـاء عـلى هـذه الثلـة المؤمنـة هـو ضـمان لبقـاء الإسـلام والحفـاظ عـلى كيانـه وهويتـه مـن الذهـاب والاندثار.

اسـتشرف قيـس بـن سـعد الأنصـاري المسـتقبل بخيانـة القـوم لإمامهـم، فأرسـل للإمـام الحسـن عليه السلام يخـبره بذلـك، وبـأن رؤسـاء القـوم التحقـوا بمعاويـة وأن الأمـر قـد انتهـى عمليـاً عـلى أرض الواقـع، فأرسـل الإمـام الحسـن عليه السلام إلى وجـوه أصحابـه، وقـال لهـم: (يـا أهـل العـراق مـا أصنـع بجماعتكـم معـي؟ وهـذا كتـاب قيـس بـن سـعد يخـبرني بـأن أهـل الـشرف منكـم قـد صـاروا إلى معاويـة.

أمـا والله مـا هـذا بمنكـر منكـم، لأنكـم أنتـم الذيـن أكرهتـم أبي يـوم صفـين عـلى

١- الإرشاد ٢: ١٢.

تحكيم الحكمين، فلما أمضى الحكومة، وقبل منكم اختلفتم عليه، ثم دعاكم إلى قتال معاوية ثانية، فتوانيتم عنه حتى صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إياه، ثم إنكم بايعتموني طائعين غير مكرهين، فأخذت بيعتكم، وخرجت في وجهي هذا، والله يعلم ما نويت فيه، فكان منكم إلي ما كان، فحسبي منكم لا تغرّوني في ديني، فإني مسلّم هذا الأمر إلى معاوية)[1].

فالإمام الحسن عليه السلام يعرض الأمر على أصحابه بشأن معاوية وعن مواصلة الحرب معه بعد ما رأى، وسمع من التحاق المنافقين بمعاوية وتذمره من هذا الانقلاب، وقد ألقى الحجة عليهم بكلامه هذا، وصار أمر الهدنة مسألة وقت وآلية للتعاهد والتعاقد، وليس لأحد الاعتراض بعد كل ما جرى ونفور القوم عن واجبهم وتفضيلهم لمعاوية على الإمام الحسن عليه السلام مقدمين مصالحهم الخاصة ومنافعهم على مصلحة الإسلام والمسلمين.

يظن من لا بصيره له في الدين، ولاحظ له في العلم، ولا فهم للعقيدة أن الخلافة أمر يقرره البشر، وينظّر له الناس، وأن أمر المسلمين يحدده خبراؤهم أو كبارهم، وكأنهم يعيشون زمن الجاهلية قبل الإسلام، ولم يفهموا الإسلام فهماً صحيحاً كما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يقول تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة)[2] أي إن خلافة الناس جَعْلٌ إلهيٌّ و رباني، ليس للناس دخل فيه، لأن خلافة الأرض تمثل الإرادة الإلهية على الأرض، فيجب أن يكون المنصَّبُ لهذا المقام جامعاً لجميع صفات الكمال ومنزهاً عن الأخطاء ليكون الفردَ الأمثل والأنموذج الأوحد بين الناس، ويمتلك كل مؤهلات القيادة للأمة، فالخلافة الإنسانية لا تعني شيئاً مقابل الخلافة الإلهية التي جعلها الله تعالى للنبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده الأئمة الاثني عشر، ومن هذا المنطلق لم يبال الإمام علي عليه السلام حينما سلبت منه خلافة الأمة، فإمامته ثابتةٌ من الله تعالى ووصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لا يمكن انتزاعها

١- الإرشاد للمفيد ٢: ١٣.
٢- البقرة: ٣٤.

منه وليس له التنازل عنها أيضاً. وكذلك في الإمام الحسن عليه السلام عندما قرر التنازل عن الحكم لمعاوية، فلا يعني أنه وهبه الإمامة، فإمامته باقية وثابتة، وبناءً على هذا قَبِل الإمام الحسن عليه السلام بالمصالحة والمهادنة وإيقاف الحرب والقتال، وبشروطٍ توافق عليها الطرفان.

وثيقة الصلح:

وصل الطرفان إلى نتيجة واحدة، وهي إيقاف الحرب والجلوس على طاولة التفاوض لتحديد مصير الأمة الإسلامية والتي يحمل أحد الطرفين همَّ الحفاظ عليها والعبور بها إلى برّ الأمان والذي يمثله الإمام الحسن عليه السلام والطرف الآخر هو الباحث عن الحكم والسلطة على حساب المصلحة الإسلامية، والذي يمثله معاوية.

لم ينفرد الإمام الحسن عليه السلام بالقرار وحده، بل استشار أصحابه والمقربين له من أهل بيته، فدعا ابن عمه عبد الله بن جعفر قائلاً له: (إني رأيت رأياً، وإني أحب أن تتابعني عليه، قال: وما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة، وأخلي بين معاوية وبين هذا الأمر، فقد طالت الفتنة، وسفكت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعطلت الفروج – يعني الثغور. فقال له ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد خيراً، فأنا معك على ذلك.

ثم قال الحسن عليه السلام: فادع لي الحسين، فبعث ابن جعفر إلى الحسين، فأتى وقال له: أي أخي إني رأيت رأياً، وإني أحب أن تتابعني عليه، قال: وما هو؟ فأخبره به، فقال الحسين (عليه السلام: يا أخي أعيذك بالله من هذا، فأبى الحسن[1] عليه السلام (وخرج من عند أخيه الحسن ضاحكاً، فسأله مواليه، فقال: أتعجب من دخولي

١ – مناقب آل أبي طالب عليه السلام: ٣٨ـ تاريخ ابن عساكر: ١٧٨.

على إمام أردت أن أعلمه، فقالت له: ما يدعوك إلى تسليم الخلافة؟ فقال: الذي دعا أباك فيما تقدم)[1].

وهذه الروايات وإن كانت مرسلة إلا أنها تتضمن موافقة الإمام الحسين عليه السلام لأخيه وعدم الخروج عن طاعته، خلافاً لمن يروّج أن الحسين عليه السلام كان على خلاف مع أخيه الحسن عليه السلام بشأن الصلح مع معاوية.

وعلى مضض وبمرارة أعلن الإمام الحسن عليه السلام على القوم نبأ الصلح قائلاً (إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين، ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، إلا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين، تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر.

ألا وإن معاوية قد دعا لأمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه إليه، وحاكمناه إلى الله بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا لكم الرضا)[2] ثم سكت بعد ذلك منتظراً ردود الأفعال وآراء القوم، فكانت الإجابة، وبدون تردد (البقية البقية). ما أقسى هذا الرد وما أجحفه من أناس لا يفقهون دينهم ولا دنياهم، وما أجمل ما مارسه الإمام الحسن عليه السلام من ديمقراطية في الحكم والقيادة.

أما بالنسبة للوثيقة التي تعاقد عليها الطرفان فتبحث في أمرين: الأول: هو أن حقيقة الشروط التي وضعت كانت من قبل الإمام الحسن عليه السلام أم من وضع معاوية؟ وسنحاول متابعة النصوص بالقدر الممكن لمعرفة حقيقة تلك الوثيقة.

١- مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٠.
٢- الكامل في التاريخ ٣: ١٧٦.

والثاني: ماهية تلك الشروط التي كونت بنود الوثيقة فقد وردت عدة روايات ذكرتْ فيها بنود الصلح، منها ما جاء من قبل معاوية، وأخرى وضعها الإمام الحسن عليه السلام فأيهما الأسبق؟ وهل إن الشروط كانت من وضع الطرفين؟ سنتعرف على الإجابة من النصوص التاريخية الآتية.

الطائفة الأولى: وهي النصوص التي تثبت أسبقية معاوية في التنازل من خلال تفويض الأمر إلى الإمام الحسن عليه السلام في وضع الشروط، وهي:

١- كتاب معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب للحسن بن علي: إني صالحتك على أن لك الأمر بعدي، ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد، وأشدّ ما أخذه الله على أحد من خلقه من عهد وعقد: أن لا أبغيك غائلة ولا مكروهاً!

وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أن لك خراج (فسا)[١]، و (دار أبجرد)[٢] تبعث إليهما عمالك، وتصنع به ما بدا لك)[٣].

هذا النص يبين أن معاوية هو من بادر بالمعاهدة ووضع الشروط، وقد أشهد عليها عبد الله بن عامر وعبد الله بن سلمة الهمداني وعبد الرحمن بن سمرة ومحمد بن الأشعث الكندي.

هذا الكتاب وضع عدة شروط، وهي:

١- أن يكون الأمر من بعد معاوية للإمام الحسن عليه السلام.

٢- أن لا يبغي على الإمام الحسن عليه السلام غيلة، ولا يصيبه بمكروه.

١- فسا: بالفتح والقصر كلمة أعجمية وعندهم (بسا) بالباء، وأصلها في كلامهم الشمال من الرياح، وهي مدينة بفارس معجم البلدان، الحموي، ٤: ٢٦٠.
٢- وأما كورة دار أبجرد فإن أكبر مدنها (فسا) وهي مدينة مُعترشة البناء تقارب في الكبر شيراز. المصدر نفسه.
٣- أنساب الأشراف للبلاذري ٣: ٤٣.

٣- أن يعطي للإمام الحسن عليه السلام أموالاً بمقدار ألف ألف درهم من بيت المال.

٤- يكون للحسن عليه السلام خراج مدينة (فسا) ومدينة (أبجرد) وأن من يستحصلها هم عمال الإمام الحسن عليه السلام.

هذه أربعة شروط ضمنها معاوية في كتابه للإمام الحسن عليه السلام، وهي ذاتها البنود المذكورة في الصلح الحسني، فما هي الحقيقة؟ هل إنها موضوعة من قبل معاوية، أم الإمام الحسن عليه السلام والحقيقة أنها وضعت من قبل معاوية وهي شروط عليه للإمام الحسن عليه السلام.

٢- وعندما وصل كتاب معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام بواسطة سمرة وابن عامر العبشميان [١] عندما كان الإمام الحسن عليه السلام يستعد للمسير من المدائن للكوفة (وبعث معاوية إليه عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة إلى الحسن للصلح، فدعواه إليه وزهداه في الأمر، وأعطياه ما شرط له معاوية، وألا يتبع أحداً من شيعة علي بمكروه، ولا يذكر علياً إلا بخير، وأشياء اشترطها الحسن عليه السلام فأجابه الحسن إلى ذلك)[٢].

نص آخر لأبي الفرج الأصفهاني يدل على أنّ الشروط من وضع معاوية، وهي كما يأتي:

١- أن لا يتبع أحداً ممن كان في معسكر الحسن.

٢- أن لا ينال شيعة علي بمكروه.

٣- أن لا يذكر علياً إلا بخير.

هذه ثلاثة شروط وضعها معاوية وأضاف عليها الإمام الحسن عليه السلام شروطاً

١- أنساب الأشراف للبلاذري ٣:٤٥.
٢- مقاتل الطالبيين أبو الفرج الأصفهاني ص٤٣.

أخرى، مما يدلل على أن الواضع هو معاوية.

٣- يقول الشيخ المفيد: (فكتب إليه - إلى الإمام الحسن عليه السلام - معاوية، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التي ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالح شاملة)[١] إذن فالشيخ المفيد يؤكد بأن الشروط وضعت من معاوية في كتابه للحسن عليه السلام وهي شروط تسليمية من قبل معاوية للإمام الحسن عليه السلام.

٤- ما جاء في تاريخ الطبري، فكاتب معاوية، وأرسل إليه بشروطٍ، قال: إن أعطيتني هذا، فأنا سامع مطيع، وعليك أن تفي لي به، ووقعت صحيفة الحسن عليه السلام في يد معاوية، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن عليه السلام بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمتُ أسفلها ما شئتَ فهو لك، فلما أتت الحسن عليه السلام اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك، وأمسكها عنده، وأمسك معاوية صحيفة الحسن عليه السلام التي كتب إليه يسأله ما فيها)[٢].

يستشف من هذا النص التاريخي أن معاوية كان قد اشترط على نفسه شروطاً مسبقاً، وقَبِلَ شروط الإمام الحسن، ثم ضاعف الإمام الحسن عليه السلام الشروط (اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك)، وهو دليل على أن بعض الشروط وُضعت من قبل معاوية على نفسه.

هذه هي بعض النصوص التي ذكرت في كتب التاريخ، ومضمونها وقوع الصلح أو الهدنة بين الطرفين إلا أن بعض الشروط قد اشترطها معاوية على نفسه، وأضاف عليها الإمام الحسن عليه السلام شروطاً أخرى، وسنذكر فيما يأتي النصوص التي تذكر وضع الإمام الحسن الشروط ابتداءاً بعد أن سلّم معاوية صحيفة بيضاء

١- الإرشاد للمفيد ٢: ١٣.
٢- تاريخ الطبري ج٤ ص١٢٤.

بختمه ليضع الإمام الحسن عليه السلام الشروط عليها.

الطائفة الثانية من النصوص، وهي التي تثبت أسبقية الإمام الحسن عليه السلام بوضع الشروط:

١- روى الصدوق عن ابن بحر الشيباني: أن الإمام الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية كتاباً جاء فيه (أما بعد فإن خطبي انتهى إلى اليأس من حقٍّ أحييه وباطلٍ أُميته، وخطبك خطب من انتهى إلى مراده، وإنني أعتزل هذا الأمر وأخليه إليك، وإن كان تخليتي إياه شراً لك في معادك، ولي شروط أشرطها، لا تبهضنّك إن وفيت لي بها بعهد، ولا تخف إن غدرت، وستندم كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل، أو قعد عن الحق حين لا ينفع الندم والسلام)[1]. يدل النص على أن الإمام الحسن عليه السلام بادر إلى وضع الشروط على معاوية بنفسه في وثيقة الصلح التي كتبها معاوية بنفسه، وذلك دليل على استسلامه للإمام الحسن عليه السلام.

٢- عن أبي بكر محمد بن الحسن بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، قال: حدثنا أبو طالب زيد بن أحزم، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا القاسم بن فضل، قال: حدثنا يوسف بن مازن الراسبي، قال: (بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية على أن لا يسميه أمير المؤمنين، ولا يقيم شهادة وأن لا يتعقب على شيعة علي عليه السلام شيئاً، وعلى أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه يوم صفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد[2]).

يتضح من هذا النص شروط الإمام الحسن عليه السلام التي أملاها في صحيفة معاوية، واشتملت على ما يأتي:

١- أن لا يسميه أمير المؤمنين.

١- علل الشرائع للصدوق ١: ٢٦٠.

٢- علل الشرائع للصدوق ج١ ص٢١٢، نقلاً عن كتاب الفروق بين الأباطيل والحقوق ليوسف بن مازن الراسبي.

٢- أن لا يقيم عنده شهادة.

٣- أن لا يتعقب أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٤- أن يغرمه على أولاد من قتل من شيعة علي عليه السلام في معركتي الجمل وصفين ألف ألف درهم على أن تكون من خراج دار أبجرد.

٣ـ النص الوارد في تاريخ ابن كثير: (فبعث - أي معاوية - إليه - أي الحسن عليه السلام - رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر - قال اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه، فدخلا عليه، فتكلما، وقالا له، وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي عليه السلام: إنّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك، ويسالمك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به فصالحه)[1].

ودلالة هذا النص التاريخي لابن كثير أن معاوية أرسل رجلين من عنده، وخولهما على تأييد كل ما يشترط الإمام الحسن عليه السلام من أجل قبول الصلح والقبول بشروطه، ويكونان شاهدين على الوثيقة.

٤- النص الوارد لابن عساكر في تاريخ دمشق، وهو (ثم دعا عمرو بن سلمة الأرحبي - أي الإمام الحسن عليه السلام - فأرسله، وكتب معه إلى معاوية بن أبي سفيان يسأله الصلح، ويسلم له الأمر على أن يسلم له ثلاث خصال، يسلم له بيت المال، فيقضي منه دينه ومواعيده التي عليه، ويتحمل منه هو ومن معه من عيال أبيه وولده وأهل بيته، ولا يسب علياً عليه السلام، وهو يسمع وأن يحمل إليه خراج (فسا ودار أبجرد) من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي، فأجابه معاوية إلى

١- البداية والنهاية ابن كثير ٨:١٨.

ذلك، وأعطاه ما سأل)[1].

٥- ذكر ابن أعثم في كتاب الفتوح ما نصه (دعا الحسين بن علي عليه السلام بعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وهو ابن أخت معاوية، فقال له: صر إلى معاوية، فقل له عني: إنك إن أمنت الناس أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونساءهم بايعتك، وإن لم تؤمنهم لم أبايعك. قال: فقدم عبد الله بن نوفل على معاوية، فخبره بمقالة الحسن: فقال له معاوية: سل ما أحببت! فقال له: أمرني أن أشرط عليك شروطاً، فقال معاوية: وما هذه الشروط؟ فقال: إنه مسلم إليك هذا الأمر على أن له ولاية الأمر من بعدك، وله في كل سنة خمسة آلاف ألف درهم من بيت المال، وله خراج دار أبجرد من أرض فارس، والناس كلهم آمنون بعضهم من بعض. فقال معاوية: قد فعلت ذلك)[2] النص صريح وواضح بشروط الإمام الحسن عليه السلام السابقة على معاوية وصدورها منه ابتداءاً.

وما كان على معاوية إلا القبول والتسليم لتلك الشروط التي وقعت عليها المعاهدة فيما بعد بين الطرفين، معاوية لم يذكر شرطاً من قِبَله بدليل ما جاء فيما بعد (فدعا معاوية بصحيفة بيضاء، فوضع عليها طينة، وختمها بخاتمة، ثم قال: خذ هذه الصحيفة، فانطلق بها إلى الحسن، وقل له: فليكتب فيها ما شاء، وأحب، ويشهد أصحابه على ذلك، وهذا خاتمي بإقراري)[3]. فمعاوية لم يضف أي شرط، بل لم يتصرف بالشروط التي وضعها الحسن عليه السلام ولم يغير شيئاً منها. وفي هذا قرينة قوية على أن الشروط والصحيفة كتبت من الإمام الحسن عليه السلام حصراً، وما كان على معاوية إلا الإقرار بها.

وهذا شاهد آخر على المدعى الثاني في أن الشروط الموضوعة في صحيفة الصلح هي للإمام الحسن عليه السلام دون معاوية.

١- تاريخ مدينة دمشق ابن عساكر ١٣: ٢٦٤
٢- كتاب الفتوح. أحمد بن أعثم الكوفي ٤: ٢٩٠.
٣- المصدر نفسه.

خلاصة الجمع بين النصوص:

هذا بعض ما استقصيناه من الموارد والنصوص الدالة على المكاتبات بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بخصوص بنود الوثيقة والمفارقات الموجودة في النصوص التي يذكر بعضها أن معاوية هو من بادر بوضع الشروط على نفسه، وأخرى تثبت أن الإمام الحسن عليه السلام هو من بدأ بوضع الشروط في صحيفة الصلح.

أما الشروط التي وضعها معاوية على نفسه في بعض النصوص فهي:

١- أن يكون الأمر بعد معاوية للإمام الحسن عليه السلام.

٢- أن لا يبغي على الإمام الحسن عليه السلام غيلة، ولا يصيبه بمكروه.

٣- أن يعطي معاوية للإمام الحسن عليه السلام أموالاً بمقدار ألف ألف درهم من بيت المال.

٤- أن يكون للحسن عليه السلام خراج مدينة (فسا) ومدينة (أبجرد)، ويكون استحصالها من قبل عمال الإمام الحسن عليه السلام.

٥- أن لا يبغي أحداً ممن كان في معسكر الإمام الحسن عليه السلام.

٦- أن لا ينال شيعة علي بمكروه.

٧- أن لا يذكر علياً عليه السلام إلا بخير.

٨- اشتراط الحسن عليه السلام أضعاف الشروط التي اشترطها معاوية على نفسه.

أما الشروط التي وضعها الإمام الحسن عليه السلام فهي:

١- بايع الحسن عليه السلام معاوية أن لا يسميه أمير المؤمنين.

٢- أن لا يقيم عنده شهادة.

٣- أن لا يتعقب على شيعة علي عليه السلام شيئاً.

٤- أن يفرق معاوية أموالاً في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل ويوم صفين.

٥- أن يسلم معاوية له بيت المال، فيقضي منه دينه ومواعيده التي عليه وأن يتحمل مصاريفه هو ومن معه من عيال أهل أبيه وولده وأهل بيته.

٦- أن لا يسب علياً عليه السلام وهو يسمع.

٧- أن يحمل للإمام الحسن عليه السلام خراج (فسا) و (أبجرد) من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي.

٨- أن للحسن عليه السلام ولاية الأمر من بعد معاوية.

ترى من ذلك أن هناك تداخلاً في الشروط التي وضعها معاوية والشروط التي وضعها الإمام الحسن عليه السلام وللجمع بين الروايات باعتبار أنها تحمل مضموناً لا يمكن إسقاطه أو نكرانه في مقابل الرواية المعارضة لها، فكل منها نصوص تاريخية خاضعة للتحليل والتفسير وعدم الإلغاء، خصوصاً وأن مضمونها واحد، وهو قضية الصلح وما جرى بين الطرفين، فكل مجموعة تعضد وتكمل المشهد التاريخي للحادثة.

فنقول: إن معاوية اشترط على نفسه شروطاً قد أقرها الإمام الحسن عليه السلام، لأنها تحقق الغاية التي كان ينشدها الإمام عليه السلام إضافة إلى أن الإمام الحسن عليه السلام قد أضاف شروطاً أخرى إلى الوثيقة لتخرج بشكل نهائي بصحيفة موثقة من الطرفين، إلا أن الشروط التي وضعها معاوية كانت على نحو الاقتراح منه على الإمام الحسن عليه السلام، فله أن يقرها، أو يرفضها، أما الشروط الموضوعة من قبل الإمام الحسن عليه السلام فكانت جدية وملزمة لمعاوية وغير قابلة للتبديل أو التغيير، وفرْقٌ بين من يقترح وبين من يُثبت شروطاً، وتكون ملزمة للطرف الآخر.

وبالنتيجة إن الشروط كلها كانت من قبل الإمام الحسن عليه السلام إقراراً أو وضعاً وإثباتاً، فتكون الصحيفة كلها مكتوبة من قبل الإمام الحسن عليه السلام والقرينة على ذلك أن معاوية أرسل بصحيفة بيضاء، ومختومة بخاتمه ليكتب فيها الإمام الحسن عليه السلام ما يريد من الشروط، لأن شروط معاوية كانت شفوية، نقلت من قبل مبعوثيه إلى الإمام الحسن عليه السلام ولم تكن مكتوبة، وحتى إذا كانت مكتوبة فهي على نحو المراسلة، وليس وثيقة اتفاقٍ، فمعاوية كان خاضعاً للصلح وليس فارضاً له مما يدلل على ضعف موقف معاوية، وموقف القوة كان للإمام الحسن عليه السلام والذي كان يهدد معاوية بأنه إذا لم يلتزم ولو بشرط واحد فإنه سيرفض المهادنة، ويستأنف الحرب خصوصاً بعد ما رفض إعطاء الأمان لقيس بن سعد، وقد أجبر الإمام الحسن عليه السلام

معاوية على إعطائه الأمان والقبول بشروطه أيضاً حيث كان من شروط الإمام الحسن عليه السلام (أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيء كان في أيام أبيه)[1] «.

وهذا أمر منطقي فإن هدنة الإمام الحسن عليه السلام كانت من أجل حماية شيعته، فكيف يؤمِّن نفسه ولا أمان لشيعته؟ّ فأجابه معاوية قائلاً: (أما عشرة أنفس فلا أؤمنهم، فراجعه الحسن عليه السلام فيهم، فكتب إليه يقول: إني قد آليت أنني متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده، فراجعه الحسن أني لا أبايعك أبداً، وأنت تطلب قيساً وغيره بِتبِعةٍ، قلّت أو كثرت، فبعث إليه معاوية برقٍّ أبيض قال : اكتب ما شئت فيه، فأنا ألتزمه، فاصطلحا على ذلك)[2].

إذن معاوية كان خاضعاً وملزماً بقبول أي شرط من الإمام الحسن عليه السلام في سبيل تحقيق الصلح، وهو ما كان للإمام الحسن عليه السلام بالنتيجة.

١- أسد الغابة ابن الأثير ٢:١٣.
٢- ذخائر العقبى أحمد بن عبد الله الطبري ١٣٩.

الخلاصة من حقيقة الوثيقة وآثارها

إلى هنا نستلخص حقيقة الوثيقة التي كانت عبارة عن مراسلات بين معاوية أولاً بالإيجاب والإمام الحسن عليه السلام ثانياً بالقبول، تخللها عرض للشروط من جانب معاوية على نفسه وإقرارها من جانب الإمام الحسن عليه السلام وإضافة شروط أخرى من قبل الإمام عليه السلام، وهي متفرقة بين صفحات كتب الأخبار والتاريخ، استجلاها الباحثون والمنقبون، وجمعوها على

شكل نقاط وبنود للصلح الذي جاء في الوثيقة الموقعة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية والتي أوقفت الحرب إلى أجل غير مسمى.

وتلك الشروط كانت كفيلة بتجريد معاوية من أي مصداقية وتكذيبه لمدعياته بالدين وحفظ بيضة المسلمين، وأبانت مخالفته للحق ومنابذته لآل الرسول ونصب العداء لهم والذي كان خاتمته قتل الإمام الحسن عليه السلام بعد أن طوقه الإمام الحسن بالوثيقة وألجمه بها، فأراد التخلص من الإمام عليه السلام لينتهي مفعول الوثيقة بشهادته كما يظن معاوية، متجاهلاً أن رسم الوثيقة يمتد إلى ما بعد شهادته بتولي الإمام الحسين عليه السلام للخلافة كما أقر بذلك معاوية على نفسه، فكانت الوثيقة من القوة بمكان بحيث كانت تحاصر معاوية في كل تحركاته وسكناته، والحقيقة أن الإمام الحسن عليه السلام قضى على معاوية، وأنهاه معنوياً بذلك الصلح وبنوده، وما كانت التصفية الجسدية للإمام الحسن عليه السلام من قبل معاوية إلا إعلان وصول معاوية لطريق مسدود ونهاية حتمية، شخصها الإمام الحسن عليه السلام بدقة، ورسم خطتها بحرفية متناهية، فكانت علامات النصر للإمام الحسن عليه السلام قد تحققت منذ أول يوم صلح، ولكن أكثرهم لم يدركوا ذلك إلا بعد حين، وهذا يدل على حكمة الإمام الحسن عليه السلام وحلمه ومعرفته بالأمور وإن خفيت على الكثير، فإنه واجهها بصبر عظيم وعزم كبير ليحقق للأمة الإسلامية الرفعة والسمو والنصر.

قائمة المصادر

١- الإرشاد، المفيد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، دار المفيد للطباعة، بيروت، ١٩٩٣ م ط ٢.

٢- كشف الغمة، ابن أبي الفتح الأربلي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م، ط٢.

٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م، ط ١.

٤- الكامل في التاريخ ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، ط ١.

٥- أنساب الأشراف، البلاذري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٤م، ط ١.

٦- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، المكتبة الحيدرية، دار الكتب للطباعة، قم، ١٩٦٥م، ط ٢.

٧- تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٣م، ط٤.

٨- علل الشرائع الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٦م، ط ١.

٩- البداية والنهاية، ابن كثير، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م،ط١.

١٠- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ت: علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٠هـ، ط١.

١١- كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، دار الأضواء، بيروت، ١٤١١هـ، ط ١.

١٢- أسد الغابة، ابن الأثير، دار الكتب العربي، بيروت، ط١.

١٣- ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة المقدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ، ط١.

١٤- معجم البلدان، الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ط١.

مجلة الزكي العلمية

AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

سيّد شباب أهل الجنّة
الحسن

رواية الحافظ أبي جعفر محمّد بن سليمان الكوفي قاضي صعدة (٢٥٥ ـ ٣٢٢)

تحقيق الشيخ محمّد كاظم المحمودي[١]
الحوزة العلميّة ـ قم المقدّسة

١ - باحث ومحقّق في التراث الإسلامي.

ملخص البحث

يحصي الكاتب مئة وثلاثة وخمسين حديثاً في سيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وفضائله ومناقبه، برواية الحافظ أبي جعفر محمّد بن سليمان الكوفي (٣٥٥ ـ ٣٢٢ هـ) من فدماء أعلام الزيديّة، وقد اعتمد فيها على مصادر قديمة مفقودة في العصر الحاضر.

إنّ مجموع هذه الأحاديث التي تعتبر من العقائد المشتركة بين فرق الإماميّة، تعتبر أيضاً من أهمّ المصادر في إثبات كثير من الفضائل وجزئيّات حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة على رسول الله، وعلى آله المنتجبين، وعلى جميع الأنبياء والشهداء والصديقين.

وبعد فهذه مجموعة روائية في الإمام الحسن ٧ تحتوي على ١٥٣ حديثاً انتقيناها من كتاب مناقب أمير المؤمنين٧ لقاضي صعدة أبي جعفر محمّد بن سليمان البستي الكوفي (٢٥٥ ـ ٣٢٢)، حسب الطبعة الثانية عام ١٤٢٣ بتحقيق شيخنا الوالد.

وقد كنت ساهمت إلى جنب الوالد في تحقيق الكتاب ونشره في طبعتيه، والمقدمة المذكورة على الكتاب في طبعته الثانية باسم الحاج محمّد الغروي هي من عملي، وكذلك الكثير من هوامش الكتاب، ما أحببت التصريح بها احتراماً للوالد، وقد أعددته لطبعة ثالثة لكن مع صياغة جديدة، وترتيب موضوعي ومسندي، وتخريج أحاديثه مفصلاً، وسميته بـ(دلائل النبوة والإمامة) كما يدلّ عليه محتوى الكتاب ومصادر ترجمة المصنّف إجمالاً، وهو جاهز للطبع، فمن أراد التفصيل عن المؤلف والكتاب فليرجع إليه.

ولئن فاتنا الكثير من الكتب التي أُلفت في فضائل أهل البيت وأخبارهم مثل كتب ابن عقدة والطبري وابن الماهيار وغيرهم فإن هذا الكتاب يستدلّ به على عظمة تلك الكتب وأبعادها.

والأحاديث المذكورة هنا تنقسم إلى قسمين:

القسم الأوّل: الأحاديث المشتركة بينه وبين سائر أهل البيت، مثل حديث الثقلين وغيره.

والقسم الثاني: الأحاديث الخاصّة بالحسن عليه السلام.

وخلاصة ما يمكن تسجيله عن هذه المجموعة التراثية القيمة ما يأتي:

أنّه قام مقام أبيه في إنجاز مواعيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أبيه برواية إبراهيم بن عبد الله كما في الحديث الأوّل.

تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم له وحلق رأسه والعقيقة كما في الرقم ٦٥ و ٦٦ برواية سلمان، و٩٠ عن ابن عباس، و ١٠٠ عن زين العابدين، و١٢٠ و١٢٢ عن علي عليه السلام.

أنّه من أهل البيت ومطهر من الذنب ومعصوم ونزول آية التطهير وآية المباهلة فيه: كما في الرقم ٢ برواية أُبي بن كعب، و١٥ برواية الصادق، و ٣٣ برواية أبي حمراء، و ٥٠ عن زيد الشهيد، و٥١ عن سعد بن أبي وقاص، و٦٣ عن أبي سعيد، و٧٣ ـ ٧٦ و ٧٨ و ٧٩ برواية أُم سلمة، و ٨١ عن عائشة، و ٨٦ عن عبد الله بن جعفر، و٨٩ عن ابن عباس، و ١٢٤ عن عمر بن أبي سلمة، و١٣٩ عن الباقر.

إيصاؤه صلى الله عليه وآله وسلم بأهل البيت وتقديمهم وعدم التقدّم عليهم وأنّهم منار الهدى والأدلاء على الله كما في الحديث ٢ برواية أُبي.

أنّهما سيّدا شباب أهل الجنة كما في الرقم ٣ برواية أبي أُمامة، وفي ٢١ برواية حذيفة بن اليمان، و ٣١ برواية حسين الأصغر، و٣٧ برواية أبي رافع، و ٥٣ ـ ٥٦ و ٦٤ برواية أبي سعيد، و ٩٠ عن ابن عباس، و ١٠٤ في حديث الإسراء، و ١٢٦ عن مالك بن حويرث.

إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بشهادة الحسن عليه السلام بالسم على يد المنافقين كما في الحديث ٤.

مروره صلى الله عليه وآله وسلم ببيت فاطمة كلّ يوم وملاطفته للحسنين كما في الحديث ٥ و ٣٣.

وأنّهما سبطا هذه الأُمة وسبطا النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الحديث ٦ برواية أبي أيوب،

و٦٥ و ٦٦ برواية سلمان، و ٨٨ عن ابن عباس، و ١٠٤ في حديث الإسراء.

وقوله: اللهم إنّي قد أحببته فأحبّه، وأحبّ من أحبّه، برواية براء بن عازب في الرقم ٧.

أنّه ابن الرسول الله ﷺ في الحديث ٨ عن ابن عياش، و ١٠ عن جابر، و ٧٧ عن أُم سلمة.

وابتلاء من شنأت الحسن عليه السلام بقيء كبدها في المنام كما في الحديث ٩.

ح ١١ و ١٢ برواية جابر أنه ﷺ على ظهره، وقال: نعم الجمل جملكما...

ح ١٣ برواية جابر: خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت [يا علي] فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصن منها أدخله الله الجنّة.

ونحوه برقم ١٠٤ في حديث الإسراء، و ١٣٥ عن الباقر.

وفي الحديث ١٤: ثلاث من كن فيه فليس مني... من نصب حرباً لأهل بيتي.

وفي الحديث ١٦ عن جعفر الصادق أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ أمر لفاطمة وابنيها بفدك.

وفي الرقم ١٧ أنّه في الجنّة برواية حبيب بن حبيب.

وفي الحديث ١٨ برواية حذيفة بن أُسيد حديث الثقلين أنّهم خلفاء الرسول وأنّهما لا يفترقان حتّى يردا الحوض، وعدم التقدّم عليهم، وفي ٤٠ ـ ٤٢ و ٤٤ ـ ٤٨ برواية زيد بن أرقم، و٥٧ ـ ٦٢ برواية أبي سعيد.

وفي الرقم ١٩ و ٢٠ عن حذيفة بن اليمان أنّه وأخاه خير الناس أماً وأباً

و...، و٩٠ عن ابن عباس.

وفي الرقم ٢٣ تفسير الصالحين في الآية ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ بالحسنين.

وفي الرقم ٢٣ استضافة الحسن عليه السلام لبعض ضيوف أبيه والاستقراض من بيت المال لهذه الضيافة.

خطبته بعد شهادة أبيه في الرقم ٢٤ ـ ٣٠ برواية جابر أبي خالد وحريث بن مخش وعاصم بن ضمرة وعمرو بن حبشي وهبيرة بن يريم.

وفي ٣٢ برواية الحسين عن جدّه: الزموا مودّتنا أهل البيت فإنّ من لقي الله يودنا دخل الجنّة بشفاعتنا، لا ينتفع عبد بعمله إلّا بمعرفة حقّنا.

وفي ٢٤ عن أبي ذر: أخبرني ربي من فتنة تصيب أُمتي، ليس أحد بناج إلّا من أشغل نفسه بما أمره الله ولا يخرج من الدنيا إلّا بمحبتي ومحبّة أهل بيتي، من أحبّنا أحبّ الله، ومن أبغضنا أبغضه الله، وعلامة أنّه على دينك أن يرزقه الله محبّتك ومحبّة أهل بيتك، وقليل من هم إلّا في آخر الزمان.

وفي الحديث ٢٥ برواية أبي ذر: مثلهم مثل سفينة نوح وباب حطة.

وفي الرقم ٣٦ عن أبي ذر: لا يؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه ويكون عترتي أحبّ إليه من عترته...

وفي الرقم ٣٨ ـ ٤٠ برواية زيد بن أرقم: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم.

وفي الحديث ٤٣: جوع الحسنين وإرواؤهما بريق جدّهما برواية زيد بن أرقم، ونحوه في ١٣٢ و١٣٣ برواية الباقر.

وفي الرقم ٤٩ عن زيد الشهيد في الآية ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ قال: كان منهم علي وحسن وحسين.

٥٢ عن أبي سعيد: لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله جهنّم.

٦٤ منه: أنّه من سبعة لم يخلق الله مثلهم.

٩٣: عن ابن عباس: أنّه من أول سبعة يدخلون الجنّة.

١١١ عن علي: أنّه من أوّل أربعة يدخلون الجنّة.

١٢٩ ابن سيرين: خير هذه الأُمة بعد نبيها ستة علي... والحسن...

٦٧ عن سلمان: من أحبّهما أحببته، ومن أبغضهما أبغضته. ونحوه في ١٤٦ و١٤٧ و ١٥٠ عن أبي هريرة.

وفي ٦٨ عن سلمان: ستفرق أُمتي... فرقة منها على الحق... يحبّوني ويحبّون أهل بيتي.

وفي ٦٩ عن سلمان: اتّقوا الله في عترتي أهل بيتي... دولة الحقّ أبرّ الدول، أما إنّكم ستملكون بعدهم... ستة لعنهم الله... المستحل من عترتي ما حرّم الله.

وفي ٧٠ ـ ٧٢ عن سلمة بن أكوع: أهل بيتي أمان لأُمتي.

وفي ٨٠ عن سهل أنّه مفطوم عن النار.

و٨٢ عن عائشة أنّه حلية الفردوس.

و٨٣ عنها: اللهم إنّي أُحبّه وأُحبّ من يحبّه.

و٨٤ عن عباس بن عبد المطلب: لا يدخل قلب رجل الإيمان إلّا لحبّهم

(أهـل البيـت) لله وقرابتهـم منـي.

و٨٥ عن عبد الرحمان بن عوف: أُوصيكم بعترتي خيراً.

و٨٥ ب عن عبد الله بن أبي أوفى أنّهما في قصر في الجنة مع أبيهما وجدهما.

و٨٧: افتراض مودّتهم، برواية ابن عباس.

و٨٨: توسل آدم بهم.

و٩٠: محبّة بعض أهل الشام زمن بني مروان لعلي وابنيه برواية المنصور ثمّ روايته عن ابن عباس: الذي خلقهما هو ألطف بهما.

و٩١ و ٩٢ عن ابن عباس: أحبّوا أهل بيتي لحبّي.

وفي ٩٤ عن ابن عباس: من أحبّ أهل بيتي فقد استمسك بالعروة الوثقي.

و٩٥ و ٩٦ عن ابن عباس في قوله: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ... وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**...﴾.

٩٧ عن ابن عمر: نزل النبي عن المنبر بعد ما رأى ابنه الحسن يعثر في مشيته.

٩٨ عن ابن مسعود موقوفاً: إن افترقت الأُمة فارقبوا أهل البيت نبيكم فإن لبدوا فالبدوا... وإن حاربوا فحاربوا فإنّ الحقّ معهم.

٩٩ وعنه مرفوعاً: إنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً.

١٠١ عن زين العابدين مرفوعاً: يا فاطمة أنا وأنت وزوجك وإبناك ومن أحبّكم في مكان واحد.

١٠٢ عن زين العابدين موقوفاً: أصبحنا بمنزلة بني إسرائيل من آل فرعون... وأصبحت قريش والعرب تعد أن لها الفضل على غيرهم لأنّ محمّداً منها، فإنّ صدقوا فإنْ لنا الفضل على جميع الناس.

١٠٣ عن علي مرفوعاً: أوصى شيعته بلزوم أهل بيته، وان أهل بيتي آخذون بحجزني يوم القيامة... لا يدخلونكم في ضلالة ولا يخرجونكم من هدى.

١٠٤ في حديث الإسراء: خلقتكم من طينة عليين وخلقت شيعتكم منكم.

١٠٥ ـ ١٠٧ عن علي: أحبب حبيب آل محمّد ما أحبّهم فإذا أبغضهم فأبغضه.

١٠٨ و ١٠٩ جوابه عليه السلام لسفيان بن ليل، بعد ما أنّبه بقبول الصلح، وروايته عن جدّه: يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبّني كهاتين.

١١٠ عن علي: أمرني صلى الله عليه وآله أن أُبايع له الأنصار على أن يمنعوا رسول الله وذريته ممّا يمنعون منه أنفسهم وذراريهم.

١١٢ لما أتى صلى الله عليه وآله البيت الحرام قال: اللهم أسألك لي ولأهل بيتي وشيعتنا.

١١٣ و ١١٩ علي عليه السلام: إنّ ابنَيْ فاطم اشترك في حبّهما البرّ والفاجر.

١١٣ لا يحبّنا إلا كلّ مؤمن تقي. عن علي مرفوعاً.

١١٥ أنّه من الأربعة عشر المنتجبين.

١١٦ كان علي عليه السلام إذا دخل شهر رمضان تعشى ليلة عند الحسن [وليلة عند الحسين] وليلة عند [زينب].

١١٧ وصية جدّه له: أرض بقسم الله تكن أرغد الناس...

١١٨ علي عليه السلام: ما من عبد امتحن الله قلبه للإيمان إلّا وقد يحبّنا أهل البيت... فنحن النجباء... ونحن حزب الله ورسوله.

ح ١٢١ شباهته بجده ما بين الصدر إلى الرأس.

١٢٣: تختموا بالعقيق فإنّه أوّل حجر شهد... ولولديه بالإمامة.

١٢٥ عن عمران بن حصين، و١٣١ عن الباقر: من أراد أن يحيى حياتي... فليحب علياً وذريته فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدى.

١٢٦ أوصى مالك بن ضمرة بسلاحه ألا يقاتل به أهل بيت النبوة.

١٢٨ عن محدوج مرفوعاً: أوّل من يُدعى به من أُمتي يوم القيامة يدعى بك... فيدفع إليك لوائي... فتسير باللواء، الحسن عن يمينك...

١٣٠ الباقر: نحن أهل الذكر.

١٣١: الباقر: أنا وأبرار عترتي أحلم الناس... فإنّ لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم.

١٣٤ عن الباقر: لا يبغض أهل بيتي إلّا ثلاثة...

١٣٦ عنه موقوفاً: حدثوا عنا، رحم الله من أحيا أمرنا.

١٣٧ عنه في اصطراع الحسنين ومعاضدة النبي وجبريل لهما.

١٣٨ عنه: إنّما مثلنا أهل البيت كشجرة على ساق من تمسّك بغصن من أغصانها نجا.

١٤٠ عنه: اشتراط علي عليه السلام في بعض موقوفاته: إلّا أن يحتاج الحسن والحسين

فهما طلق لهما، ليس لأحد غيرهما.

١٤١ عنه: أحبونا لحبّ رسول الله ﷺ.

١٤٢ عنه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ... اهْتَدَى﴾ لولايتنا.

١٤٣ ابن الحنفية: كان أبي إذا جاءت غلّته من ضياعه أخذ قوته لنفسه... وأعطى الحسن والحسين قوتهما...

١٤٤ ابن الحنفية: الحسنان خير منّي.

١٤٥ بعث علي عليه السلام ابنه الحسن إلى الكوفة لاستنفار الناس لقتال الناكثين.

١٤٨ و ١٤٩ وثوب الحسنين على ظهر جدهما ورفقه بهما في صلاة العشاء، وبروق برقة انطلقا في ضوئها إلى أُمهما. برواية أبي هريرة.

١٥٠ و ١٥١ عن أبي هريرة أنّه رأي النبي ﷺ واضعاً فاه على فيه، وقدماه على قدميه ويقول: ترق عين بقة.

١٥٢ اهتمام الحسن عليه السلام بنعت جدّه وسؤاله لخاله عن ذلك.

١٥٣ كلام يحيى بن يعمر عند الحجاج الثقفي، واستدلاله بالقرآن على أنّهما ابنا رسول الله ﷺ.

ولم أتقيد بذكر السند والنص كما ورد، بل ربّما أضفت شيئاً يقتضيه السياق، أو نقصت شيئاً مما هو خارج عن البحث أو غير ضروري، على أن كافة الإضافات بين معقوفين، ورتبته حسب المسانيد تسهيلاً للمراجعة، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

برواية قاضي صعدة محمّد بن سليمان الكوفي

[خليفة أبيه وجدّه في إنجاز المواعيد]

١) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر بن مسلم السرّاج، حدّثنا يحيى بن الحسن الحريري القزاز، حدّثنا حماد بن يعلى، حدّثني إبراهيم بن الحسن [بن حسن بن علي بن أبي طالب] قال[١]:

لما حضرت رسول الله الوفاة... قال لعلي: ترثني وتقضي عني ديني وتنجز عداتي؟ فقال علي: نعم يا رسول الله، فقال: أنت لذاك... فمكث علي تسع سنين ينشد الناس في كلّ موسم... حتّى أنجز عن رسول الله صلى الله عليه وآله عداته، ثمّ قام الحسن من بعد علي [بذلك].

اعتراض أُبي بن كعب على قرار السقيفة

٢) حدّثنا حمدان بن عبيد النوّاء، حدّثنا مخوّل بن إبراهيم النهدي، حدّثنا محمّد بن عبد الله بن حسن [بن حسن بن علي بن أبي طالب] و[أخوه] يحيى بن عبد الله، عن أبيهما، عن جدّهما، عن علي بن أبي طالب قال[٢]: لمّا خطب أبو بكر قام أُبي بن كعب يوم الجمعة، وكان أول يوم من شهر رمضان، فقال: يا معشر المهاجرين... تناسيتم أم نسيتم أم بدلتم أم خذلتم... أو لستم تعلمون أن رسول الله ٦ قال: أُوصيكم بأهل بيتي خيراً فقد موهم ولا تتقدّموهم، وأمّروهم ولا تتأمروا عليهم... أهل بيتي منازل الهدى والدال على الله... علي المحيي لسنتي... وسيّد أهل بيتي.

١- المناقب ١/ ٤٨٨: ٣٣٩.

٢-المناقب ١/ ٢٥٤: ١٤٢، وأيضاً برقم ٣٣٢ و ٦٠٨ وبهامشه ثبت لمصادره وشواهده ونحوه في الاحتجاج ١/ ٢٩٧، ومحاسن الأزهار ٢٦٨، واليقين ١٧٠ عن محمّد بن أبي هارون عن مخول.

أو لستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قبل موته جمعنا في بيت فاطمة ابنته فقال: إنّ الله قد أوحى إلى موسى أن اتخذ من أهلك أخاً فاجعله نبياً واجعل أهله لك ولداً وطهرهم من الآفات واخلعهم من الذنوب، فاتخذ موسى هارون وولده، فكانوا أئمّة بني إسرائيل من بعده، والذي يحلّ لهم في مساجدهم ما يحلّ لموسى، ألا وإنّ الله أوحى إليّ أن اتخذ علياً أخاً... واتخذ ولده ولداً، فقد طهرتهم كما طهرت ولد هارون...

سيّد شباب أهل الجنّة

٣) حدّثنا حسن بن فرج البناء، حدّثنا إسماعيل بن إسحاق، أخبرنا أحمد بن حارث، حدّثنا عصام بن طليق الطفاوي الباهلي [أنّ أبا أُمامة الباهلي قال لمعاوية حينما أغراه بالمال في حديث][1]:

يا معاوية أتدري ويلك من علي، ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة...

١-المناقب ١/ ٦١٩، ٥٠١.
وحديث أنّهما سيّدا الشباب رواه أيضاً أُسامة بن زيد وأنس بن مالك وبراء بن عازب وجابر بن عبد الله وجعفر الصادق وجهم، وحذيفة كما سيأتي، وحسن البصري والحسن ﷺ، وحسين الأصغر كما سيأتي، والحسين ﷺ وأبي ذر، وأبو رافع وسيأتي، وأبو سعيد وسيأتي بأسانيد، وسهل بن حنيف وعبد الله بن حسن بن حسن وسلمان وعائشة، وابن عباس وسيأتي، وابن عمر وابن مسعود وعبيد الله بن أبي رافع وعلي الهلالي وعلي ﷺ وعلي الرضا وعمار وعمر بن خطاب وعمرو بن ميمون وقرة بن إياس وقيس بن كعب، ومالك بن حويرث وسيأتي، والمأمون العباسي ومحمد بن عبد الله بن حسن ومحمّد الباقر ومحمّد بن الحنفية ومسلم بن يسار وموسى الكاظم وأبي هريرة.

إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بمقتل ابنيه

٤) حدّثنا إبراهيم بن عبدالله، حدّثنا عبيد الله بن موسى العبسي، عن فطر بن خليفة، عن أنس بن مالك[١]:

رأت فاطمة في منامها أن أعرابياً أقبل معه شاة حتّى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له النبي: يا أعرابي اذبح، فذبح، ثمّ قال: اسلخ، ففعل، ثمّ قال: حزّ، فحزّ، ثمّ قال: اطبخ، فطبخ، ثمّ قال للحسن والحسين: قوما فكلا، فقاما وأكلا، فلمّا أكلا ماتا. [ثمّ رأت ذلك مثله في اليقظة وطلبت من أبيها أن يعفيهما من أكله] ثمّ قال٦: لا بأس عليهما، ثمّ قال: قوما فكلا، فقاما فأكلا، ثمّ... نادي يا ضغّاث ما الذي أريت فاطمة في منامها؟ قال: أريتها أنّ الحسن والحسين ماتا... أردت أن أُحزنها. فقال: اعزب أحزنك الله... ثمّ التفت إلى فاطمة فقال:

أجزعت إذ رأيت موتهما، فكيف لو رأيت الأكبر مسقياً [بالسم]، والأصغر ملطخاً بدمه في قاع من الأرض تتناوبه السباع. فبكت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقالت فاطمة صلوات الله عليها: يا أبتا أكفّار يفعلون ذلك أم منافقون؟ قال: بل منافقو هذه الأمة يزعمون أنّهم مؤمنون.

قالت: يا أبتا أفلا ندعوا الله عليهم: فقال: بلى. فقام في القبلة وقام علي والحسن والحسين، وقامت فاطمة خلفهم، ثمّ قنت بهم وقال في دعائه: اللهم اخذل الفراعنة والقاسطين والمارقين والناكثين ثمّ اجمعهم جميعاً في عذابك الأليم. ثمّ أنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [٥/ الضحى ٩٣]...

١- المناقب ٢/ ١١٤: ٧٦٣.
وفي الباب عن أسماء بنت عميس: الجليس الصالح ٢/ ١٦٨.
وجعفر الصادق: تفسير القمي ٢/ ٣٥٥، والعياشي ٢/ ١٧٨: ٣١ سوره يوسف.

[حمل النبي ﷺ للحسنين على منكبيه]

٥) حدّثنا أحمد بن عمران البرذعي، حدّثنا جبارة بن مغلس الحماني، حدّثنا كثير بن سليم، عن أنس بن مالك[١].

كان رسول الله ﷺ إذا صلّى صلاة الغداة لم يذهب إلى بيت نسائه حتّى يبدأ ببيت فاطمة، فيسألها عن شأنها وشأن بعلها وشأن الحسن والحسين كرّم الله وجوههم، فإن كانا منتبهين حملهما، واحد على منكبه الأيمن، والآخر على منكبه الأيسر، حتّى يأتي بهما إلى الموضع الذي يريد...

[سبطا هذه الأُمة]

٦) حدّثنا خضر بن أبان الهاشمي وأحمد بن حازم الغفاري ومحمّد بن منصور المرادي، حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن قيس بن ربيع، عن [سليمان الأعمش، عن عباية بن ربعي، عن أبي أيوب الأنصاري [عن النبي ﷺ أنّه قال لفاطمة في حديث][٢]:

يا فاطمة ولعلي ثمانية أضراس ثواقب، إيمان بالله ورسوله، وعلمه، وحكمته، وزوجته فاطمة، وسبطاه الحسن والحسين... إنا أهل البيت أُعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين قبلنا، ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا، نبيّنا خير الأنبياء وهو أبوك... ومنّا سبطا هذه الأُمة وهما ابناك الحسن والحسين...

١- المناقب ٢/ ١١: ٦٧٧.
٢-المناقب ١/ ٣٠١: ١٦٨، و ٢/ ٥٧: ٧١١ عن محمّد بن منصور وحده بذيله.

[اللهم إني أحببته فأحبّه وأحبّ من يحبّه]

٧) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا علي بن حكيم، أخبرنا محمّد بن فضيل بن غزوان، عن فضيل بن مرزوق، عن عدي بن ثابت، عن براء بن عازب[١]:

قال صلى الله عليه وآله للحسن: اللّهم إني قد أحببته فأحبّه، وأحبّ من أحبّه.

[ابن عيّاش: إنما كان فينا ابنا نبي فقلنا أحدهما]

٨) حدّثنا محمّد بن عبيد الله بن نوفل، حدّثني أبي، عن أبي بكر بن عياش قال[٢]:

أليس نعجب من بني إسرائيل وقتلهم الأنبياء، إنّما كان فينا ابنا نبي فقتلنا أحدهما.

[رؤيا بعض النساء أنها تقيء كبدها، بعد ما مقتت الحسن صلى الله عليه وآله]

٩) حدّثنا عثمان بن سعيد بن عبد الله المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا سريج بن يونس، حدّثنا محمّد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر، [عن أبيه][٣]:

أنّه أرسل مولاة له إلى الحسن، قالت: فرأيته يتوضأ ومسح وجهه بالمنديل،

١- المناقب ٢/ ٦٤: ٧١٨.
ورواه أبو أسامة وعلي بن جعد وعلي بن هاشم عن فضيل.
ورواه عن شعبة أيضاً أمية وبهز وحجاج وأبو داوود الطيالسي وسليمان بن حرب وشبابة وعمرو بن مرزوق وغندر ومعاذ وأبو وليد الطيالسي فلاحظ تعليقة المناقب.
٢- المناقب ٢/ ٥٢: ٧٠٥.
٣- المناقب ٢/ ٦٨: ٧٢٣.
ورواه محمّد بن خازم وعبد الله بن نمير عن إسماعيل: الطبقات الكبرى ١/ ٢٩٥: ٢٤٩ (المتمم).
وروى نحوه مجالد مرسلاً: تاريخ دمشق ١٣/ ٢٤١: ٢٣٢.

قالت: فمقتّه، قالت: فرأت في المنام كأنها تقيء كبدها، قالت: هذا ممّا جعلت في نفسي للحسن بن علي.

[النبي ﷺ مخاطباً للمرتضى: ولدك ولدي]

١٠) حدّثنا أحمد بن عبدان البرذعي، حدّثنا إسماعيل بن موسى السدّي، حدّثنا سليمان بن بلال، حدّثنا سعيد بن محمّد الأودي، عن أبي زبير، عن جابر [بن عبد الله عن النبي ﷺ في فتح خيبر في حديث في فضل علي عليه السلام][1]:

ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك، وترثني وأرثك، وأنت تؤدي ديني، وأن ولدك ولدي...

[نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما]

١١) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا عبد الرحمان بن إسحاق الهاشمي، حدّثنا [أبو خالد يزيد بن] خالد بن يزيد، حدّثنا مسروح أبو شهاب، حدّثنا سفيان الثوري، عن أبي زبير، عن جابر بن عبدالله[2]:

دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربع، وعلى ظهره الحسن والحسين، وهو يقول: نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما.

١٢) حدّثنا أبو أحمد الهمداني قال: كتب إلى أبو أحوص العكبري محمّد بن هيثم، حدّثنا [يزيد بن] خالد بن يزيد [بن موهب]، حدّثنا مسروح أبو شهاب، حدّثنا سفيان الثوري، عن أبي زبير، عن جابر [بن عبد الله][3]:

١- المناقب ١/ ٥٥٤: ٤٠٥.
٢- المناقب ٢/ ١٠٥: ٧٥٥.
ورواه الرامهرمزي عن عبد الرحمان بن إسحاق بن يحيى بن زكريا المكي: أمثال الحديث ١٣١. ولاحظ نا يأتي.
٣- المناقب ١/ ٧٨: ٧٣٠.
ورواه عن أبي أحوص أبو بكر الصيرفي: مقتل الخوارزمي ١/ ٩٨.
وأبو صالح محمّد بن أحمد: العلل المتناهية ١/ ٢٥٦.

دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يمشي على أربع، وعلى ظهره الحسن والحسين، وهو يقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العِدلان أنتما.

[خلقت أنا وأنت من شجرة... والحسن والحسين أغصانها]

١٣) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا محمّد بن عبد الوهاب، حدّثنا عثمان بن عبد الله، حدّثنا عبد الله بن لهيعة، عن أبي زبير، عن جابر بن عبد الله أنّ النبي ٩ كان بعرفات وعلي تلقاءه فقال له النبي... (في حديث):[1]

خلقتُ أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، يا علي فمن تعلّق بغصنٍ منها أدخله الله الجنّة.

ورواه عن ابن خالد أيضاً:
١ـ جعفر بن محمّد الفريابي: المعجم الكبير ٣/ ٥٢: ٢٦٦١.
٢ـ خالد بن روح: الكنى للدولابي ٢/ ٦٤٥: ١١٤٩.
٣ـ روح بن فرج: المعجم الكبير ٣/ ٥٢: ٢٦٦١، وضعفاء العقيلي ٤/ ٢٤٧.
٤ـ عبد الرحمان بن إسحاق كما في السالف، وأمثال الحديث ١٣١.
٥ـ عبد الله بن محمّد بن زكريا: طبقات إصبهان ٣/ ٣٧٣.
٦ـ عبيد بن شريك: أمالي ابن بشران ٢/ ٧٣: ١٠٨٩، والتدوين ٢/ ١٠٨، و ٣/ ٣٤٤.
٧ـ علي بن حسن بن إدريس: التدوين ٢/ ١٠٨.
٨ـ علي بن داوود: تاريخ دمشق ١٣/ ٢١٦: ١٥٧ و ١٥٨، و الأسامي لأبي أحمد ٥/ ١٥٤.
٩ـ عمرو بن أحمد: مناقب ابن المغازلي ٤٣٩: ٤٢٩.
١٠ـ محمّد بن إسحاق الصغاني: معجم الصيداوي ٢٦٦: ٢٢٧.
١١ـ محمّد بن إسماعيل الصائغ: الكامل ٥/ ٢٥٩.
١٢ـ محمّد بن عبد الكريم: الشريعة ٥/ ٢١٦١: ١٦٤٩.
ورواه عيسى بن عبد الله عن أبي شهاب: الكامل ٥/ ٢٥٩، والمجروحون ٣/ ١٩.
ومحمّد بن مصفى عن مسروح بمقتل الخوازمي ١/ ٩٨.
وفي الباب عن أنس وبراء وسلمان وابن عباس وابن مسعود وعتبة بن غزوان وعمرو أبي هريرة فلاحظ تعليقتي على مناقب ابن المغازلي وكفاية الطالب.
١ - المناقب ١/ ٢٨٥: ١٥٧.
ورواه جماعة عن عثمان فلاحظ تعليقة الحديث ١٣٦ من مناقب ابن المغازلي.
وللحديث شواهد.

[من نصب حرباً لأهل بيتي فليس مني]

١٤) حدّثنا محمّد بن عبيد بن عتبة، حدّثنا عباد بن يعقوب، حدّثنا أبو [يـ]ـزيد العكلي، عن هشام بن سعد، عن أبي عبدالله المكي، عن جابر بن عبدالله [مرفوعاً]:[١]

ثلاث من كن فيه فليس مني ولا أنا منه، من [أ]بغض علياً، ونصب حرباً لأهل بيتي، ومن قال: الإيمان كلام بلا عمل.

[اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس]

١٥) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر بن محمّد الرماني، حدّثنا حسن بن حسين، عن إسحاق بن عمار، عن جعفر بن محمّد[٢]:

أنّ النبي ﷺ جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين في بيت أُم سلمة... ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي (خ: أهلي)، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً...

[أمر النبي ﷺ لفاطمة وابنيها بفدك]

١٦) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر بن محمّد الرماني، حدّثنا حسن بن حسين العرني، عن إسماعيل بن زياد السلمي، عن جعفر بن محمّد قال:[٣]

لما نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [٢٦/ الإسراء ١٧] أُمر رسول الله ﷺ

١- المناقب ٢/ ٣٤٦: ٩٧٩.
ورواه عبدالله بن سليمان عن عباد: تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٨٤: ٧٢٠ ولم يرد فيه (بلا عمل).
٢- المناقب ١/ ٨١١: ٦٤٨.
٣- المناقب ١/ ١٨٩: ٩٥.
ورواه أبان بن تغلب عن جعفر الصادق عن آبائه: عن علي: شواهد التنزيل ١/ ٤٤٢: ٤٧٣.
وفي الباب عن أبي سعيد وابن عباس.

لفاطمة وابنيها بفدك. فقالوا: يا رسول الله أمرت لهم بفدك؟ فقال: والله ما أنا أمرت لهم بها، ولكن الله أمر لهم بها. ثمّ تلا هذه الآية.

[أنه مع جده وأبيه وأُمه في أعلى الفردوس]

١٧) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا سهل بن يحيى، حدّثني حسن بن هارون، أخبرنا عمرو بن زياد، حدّثنا غالب بن غالب القرقساني، عن أبيه، عن جده حبيب بن حبيب، سمعت النبي ٦ يقول[١]:

أنا في الجنّة، وعلي في الجنّة، وفاطمة في الجنّة، والحسن في الجنّة، والحسين في الجنّة، في قبة بيضاء وفي قبة المجد، وهي أعلى الفردوس.

[حديث الثقلين]

١٨) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثني سهل بن يحيى السقطي، حدّثنا حسن بن هارون، حدّثنا معروف بن خرّبوذ، سمعت أبا طفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أُسيد الغفاري قال[٢]:

لمّا صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع نزل الجحفة فصلّى فقال:

أيها الناس إني سائلكم حين تردون عليّ الحوض عن الثقلين، فانظروني كيف تَخْلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله... وعترتي أهل بيتي، انظروا كيف تَخْلفوني فيهما، فإني سألت اللطيف الخبير أن لا يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فأعطاني ذلك، ولا تشتموهم (تسبقوهم) فتهلكوا.

١- المناقب ١/ ٢٧٧: ١٤٩، وباختصار في ٢/ ٤٣٥: ١٠٧٠ إلى قوله: والحسين في الجنّة.
٢- المناقب ١/ ٧٩٨: ٦٣٩.
ورواه زيد بن حسن الأنماطي عن معروف: فرائد السمطين ٢/ ٢٧٤، والمعجم الكبير ٢/ ٢٠: ٣٠٥٢.

[أنه خير الناس جداً وجدة وأُمّاً وأباً]

١٩) حدّثنا محمّد بن منصور المرادي، عن أبي هشام [الرفاعي]، عن صالح بن سعيد الجعفي، حدّثنا أبو هارون العبدي، عن ربيعة السعدي، (عن حذيفة بن يمان في حديث)[١]:

خرج علينا رسول الله ﷺ حاملاً الحسن على عاتقه والحسين على صدره... فوضعهما يمشيان بين يديه ثمّ قال: هذا الحسن والحسين خير الناس جدّاً وجدة... أُماً وأباً... عمّاً وعمة... خالاً وخالة، أما جدها فرسول الله... ما أُعطي أحد ما أُعطي الحسن والحسين ما خلا يوسف بن يعقوب من النبوة.

٢٠) حدّثنا محمّد بن منصور المرادي، عن عباد بن يعقوب، أخبرنا عمار بن أبي أحوص أبو يقظان، حدّثني أبو هارون العبدي، عن ربيعة السعدي، (عن حذيفة بن اليمان في حديث وذكر نحو السالف) وذكر (الحسين) بدل (الحسن والحسين) في كافة الموارد سوى الأخير فاختلفت النسختان فيه، ثمّ قال حذيفة)[٢]:

فلا تخالجكم الأُمور في أن الفضل والشرف والمنزلة لرسول الله ﷺ ولذريته وأهل بيته، فلا تذهبن بكم الأباطيل.

[سيّدا شباب أهل الجنّة]

٢١) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا أبو حاتم الرازي وإبراهيم بن حسين، عن آدم، حدّثنا قيس بن ربيع، حدّثنا ميسرة بن حبيب، عن منهال، عن زر بن حبيش، عن حذيفة [مرفوعاً في حديث][٣]:

١- المناقب ٢/ ٢٦٥: ٩٠٤. ولاحظ التاليين، والاستثناء في آخره غير صحيح.
٢- المناقب ٢/ ٢٧٧: ٩١٦.
٣- المناقب ٢/ ٩١: ٧٤١.
ورواه حفص بن عبد الرحمان عن قيس: فرائد السمطين ٢/ ٢٠.
ورواه إسرائيل عن ميسرة، وأبو مريم عن منهال، وعاصم بن بهدلة وعدي بن ثابت عن زر، وسعد

إنّه ملك... استأذن ربه في زيارتي... وبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

[تفسير الصالحين بهما]

٢٢) حدّثنا أبو أحمد الهمداني... مدرك بن عبد الرحمان القرشي، عن أبان بن فيروز، عن سعيد بن جبير، عن حذيفة بن يمان قال[١]:

دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألته عن هذه الآية ﴿**فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً**﴾ [٦٩/ النساء ٤]. فقال: يا حذيفة يا أبا عبد الله أما من النبيين فأنا محمّد رسول الله، ومن الصديقين فعلي بن أبي طالب، ومن الشهداء حمزة وجعفر، ومن الصالحين الحسن والحسين، وحسن أولئك رفيقاً فالمهدي في زمانه.

[استضافته لبعض الوافدين على أبيه]

٢٣) حدّثنا عبد الله بن محمّد ـ وكتب إلى موسى بن عيسى الجزري من البصرة إليّ، حدّثنا محمّد بن زكريا البصري، حدّثنا عباس بن بكار، حدّثنا أبو بكر الهذلي، عن حسن [البصري]، حدّثني رجل من بني تميم قال[٢]:

وجهني عبد الله بن عباس إلى علي عليه السلام بالكوفة بستمئة ألف درهم فضلت من عطايا أهل البصرة، فقدمت عليه وهو يعشّي الناس في شهر رمضان فقال: يا أخا بني تميم اجلس فأصب مع الناس، فقلت: بل أقوم معك وأُعينك حتّى

بن حذيفة وعامر الشعبي وقيس بن أبي حازم عن حذيفة فلاحظ هامش المناقب وفضائل القطيعي والمعجم الكبير وصحيح ابن حبان ومسند أحمد وسنن النسائي وغيرها.

١- المناقب ١/ ١٧٦: ٨٦. ورواه أحمد بن عبد الله الهروي عن مدرك: شواهد التنزيل ١/ ٢٣٥: ٢١٢.
وفي الباب عن ابن عباس وعلي عليه السلام كما في الشواهد وغيره.

٢- (٢٣) المناقب ١/ ٧٠٧: ٥٧. وروى نحوه ابن أبي الدنيا بسنده عن حسن بن علي النميري عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن قنبر: تذكرة الخواص ١/ ٤٦٨ باب ٤، ونحوه في مناقب آل أبي طالب ٢/ ١٠٧ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.

يفرغوا. قال: ذلك إليك. فلما فرغوا... دخل منزله ثمّ قال: يا قنبر ائتني بالمزود، فجاءه بمزود مختوم، فنظر إلى ختمه، فقلت في نفسي: هذا مال يريد أن يدفعه إلي، ففتحه فأخرج لي كسر خبز يابس فبلّه بماء، وأُتي بزيت وملح فصبّ عليه وقال: ادن يا أخا بني تميم. فقلت: أقلني يا أمير المؤمنين ردّني إلى أصحابي. فقال: هيهات فاتك أصحابك، يا قنبر ائت الحسن بن علي فقل له: إنّه نزل بنا ضيف فإن يك عندك غياث فأغثه. فجاء [قنبر] بصحفة فيها مرق ولحم وأرغفة، فوضع بين يدي فجعلت آكل فقال [علي عليه السلام]: يا أخا بني تميم إنك لحاذق بأكل هذا. فقلت: أنت والله حاذق بأكل فلق الخبز، فبكى عليه السلام ثمّ قال: يا أخا بني تميم متى ساويناهم في طعامهم سألنا الله عن ذلك... فلما أصبح دعا الحسن ثمّ قال: يا بني ضيفنا إليك، فأنت أوفق له منا.

قال التميمي: فحدّثني قنبر قال: دعاني الحسن فقال: يا قنبر إنّ عندي أربع نسوة حرائر ما في بيت واحدة منهن فضل عن قوتها، فاستسلف لي درهماً طعاماً لهذا الضيف. قال: فاستسلفت له درهماً فاشتريت له طعاماً، فقال: هذا طعام فأين الإدام؟ فقلت له: من أين؟ فقال: إنّ زقاق عسل جاءت من اليمن فأعطنا منها مقدار ما يأتدم به الضيف. فقلت: وكيف أُعطيك ولم يقسمها أمير المؤمنين. قال: إنّ لنا فيها حقّاً فإذا أعطانا حقّنا رددنا ما أخذنا. فقمت إلى زق منها ففتحته فأخذت منه قدر رطل أو أرجح.

قال التميمي: فتأدمت به، فلمّا كان من الغد دعا علي ليقسم العسل، فنظر إلى ذلك الزق قال: يا قنبر قد حدث في هذا الزق حدث... فغضب ثمّ قال: عليّ بالحسن، فدُعي له ورفع الدرة ليضربه فقال: بحقّ عمي جعفر. وكان علي إذا سئل بحقّ جعفر يسكن. فقال له: ما حملك على أن أخذت من هذا العسل قبل أن نقسمه؟ قال: يا أمير المؤمنين إنّ لنا فيه حقاً، فإذا أعطيتنا حقنا رددنا من حقّنا. قال: فداك أبوك وإن كان لك فيه حقّ فليس لك أن تنتفع بحقّك منه قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم، لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل ثنيتك لأوجعتك ضرباً.

ثـمّ دفـع إلـى قنـبر درهمـاً فقـال: اشـتر بـه أجـود عسـل تقـدر عليـه بالكوفـة. فـكأني أنظـر إلـى يـدي عـلي علـى الـزق وقنـبر يقلـب العسـل فيـه ثـمّ شـدّه وجعـل يبكـي ويقـول: اللّهـم اغفرهـا للحسـن فإنّـه لم يعلـم.

[خطبته بعد شهادة أبيه]

٢٤) حدّثنـا أبـو أحمـد الهمـداني، أخبرنـا محمّـد بـن عبـد العزيـز، عـن حفـص بـن عمـر الحـوضي، حدّثنـا سـكين بـن عبدالعزيـز، حدّثنـا حفـص بـن خالـد [بـن جابـر]، عـن أبيـه، عـن جـدّه قـال[١]:

لمـا قتـل عـلي قـام الحسـن بـن عـلي عليه السلام فحمـد الله وأثنـى عليـه ثـمّ قـال: والله لقـد قتلتـم الليلـة رجـلاً في ليلـة نـزل فيهـا القـرآن، وفيهـا قتـل يوشـع بـن نـون فتـى موسـى، وفيهـا رفـع عيسـى بـن مريـم.

والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يلحقه أحد بعده.

وإن كان رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعثـه في السريـة، جبرائيـل عـن يمينـه، وميكائيـل عـن يسـاره.

والله مـا تـرك صفـراء ولا بيضـاء إلّا سـبعمئة ـ أو ثمانمئـة ـ درهـم، أرصدهـا لخـدم يشتريها.

٢٥) حدّثنـا عـلي بـن أحمـد العراقـي مناولـة، حدّثنـا عبيـد الله بـن معـاذ، حدّثنـا معتمـر بـن سـليمان، عـن أبيـه، عـن حريـث بـن مخـش قـال[٢]:

١- المناقب ٢/ ٤٧١: ١١٠٨.
ورواه إبراهيم السامي عن سكين: مسند الموصلي ١٢/ ١٢٥: ٦٧٥٧، وتصحف فيه حفص بجعفر، مع تصحيفات أخرى.
ورواه عبدالرحمان عن سكين: المعجم الأوسط ٩/ ٢١٤: ٨٤٦٤. ولاحظ الأحاديث الآتية.
٢- المناقب ١/ ٦٧٧: ٥٤٧. ولاحظ الآتي.

قتل علي صبيحة إحد[ى] وعشرين من رمضان، فسمعت الحسن بن علي يخطب وهو يذكر مناقب علي قال: قتل ليلة أُسري بعيسى أو بموسى ليلة كذا وكذا، فذكر شيئاً أو شيئين.

٢٦) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثني علي بن محمّد بن عبد الله بن مبارك، حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى، حدّثنا معتمر [بن سليمان]، عن أبيه، سمعت حريث بن مخش[١]:

أن علياً قتل صبيحة واحد وعشرين من رمضان، قال: فسمعت الحسن بن علي وهو يخطب ويذكر مناقب علي ويقول: قتل ليلة أُنزل القرآن، وليلة أُسري بعيسى ـ أو قال: بموسى.

٢٧) حدّثنا علي بن أحمد العراقي مناولة، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة قال: خطب الحسن حين قتل علي. فذكره[٢].

٢٨) ورواه إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هبيرة وعمرو بن حبشي، عن الحسن ٧ بخطبته بعد شهادة أبيه[٣].

٢٩) حدّثنا علي بن أحمد العراقي مناولة، حدّثنا عبيد بن هشام أبو نعيم الحلبي، حدّثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أُنيسة، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، عن الحسن بن علي قال[٤].

١- المناقب ٢/ ٤٨٨: ١١٢٣.
ورواه سوار بن عبد الله عن معتمر: معجم الصحابة للبغوي ٤/ ٣٦٧، والمستدرك ٣/ ١٤٣.
ورواه عارم عن معتمر، تاريخ دمشق ٤٢/ ٥٨٦: ١٥٢٠ و ١٥٢٢.
٢- المناقب ١/ ٦٧٦: ٥٤٦. وانظر ما قبله وما بعده.
٣- المناقب ١/ ٦٧٦ ذيل ٥٤٥. ولاحظ ما تقدّم والتوالي.
٤- المناقب ١/ ٦٧٦: ٥٤٥. وانظر السالف والتالي.

إني لأعرف موضع رجل ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله في وجه إلّا فتح الله عليه، مات يوم مات ولم يدع إلّا سبعمئة درهم [فضل] من عطائه أراد بها شراء خادم أو حل؟ تركه على صبي.

٣٠) قال أبو داود: رواه سفيان بن سعيد بهذا الإسناد: (عن أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم عن الحسن ٧ بخطبته بعد شهاده أبيه)[١].

[سيّدا شباب أهل الجنّة]

٣١) حدّثنا أحمد بن سري المصري، حدّثنا أحمد بن عيسى بن عبد الله العمري، حدّثنا أحمد بن حماد، عن عنبسة بن بجاد، عن حسين بن علي بن حسين [الأصغر، مرفوعاً في حديث][٢]: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

فما ترك أن قيل: فابنا هارون؟ فقال: ذانك سيّدا شباب عالمهما، وهذان سيّدا شباب عالمهما.

[الزموا مودتنا أهل البيت]

٣٢) حدّثنا خضر بن أبان، حدّثنا يحيى الحماني، حدّثنا شريك، عن ليث بن أبي سليم، عن [عبدالرحمان] بن أبي ليلي، عن الحسين بن علي [مرفوعاً][٣]:

الزموا مودتنا أهل البيت، فإن من لقي الله يوم القيامة وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينتفع عبد بعمله إلّا بمعرفة حقنا.

١- المناقب ١/ ٦٧٦ ذيل ٥٤٥. ولاحظ ما تقدّم.
٢- المناقب ٢/ ٣٩٨: ١٠٢٧.
ورواه علي بن [رجاء بن] صالح عن حسن بن حسين... عن الحسن بن علي: المناقب ٢/ ٤٠٠: ١٠٣٢ وتصحف الحسين بن علي بالحسن بن علي، ولم يرد فيه (حدّثنا أحمد بن عيسى... العمري)، وأحمد بن عيسى وأحمد بن حماد كلاهما من مشايخ المصري.
٣- المناقب ١/ ٧٣٤: ٥٩٨.
ورواه قيس بن ربيع عن ليث عن ابن أبي ليلى عن الحسن عليه السلام: المعجم الأوسط ٣/ ٢٢: ٢٢٥١.

[مرور النبي ﷺ على بيتهم وتلاوة آية التطهير]

٣٣) حدّثنا أبو أحمد، أخبرنا عبدالملك بن حسن، عن يحيى بن حسان، حدّثنا منصور بن أبي أسود، سمعت أبا داوود، سمعت أبا حمراء قال[١]:

حفظت من رسول الله ﷺ سبعة أشهر ـ أو ثمانية ـ كان يأتي إلى باب علي وفاطمة والحسن والحسين فيقول: الصلاة يرحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

[من أحبنا أحبّ الله ومن أبغضنا أبغض الله]

٣٤) حدّثنا أبو أحمد عبد الرحمان بن أحمد الهمداني، أخبرنا عبدالله بن عمير بن عمران الجنيد البصري، حدّثنا هارون بن عبد الرحمان، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن زر بن حبيش، عن سلمان و [أبي ذر] جندب بن جنادة [مرفوعاً في حديث]:[٢]

أخبرني ربي من فتنة تصيب أُمتي من بعدي، وكل ذلك حرصاً لها وجمعاً لها، وليس منهم أحدٌ بناج إلّا من أشغل نفسه بما أمره الله به وطلب ما عنده، ولا يخرج من هذه الدنيا إلّا بمحبتي ومحبّة أهل بيتي وعترتي، ومن أحبنا فقد أحب الله، ومن أبغضنا أبغضه الله، وأخبرني (ربي) قال: (يا محمّد) لا يزال دينك زائداً، ولا يزال دين من خالفك ناقصاً، وسيلغ دينك حيث يبلغ الليل من المشرق إلى المغرب، فطوبى لمن خرج من الدنيا على دينك، وعلامة أنّه على دينك أن يرزقه (الله) محبّتك ومحبّة أهل بيتك وعترتك، وقليل من هم إلّا في آخر الزمان.

١- المناقب ١/ ٨٢٨: ٦٦٨.
ورواه أبو سلمة عن أبي داوود: مناقب الكوفي ١/ ٦٥٠: ٥٢٤.
ورواه جماعة عن أبي داود فلاحظ شواهد التنزيل وتعليقاته.
٢- المناقب ١/ ٨٢٢: ٦٦١ وأعاده برقم ٦٧٣ عن أبي أحمد عن عبد الله بن مسلم عن مدرك بن عبد الرحمان عن أبان، وما بين الأقواس منه.

[مثل أهل البيت كسفينة نوح]

٣٥) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا عبدالرحمان بن صالح، حدّثنا عبدالكريم بن هلال الخزاز، حدّثنا أسلم المكي، حدّثني أبو طفيل [عامر بن واثلة][1]:

أنّه رأى أباذر قائماً عند باب الكعبة وهو ينادي: أيها الناس... سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة.

[لا يؤمن عبد حتى... يكون عترتي أحبّ إليه من عترته]

٣٦) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثني أبو شعيب، حدّثنا محمّد بن عمران، حدّثنا سعيد بن عمرو، عن [محمّد بن عبد الرحمان] بن أبي ليلى، عن حكم [بن عُتيبة]، عن عبدالرحمان أبي ليلى، عن أبيذر [مرفوعاً][2]:

لا يؤمن عبد حتّى أكون احبّ إليه من نفسه، ويكون عترتي أحبّ إليه من عترته، ويكون أهلي أحبّ إليه من أهله، وتكون ذاتي أحبّ إليه من ذاته.

[سيّدا شباب أهل الجنة]

٣٧) حدّثنا محمّد بن منصور المرادي، عن عباد بن يعقوب، عن علي بن

١- المناقب ١/ ٧٩٦: ٦٣٧.
ورواه حفش ورافع مولى أبي ذر وريان بن عمر وزاذان وحذيفة بن أُسيد وسعيد بن مسيب ومورق عن أبيذر فلاحظ تعليقة المناقب وفضائل القطيعي: ٤٥٢ ومناقب ابن المغازلي: ١٧٨ و ١٨٠.
٢- المناقب ١/ ٧٧٧: ٦٣١.
ورواه أحمد بن محمّد بن صاعد عن ابن عمران: الأمالي الخميسية ١٥٥.

هاشم، عن محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه [1]:

لما خرج رسول الله ﷺ [إلى] غزوة تبوك خلّف علياً... ثمّ قال: أما ترضى يا علي... أن ابنيك سيّدا شباب أهل الجنّة من أُمتي في الدنيا والآخرة...

[أنا حرب لمن حاربتم]

٣٨) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبدالله المروزي، حدّثنا أبو زرعة عبيد الله بن عبدالكريم الرازي، حدّثنا مالك بن إسماعيل، [حدّثنا] أسباط بن نصر، عن [إسماعيل] السدي، عن صبيح مولى أم سلمة، عن زيد بن أرقم [مرفوعاً] [2]:

أنّه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم.

٣٨/ ب) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثني علي بن عبد العزيز، حدّثنا مالك بن إسماعيل أبو غسان، حدّثنا أسباط بن نصر، عن [إسماعيل] السدي، عن صبيح مولى أُم سلمة، عن زيد بن أرقم [3]:

أنّ النبي ﷺ قال لعلي وفاطمة وحسن وحسين: أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم.

٣٩) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا علي بن عبد الله الدقاق، حدّثنا مالك

١- المناقب ١/ ٣٩١: ٢٦٣.
٢- المناقب ١/ ٨٠٧: ٦٤٧، ولاحظ الآتي.
ورواه جماعة عن مالك بن إسماعيل، ورواه علي بن قادم وغيره عن أسباط، ورواه أبو إسحاق ومسلم بن صبيح عن زيد، ورواه إبراهيم بن عبد الرحمان بن صبيح عن جده، فلاحظ هامش المناقب وفضائل أحمد ومسنده والمعجم الكبير وغيرها.
وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد.
٣- (٣٨/ ب) المناقب ١/ ٨٢٣: ٦٦٢. ولاحظ السالف.
ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز ومحمد بن نضر: المعجم الكبير ٣/ ٢٦١٩، و ٧/ ٢٧: ٥٠٣٠.

بـن إسـماعيل، حدّثنـا أسـباط بـن نـصر، عـن السـدي، عـن صبيـح مولـى أُم سـلمة، عـن زيد بـن أرقـم[1]:

أنّ النبـي صلى الله عليه وآله وسلم قـال لعـلي وفاطمـة وحسـن وحسـين: أنـا حـرب لمـن حاربتـم، سـلم لمـن سـالمتم.

[إني تارك فيكم الثقلين]

٤٠) حدّثنـا عثـمان بـن سـعيد المـروزي، حدّثنـا محمّـد بـن عبـدالله المـروزي، حدّثنـي أبـو زرعـة [الـرازي]، حدّثنـي كثـير بـن يحيـى، حدّثنـا أبـو عوانـة، عـن الأعمـش، حدّثنـا حبيـب بـن أبي ثابـت، عـن عامـر بـن واثلـة، عـن زيـد بـن أرقـم [مرفوعـاً في حديـث][2]:

إنّي تـارك فيكـم الثقلـين، أحدهمـا أكـبر مـن الآخـر كتـاب الله وعـترتي أهـل بيتـي، فانظـروا كيـف تخلفـوني فيهـما، فإنّهـما لـن يفترقـا حتّـى يـردا عـليّ الحـوض...

أبو الضحى عن زيد، سيأتي باسم مسلم بن صبيح.

٤١) حدّثنـا أحمـد بـن عـلي بـن حسـن بـن مـروان، حدّثنـا حسـن بـن عـلي بـن عفـان، أخبرنـا عـلي بـن حكيـم، أخبرنـا محمّـد بـن فضيـل بـن غـزوان، عـن الأعمـش، عـن عطيـة، عـن أبي سـعيد[3].

١- المناقب ١/ ٨٣٥: ٦٧١ ولاحظ ما تقدّم.
٢- (٤٠) المناقب ٢/ ٢٩٢: ٩٣٠.
ورواه زيد بن عوف ويحيى بن حماد عن أبي عوانة.
ورواه سعيد بن عبد الكريم عن الأعمش.
ورواه حكيم بن جبير وسلمة بن كهيل وفطر عن عامر كما سيأتي.
٣- (٤١) المناقب ١/ ٧٥٠: ٦١٥.
ورواه عن الأعمش عن حبيب... أيضاً:
١ـ سعيد بن عبد الكريم: المعجم الكبير ٥/ ١٦٦: ٤٩٦٩.
٢ـ شريك كما تقدّم، والمعرفة للبسوي ١/ ٥٣٦.
٣ـ أبو عوانة كما تقدّم.

و[عن الأعمش]، عن حبيب بن أبي ثابت، [عن أبي طفيل عامر]، عن زيد بن أرقم [مرفوعاً]:

إنّي كأن قد دُعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي، فإنّهما لن يزالا جميعاً حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

٤٢) حدّثنا محمّد بن منصور المرادي، عن عباد بن يعقوب، عن عبد الله بن بكير، عن حكيم بن جبير، عن أبي طفيل، عن زيد بن أرقم[١]:

نزل النبي ﷺ الجحفة فأمر بدوحٍ فنظف ما تحتهن... ثمّ قال [في حديث]:

إنّي فرطكم وإنّكم واردون عليّ الحوض... فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين... الأكبر كتاب الله... والأصغر عترتي، فإنّ اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وسألت لهما ذلك ربي، فلا تقدّموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فهم أعلم منكم...

[شدة جوع الحسنين وإرواء جدهما لهما بريقه]

٤٣) حدّثنا أبو محمّد عبد الله بن حمدويه البغلاني، حدّثنا محمّد بن يونس الكديمي، حدّثنا حماد بن عيسى الجهني، حدّثنا نهّاس بن قُهْم، عن قاسم بن عوف الشيباني، عن زيد بن أرقم[٢]:

كان رسول الله ﷺ يشدّ الحجر على بطنه من الغرث، فظل يوماً صائماً

ورواه عن زيد جماعة فلاحظ هامش المناقب وفضائل أحمد وغيرهما.
وورد هنا من طريق أبي ضحى مسلم بن صبيح وعطية ويزيد بن حيان.
١- المناقب ٢/ ٢٢٠: ٨٦١.
ورواه جعفر بن حميد ونضر بن سعيد عن ابن بكير: المعجم الكبير ٥/ ١٦٦: ٤٩٧١.
٢- المناقب ١/ ٧٢: ٢٣ و ٩٧. ورواه أبو قاسم الماسرجسي عن الكديمي: شواهد التنزيل ٢/ ٤٧٤: ١٠٧١، وتفسير فرات ٥٢٦: ٦٧٧.

ليس عنده شيء، فأتى فاطمة، والحسن والحسين يبكيان، فلما نظرا إليه تسلّقا على منكبيه وهما يقولان: يا أبانا قل لأُمنا يطعمنا. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة أطعمي ابنيّ. قالت: ما في منزلي إلّا بركة رسول الله ٦. فالتقاهما بريقه حتّى شبعا ورويا وناما...

[إنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض]

٤٤) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا محمّد بن حميد الرازي، حدّثنا جرير [بن عبدالحميد]، عن حسن بن عبد الله، عن مسلم بن صبيح، عن زيد بن أرقم [مرفوعاً][1]:

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

٤٥) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثني علي بن عبدالعزيز، حدّثنا عمرو بن عون، أخبرنا خالد [بن عبد الله]، عن حسن بن عبيد الله، عن أبي ضحى [مسلم]، عن زيد بن أرقم [مرفوعاً][2]:

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى

١- المناقب ١/ ٧٨١: ٦٣٢.
ورواه عن جرير أيضاً:
١ـ علي بن المديني: المعجم الكبير ٥/ ١٧٠: ٤٨٩١.
٢ـ يحيى بن بكير: المعرفة للبسوي ١/ ٥٣٦.
٣ـ يحيى بن عبدالحميد، المعجم الكبير ٥/ ١٧٠: ٤٩٨٢.
٤ـ يحيى بن مغيرة: المستدرك ٣/ ١٤٨.
ورواه خالد عن حسن بن عبيد الله كما في التالي. وانظر كمال الدين ١/ ٢٣٧ باب ٢٢ ح ٥٤.
٢- المناقب ١/ ٨٢٣: ٦٦٣.
ورواه الطبراني عن ابن عبد العزيز: المعجم الكبير ٥/ ١٦٩: ٤٩٨٠.
ورواه محمّد بن علي بن منصور عن عمرو: كمال الدين ١٣٦ باب ٢٢ ح ٤٤.
ورواه وهب بن بقية عن خالد: مناقب ابن المغازلي ٣٠٣: ٢٨٦، ومناقب الكوفي ١/ ٥٠٥: ٣٥٣ ولكن بفقرة (من كنت وليه فعلي وليه) وهي جزء من هذا الحديث، وكذلك في مناقب ابن المغازلي ٧٢: ٢٧.

يـردا عـليّ الحـوض.

٤٦) حدّثنـا عثـمان بـن سـعيد المـروزي، حدّثنـا محمّـد بـن عبـد الله المـروزي، حدّثنـا [محمّـد بـن] حميـد الـرازي، حدّثنـا جريـر [بـن عبدالحميـد]، عـن أبي حيـان التيمـي، عـن يزيـد بـن حيـان [عـن زيـد بـن أرقـم مرفوعـاً في حديـث][1]:

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله... وأهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي.

٤٧) حدّثنـا أحمـد بـن عـلي بـن حسـن بـن مـروان، حدّثنـا حسـن بـن عـلي بـن عفـان، أخبرنـا عـلي بـن حكيـم، أخبرنـا محمّـد بـن فضيـل، عـن أبي حيـان التيمـي، عـن يزيـد بـن حيـان [عـن زيـد بـن أرقـم مرفوعـاً في حديـث][2]:

إني تـارك فيكـم الثقلـين، أحدهمـا كتـاب الله... وأهـل بيتـي، أُذكركـم الله في أهـل بيتـي.

٤٨) حدّثنـا محمّـد بـن منصـور المـرادي، عـن محمّـد بـن حميـد، عـن إسـماعيل بـن

١- المناقب ١/ ٧٨١: ٦٣٣.
ورواه إسحاق بن إبراهيم عن جرير: صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٤، وسنن النسائي الكبرى ٥/ ٥١: ٨١٧٥، وزين الفتى ٢/ ٢٦٧: ٤٧٦.
ورواه محمّد بن فضيل عن أبي حيان كما في التالي فلاحظ بعض تخريجاته فيه.
ورواه سعيد بن مسروق وسليمان الأعمش عن يزيد بن حيان فلاحظ ما علقناه على الحديث ٢٨٩ من مناقب ابن المغازلي.
٢- المناقب ١/ ٧٥٢: ٦١٧.
وورد من طريق ابن فضيل في صحيح ابن خزيمة ٤/ ٦٢: ٢٣٥٧، والمعجم الكبير ٥/ ١٨٣: ٥٠٢٨، ومشكل الآثار ٩/ ٨٩: ٣٤٦٤، والمعرفة للبسوي ١/ ٥٣٦، والسنة العاصمة ١٢٩: ١٥٥٠ و ١٥٥١.
ورواه عن أبي حيان أيضاً:
١ـ إسماعيل بن إبراهيم: مسند أحمد ٣٢/ ١٠: ١٩٢٦، وصحيح مسلم ٤/ ١٩٧٣: ٢٤٠٨، والمعجم الكبير ٥/ ١٨٣: ٥٠٢٨.
٢ـ جرير كما تقدّم.
٣ـ جعفر بن عون: سنن الدارمي ٢/ ٤٣١، والبيهقي ٢/ ١٤٨، و ١٠/ ١١٤، وشرح السنة ١٤/ ١١٧: ٣٩١٣، واعتقاد البيهقي ١٨٤.
٤ـ علي بن مسهر: مناقب ابن المغازلي ٣٠٦: ٢٨٩.
٥ـ يعلى بن عبيد: سنن البيهقي ١٠/ ١١٤، واعتقاده ١٨٥.

صبيح، عن أبي مريم، عن يزيد بن حيان... (عن زيد بن أرقم مرفوعاً):[1]

إني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله... ثمّ أهل بيتي أُذكركم الله في أهل-بيتي...

[افتراض طاعتهم وعصيتهم]

٤٩) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر بن مسلم، حدّثني يحيى بن حسن القزّاز، حدّثنا حماد بن يعلى، عن نوح بن دراج، عن عبد الله بن أبي يعفور ومحمّد بن موسى، عن أبي حجية الكندي قال[2]:

قلت لزيد بن علي ٧: كان علي بن أبي طالب إماماً؟ قال: نعم، قلت: مفترض طاعته؟ قال: نعم، قلت: ذلك في كتاب الله؟ قال: نعم... قول الله **﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ {إلى قوله} وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [١٣-٢٢ / يس ٣٦] قال: كان منهم علي وحسن وحسين والذي جاء من أقصى المدينة يسعى هو القائم.

٥٠) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا عبد الرحمان بن صالح، حدّثنا علي بن هاشم [بن بريد]، عن أبيه، عن زيد بن علي [مرفوعاً][3]:

منّا خمسة معصومون... أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

١- المناقب ٢/ ٢٦١: ٩٠٠.
٢- المناقب ١/ ١٧١: ٨٢.
٣- المناقب ١/ ٨٠١: ٦٤١.
ورواه محمّد بن كثير عن عن هاشم: تاريخ دمشق ترجمة زيد الشهيد.
وفي تفسير فرات: ٤٦٤ و ٥٣٦ بسنده عن علي بن هاشم عن أبيه وأبي خالد عن زيد موقوفاً: إنّما المعصومون منا خمسة لا سادس لهم... وأما سائرنا فيذنب كما يذنب الناس ويحسن كما يحسن الناس.
وكلامه صحيح بالنسبة إلى معاصري النبي صلى الله عليه وآله لقيام الأدلة عليه، وأما ما بعد المعاصرين للنبوة فقد قامت الأدلة على عصمة الأئمة الاثني عشر ومن جملتها حديث الثقلين، فالمعادل للقرآن لا بد وأن يكون معصوماً وإلّا لبطل الإرجاع إليه.

[اللهم هؤلاء أهلي]

٥١) حدّثنا علي بن أحمد العراقي مناولة، حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه[١]:

مرّ رجل فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ قال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً... فلن أسبه... [وذكر حديث المنزلة وحديث الراية وقال]: ولما نزلت هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [٦/ آل عمران ٣] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهلي.

[لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله جهنم]

٥٢) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن أبان بن أبي عياش، عن حدير بن إياس اليشكري، عن أبي سعيد الخدري [مرفوعاً في حديث][٢]:

والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله جهنّم.

١- المناقب ٢/ ٣٨٦: ١٠١٧.
ورواه عن قتيبة أيضاً: أحمد بن حنبل ومحمّد بن إسحاق الثقفي السراج ومحمّد بن عيسى الترمذي ومسلم وموسى بن هارون ويعقوب الدورقي: مسند أحمد ٣/ ١٦٠: ١٦٠٨، وجامع الترمذي ٦/ ٨٦: ٣٧٢٤، ومسند الدورقي ٥١: ١٩، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٧١: ٢٤٠٤، وشواهد التنزيل ١/ ١٦٠: ١٧٢، وتاريخ دمشق ٤٢/ ١١١، والمستدرك ٣/ ١٥٠.
٢- المناقب ١/ ٧٥٨: ٦١٨.
ورواه عطية عن أبي سعيد: كشف الأستار: ٣٣٤٨.
ورواه أبو متوكل الناجي عن أبي سعيد بلفظ: لا يبغضنا رجل إلّا أدخله الله النار: صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٣٥: ٦٩٧٨.
وأبو نضرة عن أبي سعيد: المستدرك ٣/ ١٥٠.

[سيّدا شباب أهل الجنّة]

٥٣) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا أبو حاتم الرازي وإبراهيم بن حسين، عن آدم، حدّثنا قيس بن ربيع، حدّثنا يونس بن خباب، عن عبد الرحمان بن زياد، عن أبي سعيد الخدري [مرفوعاً][١]:

الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة إلّا ابني الخالة عيسى ويحيى...

٥٤) حدّثنا خضر بن أبان، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، عن جرير [بن عبد الحميد]، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمان بن أبي نُعم، عن أبي سعيد الخدري [مرفوعاً][٢]:

الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة.

٥٥) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا إبراهيم بن أفلح، [حدّثنا عمرو بن علي]، حدّثنا سفيان، عن يزيد بن أبي زياد، عن [عبد الرحمان بن] أبي نُعم، عن أبي سعيد الخدري [مرفوعاً][٣]:

الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

٥٦) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا علي بن حكيم، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمان بن أبي نُعم، عن أبي سعيد الخدري [مرفوعاً][٤]:

١- المناقب ٢/ ٩٠: ٧٤٠.
ولاحظ التالي، وفي السند هنا خلل. والاستثناء غير صحيح كما في أكثر مصادر الحديث، فالنبي وأهل بيته: سادة أهل الجنة على الإطلاق، ذرية بعضها من بعض.
والظاهر أن عبدالرحمان بن زياد هذا هو ابن أبي نعم المذكور في التالي.
٢- المناقب ٢/ ٤٨: ٧٠٣ وبهامشه ثبت لمصادره.
٣-المناقب ٢/ ٧٦: ٧٢٨. لاحظ السالف والتالي.
ورواه جماعة عن سفيان فلاحظ المناقب وفضائل أحمد وخصائص النسائي وغيرها.
٤- المناقب ٢/ ٦٦: ٧١٩.

إن حسناً وحسيناً سيّدا شباب أهل الجنة...

[حديث الثقلين أيضاً]

٥٧) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا غير واحد عن عبد الملك [بن حسن]، حدّثنا محمّد بن طلحة بن مصرف، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد [مرفوعاً][1]:

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

٥٨) حدّثنا أبو جعفر محمّد بن علي بن عفان العامري، حدّثنا محمّد بن صلت، حدّثنا محمّد بن طلحة بن مصرف، عن [سليمان] الأعمش، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري (مرفوعاً)[2]:

إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، فإنّ اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تَخْلُفوني فيهما.

ورواه أحمد بن حرب وسفيان بن وكيع وعلي بن منذر عن ابن فضيل: خصائص النسائي ١٩٦: ١٤٢، وسنن الترمذي ٦/ ١٠١٧: ٣٧٦٨، والشريعة ٥/ ٢١٤٤: ١٦٢٨.

ورواه منصور بن أبي أسود عن يزيد: تاريخ ابن أبي خيثمة ٢/ ٢٦٥: ٢٥٩٨.

١- المناقب ١/ ٨٣٠: ٦٧٠. ولاحظ التالي.

٢- المناقب ١/ ٧٣٢: ٥٩٥.

ورواه بشر بن وليد عن ابن طلحة: مسند ابن جعد ٢/ ٩٧٢: ٢٨٠٥، ومسند الموصلي ٢/ ٢٩٧: ١٠٢١.

ورواه أبو نضر هاشم عن ابن طلحة، مسند أحمد ١٧/ ٢١١: ١١٣١، وفضائله ٢٧٦: ٤٣٣ وانظر ما علقنا عليه.

ورواه محمّد بن فضيل عن الأعمش كما تقدّم آنفاً مع حديث زيد بن أرقم.

ورواه عن عطية أيضاً:

١ـ أبو إسرائيل: المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٧.

٢ـ عبد الملك بن أبي سليمان كما في التالي.

٣ـ عمرو بن محرز: المؤتلف للدارقطني ٤/ ٢٠٦٠.

٤ـ فضيل بن مرزوق: المعرفة للبسوي ١/ ٥٣٧.

٥٩) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا علي بن حكيم، عن محمّد بن فضيل، عن عبد الملك [بن أبي سليمان]، عن عطية، سمعت أبا سعيد الخدري [مرفوعاً][1]:

أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به فلن تضلوا، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

٦٠) حدّثنا أحمد بن سري، حدّثنا أحمد بن حماد، عن مصعب بن سلام، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري [مرفوعاً][2]:

إني قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

٦١) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا عبد الرحمان [بن صالح]، حدّثنا يحيى بن يعلى الأسلمي، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطية، عن أبي سعيد [مرفوعاً][3]:

١- المناقب ١/ ٧٥٠: ٦١٦.
ورواه سفيان بن وكيع عن ابن فضيل: مسند الموصلي ٢/ ٣٧٦: ١١٤٠. ولاحظ بعض تخريجاته في التالي.
٢- المناقب ١/ ٧٣٩: ٦٠٤.
ورواه عن عبدالملك:
١ـ سعيد بن سلمة: السنة العاصمية ٦٢٩: ١٥٥٣.
٢ـ عبدالله بن نمير: مسند أحمد ١٧/ ٣٠٨: ١١٢١١، و ١٨/ ١١٤: ١١٥٦١، وفضائله ٨٧: ١١٤.
٣ـ علي بن مسهر: المعجم الكبير ٣/ ٦٥: ٢٦٧٨.
٤ـ علي بن هاشم: الأمالي الخميسية ١/ ١٥٥.
٥ـ فضل بن موسى: شرح السنة ١٤/ ١١٨: ٣٩٤، وتفسير الثعلبي ذيل الآية ١٠١ آل عمران من مخطوطته.
٦ـ محمّد بن فضيل: كما في السالف.
٧ـ يحيى بن يعلى كما في التالي.
٣-. (٦١) المناقب ١/ ٧٨٦: ٦٣٥.

إني تارك فيكم الثقلين ما إن أخذتم بهما لن تضلّوا من بعدي، وأحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، [وعترتي أهل بيتي]، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

٦٢) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر بن مسلم، حدّثنا يحيى بن حسن القزاز، عن [أبي عبد الرحمان] المسعودي، عن كثير النوّاء وأبي مريم الأنصاري، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري [مرفوعاً][1]:

إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

[نزول آية التطهير في الخمسة]

٦٣) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر [بن مسلم]، حدّثنا يحيى [بن حسن بن فرات]، عن [أبي عبد الرحمان] المسعودي، عن كثير النوّاء، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال[2]:

١- المناقب ١/ ٨٢١: ٦٦٠.
ورواه عباد بن يعقوب عن المسعودي عن كثير عن عطية: المعجم الصغير ١/ ١٣١: ٣٦٣.
٢- المناقب ١/ ١٧٢: ٨٣.
ورواه عباد بن يعقوب عن المسعودي: الكامل ٦/ ٦٧، وشواهد التنزيل ٢/ ٤٢: ٦٦٦.
ورواه عن عطية أيضاً.
١ـ حسن بن عطية: تاريخ بغداد ٩/ ١٢٦.
٢ـ داود بن أبي عوف أبو جحاف: المجالسة ٨/ ٢٨٦: ٣٥٥٤، وطبقات المحدّثين ٣/ ٣٨٤: ٥٥٢، والمعجم الصغير ١/ ١٣٤، والأوسط ٤/ ٢٧١: ٣٤٨٠، و٨/ ١١١ طبعة دار الحرمين، والكبير ٣/ ٥٦: ٢٦٧٣، وشواهد التنزيل ٢/ ٤٤ و١٦٧: ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٧٧٦، والمؤتلف للدارقطني ٤/ ٢١٢١، ومناقب الخوارزمي ٦٠: ٢٨ و ٢٩ عن البيهقي، وخصائص الوحي ٧٣: ٣٩، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٤٧: ١٠٩، وأسباب النزول ٣٦٨: ٦٩٦.
٣ـ سالم بن عبد الله: شواهد التنزيل ٢/ ٥٠ و ١٦٣: ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٧٧٢، وتاريخ دمشق ٤٢/ ١٣٦.
٤ـ سليمان الأعمش: شواهد التنزيل ٢/ ٤٧ و ١٦٥: ١٧٠ و ٧٧٥ و ٧٧٦، وتاريخ دمشق ١٣/ ٢٠٦: ١٢٥، والمعجم الكبير ٣/ ٥٦: ٢٦٧٣، وتفسير الطبري ٢٢/ ٦، وكشف الأستار ٣/ ٢٢١: ٢٦١١.
٥ـ عمران بن مسلم أو أبي مسلم: شواهد التنزيل ٢/ ٣٨ و١٦٩: ٦٦٣ ـ ٦٦٥ و ٧٧٣ وتاليه و٧٨٠، ومناقب ابن المغازلي ٣٦٤: ٣٥٤، والمتفق ٣/ ١٧١١: ١٢٣٨، وضعفاء العقيلي ٣/ ٣٠٤، وتاريخ بغداد

نزلت هذه الآية في خمسة. فقرأها وساهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

[منّا سبعة لم يخلق الله مثلهم]

٦٤) حدّثنا حسن بن فرج البناء، عن إسماعيل بن محمّد بن حارث، عن جعفر بن سليمان، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري [عن النبي ﷺ في حديث][1]:

منّا من بني هاشم سبعة لم يخلق الله مثلهم فيما مضى، ولن يخلق مثلهم فيما بقي، أنا محمّد رسول الله سيّد النبيين، وعلي ابن عمي سيّد الوصيين، وحمزة عمي سيّد الشهداء، وجعفر ابن عمّي الطيار في الجنّة، وابنيّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ومنّا القائم الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم، ثمّ هو من ذرية ابني الحسين.

١٠/ ٢٧٨.
٦ـ عمرو بن عطية: تاريخ بغداد ٩/ ١٢٦.
٧ـ أبو نعيم فضل بن دكين: مناقب ابن المغازلي ٣٦٣: ٣٥٤، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٤٦: ١٠٧.
٨ـ فضيل بن مرزوق: تاريخ دمشق ١٣/ ٢٠٦، ومناقب الكوفي ١/ ٧٦٦: ٦٢١، وتفسير الطبري ٢٢/ ٧، وشواهد التنزيل ٢/ ٨٥: ٧٠٦ وتاليه و٧١٤ وتواليه، والمعجم الكبير ٣/ ٥٢: ٢٦٦٢، ومسند الموصلي ١٢/ ٣١٣: ٦٨٨٨، وتفسير الحبري ٢٩٧: ٥٠.
٩ـ كثير النواء: تاريخ دمشق ١٣/ ٢٠٦: ١٢٥، وشواهد التنزيل ٢/ ٤٢: ٦٦٦، والكامل ٦/ ٦٧.
١٠ـ كرماني بن عمرو: طبقات المحدثين ٤/ ١٤٩: ٩١٥.
١١ـ هارون بن سعد: الشواهد ٢/ ٤٦: ٦٦٩، والكامل ٥/ ٢٨٣، وتاريخ دمشق ١٣/ ٢٠٧، و١٤/ ١٤٧: ١٠٨، وخصائص الوحي ٧٣: ٤٠ عن أبي نعيم.
١٢ـ هلال الصيرفي: أمالي الطوسي ٢٤٨: ٤٣٨، وتاريخ دمشق ١٣/ ٢٠٦: ١٢٦، و٦٠/ ٩١.
١- المناقب ١/ ٦١٧: ٤٩٩.
وسيأتي نحوه عن ابن عباس برقم ٩٣.

[تسميتهما باسم ابني هارون وأنهما سبطا الأُمة].

٦٥) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر بن مسلم، حدّثنا يحيى بن الحسن، حدّثنا [أبو عبد الرحمان] المسعودي، عن عمرو بن حريث، عن برذعة بن [عبد الرحمان]، عن أبي خليل، [عن سلمان في حديث له في فضل علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال][1]:

وسبطا هذه الأُمة حسن وحسين وإني سميتهما بإسم ابني هارون شبيراً وشبراً.

٦٦) حدّثنا محمّد بن منصور المرادي، عن عباد [بن يعقوب]، عن علي بن هاشم، عن عمرو بن حريث، عن برذعة بن عبدالرحمان، رفعه عن سلمان، [عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث في فضل علي عليه السلام قال][2]:

ألا وإن سبطي هذه الأُمة الحسن والحسين، سميتهما باسمي ابني هارون شبير وشبر.

[من أحبهما أحببته... ومن أبغضهما أبغضته]

٦٧) حدّثنا خضر بن أبان الهاشمي، حدّثنا يحيى الحماني، عن قيس بن ربيع، عن محمّد بن رستم، عن زاذان أبي عمر، عن سلمان [مرفوعاً][3]:

١- المناقب ١/ ٤٩١: ٣٤١.
ورواه عن ابن حريث أيضاً:
١ـ ابن شاذان: مناقب ابن المغازلي ٤٤٤: ٤٣٣.
٢ـ مالك بن إسماعيل: طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٢: ١٧٣ (المتمم).
٣ـ يحيى الحماني: الأسامي والكنى لأبي أحمد ترجمة أبي خليل، وتاريخ دمشق ١٤/ ١١٨ بسندين.
ورواه ابن بطة من طريق أبي خليل أيضاً: مناقب السروي الحلبي ٣/ ٤٤٨: وفي الباب عن علي عليه السلام وسيأتي.
٢- (٦٦) المناقب ١/ ٤٤٦: ٣١٣.
٣- (٦٧) المناقب ٢/ ٤٧: ٧٠٢.
ورواه جماعة عن الحماني، ورواه أبو ظبيان عن سلمان، فلاحظ هامش المناقب عن فرائد السمطين وتيسير المطالب ٩٢ والمعجم الكبير ٣/ ٥٠: ٢٦٥٥، والمستدرك ٣/ ١٦٦، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٥٦، وأخبار إصبهان ١/ ٥٦،

الحسن والحسين من أحبّهما أحببته، ومن أحببته أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله جنات النعيم، ومن أبغضهما واعتدي عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين.

[الفرقة الناجية... يحبّوني ويحبّون أهل بيتي]

٦٨) حدّثنا محمّد بن علي (بن عفان)، حدّثنا حسن بن عطية، أخبرنا أبو أرقم البصري، عن عبدالحميد بن أبي حسناء، عن يزيد بن [أبي] زياد، عن أبيه وفروة الغطفاني، عن جدّه، عن سلمان [مرفوعاً في حديث][1]:

ستفترق أُمتي من بعدي على ثلاث فرق: فرقة منها على الحق: لا ينقص الباطل منه شيئاً، مثلهم كمثل الذهب الجيّد كلّما أدخلته النار وأوقدت عليه لم تزده النّار إلّا خيراً، يحبّوني ويحبّون أهل بيتي...

[اتقوا الله في عترتي]

٦٩) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا عبيد [ابن محمّد بن إبراهيم]، حدّثنا محمّد بن عمر بن أبي مسلم، حدّثنا عبد القدوس بن إبراهيم بن مرداس، أخبرنا محمّد بن عبد الرحمان [بن] أُذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان قال[2]:

لمّا ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله دخلنا عليه فقال: اخلوا [لي عن] أهل البيت. فقام الناس وقمت معهم فقال: اقعد إنّك منّا أهل البيت، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال [في حديث]:

ومعرفة الصحابة ٢/ ٦٦٩: ١٧٩٧، وتنبيه الغافلين للحشمي ٤٢.

١- لابن المناقب ١/ ٧٣٣: ٥٦٩.

٢- المناقب ١/ ٨٢٥: ٦٦٤.

وذيله ورد عن عائشة: الدعاء ٣/ ١٧٣٥، والمعجم الكبير ٣/ ١٣٦: ٢٨٣، والمستدرك ١/ ٣٦، و ٢/ ٥٢٥، و ٤/ ٩٠، وسنن الترمذي: ٢١٥٤.

اتقوا الله في عترتي أهل بيتي... ثمّ قال لعلي: دولة الحقّ أبرّ الدول، إما إنّكم ستملكون بعدهم باليوم يومين، وبالشهر شهرين، وبالسنة سنتين.

ثمّ قال: ستة لعنهم الله في كتابه... والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله.

[أهل بيتي أمان لأُمتي]

٧٠) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبدالله المروزي، حدّثنا عبد الرحمان بن صالح، حدّثنا روح بن عبادة، حدّثنا موسى بن عبيدة، عن إياس بن سلمة بن أكوع، عن أبيه [مرفوعاً][1]:

النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأُمتي.

٧١) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب، عن أبي عاصم، حدّثنا موسى بن عبيدة، عن إياس بن سلمة بن أكوع، عن أبيه [مرفوعاً][2]:

النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأُمتي.

١- المناقب ١/ ٧٧٧: ٦٣٠، و ٦٣٦. ورواه عن موسى ايضاً:
١ـ بهلول: فرائد السمطين ٢/ ٢٤١.
٢ـ جناب بن نسطاط: أمالي الطوسي م ١٠ ح ٨.
٣ـ سعيد بن يحيى: تاريخ دمشق ٤٠ / ٢٠.
٤ـ سفيان: المعجم الكبير ٧/ ٢٥: ٦٢٦٠.
٥ـ أبو عاصم كما في التالي.
٦ـ عبيد الله بن موسى: المعرفة للبسوي ١/ ٥٣٨، وفرائد السمطين ٢/ ٢٥٢ باب ٤٨.
٧ـ قرآن كما في الحديث بعد التالي.
وفي الباب عن علي ﷺ مرفوعاً: الأمالي الخميسية ١/ ١٥٢، وفضائل القطيعي ١٨١: ٢٦٩، والمسلسلات للقمي: ٢٦، وفردوس الديلمي ٤/ ٣١١: ٦٩١٣.
٢- المناقب ١/ ٨٢٨: ٦٦٧.
ورواه سنان بن خليفة وأبو حفص عن أبي عاصم: الأمالي الخميسية ١/ ١٥٥.
ورواه عبد الملك أبو قلابة عن أبي عاصم: موضح الأوهام ٢/ ٤٠٢.

٧٢) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا عبد الرحمان بن صالح، حدّثنا قرّان بن تمام الوالبي، عن موسى بن عبيدة الربذي، عن إياس بن سلمة بن أكوع، عن أبيه [مرفوعاً][1]:

النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأُمتي، فإذا ذهب النجوم جاء أهل السماء ما يوعدون، وإذا ذهب أهل بيتي جاء أهل الأرض ما يوعدون.

[نزول آية التطهير فيهم]

٧٣) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا علي بن حكيم، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد، عن أُم سلمة[2]:

أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ...﴾ دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين فجللهم ثوباً كان عليه ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وأنا جالسة على باب البيت فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: أنت إلى خير، إنك من أزواج النبي.

٧٤) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا محمّد بن بكار، حدّثنا عبد الحميد [بن بهرام عن] شهر بن حوشب، سمعت أُم سلمة حين جاء نعيّ الحسين... قالت[3]:

قتلوه قتلهم الله... فإنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله جاءته فاطمة ببرمة... فقال لها:

١- المناقب ١/ ٧٩٠: ٦٣٦. ولاحظ السالف.
ورواه يزيد بن أبي عبيد عن سلمة: مناقب الكوفي ١/ ٨٢٩: ٦٦٩ دون قوله: (فإذا ذهب...) و (إذا ذهب...).
٢- المناقب ١/ ٧٦٨: ٦٢٢.
ورواه عن فضيل جماعة تجد معظمهم في شواهد التنزيل وما بهامشه من تعليق.
٣- المناقب ١/ ٨٠٠: ٦٤٠.
ورواه أمد بن سيار عن ابن بكار: شواهد التنزيل: ٧٤٢ و ٧٤٥.
ورواه جماعة عن عبد الحميد وجماعة عن شهر فلاحظ تعليقة المناقب وفضائل القطيعي وشواهد التنزيل وغيرها.

أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه وآتيني بابنيه. فجاءت تقود ابنيها... وعلي يمشي أثرهما... فأجلسهما في حجره، وجلس علي عن يمينه وفاطمة عن يساره... واجتبذ من تحتي كساءً... فلفّه...

... وقال: اللّهم أهلي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللّهم أهلي. ثلاث مرّات...

٧٥) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر بن مسلم، حدّثنا يحيى بن [حسن، عن] حماد [بن يعلى]، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن شهر بن حوشب، وعن أبي ليلى الكندي، عن أُم سلمة[1]:

أنّ فاطمة أقبلت بقصعة فيها خزيرة إلى رسول الله وهو على منامة لنا، فقال: يا فاطمة ادعي زوجك وابنيك، فدعتهم، فأجلس فاطمة بين يديه والحسن والحسين على فخذيه، وأمر علياً فأخذ بمنكبيه، ثمّ جلّلهم ﷺ كساءً كان تحته ثمّ قال: اللهم هؤلاء حامّتي وأهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً...

٧٦) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن شهر بن حوشب، عن أُم سلمة[2]:

أنّ رسول الله ﷺ دعا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين، وأدخلهم البيت فقالت أُم سلمة: أتأذن لي فأدخل معهم؟ قال: نعم، فجلّلهم بثوب كان عليه ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ... تَطْهِيراً﴾.

١- المناقب ١/ ٨١٥: ٦٥٢.
ورواه إسحاق بن يوسف عن عبد الملك عن أبي ليلى وحده: شواهد التنزيل ٢/ ١٣٠: ٧٦١، ومناقب ابن المغازلي ٣٦٣:٣٥٣.
ورواه عبد الله بن نمير عن عبد الملك: فضائل أحمد ٩٠: ١٢٠.
٢- المناقب ١/ ٧٦٦: ٦٢١، وفي الإسناد نقص، وفي لفظه إشكالان، الأوّل قوله البيت وينبغي أن يكون الثوب أو الكساء، والثاني هو قوله (نعم) بينما عامة الروايات خلاف ذلك.

[ولداي الحسن والحسين]

٧٧) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، أخبرنا محمّد بن عبدالملك الكوفي، عن علي بن قادم الكوفي، حدّثنا الأعمش [سنة ١٤٨]، عن منهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، [عن أُم سلمة، عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث في فضل علي عليه السلام][١]:

هذا أخي في الدنيا والآخرة، نيط لحمه بلحمي... مني ابنتي فاطمة، ومنه ومنها ولداي الحسن والحسين...

[آية التطهير أيضاً]

٧٨) حدّثنا محمّد بن منصور المرادي، حدّثنا مخول بن إبراهيم، حدّثنا عبدالجبار بن عباس الشبامي، عن عمار بن معاوية الدهني، عن عمرة، سمعت أُم سلمة تقول[٢]:

نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وفي البيت سبعة: جبرائيل وميكائيل ورسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة وحسن وحسين صلوات الله عليهم، وأنا علي باب البيت جالسة، قلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: إنّك على خير، إنّك من أزواج النبي. وما قال: إنّني من أهل البيت.

٧٩) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي،

١- المناقب ١/ ٤١٣: ٢٨٤.
٢- المناقب ١/ ١٥٤: ٧٣.
ورواه عن مخول جماعة كما في شواهد التنزيل ٢/ ١٥٢: ٧٦٣، ومعجم ابن الأعرابي ٢/ ٧٤٢: ١٥٠٥ وأمالي الصدوق ٥٥٩: ٧٤٦، وخصائص الوحي ٧١: ٣٦ عن أبي نعيم، ومشكل الآثار ٢/ ٢٣٨: ٧٦٥، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٤٥: ١٠٢، وتأويل الآيات ٤٥٠.
ورواه سليمان بن قرم عن عبد الجبار: الكامل ٣/ ٢٥٧، تاريخ دمشق ١٤/ ١٤٤: ١٠٠ و ١٠١.

حدّثنا عبد الرحمان بن صالح، حدّثنا علي بن هاشم، عن مسلم الملائي، عن مولىً لأُم سلمة[1]، [عن أُم سلمة][2]:

أنّ فاطمة كانت عند النبي ﷺ... فانطلقت حاملة للحسين وتقود حسناً، فاستقفاهم النبي ﷺ وهو جالس ثمّ قال: اللّهم إنّ هؤلاء عترتي وأهل بيتي، اللّهم إنّي أُحبّهم فأحبّهم. قال: ذلك ثلاثاً.

[إن الله فطمها وذريتها من النار]

٨٠) حدّثنا أحمد بن عبدان البرذعي، حدّثنا سهل بن سقير، حدّثنا موسى بن عبد ربه، سمعت سهل بن سعد الساعدي[3]:

سألت رسول الله ﷺ: لم سميت فاطمة فاطمة؟ قال: لأنّ الله فطمها وذريّتها عن النار.

[آية التطهير أيضاً]

٨١) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا سريج بن يونس، حدّثنا محمّد بن يزيد الواسطي، عن عوّام، عن [جميع] بن عمير قال[4]:

دخلت مع أُمي على عائشة فسألتها عن علي. فقالت: تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، وكانت تحته ابنته وهي أحبّ الناس

١- المناقب ١/ ٨٠٦: ٦٤٦.
٢- زيادة ظنية، وصبيح مولى أُم سلمة من الرواة عن زيد بن أرقم أيضاً، فليراجع سائر المصادر.
٣- المناقب ٢/ ١٠: ٦٧٦.
٤- المناقب ١/ ٧٧٤: ٦٢٩.
ورواه عن عوام أيضاً عبد الله بن خراش وهشيم ويزيد بن هارون، ورواه عن جميع أيضاً أبان بن تغلب وأبو إسحاق الشيباني والأعمش وأبو جحاف داوود بن أبي عوف وكثير النواء، فلاحظ تعليقة خصائص النسائي وهذا الكتاب.

إليه، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين فألقى عليهم ثوباً فقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً...

[قال]: وبلغني عن أُم سلمة نحو هذا الحديث.

[أنها زينة الفردوس]

٨٢) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، سمعت محمّد بن عبد الرحمان الكوفي، عن وكيع بن جرّاح، حدّثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة [مرفوعاً][1]:

اشتكت الفردوس إلى ربّها فقالت: يا ربّ حلّني، فأوحى الله إليها: ألم أُحلّك بالحسن والحسين.

[اللهم إني أُحبه وأُحب من يحبّه]

٨٣) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثني إبراهيم بن أفلح، حدّثنا عمرو بن علي، حدّثنا معاذ [بن معاذ]، حدّثنا عبد الله بن أبي كنّات الخزاعي، حدّثنا ابن أبي مليكة، سمع عائشة[2]:

١- المناقب ٢/ ٧٠: ٧٢٥.
ورواه حسن بن صابر عن وكيع: المجروحون ١/ ٢٣٩، والطيوريات ٨/ ٤٤: ٦٥٠، وعيون الأخبار للبغدادي ق ٥٥.
وروى نحوه بزيع الأزدي: الإصابة ١/ ١٤٧.
وعقبة بن عامر: تاريخ بغداد ٢/ ٢٣٨: ٦٩٧، وتاريخ دمشق ١٣/ ٢٢٨: ١٩٣، والمعجم الأوسط ١/ ٢٢٥: ٣٣٩، واللآلي المصنوعة ١/ ٣٣٨، وكشف الغمة ٢/ ١٤٩.
وعبد الله بن عمر: أمالي الصدوق م ٢٤ ح ١.
وعلي عليه السلام: أمالي الطوسي م ١٢ و ١٤ ح ٦٥ و ٥٨.
وأنس: المعجم الأوسط ٨/ ٥٩: ٧١١٦.
وأبو عشانة: تاريخ دمشق ١٣/ ٢٢٨.
ومرسلاً في شرح الأخبار ٣/ ١١٢: ١٠٥٢.
٢- المناقب ٢/ ٧٤: ٧٢٧.
ورواه محمّد بن يحيى الضرير عن عمرو: الثقات ٧/ ٥٠.
ورواه عثمان بن أبي كنات عن ابن أبي مليكة: المعجم الكبير ٣/ ٣٢: ٢٥٨٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ١٩٧: ٩٨.

أنّ رسول الله ﷺ مرّ بالحسن وهو صغير فالتزمه ثمّ قال: اللهم إنّي أُحبّه، وأُحبّ من يحبّه.

[لا يدخل قلب رجل الإيمان إلّا لحبّهم لله وقرابتهم منّي]

٨٤) حدّثنا أبو جعفر أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان العامري، أخبرنا علي بن حكيم، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن الأعمش، عن أبي سبرة رجل من النخع، عن محمّد بن كعب القرظي، عن عباس [بن عبد المطلب] قال[1]:

كنا نلقى النفر من قريش وهم يتحدّثون فيقطعون حديثهم، فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال:

ما بال أقوام يتحدّثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، أما والله لا يدخل قلب رجل الإيمان إلّا لحبّهم لله وقرابتهم منّي.

[أُوصيكم بعترتي خيراً]

٨٥) حدّثنا عثمان بن سعيد، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا يوسف بن حارث، حدّثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا طلحة بن جبر القرشي، عن مطلب بن عبد الله بن حنطب، عن مصعب، عن [أبيه] عبد الرحمان بن

١- المناقب ١/ ٧٦١: ٦٢٠.
ورواه محمّد بن طريف عن ابن فضيل: سنن ابن ماجه ١/ ٥٠: ١٤٠، والمعرفة والتاريخ ١/ ٢٩٥، والجليس الصالح ٢/ ٨١.
ورواه عن العباس أيضاً:
١ـ عبد الله بن حارث: مسند أحمد ٣/ ٢٩٤: ١٧٧٢ و ١٧٧٣، وسنن الترمذي ٥/ ٦٢: ٣٧٥٨، والأمالي الخميسية ١٥٧، ومصنف الشيبي ١٢/ ١٠٨: ١٢٢٦١، والمستدرك ٣/ ٣٣٢، و ٤/ ٧٥، وتاريخ المدينة ٢/ ٦٣٩ بأسانيد.
٢ـ عمر بن علي: تاريخ المدينة ٢/ ٦٣٩.
٣ـ مسلم أبو ضجي: مصنف الشيبي ١٢/ ١٠٩، وتاريخ ابن شبة ٢/ ٦٣٩.

عـوف، [عـن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم أنّـه قـال عنـد حصـاره للطائـف]:[1]

يا أيها الناس إنّي لكم فرط وموعدكم الحوض، وأُوصيكم بعترتي خيراً...

[أنهما مع جدّهما فأبيهما في الجنّة]

٨٥/ ب) حدّثنا محمّد بن منصور المرادي، عن عباد بن يعقوب، عن ثابت [بن وليد]، عن حماد العدوي البصري، عن موسى بن صهيب، عن عبادة بن نسيّ، عن عبد الله بن أبي أوفى [مرفوعاً في حديث][2]:

إنّك وابنيك معي في قصري في الجنّة.

[آية التطهير أيضاً]

٨٦) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثني أبو زرعة عبيد الله بن عبدالكريم الرازي، حدّثنا عبدالرحمان بن عبد الملك [بن شيبة]، أخبرني ابن أبي فديك، [أخبرني موسى بن يعقوب، أخبرني [عبد الله بن عبد الله] بن أبي مليكة، عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه قال[3]:

١- المناقب ١/ ٥٤٨: ٣٩٨.

٢- المناقب ١/ ٣٧٤: ٢٤٠.

ورواه محمّد بن إبراهيم بن زكريا بسنده عن عبد الله بن أبي أوفى دون هذه الفقره: تفسير فرات ٢٢٦: ٣٠٤. وورد في سائر المصادر هذا الحديث عن زيد بن أبي أوفى.

والحديث بطوله لا شك في بطلانه، وقد رواه جماعة مثل البخاري وابن حبان وابن أبي حاتم وابن عدي وابن قانع والطبري والبغوي والقطيعي وابن عساكر، قال الذهبي في السير ١/ ١٤٢: زيد لا يعرف إلّا في هذا الحديث الموضوع، وقال ابن السكن كما في ترجمة زيد من الإصابة: روي حديثه من ثلاث طرق ليس فيها ما يصح.

٣- المناقب ١/ ٧٨٤: ٦٣٤.

ورواه عباس بن فضل عن أبي زرعة: شواهد التنزيل: ٦٧٤ وتفسير الثعلبي ٣/ ١٣٩ب.

ورواه عن ابن شيبة أيضاً:

١ـ فضل بن محمّد: المستدرك ٣/ ١٤٧.

٢ـ محمّد بن يزيد: شواهد التنزيل: ٦٧٥.

لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة من السماء قال: من يدعو لي أهلي؟ قالت زينب: أنا يا رسول الله. فقال: ادعي لي علياً وفاطمة والحسن والحسين، فجعل الحسن عن يمناه، والحسين عن يسراه، وعلياً وفاطمة وجاهه، فغشاهم كساءً خيبرياً ثمّ قال: اللّهم إن لكلِّ أهلاً، وهؤلاء أهلي. فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ... تَطْهِيراً﴾ فقالت زينب: يا رسول الله ألا أدخل معكم؟ قال: مكانك إنّك على خير إن شاء الله.

[افتراض مودتهم وطاعتهم]

٨٧) حدّثنا خضر بن أبان، حدّثنا يحيى بن عبدالحميد الحماني، حدّثنا قيس [بن ربيع]، حدّثنا [سليمان] الأعمش، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس[١]:

لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [٢٣/ الشورى ٤٢] قالوا: يا رسول الله أيّ قرابتك الذين افترض الله علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولدهما. يقولها ثلاث مرّات.

[توسل آدم بهم]

٨٨) حدّثنا محمّد بن علي [بن عفان]، حدّثنا أحمد بن سليمان، حدّثنا أبو سهل الواسطي، حدّثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن ابن عباس [مرفوعاً][٢]:

٣ـ يحيى بن يعلى: الشواهد: ٧٦٣.

١- المناقب ١/ ١٣١: ٦٥ و ٧٢.
ورواه جماعة عن الحماني كما في التفسير الوسيط ٤/ ٥١، وشواهد التنزيل ٢/ ٢٢٧: ٨٢٩ ـ ٨٣٣، وتفسير فرات ٣٨٩: ٥١٧ و ٥٢٠.
ورواه حسين الأشقر عن قيس: تفسير فرات ٣٨٨: ٥١٦ و ٥١٨، و شواهد التنزيل ٢/ ٢٣٢: ٨٣٣ ـ ٨٣٥.
ورواه يحيى بن سالم عن الأعمش: تفسير فرات ٣٩٠: ٥١٩.
ورواه سالم الأفطس عن سعيد كما في التالي.

٢- المناقب ١/ ٦٢٠: ٥٠٣.
ورواه شجاع بن وليد عن الأعمش: تفسير فرات ٥٧: ١٦.

لما نزلت الخطيئة بآدم... أتاه جبريل فقال...: قل يا رب أسألك بحقّ الخمسة الذين تخرجهم من صلبي آخر الزمان إلّا تبت عليّ ورحمتني... محمّد النبي وعلي الوصي وفاطمة بنت النبي والحسن والحسين سبطي النبي.

فدعا بهم آدم فتاب الله عليه... وما من عبد يدعو بها إلّا استجاب الله له.

[طهارة أهل البيت من الرجس]

٨٩) حدّثنا خضر بن أبان، حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، أخبرنا قيس بن ربيع، عن [سليمان] الأعمش، عن عباية بن ربعي، عن ابن عباس (مرفوعاً في حديث)[١]:

ثمّ جعل القبائل بيوتاً وأنا في خيرها بيتاً وذلك قوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ [٣٣/ الأحزاب ٣٣] فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب.

[رواية المنصور الدوانيقي فيهما]

٩٠) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد، عن عبد الله بن سوار، عن عباس بن خليفة، عن سليمان الأعمش [وذكر إحضار الطاغية المنصور [عبد الله بن محمّد بن علي بن عبدالله بن عباس] العباسي له في جوف الليل وحواره الطويل معه في حديث قال فيه][٢]:

ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس: مناقب ابن المغازلي ١٢٦: ٩٢، وأربعون الخزاعي ٢٣: ١٧، وأمالي الصدوق ١٣٥: ١٢٩، ومعاني الأخبار ١٢٥، والخصال ٢٧٠، والموضوعات ١/ ٣١٩ عن الدارقطني.
وفي الباب عن الصادق: الكافي ٨/ ٣٠٥: ٤٧٢، ومعاني الأخبار ١٢٥: ٢، والفردوس ٣/ ١٥١: ٤٤٠٩ ورفعه عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله.

١- (٨٩) المناقب ١/ ١٤٥: ٧٠.
ورواه حسين بن حميد عن الحماني: أمالي الصدوق ٥١٣.
ورواه يعقوب بن سفيان عن الحماني: المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٨ وعنه البيهقي في دلائله.

٢- (٩٠) المناقب ٢/ ٤٩١: ١١٢٥.

كنت هارباً من بني مروان، أدور البلاد وأتقرب إلى الناس بحبّ علي... حتّى وردت بلاد الشام... فدخلت المسجد... إذا رجل عن يميني مع صبيّان... فقال: أنا جدّهما، وليس في هذه المدينة رجل يحبّ علياً غيري، ولذلك سميت أحدهما حسناً والآخر حسيناً، قال: فقمت إليه... قلت: حدّثني أبي عن جدي قال:

كنا مع رسول الله ﷺ ذات يوم قعوداً إذ أقبلت فاطمة وهي تبكي بكاء شديداً، فال لها: ما يبكيك؟ قالت: خرج الحسن والحسين ولا أدري أين أقاما البارحة، فقال: يا فاطمة لا تبكي فوالله الذي خلقهما هو ألطف بهما منك.

ثمّ رفع طرفه إلى السماء ثمّ قال: اللّهم إنّ كانا أخذا براً أو ركبا بحراً فاحفظهما وسلّمهما، فإذا جبرئيل... فقال: يا محمّد... لا تحزن لهما، ولا تغتم لهما، فإنّهما فاضلان في الدنيا، فاضلان في الآخرة، وأبواهما خير منهما، وهما نائمان بحظيرة بني النجار، قد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما.

فقام ﷺ فرحاً مع أصحابه حتّى أتى الحظيرة فإذا الحسن معانق الحسين، وإذا الملك الموكّل بهما باسط أحد جناحيه تحتهما والآخر قد جلّلهما به، فانكب عليهما النبي ﷺ فقبلهما حتّى انتبها من نومهما، فحملهما وهو يقول: والله لأُبيّنن فيكما كما بين فيكما الله.

ورواه عن الأعمش أيضاً:
١ـ جرير بن عبد الحميد: مناقب الخوارزمي ٢٨٤: ٢٧٩ ومقتله ١/ ١١١، وأمالي الصدوق ٥٢٢: ٧٠٩.
٢ـ سليمان بن سالم الحراني: مناقب ابن المغازلي ٢١١: ١٩١، وفضائل ابن شاذان ٢٤٠: ٧٨.
٣ـ ابن عبد الرحمان الأنصاري: بشارة المصطفى ٢٦٠: ٢٠٨.
٤و٥ـ علي المدائني ومحمّد بن خازم أبو معاوية: مناقب ابن المغازلي ٢١١: ١٩١.
٦ـ محمّد بن خلف بن صالح: أربعون الخزاعي ٥١: ٢٥.
٧و٨ـ محمّد بن كثير ومندل العنزي: أمالي الصدوق ٥٢٢:٧٠٩.
ورواه المغربي مرسلاً عن الأعمش: شرح الأخبار ٢/ ٣٧٢: ٧٣٤.
والحديث ضعيف بالمنصور وغيره، فلا اعتماد على ما تفرّد به.
وحديث (نعم الراكب) رواه ابن سعد في طبقاته ١/ ٢٥٣: ١٨٥ (المتمم) عن عكرمة عن ابن عباس.

فقال أبوبكر (وعمر): ناولني أحد الصبيين أُخفف عنك. فقال: نعم الحامل حاملهما ونعم المحمولان (خ: الراكبان) هما وأبوهما خير منهما.

فأتى بهما صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد فقال: يا بلال هلمّ إليّ الناس، فنادى... فقال: يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة... أبا وأُماً... عماً وعمة... خالاً وخالة... قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: الحسن والحسين... ثمّ قال: إنّ الحسن والحسين في الجنّة وأباهما في الجنّة.. اللّهم إنّك تعلم أنه من يحبّهما أنّه معهما، اللّهم إنّك تعلم أنّه من يبغضهما في النار.

[وأضاف المنصور أنّه ذهب إلى منزل أخي الرجل فحدثه المنصور] عن أبيه عن جدّه قال: كنا معه صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم إذ أقبلت فاطمة وهي حاملة الحسن والحسين على كتفيها وهي تبكي بكاء شديداً قالت: عيرتني نساء قريش أنّ أباك زوجك معدماً لا مال له. فقال لها... يا فاطمة لا تبكي ابناه سيّدا شباب أهل الجنّة، كان اسمهما مكتوباً في التوراة شبراً وشبيراً...

فقال الشامي: كنت مؤذناً لقومي، فكنت إذا أصبحت لعنت علياً... فرأيت في منامي كأن رسول الله أقبل، عن يمينه الحسن وعن يساره الحسين معه إبريق فقال: اسق الجماعة فسقاهم، ثمّ قال: اسق المتكئ على الدّكان، قال: يا جداه تأمرني أن أسقيه وهذا يلعن والدي...

[أحبوا أهل بيتي لحبي]

٩١) حدّثنا عثمان بن سعيد، حدّثنا محمّد بن عبدالله المروزي، حدّثنا عبد الرحمان بن صالح، حدّثنا يحيى بن معين، حدّثنا هشام بن يوسف الصنعاني، عن عبدالله بن سليمان النوفلي، عن محمّد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن ابن عباس مرفوعاً[1]:

١- المناقب ١/ ٨٠٣: ٦٤٢ و ٦٧٢.

أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبّوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي.

٩٢) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا عبد الله بن سلام الإصبهاني [عن ابن معين به].

[أول سبعة يدخلون الجنة]

٩٣) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبدالله المروزي، حدّثنا يوسف بن حارث، حدّثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل، عن حكيم[١] [ابن جبير]، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ[٢]:

أوّل سبعة يدخلون الجنّة أنا وعلي والحسن والحسين وحمزة وجعفر والمهدي محمّد بن عبدالله[٣].

[من أحب أهل بيتي فقد استمسك بالعروة الوثقى]

٩٤) حدّثنا أحمد بن عبدان البرذعي، حدّثنا محمّد بن زنبور، حدّثنا فضيل بن عياض، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس [مرفوعاً][٤]:

من أحبّ أهل بيتي فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

ورواه جماعة عن ابن معين فراجع المناقب وفرائد السمطين وسنن الترمذي والمعجم الكبير وغيرها.

١- في المصدر: الحكم. وأثبتناه حسب النزهة.

٢- (٩٣) المناقب ١/ ٢٧٨: ١٥١.

ورواه محمّد بن سفيان الكوفي عن عبيد الله: نزهة الأبصار ١٤٠: ٤٩. وتقدّم نحوه عن أبي سعيد برقم ٦٤.

٣- كذا في النسختين المعتمدتين في طبعتي الكتاب و(بن عبد الله) أو (محمّد بن عبد الله) زائدة.

٤- (٩٤) المناقب ١/ ٧٣٥: ٦٠٠ و ٩٨٣.

[مرضهما ونذر أبويهما الصوم لشفائهما]

٩٥) حدّثنا عبيد الله بن محمّد، حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن زكريا البصري، حدّثنا حسن بن مهران، حدّثنا مسلمة بن حامد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه[١].

وحدّثني شعيب بن واقد أبو مدين المزني، حدّثنا قاسم بن مهران، عن ليث عن مجاهد، عن ابن عباس.

وحدّثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان [بن علي بن عبدالله بن عباس] عن أبيه، [عن جدّه، عن] أبيه علي بن عبد الله بن عباس، [عن ابن عباس]: في قوله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ قال: مرض الحسن والحسين... مثل الحديث الأوّل.

٩٦) قال أبو أحمد عبد الرحمان بن أحمد الهمداني: حدّثنا أبو نعيم محمّد بن يحيى الخزاعي، حدّثنا أبو نعيم فضل بن دكين القرشي، حدّثنا فطر بن خليفة عمن حدثه قال: مرض الحسن والحسين[٢].

وأخبرنا عبد الوهاب بن أحمد البصري، عن شعيب بن واقد، حدّثنا قاسم بن مهران، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال:

مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أبوبكر وعمر فقال عمر: يا أباالحسن لو نذرت في ابنيك نذراً...

وزاد شعيب بن واقد في حديثه: وأقبل علي بالحسن والحسين نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يرتشعان كالفراخ من شدّة الجوع، فلمّا بصر بهم قال: أبا الحسن ما يسرني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق

١- المناقب ١/ ٢١١: ١٠٤.
٢- المناقب ١/ ٢٠٥: ١٠٣.
وانظر ما بهامشه من تخريج ولاحظ التالي.

بطنها بظهرها من شدّة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله ﷺ ضمها إليه وقال: أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم. فهبط جبريل بهذه الآيات: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾... تَفْجِيراً{... }يُوفُونَ بِالنَّذْرِ... يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين وجاريتهم...

[ابن النبي ﷺ]

٩٧) حدّثنا أبو أحمد، أخبرنا عبدالله بن مسلم، عن حفص بن عبد الله السلمي، عن إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق، عن أبي حويرث، عن [زيد بن] أبي عتاب، عن عبيد بن جريح، عن عبد الله بن عمر[1]:

رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس، فخرج الحسن بن علي وفي رقبته خرقة يجرّها يعثر فيها، فسقط على وجهه، فنزل ﷺ عن المنبر يريده، فلما رآه الناس أخذوا الصبي فأتوه به، فحمله فقال: قاتل الله الشيطان، الولد للوالد فتنة، والله ما علمت إذ نزلت عن المنبر حتّى أُتيت به.

[ابن مسعود: ارقبوا أهل بيت نبيّكم فإن لبدوا فالبدوا]

٩٨) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، [حدّثنا علي بن حكيم]، حدّثنا محمّد بن فضيل، حدّثنا أبو نعيم [الطحان]، حدّثنا يحيى بن يعلى الأسلمي، عن عنبسة بن أزهر، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، قال عبدالله بن مسعود[2]:

إن لأُمة محمّد جماعة وفرقة... فإن افترقوا فارقبوا أهل بيت نبيّكم، فإن

١- المناقب ٢/ ٨١: ٧٣٢ وقوله (قاتل الله الشيطان) من زيادة بعض الرواة، فالرسول ﷺ لا سبيل للشيطان عليه، قال تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان، وقال تعالى: إلا عبادك منهم المخلصين، وهو سيد العابدين المخلصين. ورواه أحمد بن حفص عن أبيه: المعجم الكبير ٣/ ٤٢: ٢٦٢٦.

٢- المناقب ١/ ٧٦٠: ٦١٩.

ورواه أبو جارود عن ابن يعمر: الأمالي الخميسية ١٥٣.

لبدوا فالبدوا، وإن سالموا فسالموا، وإن حاربوا فحاربوا، وإن زالوا فزولوا معهم فإنّ الحق يزول معهم.

[إنا أهل بيت أختار الله لنا الآخرة على الدنيا]

٩٩) حدّثنا أبو جعفر أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا الحسن بن علي بن عفان العامري، أخبرنا علي بن حكيم، أخبرنا محمّد بن فضيل بن غزوان الصبي، عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم[النخعي]، عن علقمة، عن عبدالله بن مسعود قال[١]:

كنا جلوساً حول رسول الله صلى الله عليه وآله إذ دخل فتية لبني هاشم، فتغيّر لونه، فقلنا: يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك الذي نكره.

فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتطريداً وتشريداً حتّى يجيء قوم من هاهنا ـ وأومأ نحو المشرق ـ... حتّى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً...

[تسميتهما وختنهما والعقيقة والحلق والتصدق]

١٠٠) حدّثنا إبراهيم بن حسن، حدّثنا حسن بن ظريف، حدّثنا حسين بن علوان، عن جعفر بن محمّد [بن علي بن حسين]، عن أبيه، عن جدّه[٢]:

١ـ المناقب ١/ ٧٤٥: ٦١٠.
ورواه أيضاً جماعة عن ابن فضيل، وجماعة عن ابن أبي زياد، واثنان عن إبراهيم، فانظر هامش المناقب.
٢ـ المناقب ٢/ ١٠٧: ٧٥٧. وبهامشه ثبت لمصادره وشواهده.
ورواه عبد الله بن جعفر الحميري عن ابن ظريف: قرب الإسناد ١٢٢: ٤٣٠.
ورواه عن جعفر الصادق:
١ـ أنس بن عياض: الذرية الطاهرة ١٢٢: ١٣٨، وطبقات ابن سعد ١/ ٢٣١: ١٥٤ و ١٦٧ (المتمم).
٢ـ سليمان بن بلال بخبر العقيقة والحلق والصدقة دون ذكر السبعة: الطبقات ١/ ٢٣٣: ١٥٨ و ١٦٨.
٤ـ عاصم الكوزي: الكافي ٦/ ٣٣: ٣.
٥ـ عبد الله بن سنان: الكافي ٦/ ٢٧: ١، وأمالي الصدوق ١٤٣: ١٤٤، وتهذيب الأحكام ٧/ ٤٤٢: ١٧٦٦.

سمّى رسول الله ﷺ الحسن والحسين يوم سابعهما، وختنها يوم السابع، وعقّ عنهما يوم السابع، وحلق رؤوسهما يوم السابع، وتصدّق بوزن شعورهما فضة.

[أنهم ومن أحبهم في مكان واحد يوم القيامة]

١٠١) حدّثنا أبو قاسم إبراهيم بن حسن بن حسين [الحسيني]، حدّثنا [أحمد بن محمّد بن عبد الله] بن أبي بزة مؤذن المسجد الحرام، حدّثني عبدالله بن ميمون القدّاح، عن جعفر [بن محمّد بن علي بن حسين]، عن أبيه، عن جدّه [مرفوعاً][1]:

يا فاطمة أنا وأنت وزوجك وابناك ومن أحبكم في مكان واحد.

[زين العابدين: أصبحنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون]

١٠٢) حدّثنا حمدان بن عبيد النوّاء، حدّثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي، حدّثنا سهل بن شعيب، عن منهال بن عمرو قال[2]:

دخلت على علي بن الحسين فقلت: كيف أصبحت جعلت فداك؟

٦ـ مالك بن أنس: طبقات ابن سعد ١/ ٢٣١: ١٥٥. بخبر الحلق والوزن والصدقة.
٧ـ مالك بن أبي رجال: الطبقات الكبرى ١/ ٢٣٣: ١٥٨ و ١٦٨.
٨ـ يحيى بن أبي علاء: الكافي ٦/ ٢٣: ٥.
ورواه ابن سعد والطبرسي عن الباقر: الطبقات ١/ ٢٣٢: ١٥٦ و ١٥٧، ومكارم الأخلاق ٥٩، بخبر الحلق والصدقة.
وفي الباب عن أسماء وأنس وحسن بن محمّد بن علي وعائشة وعبدالله بن محمّد بن عقيل وعكرمة وعلي عليه السلام ومحمّد الباقر ومحمّد بن منكدر، فلاحظ سنن البيهقي ٩/ ٢٩٩، والذرية الطاهرة ١٢٢: ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤٢، والمعجم الأوسط ١/ ٤٧، والكبير ٣/ ٣٠: ٢٥٧٥، والاستذكار ٥/ ٣١٤، وأخبار الرضا ٢/ ٢٩: ٥، وأمالي الطوسي ٣٦٧: ٧٨١، وطبقات ابن سعد ١/ ٢٢٩: ١٥٠ ـ ١٦٦ و ١٧٠ و ١٧٥ و ١٧٦.
١- المناقب ٢/ ١٩: ٦٨٥.
٢- المناقب ١/ ٧٤٤: ٦٠٩.

قال:... أصبحنا بمنزلة بني إسرائيل من آل فرعون إذ كانوا يقتّلون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح سيدنا وشيخنا علي بن أبي طالب يُسبّ ويشتم على المنابر.

وأصبحت قريش تعدّ أن لها الفضل على العرب لأن محمّداً منها... وأصبحت العرب تعدّ أن لها الفضل على العجم لأنّ محمّداً منها...، فإن كانت قريش (والعرب) صدقت فإنّ لنا أهل هذا البيت الفضل على جميع هؤلاء وجميع الناس...

[أوصى شيعته بلزوم أهل بيته]

١٠٣) حدّثنا عثمان بن محمّد الأثلغ، حدّثنا جعفر بن مسلم، إسماعيل بن زياد البزار، عن إبراهيم بن بشير الأنصاري: (أن أصبغ بن نباتة أخرج إليه كتاباً لعلي ٧):[١]

هذا ما أوصى به محمّد رسول الله... وأوصى شيعته بلزوم أهل بيته، وأن أهل بيتي آخذون بحجزتي يوم القيامة من النار، وأنّكم آخذون بحجزتهم يوم القيامة من النار، وأوصى شيعته بلزوم أهل بيته، فإنّهم لا يدخلونكم في باب ضلالة، ولا يخرجونكم من باب هدى.

[السبطان الشهيدان سيّدا شباب أهل الجنّة]

١٠٤) حدّثنا محمّد بن منصور، عن حكم بن سليمان، أخبرني يزيد أبو خالد، عن محمّد بن عمر، عن عبّاد بن عوّام، حدّثني أبو محمّد الهمداني، عن أبي إسحاق، عن حارث [بن عبد الله] وعن عبد خير، [عن علي عليه السلام مرفوعاً في

١- المناقب ١/ ٨٢٠: ٦٥٩.
ورواه الزرندي في نظم درر السمطين ٢٤٠ مرسلاً عن إبراهيم بن شيبة؟ الأنصاري.

حديث الإسراء]:[1]

يا محمّد انتجبتك لرسالتي، واصطفيتك لنفسي، فأنت نبيي وخير خلقي، ثمّ الصديق الأكبر الذي خلقته من طينتك، وجعلته وزيرك، أبو سبطيك الشهيدين سيّدي شباب أهل الجنّة، وزوجته خير نساء العالمين، أنت شجرتها، وعلي أغصانها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها، خلقتكم من طينة عليّين، وخلقت شيعتكم منكم، لأنّهم لو ضُربوا على أنفهم بالسيف لم يزدادوا لكم إلّا حباً.

[أحبب حبيب آل محمّد ما أحبهم فإذا أبغضهم فأبغضه]

١٠٥) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا عبد الرحمان بن صالح، حدّثنا أسباط بن محمّد، عن مسلم الملّائي، عن حبّة، عن علي قال[2]:

أحبب حبيب آل محمّد ما أحبّهم، فإذا أبغضهم فأبغضه، وأبغض بغيض آل محمّد ما أبغضهم فإذا أحبّهم فأحبّه، وأنا أُبشرك ببشرى.

١٠٦) حدّثنا علي بن رجاء بن صالح، حدّثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي، عن حسن بن صالح، عن مسلم، عن حبة، عن علي [أنّه] قال [لـ] ـجويرية بن مسهر العبدي[3] أحبب حبيب آل محمّد ما أحبهم فإذا أبغضهم فأبغضه، وأبغضن بغيض آل محمّد ما أبغضهم فإذا أحبّهم فأحبّه، وأنا أُبشرك بالبشري. ثلاث مرّات.

١- المناقب ١/ ٣٨٧:٥٣٧.
وتقدّم نحو بعضه برقم ١٣ عن جابر.
٢- المناقب ١/ ٨٠٦: ٦٤٥.
٣- المناقب ٢/ ٣٤٦: ٩٨٠.

١٠٧) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا علي بن حكيم، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن مسلم الملائي، عن حبة العرني قال: [قال علي ٧ لجويرية][١]:

أحبب حبيب آل محمّد ما أحبهم فإذا أبغضهم فأبغضه، وأبغض مبغض آل محمّد ما أبغضهم فإذا أحبهم فأحبّه...

١٠٨) وحدّثنا إسحاق بن محمّد بن إسحاق القاضي، أظن عن عباد بن يعقوب، عن محمّد بن فضيل بإسناده [عن سري، عن الشعبي، عن سفيان بن ليل] مثله. [أي التالي][٢].

[لا تذهب الليالي حتّى يجتمع الناس على معاوية]

١٠٩) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا علي بن حكيم، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن سري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن سفيان بن ليل[٣]:

أنّه أتى حسناً بالمدينة حين انصرف من عند معاوية فوجده بفناء داره، فلما انتهى إليه قال: السلام عليك يا مذل المؤمنين.

فقال: وما ذكرك لهذا؟ قال: فذكرته الذي كان منه من ترك القتال ورجوعه

١- المناقب ١/ ٧٦٩: ٦٢٤.
ورواه صباح بن يحيى عن مسلم: شرح النهج ٢/ ٢٩٠.
ورواه إبراهيم بن ميمون عن حبة: شرح النهج ٢/ ٢٩٠ ذيل الخطبة ٣٧ ببعضه.
ورواه أبو جارود عن جويرية: رجال الكشي: ترجمة جويرية.
٢- المناقب ١/ ٧٧١: ٦٢٦ و ٨٠١.
٣- المناقب ١/ ٧٧٠: ٦٢٥ و ٨٠٠.
ورواه نعيم بن حماد عن ابن فضيل: الفتن ٦٤ و ٧٠.
ورواه عباد عن محمّد بن فضيل كما في السالف.
ورواه مكي بن إبراهيم عن سري بن إسماعيل: مقاتل الطالبيين ٦٧، والمستدرك ٣/ ١٧٠.
ورواه عدي بن ثابت عن سفيان: مقاتل الطالبيين ٦٧.

إلـى المدينة.

قـال: يـا سـفيان أمـا إني سـمعت عليـاً يقـول: لا تذهـب الليـالي والأيـام حتّـى يجتمـع أمـر هـذه الأُمـة علـى رجـل واسـع السـرم ضخـم البلعـوم، يـأكل ولا يشـبع، لا يمـوت حتّـى لا يكـون لـه في السـماء عـاذر، ولا في الأرض حامـد، وإنّـه معاويـة، وإني قـد عرفـت أنّ الله بالـغ أمـره.

ونـودي بالصـلاة فقـال: هـل لـك يـا سـفيان في المسـجد؟ قلـت: نعـم. فخرجنـا نمـشي فمررنـا علـى حالـب لـه يحلـب ناقـة، فتنـاول فـشرب قائـماً ثـمّ سـقاني، ثـمّ أتينـا المسـجد فصلينـا.

قـال: مـا جـاء بـك يـا سـفيان؟ قلـت: حبّكـم والـذي بعـث محمّـداً بالهـدى ودين الحق.

قال: فأبشر يا سفيان إنّي سمعت علياً يقول: قال رسول الله ﷺ:

يـرد عـليّ الحـوض أهـل بيتـي ومـن أحبّنـي كهاتـين. وسـوّى بـين أصابعـه، قـال: لـو شـئت لقلـت: كهاتـين السـبّابة والوسـطى ليـس لأحدهمـا فضـل علـى الأُخـرى.

أبـشر يـا سـفيان فـإنّ الدنيـا ستسـع علـى الـبر والفاجـر حتّـى يبعـث الله إمـام الحـقّ مـن آل محمّـد.

[بايع الأنصار على أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم وذراريهم]

١١٠) حدّثنـا عثـمان بـن محمّـد الألثـغ، حدّثنـا جعفـر بـن مسـلم، حدّثنـا يحيـى بـن حسـن بـن فـرات، حدّثنـا [أبـو عبدالرحمـان] المسـعودي، عـن أبي خالـد الواسـطي، عـن زيـد بـن عـلي، عـن آبائـه، عـن عـلي قـال[1]:

١- المناقب ١/ ٨١٩: ٦٥٨.
ورواه السيّد حمزة بسند آخر عن أبي خالد: الشافي ٢/ ١١٦ وما بين المعقوف آخر الحديث منه.

أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أُبايع له الأنصار على أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا يمنعون منه نفوسهم وذراريهم. فلمّا كثر الناس قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ألحق فيها أن يمنعوا رسول الله وذريته ممّا يمنعون منه أنفسهم وذراريهم.

قال علي: فالتزمتها رقاب القوم، ووفى بها من وفى، [وهلك فيها من هلك].

[أول أربعة يدخلون الجنّة]

١١١) حدّثنا محمّد بن منصور المرادي، عن حكم بن سلمان، عن شريك، عن مسروق، عن أبي خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، قال علي[١]:

شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد بني أُمية والناس إياي فقال: أما ترضى على أنّك أخي ووزيري، وأوّل أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا.

[ارض بقسم الله تكن أرغد الناس]

١١٢) حدّثني جعفر بن محمّد بن يحيى العلوي بـ(فيد)، حدّثني علي بن محمّد بن عبد الله، حدّثني سليمان بن محمّد القرشي، عن إسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمّد (عن آبائه) عن علي عليه السلام[٢]:

وروى نحوه حسين بن زيد عن جعفر الصادق: المعجم الأوسط ٢/ ٤٤٣: ١٧٦٦.

١- المناقب ١/ ٣٨٩: ٢٦٢.

ورواه عمر بن موسى عن زيد الشهيد: معجم ابن الأعرابي ١/ ٣٠٠: ٥٧٥، وفضائل أحمد: ١٣٠: ١٩٢، وعيون الأخبار للبغدادي ق ٤٣.

ورواه محمّد بن يحيى عن زيد: تاريخ دمشق ١٤/ ١٦٨.

٢- المناقب ٢/ ١١٢: ٧٦١.

ورواه عبد الله بن مغيرة عن إسماعيل لكن بلفظ الحسين بدل الحسن: أمالي الصدوق ٢٦٩: ٢٩٥، ومثله في تذكرة القرطبي ١/ ٤٠٥ نقلاً عن روضة المشتاق لابن الجوزي.

وفي الباب عن أبي أُمامة وأنس وأبي ذر وسلمان وابن مسعود وأبي هريرة فلاحظ تخريجاته ذيل الحديث من المناقب.

قال رسول الله ﷺ للحسن وهو صبي: ارض بقسم الله تكن أرغد الناس، واعمل بفرائض الله تكن أعبد الناس، وكفّ عن محارم الله تكن أورع الناس، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلماً.

[أسألك لي ولأهل بيتي وشيعتنا]

١١٣) حدّثنا أحمد بن سري المصري، حدّثنا أحمد بن حماد، عن حسن بن سابق، عن إبراهيم بن موسى [بن جعفر بن محمّد بن علي بن حسين بن علي] عن آبائه[١]:

لما أتى رسول الله ﷺ البيت الحرام ومعه أصحابه نظر إليه وقال: اللّهم عظمه وشرفه، ثمّ قال: اللّهم هذا مدخل قد دخله من كان قبلي من الأنبياء فسألوك، وأنا أسألك لي ولأهل بيتي وشيعتنا.

[اشتراك المؤمن والفاجر في حبّهما]

١١٤) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبدالله المروزي، حدّثنا عبدالرحمان بن صالح، حدّثنا علي بن عابس، عن سالم بن أبي حفصة [و] عن كثير النواء، عن عدي بن ثابت، عن زر، عن علي[٢]:

١- المناقب ٢/ ٤٥٣: ١٠٩١.

٢- المناقب ٢/ ٣٦٢: ٩٩٤.
ورواه أحمد بن حسن بن عبد الجبار عن ابن صالح: حلية الأولياء ٤/ ١٨٥.
ورواه شعبة عن عدي: حلية الأولياء ٤/ ١٨٥، وعلل الرازي ٢/ ٤٠٠: ٢٧٠٩، وتاريخ دمشق ٤٢/ ٧٠٠، وموضح الأوهام ٢/ ٤٦٨، والتدوين في ترجمة ربيعة بن علي وإسحاق بن محمّد بن إسحاق.
قال أبو نعيم في ترجمة زر من الحلية: رواه عن عدي كثير النواء وسالم بن أبي حفصة وحكم بن عتيبة وجابر الجعفي وحسن الفقيمي وسليمان الشيباني وسالم الفراء ومسلم الملائي وأيوب وعمار ابنا شعيب وأبان بن قطن كل هؤلاء من رواة الكوفة وأعلامهم.
ورواه عبد الله بن نجي عن علي عليه السلام: صفة النفاق ٣٠/ ب، وأمالي الطوسي ٣٣٥: ٦٧٥.
ورواه محمّد بن جعفر عن علي عليه السلام كما سيأتي برقم ١١٩.

إنّ ابنَيْ فاطمة اشترك في حبهما البرّ والفاجر، وإنّه كتب إليّ ـ أو عهد أنّه لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق أو كافر.

[لا يحبّنا إلّا كل مؤمن تقي]

١١٥) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، أخبرنا عبد الله بن مسلم، عن عمر بن حفص، حدّثنا عمرو بن سماك الحمصي، عن وهب بن راشد، عن عدي بن ثابت، عن زرّ بن حبيش، عن علي بن أبي طالب [مرفوعاً][1]:

يا علي... يأتي على الناس زمان يصبح مبغضنا مبغضاً لمحبّنا، ويصبح محبنا مبغضاً لمبغضنا... إنا أهل بيت لا يحبنا إلّا كل مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلّا كل منافق ردي.

[النجباء الأربعة عشر]

١١٦) حدّثنا خضر بن أبان الهاشمي، حدّثنا يحيى الحماني، عن قيس بن ربيع، عن كثير النواء، عن عبد الله بن مليل، سمعت علياً [مرفوعاً][2]:

ما من نبي إلّا وقد أُعطي من [الرفقاء سبعة، وأُعطيت أنا أربعة عشر]. فقلنا لعلي: فسمّهم، قال: أنا منهم وابنيّ [الحسن والحسين] وحمزة وجعفر.

[إفطار علي عليه السلام كل ليلة من رمضان عند أحد أبناء فاطمة عليها السلام]

١١٧) كتب إلى موسى بن عيسى الجزري ـ وحدّثنا به عبد الله بن محمّد،

١ - المناقب ١/ ٨٣٨: ٦٧٤.
٢ - المناقب ٢/ ٤٢٦: ١٠٥٥.
ورواه فطر عن كثير: التاريخ الكبير ٥/ ١٩٢: ٦٠٨ إشارة، وشواهد التنزيل ١/ ٤٨٩: ٥١٧ وقال: رواه جماعة عن أبي نعيم [عن فطر عن كثير]، وله طرق عن كثير، ورواه مسيب بن نجبة عن علي.
ومع النظر إلى الحديث المعروف: الأئمة من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش، وإضافة فاطمة عليها السلام فيكتمل عدد مع احتساب النبي صلى الله عليه وآله، ومع عدم احتساب النبي صلى الله عليه وآله فينبغي إضافة زينب بنت فاطمة لما دلّ على عصمتها، وذكر حمزة وجعفر خطأ من اجتهاد بعض الرواة.

حدّثنا محمّد بن زكريا الغلابي، حدّثني أحمد بن محمّد بن يزيد وعثمان بن عمران، حدّثنا أبو نعيم ومحمّد بن عبد الله الأسدي [الزبيري]، أخبرنا عبدالجبار بن عباس،عن عثمان الأعشى، عن رجل قد سمّاه قال[1]:

كان علي إذا دخل شهر رمضان تعشّى ليلة عند حسن وليلة [عند حسين، وليلة] عند [عبد الله] بن [جعفر][2] فلا يزيد على ثلاث لقم.

[ما من عبد امتحن الله قلبه إلا يحبّنا أهل البيت]

١١٨) حدّثنا أحمد بن سري، حدّثنا أحمد بن حماد، عن حسن بن سابق، عن عمرو بن [أبي] مقدام، عن شريك بن عبد الله، عن أبي إسحاق السبيعي، عن قثم، عن علي ٧ قال[3]:

ما من عبد من عبيد الله ممّن امتحن الله قلبه للإيمان إلّا وقد يحبّنا أهل البيت على قلبه، وما من عبد من عبيد الله ممّن سخط الله عليه إلّا وقد يجد بغضنا على قلبه، فأصبحنا نحب بحب المحب ونبغض ببغض المبغض.

وأصبح محبنا يرجو رحمة الله فكأن أبواب الجنة قد فتحت له...

فنحن النجباء، وأفراطنا أفراط الأنبياء... ونحن حزب الله ورسوله...

[اشتراك المؤمن والفاجر في حبّهما]

١١٩) حدّثنا أحمد بن سري، حدّثنا أبو طاهر [أحمد بن عيسى بن عبدالله]،

١- المناقب ١/ ٧٠٥: ٥٦٧.

٢-في النسختين بدله عباس، وهو تصحيف، ولم يكن ابن عباس حاضراً الكوفة، وإنما كان صلوات الله عليه قسّم لياليه على الحسن والحسين وزينب أُم كلثوم أولاد فاطمة الزهراء، وكانت زينب زوج عبد الله بن جعفر.

٣- المناقب ١/ ٧٤٠: ٦٠٥.

وروى ذيله حبة عن علي ﷺ: فضائل القطيعي ١٨٩: ٢٨٤، وتاريخ ابن عساكر ٤٢/ ٤٥٩ عن أبي طاهر المخلص، وأمالي الطوسي ح ٤١ م ١٠.

حدّثنا محمّد بن جعفر [بن محمّد]، قال علي[1]:

يشترك في حبّ ابنَيْ فاطمة البرّ والفاجر، وأبى الله أن يحبّني إلّا مؤمن.

[تسميتهما باسم ابناء هارون]

١٢٠) حدّثنا خضر بن أبان الهاشمي، حدّثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي قال[2]:

لمّا ولد الحسن سميته حرباً، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلنا: حرباً، قال: بل هو حسن... إنّما سميتهم بولد هارون شبر وشبير [ومشبر].

[تقاسمهما شبه جدهما]

١٢١) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا عبدالله بن محمّد، حدّثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي عليه السلام قال[3]:

١- المناقب ٢/ ٣٥٢: ٩٨٦.
ورواه زر عن علي عليه السلام كما تقدّم برقم ١١٣.
ورواه عبد الله بن نجي عن علي عليه السلام: صفة النفاق ٣٠/ ب، وأمالي الطوسي ٣٣٥: ٦٧٥.
٢- المناقب ٢/ ٤٥: ٧٠١. ولاحظ ما بعد التالي.
ورواه جماعة عن عبيد الله وجماعة عن إسرائيل، ورواه أبو زائد وقيس بن ربيع ويوسف بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق، وسالم بن أبي جعد عن علي عليه السلام، فلاحظ تعليقتي على المناقب وفضائل أحمد.
وتسمية النبي صلى الله عليه وآله لهما ورد في أحاديث كثيرة، وفي بعضها أنّ علياً قال للنبي صلى الله عليه وآله لم أكن لأسبقك بإسمه، وفي بعضها أنّه سماه حمزة...
٣- المناقب ٢/ ٨٨: ٧٣٨.
ورواه عن إسرائيل أيضاً:
١ـ أسد بن موسى: الإستيعاب ١/ ٣٨٤.
٢ـ أسود بن عامر: مسند أحمد ٢/ ٢١٢: ٨٥٤.
٣ـ حجاج بن محمّد: فضائل أحمد ٢٧٠: ٤١٦، والمسند ٢/ ٢١٢: ٨٥٤.
٤ـ خلف بن أيوب: تاريخ دمشق ١٤/ ١٢٣.
٥ـ خلف بن وليد: الاستيعاب ١/ ٣٨٤، وشرح الأخبار ٣/ ٩٧: ١٠٢٤، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٤٣.
٦ـ شبابة بن سوار: صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٣٠: ٦٩٧٤.
٧ـ مالك بن إسماعيل: الطبقات الكبرى ١/ ٤٠٥: ٧٨٠.
٨ـ أبو أحمد الزبيري محمّد بن عبد الله: الطبقات ١/ ٢٤٧: ١٨٠، ومعجم البغوي ٢/ ٨: ٤٠٠.

الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك.

[أيضاً في تسميتهما]

١٢٢) حدّثنا أبو أحمد الهمداني قال: قرأنا على علي بن عبد الله الحذاء الكوفي، عن عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي (رض) قال: لما ولد الحسن سميته حرباً... مثل ما قبل السالف[١].

[تختموا بالعقيق]

١٢٣) و[مرسلاً عن [علي عليه السلام مرفوعاً][٢]:

تختموا بالعقيق، فإنّه أوّل حجر شهد لله بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولعلي بالوصية، ولولديه بالإمامة، ولشيعته بالجنّة.

[آية التطهير أيضاً]

١٢٤) [حدّثنا] بن سليمان الإصبهاني، عن يحيى بن عبيد، عن عطاء بن أبي رباح، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال[٣]:

ورواه سفيان عن أبي إسحاق: تاريخ دمشق ١٤/ ١٢٥.
ورواه قيس بن ربيع عن أبي إسحاق: مسند الطيالسي ٢٠: ١٣٠.
ورواه ابن سعد عن عبيد الله: الطبقات ١/ ٢٣: (المتمم).
١- المناقب ٢/ ٨٧: ٧٣٧. ولاحظ السالف.
٢- المناقب ١/ ٦٢٩: ٥٠٧ وسقط منه إسناده، ورواه ابن المغازلي في المناقب ٣٤٦: ٣٣١ بسنده عن الأعمش عن جعفر الصادق عن آبائه.
وفي الباب عن سلمان: مناقب الخوارزمي ٣٢٦: ٣٣٥، وعلل الشرائع ١/ ١٥٨ باب ١٢٧.
وعائشة: منتخب السياق ١٧: ٢٣.
٣- المناقب ١/ ١٨٥: ٩٢.
ورواه عن الإصبهاني أيضاً:
١ـ إبراهيم بن أحمد الواسطي: مشكل الآثار ١/ ٢٢٩: ٧٨١.
٢ و ٣ـ أحمد بن نصر وأحمد بن نعمان: المعجم الكبير ٩/ ١١: ٨٢٩٥.

نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أُم سلمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ ... تَطْهِيراً﴾ فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء، وعلي خلف ظهره، فقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً...

[من أراد أن يحيى حياتي فليحب علياً وذريته]

١٢٥) حدّثنا أحمد بن عبدان البرذعي، حدّثنا سهل بن سقير، حدّثنا موسى بن عبد ربه، سمعت عمران بن حصين [مرفوعاً][1]:

من أراد أن يحيا حياتي ويموت موتي، ويدخل الجنّة التي وعدها ربّي، فليحب علياً وذريته، فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة.

[سيّدا شباب أهل الجنّة]

١٢٦) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثني ابن محمّد، حدّثنا [محمّد] بن السكن المكتب، حدّثنا عمران بن أبان الواسطي، عن مالك بن حسن بن [مالك بن] حويرث، عن أبيه عن جدّه [مرفوعاً][2]:

الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما.

٤ـ إسماعيل بن موسى: شواهد التنزيل: ٧٥٣.
٥ـ صالح بن عبدالله: الشواهد: ٧٥٥.
٦ـ عبدالرحمان بن صالح: تفسير الطبري ٢٢/ ٨.
٧ـ عبدالله بن عمر بن أبان: الشواهد: ٧٥٤، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٤٥.
٨ـ قتيبة بن سعيد: سنن الترمذي ٥/ ٣٢٧: ٣٢٠٥.
٩ـ محمّد بن أبان: مشكل الآثار ٢/ ٢٤٣: ٧٧١، والمعجم الكبير ٩/ ٢٥: ٨٢٩٥.
١ـ المناقب ٢/ ٣٤٨: ٩٨٢.
وتقدّم نحو ذيله برقم ١٠٣ عن علي عليه السلام مرفوعاً.
٢ـ المناقب ٢/ ٨٢: ٧٣٣.
ورواه أحمد بن عبدالله البزاز التستري عن ابن سكن: المعجم الكبير ١٩/ ٢٩٢.
ورواه زكريا بن حكم وعباس بن عبدالعظيم ومحمّد بن إشكاب ويحيى بن حسن الأُبلي عن عمران: تاريخ دمشق ١٤/ ١٣٣: ٧١ و ٧٢، والكامل ٦/ ٣٨١، ومعجم البغوي.
ورواه حسن بن عبدالرحمان بن مالك عن أبيه عن جدّه.

[نهي مالك بن ضمرة عن مقاتلة أهل بيت النبوة]

١٢٧) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا علي بن حكيم، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن فضيل بن مرزوق، عن جبلة ابنة المصفّح قالت[١]:

أوصى مالك بن ضمرة بسلاحه للمجاهدين من بني ضمرة إلّا أنّه لا يقاتل به أهلبيت النبوة... فلما جاء الحسين رأيت على الباب إياس بن حجل ابن أخيه فقال: ناولني الرمح... [ليقاتل الحسين، فنادته جبلة] وقد كانت أدركت النبي ﷺ... يا موسى بن مالك ما تحفظ وصية أبيك أنّه لا يقاتل بسلاحه أهل بيت النبوّة. فسعى في أثر إياس، فأخذ الرمح عنه فكسره ثمّ جاء به.

[أنهما عن يميني أبيهما عند حملة اللواء يوم القيامة]

١٢٨) حدّثنا خضر بن أبان الهاشمي وأحمد بن حازم الغفاري ومحمّد بن منصور المرادي، حدّثنا يحيى بن عبدالحميد الحماني، عن قيس بن ربيع، عن سعد [بن طريف] الخفاف، عن عطية العوفي، عن محدوج بن زيد الذهلي[٢]:

أنّ رسول الله ﷺ آخى بين المسلمين، ثمّ أخذ بيد علي فوضعها على صدره ثم قال [في حديث]:

ثم أُبشرك يا علي أن أوّل من يُدعى به من أُمتي يوم القيامة يُدعى بك... فيُدفع إليك لوائي... فتسير باللواء الحسن بن علي عن يمينك والحسين عن يسارك...

١- المناقب ١/ ٧٣٣: ٦٢٨. ورواه محمّد بن موسى عن جبلة: مصنف الشيبي ٧/ ٤٧٧: ٣٧٣٥٠. وتجده بإختصار في أُسد الغابة ٤/ ٢٨٢ عن ابن مندة وأبي نعيم.
٢- (١٢٨) المناقب ١/ ٣٥٩: ٢٢٤.

[خير هذه الأُمة بعد نبيها ستة]

١٢٩) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبدالله المروزي، حدّثني عبدالرحمان بن صالح، حدّثنا محمّد بن فضيل، عن بيان، عن أشعث، عن [محمّد] بن سيرين [رفعه][1]:

خير هذه الأُمة بعد نبيّها ستة... علي وحمزة وجعفر والحسن والحسين والمهدي.

[أنهم أهل الذكر]

١٣٠) حدّثنا خضر بن أبان الهاشمي، حدّثنا يحيى بن يمان، عن إسرائيل، عن جابر [الجعفي]، عن أبي جعفر [الباقر في قوله تعالى][2]:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [٤٣/ النحل ١٦) قال: نحن أهل الذكر.

١- المناقب ٢/ ٤٤٥: ١٠٨١.
وذكر (حمزة وجعفر) من خطأ بعض الرواة.
٢- المناقب ١/ ١٥١: ٧١.
ورواه عن ابن اليمان أيضاً:
١ـ إسماعيل بن أبي حكم: شواهد التنزيل ١/ ٥٠٩: ٤٦١.
٢ـ سفيان بن وكيع: الشواهد: ٤٦٢، وتفسير الطبري ١٤/ ١٠٨.
٣ـ عثمان بن أبي شيبة: الشواهد: ٤٦٠.
٤ـ أبو هشام: الشواهد: ٤٦٢.
ورواه عن جابر أيضاً:
١ـ علي بن عابس: الشواهد: ٤٦٤.
٢ـ موسى بن عثمان: الشواهد: ٤٦٣.
ورواه عن الباقر أيضاً:
١ـ أبان بن تغلب: الشواهد: ٤٦٢.
٢ـ سعد بن طريف: الشواهد: ٤٦٥.
٣ـ فضيل بن يسار: الشواهد: ٤٦٦.

[أنا وأبرار عترتي أحلم الناس]

١٣١) حدّثنا أحمد بن سري المصري، حدّثنا أحمد بن حماد، عن علي بن يحيى بن إسماعيل بن منذر، عن جابر الجعفي، عن محمّد بن علي قال: قال رسول الله ﷺ[١]:

أنا وأبرار عترتي، وطيب (أطائب) أُرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً، فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم تُحمدوا وتؤجروا، ولا تستنفروهم فتصرعكم المنية ويشمت بكم عدوّكم.

[من سره أن يحيى حياتي فليتول علياً والأخيار من ذريتي]

وبه [مرفوعاً]:

من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويدخل الجنة التي وعدنيها ربي فليتول علي بن أبي طالب بعدي والأخيار من ذريتي.

[مصه لسان جدّه وعدم ظمأه بعده]

١٣٢) حدّثنا أحمد بن سري المصري، حدّثنا أحمد بن حماد، عن يحيى بن يعلى، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر [الباقر][٢]:

انطلق رسول الله ﷺ بحسن آخذ بيده يطلب له الماء وقد اشتدّ ظماه[٣]،

١- المناقب ١/ ٧٤٢: ٦٠٦ و ٦٠٧. والفقرة الأُولى مروية عن علي عليه السلام في سائر المصادر.
٢- المناقب ٢/ ٥٩: ٧١٤.
ورواه مفضل بن صالح عن جابر: تاريخ دمشق ١٣/ ٢٢١: ١٧٥.
ورواه إسماعيل بن زياد عن جعفر عن أبيه كما في التالي.
وتقدّم نحوه عن زيد بن أرقم برقم ٤٣.
ورود نحوه عن أبي هريرة: المعجم الكبير ٣/ ٤٣: ١٢٨، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٦٩.
وعن معاوية قاتل الحسن عليه السلام: مسند أحمد ٢٨/ ٦٢: ١٦٨٤٨.
٣- في الأصلين: وحاه.

فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلسانه [و] أمصّه الحسن، فشرب من أبرد ماء خلقه الله وأعذبه حتّى ارتوى، ثمّ إنّ الغلام انصرف إلى أهله ـ وقد اختلط الظلام ـ وحده ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: اللّهم كن له حافظاً.

وكان الحسن صلى الله عليه وآله وسلم تعالى يقول بعد ذلك: ما اشتدّ علي ظمأ بعد لسان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا دخلتني وحشة بعد دعوته.

١٣٣) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر بن محمّد ابن الرماني، حدّثنا حسن بن حسين، عن إسماعيل بن زياد، عن جعفر، عن أبيه[١]:

أنّ الحسن كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعطش عطشاً شديداً فاستسقى النبي فلم يجد له ماءً، فأخرج له لسانه فقال له: مصّ، فإذاً ماء أبرد من الثلج وأحلى من الشهد، فشرب حتّى روى، ثمّ قال: لا ظمأ عليك أبداً.

[لا يبغض أهل بيتي إلّا ثلاثة]

١٣٤) حدّثنا أحمد بن عبدان البرذعي، حدّثنا سهل بن سقير، سمعت جعفر بن محمّد، عن أبيه [مرفوعاً][٢]:

لا يبغض أهل بيتي من الناس إلّا ثلاثة: رجل وضع على فراش أبيه لغير أبيه، ورجل جاءت به أُمه وهي حائض، ورجل منافق.

[أنهم من شجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم]

١٣٥) حدّثنا محمّد بن منصور المرادي، حدّثنا محمّد بن عمر المازني، عن أبي

١- المناقب ٢/ ٦٧: ٧٢١. ولاحظ السالف.
٢- المناقب ١/ ٧٣٥: ٥٩٩.
والفقرة الأُولى والثالثة وردتا في مصادر عديدة بأسانيد شتّى وخاصة الثالثة.
والفقرة الثانية أيضاً وردت في بعض المصادر لكنّها مناقضة للثابت من العلم والشريعة بأنّ المرأة لا تحمل وهي حائض، ولعلّها كانت بالأصل أنّها لا تمتنع من الجماع حال كونها حائضاً.

بكر عباد بن صهيب، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه [مرفوعاً][1]:

الناس من أشجار شتي، وأنا وعلي من شجرة واحد، أنا أصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين أثمارها، وفي قلب كل مؤمن غصن، من أغصانها.

[رحم الله من أحيى أمرنا]

١٣٦) حدّثنا عثمان بن سعيد المروزي، حدّثنا محمّد بن عبد الله المروزي، حدّثنا عبدالرحمان بن صالح، حدّثنا عبدالرحمان بن محمّد الفزاري، عن جعفر بن محمّد بن علي بن حسين، عن أبيه قال[2]:

حدّثوا عنّا ولا حرج، رحم الله من أحيا أمرنا.

[اصطراعهما وتشجيع جدّهما وجبريل لهما]

١٣٧) حدّثنا أحمد بن سري المصري، حدّثنا أحمد بن حماد، عن غياث بن إبراهيم، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه[3]:

اصطرع الحسن والحسين فجعل النبي ﷺ يقول: أي حسن. فقالت أُمه:

١- المناقب ١/ ٥١٦: ٣٦٤، و٢/ ٥٦: ٧١٠.
٢- المناقب ١/ ٨٠٥: ٦٤٤.
٣- المناقب ٢/ ٥٧: ٧١٢.
ورواه عن جعفر الصادق أيضاً:
١ـ حسين بن علوان: قرب الإسناد ١٠١: ٣٣٩.
٢ـ زيد الشحام: أمالي الصدوق ٥٣٠: ٧١٧.
٣ـ عبد الله بن ميمون: الإرشاد ٢/ ١٢٨.
٤ـ علي بن أبي علي اللهبي عن أبيه عن علي: تاريخ دمشق ١٤/ ١٦٥: ١٥٤ و ١٥٦.
ورواه حارث بن أبي أُسامة بسنده عن الباقر: خصائص السيوطي ٢/ ٢٦٥.
وروى عن زين العابدين: أمالي الصدوق م ٦٨: ٨.
ورواه حارث بن عبدالله عن علي عليه السلام: تيسير المطالب ٩٢: ١٢٦ باب ٦.
ورواه أبوذر عن علي عليه السلام: كتاب سليم ١٥٠، ومناقب الخوارزمي ٣٠١: ٢٩٦.
وفي الباب عن أبي هريرة معجم أبي يعلى ٢٣٨: ١٩٦، والكامل ٥/ ١٨.
وعن ابن عباس: طبقات ابن سعد ١/ ٢٨٥: ٢٣٦.

تعين الكبير على الصغير.

قال: إنّ جبرائيل يقول: أي حسين.

[مثلنا كمثل شجرة من تمسك بغصن منها نجا]

١٣٨) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر بن مسلم، حدّثنا يحيى بن حسن بن فرات، حدّثنا حماد بن يعلى، عن أبي جارود [زياد بن منذر]، عن أبي جعفر [الباقر][١]:

إنّما مثلنا أهل البيت كمثل شجرة على ساق، من تمسك بغصن من أغصانها نجا. قلت: رحمك الله من الساق؟ قال: علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

[عصمتهم]

١٣٩) حدّثنا عثمان الألثغ، حدّثنا جعفر بن مسلم، حدّثنا يحيى بن حسن، حدّثنا حماد [بن يعلى]، عن أبي جارود [زياد]، عن أبي جعفر [الباقر][٢]:

المعصومون منا خمسه، رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين.

[استثناء أبيها حاجة الحسنين في موقوفاته]

١٤٠) حدّثنا عبد الله بن محمّد و كتب إليّ به موسى بن عيسى الجزري من البصرة، حدّثنا محمّد بن زكريا الغلابي، حدّثنا أحمد بن محمّد بن يزيد ومحمد بن

١- المناقب ١/ ٨١٧: ٦٥٦.
٢- المناقب ١/ ٨١٥: ٦٥٣.
وتقدّم نحوه عن زيد الشهيد، وأبو جارود من رؤوس الزيدية، وهذا إن صح فمراده من أهل البيت هنا خصوص من عاصر النبي صلى الله عليه وآله منهم، والأحاديث والأدلة على عصمة الأئمة الاثني عشر كثيرة، منها حديث الثقلين إجمالاً.

عبدالرحمان بن قاسم، حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن علي [بن أبي طالب] عن جماعة من أهله[1].

وحدّثني علي بن حكيم، عن ربيع بن عبدالله، عن عبدالله بن حسين، عن محمّد بن علي [الباقر] قالوا: كان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم، فرغب في الإسلام، فأتى رسول الله ﷺ وكان معه، فلما توفي صار مع فاطمة وولدها رحمة الله عليهم.

قال أبو نيزر: جاءني علي وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة... ثمّ أخذ المعول وانحدر إلى العين... فانثالت كأنّها عنق جزور فخرج مسرعاً فقال: أُشهد الله أنّها صدقة... إلّا أن يحتاج الحسن والحسين فهما طلق لهما، ليس لأحد غيرهما...

[أحبونا لحبّ رسول الله ﷺ]

١٤١) حدّثنا عثمان بن محمّد الألثغ، حدّثنا جعفر بن مسلم السرّاج، حدّثنا يحيى بن حسن الحريري القزاز، حدّثنا حماد بن يعلى، حدّثني عبيد الله بن محمّد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبي جعفر [الباقر][2]:

أحبّوا الله، وأحبّوا رسول الله لحبّ الله، وأحبونا لحبّ رسول الله ﷺ.

[الاهتداء للولاية شرط المغفرة]

١٤٢) حدّثنا أحمد بن سري المصري، حدّثنا أحمد بن عيسى بن عبد الله العمري [العلوي]، حدّثنا أبي، عن أبيه، عن خاله محمّد بن علي بن حسين[3]:

١- المناقب ١/ ٧١٣: ٥٨٠.
٢- المناقب ١/ ٨١٣: ٦٥٠.
٣- المناقب ١/ ٧٣٧.
ورواه جابر الجعفي عن الباقر: الأمالي الخميسية ١٤٨.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [٨٢/ طه ٢٠] قال: اهتدى لولايتنا.

١٤٣) كتب إليّ موسى بن عيسى الجزري عن محمّد بن زكريا الغلابي.

[تخصيص أبيهما لهما عيشهما من حصيلة غلّاته]

وحدّثنا به عبدالله بن محمّد، حدّثنا محمّد الغلابي، حدّثنا يعقوب بن جعفر [بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس]، حدّثني أبي [عن أبيه]، عن أخيه محمّد بن علي، عن عبدالله بن محمّد ابن الحنفية، عن أبيه قال[١]:

كان أبي رضوان الله إذا جاءت غلّته من ضياعه أخذ قوته لنفسه وقوت عياله وأُمهات أولاده، وأعطي الحسن والحسين قوتهما...

[ابن الحنفية: هما خير مني]

١٤٤) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا علي بن حكيم، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن سالم بن أبي حفصة، عن منذر الثوري، سمعت محمّد ابن الحنفية يقول[٢]:

حسن وحسين خير مني، ولقد علما أنّه سيخلفني[٣] دونهما.

ورواه أبو سعيد الهمداني عن الباقر:
وفي الباب عن ثابت البناني: الأمالي الخميسية ١٤٩.
١- المناقب ١/ ٧٠٢: ٥٦٤.
٢- المناقب ٢/ ٦٦: ٧٢٠.
ورواه أحمد عن ابن فضيل مع زياده: الفضائل ٢٧٤: ٤٢٩.
ورواه محمّد بن عمران عن ابن فضيل: تاريخ ابن أبي خيثمة ٢/ ١٣٥: ٢٠٦٨.
٣- ب: يستخلفني. مهملة.

[بعث أبيه له إلى الكوفة لاستنفار الناس في مواجهة البغاة]

١٤٥) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، [أخبرنا علي بن حكيم]، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن فطر، عن منذر الثوري، سمعت محمّد ابن الحنفية[١]:

لما أنّ توجه طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة سمع بذلك علي وهو في المدينة، فأقبل وأقبلنا معه في تسعمئة، فلمّا نزل بـ(ذي قار) قريباً من البصرة بعث عماراً والحسن إلى الكوفة، فاستنفرهم، فنفر معه تسعة آلاف...

[من أحبها أحبّني ومن أبغضها أبغضني]

١٤٦) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، سمعت محمّد بن إدريس الرازي وعلي بن عبد العزيز، سمعنا أبا نعيم وأبا غسان مالك بن إسماعيل، سمعنا إسرائيل، سمعت سالم بن أبي حفصة، سمعت أبا حا[زم]، سمعت أبا هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول[٢]:

١- المناقب ٢/ ١٧٢: ٨٢٥.
٢- المناقب ٢/ ٧١: ٧٢٦. ولاحظ التالي.
ورواه علي بن إبراهيم عن الرازي: التدوين ٤/ ١٧ق
والطبراني عن علي بن عبدالعزيز: المعجم الكبير ٣/ ٤٨: ٢٦٤٨.
وإبراهيم بن هيثم عن أبي غسان: شرف المصطفى.
ومحمّد بن سليمان الواسطي عن أبي غسان وعبيد الله بن موسى: تاريخ دمشق ١٤/ : ١٢٠.
ومحمّد بن سعد عن أبي نعيم: الطبقات ١/ : ٥٢ (المتمم).
ورواه عن سالم أيضاً:
١ـ سفيان الثوري: المعجم الكبير ٣/ ٤٨، وفضائل أحمد ٢٧٤: ٤٢٨، ومسنده ١٦/ ٥٠٦: ١٠٨٧٢، وسنن ابن ماجه ١/ ٥١: ١٤٣، والشريعة ٥/ ٢١٨١: ١٦٧٤، والمستدرك ٣/ ١٧١: ٤٧٩٩، ومشكل الآثار ١٠/ ١١٧: ٣٩٦١.
٢ـ علي بن عابس: المعجم الكبير ٣/ ٤٩: ٢٦٥١.
٣ـ محمّد بن فضيل كما في التالي.
ورواه عن أبي حازم أيضاً حبيب بن أبي ثابت وحسن بن سالم وداوود أبو جحاف وأبو سعيد المقبري وطلحة بن مصرف وكثير النواء ويونس بن خباب.
ورواه عن أبي هريرة أيضاً عبدالرحمان بن مسعود وابن سيرين وأبو مزرد ونافع ونعيم.

الحسن والحسين من أحبّهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني.

١٤٧) حدّثنا أحمد بن علي بن حسن بن مروان، حدّثنا حسن بن علي بن عفان، أخبرنا علي بن حكيم، أخبرنا محمّد بن فضيل، عن سالم بن أبي حفصة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة [مرفوعاً][١]:

من أحبّ حسناً وحسيناً أحبّني، ومن أبغضهما أبغضني.

١٤٨) حدّثنا أبو جعفر محمّد بن علي بن عفان العامري، حدّثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا كامل، عن أبي صالح، عن أبي هريرة[٢]:

صلّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم العشاء، وكان إذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، وإذا أراد أن يرفع رأسه أخذهما بيده فوضعهما وضعاً رفيقاً، حتّى إذا عاد عادا، حتّى إذا قضى صلاته وضع واحداً على فخذه، والآخر على فخذه الآخر، فقمت إليه فقلت: ألا أذهب بهما، قال: لا، فبرقت برقة فقال: الحقا بأُمكما. فلم يزالا في ضوئها حتّى دخلا.

١٤٩) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، أخبرنا إبراهيم بن [عبد] العزيز الحذاء، عن أبي قتيبة، حدّثنا كامل أبو علاء، عن أبي صالح، عن أبي هريرة[٣]:

وفي الباب عن سلمان وقد تقدّم، وابن عباس وابن مسعود فلاحظ تخريجاتي ذيل هذا الحديث من المناقب وفضائل أحمد، ولاحظ التاليين.

١- المناقب ٢/ ٦١: ٧١٦. ولاحظ السالف والتالي.

ورواه أبو هشام الرفاعي وعبدالرحمان بن صالح عن ابن فضيل: الكامل ٣/ ٣٤٤، ومسند الموصلي ١١/ ٧٨: ٦٢١٥.

٢- المناقب ٢/ ١١٤: ٧٦٢. ولاحظ التالي، وانظر تعليقتنا على الطبعة الثالثة للمناقب.

ورواه أحمد بن مهران عن عبيد الله: المستدرك ٣/ ١٦٧.

ومحمد بن سعد عن عبيد الله: الطبقات ١/ ٣٨٠: ٣٤٧.

ورواه جماعة عن كامل.

ورواه الأعمش عن أبي صالح: البحر الزخار ١٦/ ١٥٦: ٩٢٦٠.

٣- المناقب ٢/ ٨٤: ٧٣٥. ولاحظ السالف.

ورواه جماعة عن كامل، ورواه أيضاً الأعمش عن أبي صالح، وفي الباب عن أنس وبراء وشداد بن هاد وعلي عليه السلام

صلّى بنا رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن والحسين، إذا قام حملهما، وإذا ركع وضعهما، حتّى قضى الصلاة، فلمّا قضى الصلاة قلت: يا رسول الله أرنيهما أُبلغهما أُمهما. فبرقت برقة فذهبا في ضوئها فدخلا على أُمهما.

١٥٠) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، أخبرنا علي بن عبدالملك الربعي فيما قرأت عليه، عن جعفر بن عون، أخبرنا معاوية بن أبي مزرّد، عن أبيه، عن أبي هريرة[١]:

رأيت رسول الله ﷺ واضعاً الحسن بن علي فاه على فيه، وقدماه على قدميه، يقول: ترق عين بقّة، من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني.

١٥١) حدّثنا أبو أحمد الهمداني، حدّثنا محمّد بن ربيعة الحارثي، حدّثنا سعيد بن سلام العطار، حدّثنا معاوية بن أبي [مزرّد]، عن أبيه، عن أبي هريرة[٢]:

رأيت رسول الله ﷺ واضعاً الحسن بن علي فاه على فيه، وقدمه على قدمه، يقول: من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني.

ورأيته ﷺ يفرّج بين رجلي الحسن ويقبل رابيته.

فلاحظ تعليقة المناقب ومسند أحمد ١٦/ ٣٨٦: ١٠٦٥٩ وغيرهما.

١- المناقب ٢/ ١٠٤: ٧٥٤.

ورواه إبراهيم بن أبي عنبس وابن أبي بزة وزيد بن إسماعيل وعبد الله بن أبي شيبة ومحمد بن بشار ومحمد بن عبدالله الأنصاري عن جعفر بن عون.

ورواه حاتم بن إسماعيل وخالد بن مخلد وسعيد بن سلام ـ كما في التالي ـ ووكيع عن ابن أبي مزرد.

ورواه أبو حازم عن أبي هريرة كما تقدّم.

ورواه أبو سعيد المقبري وأبو سلمة وعبدالرحمان الأعرج وعبيد الله وعمير بن إسحاق ونعيم المجمر عن أبي هريرة فلاحظ تعليقة مناقب ابن المغازلي والكوفي.

٢- المناقب ٢/ ٧٦: ٧٢٩. ولاحظ السالف وفيه: رجلي الحسين ويقبل زبيبته.

ورواه حاتم بن إسماعيل عن معاوية: المعجم الكبير ٣/ ٤٩: ٢٦٥٣ بالفقرة الأُولى.

[اهتمام الحسنين بصفات جدّهما]

(١٥٢)حدّثنا خضر بن أبان الهاشمي، حدّثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي، حدّثنا جميع بن عمر بن عبدالرحمان العجلي.

وحدّثنا حسن بن علي القطّان، حدّثنا سفيان بن وكيع بن جرّاح، حدّثنا جميع، حدّثني رجل من بني تميم من ولد [أبي] هالة يكنى أبا عبد الله ـ زوج خديجة، عن [ابن] أبي هالة، عن الحسن بن علي قال[1]:

سألت خالي هند بن أبي هالة ـ وكان وصّافاً ـ عن صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخماً مفخماً... [في حديث طويل] قال الحسن: فكتمتها الحسين زماناً ثمّ حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه [ومجلسه وسكوته]، ولم يدع منه شيئاً...

[إنهما أبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]

١٥٣) حدّثنا خضر الهاشمي، حدّثنا يحيى الحماني، حدّثنا شريك، عن عبدالملك بن عمير[2]:

دخل يحيى بن يعمر على الحجاج، فقال الحجاج: أنت تزعم أنّ ابني علي

١- المناقب ١/ ٣٩: ١، وذكرنا تخريجاته ذيل الحديث من طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف فلاحظ.
٢- المناقب ٢/ ٥٠: ٧٠٤.
ورواه بشر بن مهران عن شريك: المستدرك ٣/ ١٦٤.
وعلي بن هلال عن شريك: أمالي الصدوق ٧٣٠: ١٠٠١. ورواه عاصم بن بهدلة: فرائد السمطين ٢/ ٧٥ و٢٠٣ و ٢٠٤، وسنن البيهقي ٦/ ١٦٦، والمستدرك ٣/ ١٦٤.
ورواه أبو حرب الدؤلي: تفسير ابن كثير ٢/ ١٥٥ عن ابن أبي حاتم.
ورواه الأصمعي: العقد الفريد ٢/ ١٤٥، و ٥/ ٢١.
ورواه الشعبي: شرح الأخبار ٣/ ٩٢: ١٠٢١٠.
وفي الكافي ٨/ ٣١٨: ٥٠١ عن أبي جارود عن الباقر نحو هذا الاستدلال لكن بآية: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ وقال: هل كان يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نكاح حليلتيهما.
تمّت ترجمة الحسن ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كتاب مناقب الكوفي.

الحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ... قال: نعم فهم ابناه، وأتلو عليك القرآن: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ [٨٥/ الأنعام ٦]... هل كان لعيسى أب... فقد نسبه الله إلى إبراهيم...

مصادر التحقيق

- الاحتجاج للطبرسي، ط قم،سنة ١٤١٣.
- أخبار إصبهان لأبي نعيم الإصبهاني، ط ١.
- أخبار الرضا ٧ للصدوق، ط بيروت، عام ١٤٠٤.
- الأربعون للخزاعي النيسابوري بتحقيقى، ط قم، عام ١٤٣٥.
- الإرشاد للمفيد، ط قم، سنة ١٤١٣.
- الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم النيسابوري، ط المدينة المنورة، سنة ١٤١٠.
- أسباب النزول للواحدي، ط بيروت، سنة ١٤١٠.
- الاستذكار لابن عبدالبر (المكتبة الألكترونية).
- الاستيعاب لابن عبدالبر، ط القاهرة، تحقيق البجاوي.
- الإصابة لابن حجر العسقلاني، ط بيروت، عام ١٤١٢.
- الاعتقاد للبيهقي، ط بيروت، سنة ١٤٠٦.
- أمالي ابن بشران، ط بيروت، سنة ١٤٢٠.
- أمالي الصدوق، تحقيق مؤسسة البعثة، سنة ١٤١٧.
- أمالي الطوسى، تحقيق مؤسسة البعثة، سنة ١٤١٤.
- الأمالي الخميسية للمرشد بالله، ط بيروت، عام ١٤٠٣.
- أمثال الحديث للرامهرمزي، ط استانبول.
- البحر الزخار للبزار، ط المدينة المنورة، سنة ١٤٣٠.
- بشارة المصطفى، ط العتبة العلوية بتحقيقي سنة ١٤٣٦.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط ١.
- تاريخ دمشق لابن عساكر، ط دارالفكر.
- تاريخ المدينة المنوّرة لابن شبّة، ط قم، عام ١٤١٠.
- التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (المكتبة الألكترونية).
- التاريخ الكبير للبخاري، ط الهند.
- تأويل الآيات لشرف الدين النجفي، ط قم، سنة ١٤٠٧.
- التدوين في أخبار قزوين للرافعي، ط بيروت، عام ١٤٠٨.
- تذكر خواص الأُمة لسبط ابن الجوزي بتحقيق تقي زاده سنة ١٤٢٦.
- التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة، ط بيروت، عام ١٤٠٦.

- تفسير ابن كثير، ط بيروت، سنة ١٤٠٢.
- تفسير الثعلبي، ط ١ مع المراجعة تارة للمخطوط.
- تفسير الحبرى بتحقيق الجلالي، ط بيروت، سنة ١٤٠٨.
- تفسير الطبري، جامع البيان، ط بيروت، عام ١٤٠٨.
- تفسير العياشي، ثلاث مجلدات، ط قم، عام ١٤٢١.
- تفسير فرات الكوفي بتحقيقي، ط طهران، عام ١٤١٠.
- تفسير القمي، ط قم، عام ١٤٠٤.
- التفسير الوسيط للواحدي، ط بيروت، عام ١٤١٥.
- تنبيه الغافلين للجشمي (المكتبة الألكترونية).
- تهذيب الأحكام للطوسي، ط طهران، عام ١٣٦٤ ش.
- تيسير المطالب فى أمالي السيد أبي طالب، ط بيروت، عام ١٣٩٥.
- الثقات لابن حبان، ط الهند، عام ١٣٩٣.
- الجامع الكبير للترمذي، تحقيق بشار عواد: سنن الترمذي.
- الجليس الصالح للنهرواني معافا بن زكريا، ط بيروت، سنة ١٤١٣.
- حلية الأولياء لأبي نعيم الإصبهاني، ط بيروت، عام ١٤٠٧.
- خصائص أمير المؤمنين للنسائي بتحقيقي، ط قم، عام ١٤١٩.
- خصائص الوحي المبين لابن بطريق الحلي تحقيق شيخنا الوالد، ط طهران، عام ١٤٠٦.
- الخصائل الكبرى للسيوطي.
- الخصال للصدوق، ط قم، عام ١٤٠٣.
- الدعاء للطبراني، ط بيروت،عام ١٤٠٧.
- الذرية الطاهرة للدولابي بتحقيق الجلالي، ط قم، سنة ١٤٠٧.
- رجال الكشي، ط طهران، سنة١٤٢٤.
- زين الفتى للعاصمي بتحقيق الوالد، ط قم، عام ١٤١٨.
- سنن ابن ماجه القزويني، ط بيروت، تحقيق محمد فؤاد.
- سنن الترمذي، ط دار إحياء التراث بيرتو.
- سنن الدارمي، ط دار الكتب بيروت.
- السنن الكبرى للبيهقي، ط الهند.
- السنن الكبرى للنسائي، ط بيروت، عام ١٤١١.

- السنة لابن أبي عاصم، ط بيروت، عام ١٤١٣.
- الشافي للسيد حمزة (المكتبة الألكترونية).
- شرح الأخبار للقاضي نعمان المغربي، ط قم، سنة ١٤١٤.
- شرح السنة للبغوى، ط بيروت، سنة ١٤٠٣.
- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المدائنى، ط مصر، ٢٠ مجلداً.
- شرف المصطفى للخركوشي، ٥ مجلدات، ط بيروت، سنة ١٤٢٤.
- الشريعة للآجري، ٥ مجلدات، ط الرياض، سنة ١٤٢٠.
- شواهد التنزيل للحسكاني، الطبعة الثالثة من تحقيق الوالد، ط قم، سنة ١٤٢٧.
- صحيح ابن حبان، ط مؤسسة الرسالة، عام ١٤١٤.
- صحيح ابن خزيمة، ٤ مجلدات، ط بيروت، تحقيق الأعظمى.
- صحيح مسلم، ٤ مجلدات، ط بيروت، تحقيق محمّد فؤاد.
- صفة النفاق لأبي نعيم الإصبهاني مخطوط.
- الضعفاء الكبير للعقيلى، ط بيروت، عام ١٤٠٤.
- طبقات المحدثين بإصبهان لأبي الشيخ، ط بيروت، سنة ١٤٠٧.
- الطبقات الكبرى لابن سعد مع القسم المتمم، ط بيروت، والمتمم طبع المدينة، عام ١٤٠٨.
- الطيوريات للسلفي (المكتبة الألكترونية).
- العقد الفريد لابن عبد ربه، ط بيروت، عام ١٤١١.
- علل الحديث لابن أبي حاتم الرازي، ط بيروت، عام ١٤٠٥.
- علل الشرائع للصدوق، ط النجف، عام ١٣٨٥.
- العلل المتناهية لابن الجوزي، ط بيروت، سنة ١٤٠٣.
- عيون الأخبار للبغدادي، مخطوط وطبع بعضه فى مجلة ميراث حديث.
- الفتن للمروزي، ط بيروت، عام ١٤١٤.
- فرائد السمطين للحموبي، بتحقيق الوالد، ط بيروت، عام ١٣٩٨.
- فردوس الأخبار للديلمي، ط بيروت، عام ١٤٠٧.
- فضائل ابن شاذان: مئة منقبة.
- فضائل أهل البيت لأحمد وابنه عبد الله والقطيعي بتحقيقي، ط قم.
- الكافي للكليني، ط طهران، ٨ مجلدات، وط دار الحديث بقم ١٥ مجلداً.

- قرب الإسناد للحميري، ط قم، عام ١٤١٣.
- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، ط بيروت، عام ١٤٠٩.
- كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي، ط بيروت، سنة ١٣٩٩.
- كشف الغمة للإربلي، ط قم وبيروت، نشر المجمع العاملي لأهل البيت.
- كتاب سليم تحقيق الأنصاري، ط قم، سنة ١٤١٥.
- الكنى والأسماء للدولابي، ط بيروت، سنة ١٤٢١.
- اللآلي المصنوعة للسيوطي، ط بيروت، عام ١٤٠٣.
- المؤتلف والمختلف للدارقطني، ط بيروت، عام ١٤٠٦.
- مئة منقبة لابن شاذان بتحقيقي، ط قم، سنة ١٤٣٥.
- المتفق للخطيب البغدادي، ثلاث مجلدات (المكتبة الألكترونية).
- المجالسة وجواهر العلم للدينوري، ١٠ مجلدات، ط بيروت، عام ١٤١٩.
- المجروحون لابن حبان البستي، ط مكة المكرمة.
- محاسن الأزهار لابن حميد المحلي، بتحقيق الوالد، ط قم، عام ١٤٢٢.
- المستدرك الحاكم، ط الهند.
- المسلسلات للقمي، مطبوع ضمن جامع الأحاديث، ط مشهد الرضا، عام ١٤١٣.
- مسند ابن جعد، ط الكويت، عام ١٤٠٥.
- مسند أبى بكر للمروزي (المكتبة الألكترونية).
- مسند أبى يعلى الموصلي، ط بيروت، عام ١٤٠٤.
- مسند أحمد، ٥٠ مجلداً، ط بيروت، مؤسسة الرسالة.
- مسند الطيالسي، ط الهند، عام ١٣٢١.
- مشكل الآثار للطحاوي، ط بيروت، عام ١٤٣١، تحقيق الأرنؤوط.
- مصنف ابن أبي شيبه، ط بيروت، عام ١٤١٦، وتارة من طبعات أُخرى.
- معاني الأخبار للصدوق، ط قم، سنة ١٣٦١ ش.
- معجم شيوخ ابن الأعرابى، ط الدمام، والأحساء، عام ١٤١٨.
- معجم شيوخ ابن جميع الصيداوي، ط بيروت، عام ١٤٠٧.
- معجم شيوخ أبي يعلى الموصلي، ط بيروت، عام ١٤١٠.
- معجم الصحابة للبغوي، ط الكويت (المكتبة الألكترونية).
- المعجم الكبير للطبراني، ط بيروت، تحقيق حمدي السلفي.

- المعجم الأوسط للطبراني، ط الرياض، عام ١٤٠٥.
- المعجم الصغير للطبراني، ط بيروت، عام ١٤٠٣.
- معرفة الصحابة لأبي نعيم الإصبهاني، ٥ مجلدات، ط بيروت، عام ١٤٢٢.
- المعرفة والتاريخ للبسوي، ط بغداد، عام ١٣٩٤.
- مقاتل الطالبيين لأبي فرج الإصبهاني، ط قم، عام ١٤١٤.
- مقتل الحسين ٧ للخوارزمي، ط قم، مكتبة المفيد.
- مكارم الأخلاق للطبرسى، ط قم، عام ١٤١٤.
- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب السروي الحلبي، ط قم وبيروت.
- مناقب أمير المؤمنين للكوفي، الطبعة الثانية من تحقيق الوالد، ١٤٢٣.
- مناقب أهل البيت لابن المغازلي بتحقيقي، ط مجمع التقريب، ١٤٢٧.
- المناقب للخوارزمي بتحقيق الشيخ مالك، ط قم، عام ١٤١١.
- منتخب السياق للفارسي، ط طهران، بتحقيقي، ط مكتبة مجلس الشورى الإسلامي.
- موضح أوهام الجمع للخطيب، ط الهند، عام ١٣٧٩.
- الموضوعات لابن الجوزي، ط بيروت، عام ١٤١٥.
- نزهة الأبصار للمامطيرى بتحقيق الوالد.
- نظم درر السمطين للزرندي، ط طهران، تحقيق هادي الأميني.
- اليقين لابن طاووس، ط قم، سنة ١٤١٨.

فاعليـــــة الانزيـاح التركيبـي وأثرهـــا فـــي المتلقـي

خطب الإمام الحسن عليه السلام أنموذجاً

أ. محسن بدر نادر

المقدمة:

الانزياح مفهوم نقدي حديث، له جذور بلاغية تعود إلى البلاغة القديمة، إذ فرَق أرسطو بين اللغة العادية المعروفة والمشهورة وبين اللغة الغريبة غير المألوفة، ليؤكد أن الثانية هي اللغة الإبداعية الأدبية ؛ كونها تدل على التجدد والحركة الفاعلة والحياة، أما اللغة العادية فهي تدل على السكون والنمطية المملة.

وتعد صور الانزياح حاضرة في البلاغة العربية القديمة بالرغم من عدم معرفة المصطلح، إذ درسوا الخروج عن المألوف بمسميات متباينة، فبحثوا في الاستعارة، والتقديم والتأخير، والعدول وغيرها، ويعد عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) من أبرز النقاد الذين بحثوا في مواضيع لها صلة بمفهوم الانزياح بالمعنى الحديث، إذ أولى اهتماماً خاصاً بمفهوم العدول ؛ كونه يعد سمة هامة في الأدب العربي، أما العصر الحديث فقد أولى النقاد العرب هذا المفهوم اهتماماً واسعاً، ويمكن أن نعد صلاح فضل وعبد السلام المسدي وغيرهم من الذين اهتموا بمفهوم الانزياح، إلا أنهم اصطلحوا عليه اصطلاحات عدة تتداخل معه، منها العدول والتغريب، والعدول هو الانتقال بالألفاظ من السياق المألوف إلى سياقها الجديد غير المألوف أو العادي، وكذلك التغريب فهو الخروج على المعتاد، وذلك لصدم أفق انتظار المتلقي، ليكون متفاعلاً مع النص، من خلال التنويعات الفنية الجمالية، لذا سنتوخى تبيان مفهوم الانزياح في اللغة والاصطلاح عند نقاد العرب والغرب، ليتسنى للباحث الخوض في دراسة مظاهر جمالية الانزياح في خطب الإمام الحسن عليه السلام وأثرها على وعي ووجدان المتلقي من خلال الدرس التطبيقي.

وقد ورد مفهوم الانزياح في اللغة من الجذر(ز،ي،ح)، أي أزاح الشيء أو أزح الشيء، ويزيح زيحاً وزيوحاً، وهو يدل على زوال الشيء وذهب وتباعد، وجاء بمعنى أزاح الأمر أي قضاه[1]، وفي حديث كعب بن مالك: أزح عني الباطل[2] أي أبعده،

١- لسان العرب، ابن منظور، مادة زيح،٤/ ٦٩٦.
٢- المصدر نفسه.

فبهذا المعنى اللغوي يكون له علاقة بالتباعد والذهاب والتنحي، وهي تدل على تغير حالة معينة وعدم الالتزام بها، وارتبطت أيضاً الدلالة اللغوية بغير المكان كالزوال منه كما في: «زاح عنه المرض».

أما الانزياح على أنه مفهوم اصطلاحي فهو يشابه الدلالة اللغوية إذ يدل على الخروج عن المألوف والعادي أو المعتاد، والابتعاد عن المتعارف عليه والسائد، ويرى جان كوهين: « أن الشعر انزياح عن معيار قانون اللغة، فكل صورة تخرق قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها هو انزياح»[١]،إذ يعده شرطاً من شروط الشعر الضرورية، بل يؤكد (كوهين) أن لا شعر يخلو من الانزياح[٢]، أما (بسام قطوس) فيرى أنها ظاهرة أسلوبية ونقدية وجمالية يعنى بها النقد الحديث، بالرغم من كونها موجودة في النقد العربي القديم من خلال الاستعارة والمجاز بمسميات الاتساع أو التوسع والعدول[٣]، في حين يرى محمد السد) أن ظاهرة الانزياح هي حدث لغوي جديد ينأى بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف، وينزاح بأسلوب الخطاب عن السنن الشائعة)[٤]، وقد عرف(ويس) مفهوم الانزياح بأنه استعمال المبدع للغة (مفردات، تراكيب، صور) استعمالاً يخرج به عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وأبداع وقوة جذب وأسر[٥].

والانزياح هو إضافة جمالية من خلالها يعمل المبدع على نقل تجربته الشعورية الى المتلقي والسعي للتأثير في وجدانه، إذ يتحقق من الخروج عن المعتاد والمألوف أو التنحي عن السائد القيمة الجمالية للتعبير، فإن خرق التوقع والخروج عن المألوف يعد معياراً هاماً لتحقيق جمالية النص، ويرى الباحث أن الانزياح هو مخالفة النمط المتعارف عليه أو المعتاد أو المتداول الى أسلوب جديد غير معتاد

١- جون كوهين: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ٦.
٢- المصدر نفسه.
٣- مناهج النقد الأدبي، بسام قطوس،١٩٩.
٤- الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد،١/ ١٦.
٥- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، محمد ويس ١/ ٧.

ولا مألوف عن طريق استغلال إمكانية اللغة ووظائفها الكامنة.

فالانزياح هو خطأ مقصود يخرج به كاتبه عن النمط التعبيري المألوف والمتواضع عليه والقواعد اللغوية التي تعد معياراً جارياً على أَلسِنَة الناس، وهذه الظاهرة إنما تنتج من عبقرية اللغة التي تسمح لمستعملها أو المتكلم بها بالابتعاد عن المألوف محدثاً اضطراباً يصبح هو نظاماً جديداً في متن النص الأدبي[1]، والانزياح التركيبي هو المستوى الذي تتراص فيه المفردات وتتآلف وفق نظام من العلاقات بحيث تشكّل عبارات، أو جملاً تنطوي على دلالة تسمّى الدلالة التركيبية، ويُطلق على هذا النَّظْم - في اللسانيات الحديثة - مصطلح «السياق اللغوي»، وبتعبير آخر فإنّ السياق اللغوي هو الوسط اللغوي الذي تتفاعل بداخله اللفظة تفاعلاً يخضع لضروب من العلاقات التركيبية، إذ ليست الكلمة وحدة لغوية وحيدة، ولا تُستعمل منعزلة عن أخواتها، فالسياق ـــــ اللغوي كما عبّر عنه أحد الباحثين ـــــ هو «النَّظْم اللفظي للكلمة وموقعها داخل هذا النظم[2]، إذ إنّ الوقوف عند هذا المستوى وتفكيك بنيانه يساعد كثيراً على إجلاء اهتمامات المبدع، وإبراز الحركة النفسية المتفاعلة داخل الموقف الشعوري بشكل خاص؛ ذلك أنّ لطبيعة الجمل (اسمية/ فعلية) وطولها أو قصرها وتلاحقها أو انقطاع الوصل بينها...إلخ، علاقة أكيدة بما تختلج به نفسية منشئ النص في تفاعلها مع مستلزمات اللحظة الشعورية، إذ يقع هذا المستوى على تفعيل الحراك اللغوي والنحوي والصرفي ضمن إيقاع التركيب العام، فهو يشتمل على ظواهر عدة منها: « التكرار، النسقية، التشاكل، التباين « إذ إن هذه العلائق يمكن إيجادها في ضوء البنية الكلية للنص الخطابي، إذ يتضح ذلك جلياً من خلال نصوص الإمام الحسن عليه السلام في اعتماده على الجمل الفعليّة، كونها تشكِّل جزءاً كبيراً في نصه، وما يعرف عن الجملة الفعليّة أنّها ترجمان لحركيّة الذات في تفاعلها مع الأحداث

١ - كوثر محمد علي محمد صادق جبارة قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية – عقرة، جامعة دهوك، إقليم كردستان – العراق.

٢ - فاعلية السياق وحيز المعنى، ستيفن أولمان،٥٥.

ضمن البعد الزمنيّ، والاعتماد شبه الكلّي على هذا النمط التركيبي يُشعِر المحلّل بأنّه أمام ذات مبدعة لا تكاد حركيّتها النفسيّة تهدأ، وتستقرّ على حال واحدة، ففي مثل هذا الاستعمال دلالة على قوّة الانفعال، على أن نفهم القوّة هاهنا بأنّها الكثرة لا الدرجة العالية.

والانزياح التركيبي هو خروج إبداعي جمالي يقوم على كسر الهياكل الثابتة للقواعد النحوية لكي يبنيها من جديد مع إعطائها طابعاً إبداعياً وجمالياً، ويتحقق الانزياح من مظاهر عدة، منها مخالفة الترتيب المكاني في الجمل الإسمية والفعلية، وكذلك ينتج من الحذف أو الاختزال، والتقديم والتأخير والالتفات وغيرها.

وتتجسد جمالية الانزياح التركيبي في خطبه عليه السلام عبر مخالفة الترتيب المكاني في الجملة الاسمية والفعلية، من خلال تغيير الموقع الأصيل للجملة أو النص أو الفقرة ؛ لتحقق أغراضاً و قصديات عديدة، وللناقد الكبير (عبد القاهر الجرجاني) وقفات عميقة في إبراز ما لهذا المنحى من أسرار ترسخ حركية النظم وما يولده من متعة وأريحية إذ يقول: في التقديم والتأخير: « باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر، فتجد أن سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان»[1] فالانزياحات التركيبية تتصل بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية عندما تخرج من قواعد النظم والتركيب مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات والجمل، أما الانزياحات الاستبدالية فتخرج من قواعد الاختيار للرموز اللغوية، مثل وضع المفرد مكان الجمع أو الصفة مكان الموصوف، أو اللفظ الغريب بدل اللفظ المألوف[2].

وقد اشتمل البحث على مقدمة وضحنا فيها مفهوم الانزياح بشكل عام

١- المصدر نفسه.
٢- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، ط٢، ص١٥٥ -١٥٦.

والتركيبي بوجه خاص، ثم درسنا في المبحث الأول الانزياح التناوبي في التقديم والتأخير، وجاء المبحث الثاني موضحاً دلالة الانزياح في تقديم الخبر على المبتدأ، وتابع الباحث في المبحث الثالث الانزياح الاختزالي وفاعليته في تعدد المعنى، لينتهي البحث بخاتمة.

المبحث الأول
فاعلية الانزياح ألتناوبي

ويتضح من ظاهرة الانزياح التركيبي عملية التناوب في التقديم والتأخير، والتي تعد من الموضوعات التي تناولها الدارسون بالعرض والتحليل للوقوف على مدى شجاعة اللغة العربية في الخروج على المألوف الذي جاء في تركيبهم، ولكن هذا الخروج على المعهود لم يكن ضرباً من التخبط والعشوائية، إذ كان له ما يبرره ويسوغه، وكانت له دواع اقتضاها التعبير أو المقام أو السياق الذي جاء فيه التغيير المتحدث عنه، إذ يتبين لنا في خطبته عليه السلام بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام بقوله: (أيها الناس في هذه الليلة نزل القرآن، وهي ليلة القدر، وفي هذه الليلة رفع عيسى بن مريم عليه السلام،وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون، وفي هذه الليلة قتل أبي أمير المؤمنين عليه السلام، والله لا يسبق أبي أحدٌ كان قبله من الأوصياء إلى الجنة...)[1] إذ قدم شبه الجملة (في هذه الليلة) على الجملة الفعلية (نزل القرآن)، فقد أراد أن يعطي للزمن موقعاً هاماً بين حادثة القتل المروعة لشخصية عالية المقام والرفعة في الأمة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي الليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن

١- المستدرك، الحاكم النيسابوري، ١٥٨-١٥٩.

بقوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر**﴾ [1].

فجمالية النص تعطي اعتقاداً فاعلاً لدى المتلقي بأنه يتابع جملة من الفعاليات والنشاطات الأسلوبية والموضوعية الجمالية التي تدل على الفطنة الأدبية التي إمتاز بها الإمام عليه السلام عند الخاصة من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن كفاءته الخطابية النابعة من امتلاكه ثروة لغوية معجمية منقطعة النظير منبعها النص القرآني، إذ إن تلك المؤثرات الجمالية لها دلالة واضحة على تربية الإمام عليه السلام الإيمانية الصادقة، وقد أراد أن يعزز خطابه بقوله: (وفي هذه الليلة رفع عيسى بن مريم عليه السلام، وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون) إذ أتضح في هذا التقديم والتأخير التأشير إلى الروابط العلائقية ما بين شخصيتين هامتين هما النبي (عيسى) والوصي (يوشع بن نون) عليهما السلام، فهذا الارتباط العلائقي في الزمن يبرهن على القيم المثلى التي يمتلكها كل منهما، ثم ربط صور مجريات وبشاعة ما جرى عليها إلى جانب أبيه عليه السلام، فقد أكد عليه السلام عظمة الحدث من خلال التكرار المتوالي لتقديم الجملة الاسمية على الجملة الفعلية في تلك الأحداث التي توافقت مع زمن الحدث الجلل الذي تعرض له الإمام علي عليه السلام، فجمالية التقريب بين صور تلك الحوادث وفظاعتها (صلب عيسى عليه السلام وقتل يوشع بن نون) هي أعمق تأثيراً على وجدان المخاطب من خلال إشراكه في الحزن العميق عبر تلك الحادثة التي هزت مشاعر العالم الإسلامي، فالتأثيرات اللغوية التي إعتمدها الإمام عليه السلام تغوي وتؤثر بقيمها التعبيرية على وعي ووجدان المتلقي، ومن جانب آخر نجده عليه السلام قدم تلك الجمل الثلاث على جملة (وفي هذه الليلة قتل أبي)، وهي على شاكلة التقديم بين شبه الجملة والجملة الفعلية، إذ قدم تلك الحوادث الهامة لقدسيتها ؛ كي يضفي على شخصية الإمام عليه السلام القداسة والإيمان من خلال تلك المقاربة النصية، فضلاً عن الأهمية

١ – سورة القدر.

الإثارية لتلك المناسبة وما فيها من البلاغ المؤثر عن رحيل الإمام علي عليه السلام.

وكذلك نلحظ الجمالية الإبداعية عبر الترابط الهام والانسجام الواضح والتوافق التام والرمزية الكبرى لارتباط الإمام عليه السلام والقرآن الكريم من جانب، والإمام عليه السلام ونبي الله عيسى عليه السلام، والوصي يوشع بن نون عليه السلام من جانب آخر، إذ أعطى قيمة عليا لمكانة الإمام عليه السلام قياساً بهاتين الشخصيتين الهامتين، وهي قصدية مؤثر أرادها منها الإمام عليه السلام إدهاش المتلقي في التعرف على عظيم الارتباط الزمني لتلك الحادثة مع حوادث هامة لها وقعها الآثاري في النفوس، فمن خلال الانزياح التركيبي يبرز البعد الجمالي للغة من خلال التصور الأسلوبي لها بوصفها فنًا إبداعياً تعبيرياً يبلغ ذروته الجمالية في العمل الأدبي،» فتخير الألفاظ وإبدال بعض من بعض يوجب التئام الكلام، وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته[1]» فإن إنتاج تلك القيم البلاغية ينتهي المطاف بها إلى إنتاج الجمالية الأدبية التي تتضح من إنتاج القيم التعبيرية المولدة للأريحية والتقبل والهيمنة الدلالية، ويمكن أن نجمل أن الغاية المثلى أو القصدية الغائية من الانزياح التركيبي المتمثل في التقديم والتأخير هو التأكيد والتضخيم لتلك الحادثة في ذهن ووجدان المتلقي، إذ أراد توجيه المتلقي نحو مكانة الإمام عليه السلام من جانب، وشد انتباهه نحو عظم الجريمة الكبرى التي تعرض لها الإمام من جانب آخر، التي تدل على الدقة والمهارة التي استخدمها الإمام عليه السلام في هذا الأثر على وجه الخصوص، إذ إن تجذر الوجهة اللغوية الجمالية الإبداعية والفنية في الذات (المنشئة / الإمام) عليه السلام جعلت كل نزوح تعبيري لاحقاً بالغرض الإمتاعي الذي يبتغيه، ومن البديهي أن أهم مسوغات المنهج الجمالي هي تسويق اللذة والإمتاع إلى المتلقي، كون كل عمل فني إبداعي لا بد أن يثير في وعي ونفسية المتلقي قدراً من اللذة الإمتاعية الجمالية، إذ إن هذه الإمتاعات تتحقق بعامل الذائقة المبني على الأسس والمعايير الجمالية لا على الذوق الشخصي السائب، لذا فإن مفهوم الانزياح يغدو مغامرة تجوب فضاء

١ – الصناعتين، أبو هلال العسكري، ٥٧.

النص الشعري وما يلفه من مفارقات لغوية، فيصبح الدال مدلولاً، والمدلول دالاً، والمستحيل ممكناً، فتبوح اللغة بأسرارها، وتقول ما لم يصدح به الواقع... فوظيفة الانزياح من هذا الجانب» لا تتوقف عند خلق توتر بين الدال والمدلول، ولكنها[1] تجعلنا نرى الأشياء والعلاقات بطريقة مغايرة من زوايا متباينة.. « فضلًا عن تحقق اللذة والإمتاع عبر الإثارة والتحفيز من خلال تعالي مستوى الجمالية الفنية في العمل الفني الإبداعي الحقيقي الصادق لا العمل الزائف المبني على الحقائق المشوهة والمحرفة، فما تقدم من خطب الحسن عليه السلام دلالة واضحة على مصداقية خطابه ودقته، إذ أراد من ذلك الغائية الإثارية الفاعلة في المتلقي ؛ كي يميط اللثام عن الوجه الحقيقي للسلطة، التي اتكأت على كل أساليب الزيف والتحريف والتشويه وقلب الحقيقة، عبر اختلاق فضائل للخلفاء بوجه عام ولبني أمية بوجه خاص، كونهم أئمة هدى وتقوى، وحججاً على المسلمين كافة، ويقابل تلك الفضائل المزعومة التشديد في منع المرويات التي تؤكد فضائل أهل البيت عليهم السلام والسعي الجاد في تغييب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على إمامتهم والإشادة بهم عليهم السلام، فضلاً عن الترويج الى مرويات قبيحة في الإمام علي عليه السلام للتهكم من شخصيته الفاضلة، وإيجاد الذريعة لتبرير لعنه وسبه على منابر المسلمين، ولا سيما في مسجد رسول الله ومن على منبره صلى الله عليه وآله وسلم. (البدري، ص٢٠٠ -٢١٠).

١ - سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين «راسة نقدية» ص٢٩٨. ط١.

المبحث الثاني
إيثارية تقديم الخبر على المبتدأ

تتحقق عملية الانزياح التركيبي عبر تقديم الخبر على المبتدأ، عندما يكون الخبر شبه جملة من الجار والمجرور، إذ يتضح جلياً في خطبته رداً على بني أمية بقوله: (ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة، ولكن من الإفك أن ينطق بالخنا، ويصور الكذب في صورة الحق...)[1]، فقد قدم خبر ليس (من الحزم) على المصدر المؤول من أن والفعل يصمت، وهو اسم ليس، وتقدم خبر لكن (من الإفك) أيضاً على المصدر المؤول من أن والفعل ينطق، وهو اسم لكن، إذ عزز في هذا الاستخدام تمكين الخبر في وعي وذهنية المتلقي، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه، فالحزم هو جودة الرأي وشدة الشيء وجمعه [2]، وتقدير الكلام (ليس الصمت من الحزم) والحزم يعد مدار الخطبة إذ قابله بالإفك للآخر (الناطق بالخنا) ومصور الكذب بصورة الحق، فالانزياح بوصفه ظاهرة خروج فردية ترتكز على توجه تفكير الأديب، المراد منها السمو بجمالية النص من خلال الخروج عن المعتاد وغير المألوف الذي يؤدي بدوره الى ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر[3]، وتجدر الإشارة الى أن هذا التقديم في الخبر على المبتدأ هو استثارة وعي المتلقي إلى إمكانية الرد على الحجج الواهنة التي اتكأ عليها بنو أمية في خلط الأوراق على العامة وتضليلهم عن اتباع أهل الحق، إذ إن تلك الإثارة الفاعلة أسبغت قيمة جمالية فنية على النص.

وجاء أيضاً في الخطبة (الثالثة والأربعين) (وأنشدكم الله هل تعلمون انه بايع البيعتين كلتيهما، بيعةَ الفتح وبيعةَ الرضوان[4]، وأنت يا معاويةُ بإحداهما كافرٌ،

١- المحاسن والأضداد، الجاحظ ١٢١-١٢٢.
٢- معجم مقاييس اللغة ٢ /٥٣.
٣- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، محمد ويس، ص٧، ط١.
٤- بيعة الرضوان: وتسمى بيعة الشجرة نسبة إلى الشجرة التي بايعهم الرسول ﷺ على أن لا يفروا في غزوة الحديبية، وهي شجرة أو أراك عند بئر الحديبية، ويقال لها بيعة الرضوان لقوله تعالى((لقد رضي الله عن المؤمنين)) وقد سبق أمير المؤمنين عليه السلام الصحابة كلهم فيها.

وبالأخرى ناكث،)، إذ قدم شبه الجملة من الجار والمجرور (بإحداهما) في محل خبر على المبتدأ (كافر)، وكذلك عزز عبارته بتقديم الخبر من شبه الجملة الجار والمجرور المعطوفة على الجملة الخبرية (بإحداهما كافر) على المبتدأ (ناكث)، إذ كان الخبر متصدراً الجملة الخبرية، وقد جاء بتلك الصورتين ليحقق الغرض الهام، وهو توكيد الخبر لدى المتلقي من جانب، ولتشخيصه والاقتصار عليه في تحديد كفره ونكثه بكلا البيعتين ؛ لتوبيخه وفضحه أمام المتلقي من جانب آخر، إذ إن من أهم الدواعي والأغراض لتقديم الخبر على المبتدأ التوكيد والإخبار والتشخيص والقصر والتوبيخ، فهذا الخروج عن المعيار اللغوي في تأخر المبتدأ عن الخبر، ما هو إلا جمالية إبداعية خلاقة أضفاها الإمام في خطبته ؛ لتفضح معاوية وتشخصه بهذه الصور التي لمعتها أقلام سلطته القائمة على الخديعة والتحريف والكذب، إذ قدم الإمام عليه السلام الأدلة الدامغة على كفر معاوية وعدم إيمانه بالرسالة السماوية، بعدما كان علي عليه السلام (بابٌ من دخله كان امناً، ومن خرج منه كان كافراً)، أو كما قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي أمير المؤمنين عليه السلام: يا أَبا الْحَسَن! لَوْ وُضِعَ إِيْمَانُ الخَلاَئِقِ وَأَعْمالُهُم فِي كَفَّةِ مِيْزَانٍ، وَوُضِعَ عَمَلُكَ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى كَفَّةٍ أُخْرَى، لَرَجَحَ عَمَلُكَ عَلَى عَمَلِ جَمِيْعِ الخَلاَئِقِ، وَإِنَّ اللهَ باهَى بِكَ يَوْمَ أُحُدٍ مَلاَئِكَتَهُ المُقَرَّبِيْنَ، وَرَفَعَ الْحُجُبَ مِنَ السَّمَواتِ السَّبْعِ، وَأَشْرَفَتْ إِلَيْكَ الْجَنَّةُ وَما فِيْهَا، وَابْتَهَجَ بِفِعلِكَ رَبُّ العَالَمِيْنَ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالى يُعَوّضُكَ ذَلِكَ اليَوْمَ ما يُغْبِطُ كُلَّ نَبِيّ وَرَسُولٍ وَصِدّيْقٍ وَشَهِيْد[1].

وفي موضع آخر من الخطبة نفسها يقول: (ثم لقيكم يومَ أحد ويوم الأحزاب ومعه رايةُ رسول اللهُ صلى الله عليه وآله وسلم، ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفي كل ذلك يفتح الله له)[2]، إذ قدم الخبر من شبه الجملة (ومعك ومع أبيك) على المبتدأ (راية الشرك)، وعززها أيضاً بما بعدها في قول رسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم (في تلك المواطن

١ - ينابيع المودة، الحافظ القندوزي، ١/٧٦.
٢ - المصدر نفسه.

كلها عنه راضٍ، وعليك وعلى أبيك ساخط)، فقد قدم الخبر في (وعليك وعلى أبيك) على المبتدأ (ساخط) ليؤكد الإمام عليه السلام على وجود راية الشرك معهما بوصفهما سادة آل أمية، ويقصر عليهم سمة السخط وعدم الرضا بما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهو بصريح العبارة تأشير وإخبار للمتلقي لكفرهم وسخط النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، ومن سخط عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد باء بسخط من الله تعالى، إذ نلمح من ذلك شد انتباه المتلقي إلى التوبيخ الفاضح في النص على معاوية وأبيه من الله ورسوله وسخطه عليهما، فقد أضفى هذا الخروج عن المألوف وخرق النظام اللغوي المعتاد وتجاوز السائد في تقديم الخبر على المبتدأ لمسة جمالية فنية إبداعية، مارسها الإمام لنقل تجربته الشعورية إلى المتلقي والتأثير فيه، إذ لا يمكن أن نعد الخروج عن المألوف خرقاً للنظام ما لم يحقق قيمة جمالية فنية.

وكذلك نلمح خرق النظام اللغوي من تقديم الخبر على المبتدأ في قوله عليه السلام: (والله ما نشعر بعداوتك إيانا، ولا اغتممنا إذ علمنا بها، ولا يشقُّ علينا كلامُك)[1]، إذ قدم شبه الجملة (علينا) على المبتدأ (كلامك) ليكون تقدير الكلام (لا يشق كلامك علينا) إذ أراد أن يؤخر (كلامك) العائد على المغيرة بن شعبة عن (علينا) العائد بالضمير (نا) على أهل البيت عليهم السلام والمتمثل بالخطيب، فقد قدم الإمام نفسه عليه السلام على المغيرة، إذ إن الخبر وصف للمبتدأ وفي الآن ذاته هو من يحاكم المبتدأ، لذا أراد عليه السلام أن يؤكد للمتلقي مكانته في صدارته للكلام على المغيرة، وهو تأشير واعٍ على تشخيصه هو ومن تبعه، فضلاً عن توبيخه والتهكم منه من خلال تأخيره والتقدم عليه في ترتيب الكلام، إذ حاول الإمام عليه السلام أن يمثله بالبعوضة في قوله: (وإنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة) مقارنة بالنخلة الدالة على الإمام عليه السلام، فالفرق واضح بين النخلة المعطاء الدالة على الخير والبركة والنماء والعطاء الجزيل والبعوضة التي تعتاش على الدماء المصحوبة بالألم والأذى للناس، فقد أوجد هذا الخرق في النظام اللغوي قيمة جمالية للنص أعطت كل ذي حق حقه

١- ينابيع المودة، الحافظ القندوزي، ١/ ٧٦.

مـن المكانـة والمقـام مـن خـلال التشـخيص والقـصر مـن جانـب الطرفـين كليهـما، والتوصيـف الفاضـح مـا بـين الصورتـين (النخلـة والبعوضـة) الـذي اسـتتبع الجملـة الخبريـة، ليحقـق الغـرض والقصديـة الغائيـة في توبيـخ المغـيرة عـلى أشـهاد النـاس مـن جانـب آخـر.

وفي موضـع آخـر مـن الخطبـة (الثالثـة والأربعـين) إذ اعتمـد قـول الرسـول صلى الله عليه وآله في لعـن أبي سـفيان بقولـه: (ولعـن القـادة والأتبـاع، وقال:(ملعونـون كلهـم وليـس فيهـم مـن يؤمـن))، فقـد قـدم الخـبر مـن الجملـة (ليـس فيهـم) عـلى المبتـدأ الاسـم الموصـول (مـن)، فقـد أكـد الإمـام عليه السلام للمتلقـي مـن خـلال هـذا التقديـم في الجملـة الخبريـة الغائيـة الدالـة عـلى لعـن النبـي صلى الله عليه وآله إليهـم أجمعهـم (آل أميـة)، عـبر التشـخيص إليهـم والقـصر والاقتصـار عليهـم كونهـم لم يكـن فيهـم مـن آمـن بـالله ورسـوله طرفـة عـين أبـداً، لـذا تتضـح لنـا الفائـدة مـن عمليـة خـرق المألـوف في تقديـم الخـبر عـلى المبتـدأ، بالإيحـاء والتأشـير إلى المتلقـي للتعـرف عـلى مـا كان عليـه (آل أميـة) ومـدى علاقتهـم بالإسـلام المحمـدي، فقـد حـاول الإمـام عليه السلام مـن خـلال تلـك الاسـتخدامات الانزياحيـة التركيبيـة إشـهار الصـورة المدلسـة التـي تتخفـى وراءهـا الصـورة الحقيقيـة لشـخصيات السـلطة الأمويـة، التـي سـعت وبـكل مـا تمتلـك مـن قـدرات إلى تشـويه صـورة الإسـلام بوجـه عـام وأهـل البيـت عليهم السلام بوجـه خـاص، فقـد ورد عـن الدكتـور حسـين عطـوان (ولم يـزل الخلفـاء الأمويـون يحظـرون روايـة المغـازي والسـير إلى نهايـة القـرن الأول، فلـما اسـتخلف عمـر بـن عبـد العزيـز أقـر بمـن سـبقه مـن الخلفـاء الأمويـين أنهـم حاربـوا المغـازي والسـير، ومنعـوا أهـل الشـام مـن معرفتهـا، ودفعوهـم عـن الاطـلاع عليهـا وردعوهـم عـن الاشـتغال بهـا، وأنكـر صنيعهـم وشـهر بـه...)[1]، إذ حـاول الأمويـون إخفـاء المـوروث الإسـلامي عـن الوعـي الشـعبي لأهـل الشـام ؛ كـي لا يتعرفـوا عـلى فضائـل النبـي صلى الله عليه وآله وسـيرته، فضـلاً عـن مكانـة عـلي عليه السلام ودوره الرائـد في الإسـلام، والصفـات التـي وصفـه بهـا النبـي صلى الله عليه وآله كقولـه صلى الله عليه وآله (عـلي مـع الحـق،

١ – رواية الشاميين للمغازي والسير في القرنين الأول والثاني، حسين عطوان،٢٢.

والحق مع علي، يدور معه حيث ما دار) وقوله فيه بعد سد الأبواب المطلة على المسجد (باب علي بابي وحجابه حجابي)، وقد قابلوا ذلك بقلب الحقيقة وخلط الأوارق عن عامة أهل الشام، ليكون معاوية خال المؤمنين وأنه كاتب الوحي، تحريفاً وتزييفاً وتزويراً.

لذا نجد أن الإمام الحسن عليه السلام قد استخدم الطرق التعبيرية الناجعة والاستخدامات المثلى التي أعطت قيمة فنية وجمالية إبداعية لنصه؛ للرد على تلك المحرفات والتشويهات التي ساقتها السلطة وأقلامها (التي سنتعرض إليها لاحقاً)، والسعي الجاد إلى توعية المتلقي وشد انتباهه لتلك النصوص. إذ إن إنتاج القيم اللغوية ينتهي المطاف بها إلى إنتاج الجمالية الأدبية، التي تتبلور مجمل تجلياتها عبر إنتاج القيم التعبيرية المولدة للأريحية والتقبل والهيمنة الدلالية، لذا يمكن القول: إن توجيه اللغة توجيهاً جمالياً يفاجئ المتلقي، ويستثير حساسيته لتحقق اللذة والمتعة والتي تؤدي بدورها إلى تقبل النص والتأثر به.

المبحث الثالث
الانزياح الاختزالي وتنوع الدلالة

يدل الاختزال على الخفاء والاستبعاد بغية تعدد الدلالة وتنوعها، لتكون وظيفة الخطاب الإشارة أو الإيحاء لا التحديد العيني، فالتحديد يبعد المتلقي عن المشاركة في معرفة دلالات النص الجديدة،إذ إنه يحمل بذور انغلاق النص على نفسه، أما الحذف فهو لعبة لغوية مقصودة يوظفها المبدع ليصل بنصه إلى أعلى درجات الجمالية، معتمداً على التلميح ليصل بنصه إلى قراءات متعددة، والحذف نتاح الانزياح التركيبي كونه يسهم في تحقيق سلاسة اللغة بوصفها أداة اتصال فعالة ؛ ليمثل تخفيفاً فنياً في اندفاع الكلام[1]، وقد وضع الرماني (٣٨٤هـ) شرطاً للحذف، فهو عنده «إسقاط كلمة الاجتزاء عنها بدلالة غيرها في الحال أو فحوى الكلام[2]».

وقد تناول البلاغيون الحذف ضمن مباحث علم المعاني في سياقات الكلام التي يرد فيها حذف أحد أطراف الإسناد، ذلك من منطلق أن النظام اللغوي يقتضي في الأصل ذكر هذه الأطراف، وقد عالجت الدراسات الأسلوبية ظاهرة الحذف بوصفها انزياحاً عن المستوى التعبيري الاعتيادي والمألوف، وهذا ما جعل الأدباء يسلكون هذا المسلك كثيراً في نصوصهم، فقام عليه أحد المذاهب الرمزية كونه يقوم على رفض الأساليب التقليدية المتعارف عليها والمعتادة، إذ كان هذا المذهب احتجاجاً على الروح البرجوازية في القرن التاسع عشر وهذه الفلسفة الوضعية والمادية والواقعية العلمية، وذلك لتحقق صفاء النص وسمو جماليته[3]، وهو قائم على مبدأ التلميح لا التصريح ؛ بوصف الأخير يفسد الأدب حين التجاء الأديب إلى التلميح لتعدد وجوه التفسيرات والإيحاءات الممكنة للنص الواحد، إذ

١- من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة الصقر لأودنيس، مجلة جامعة دمشق مج٢٣،ع١، ١٢٧.
٢- النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ٧٠.
٣- الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، د.سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ٧.

إن الإيحاء يتطلب منه ألا يصرح بكل شيء، وصاحب النص له أساليب عديدة للحذف تؤدي إلى الغموض الذي يتيح للمتلقي نوعاً من الفهم الجديد المبدع، الذي قوامه ثقافة المتلقي التي تتعدد بتعدد معاني النص الواحد وإيحاءاته[1]، والحذف يقدم دلالة لم يقدمها المبدع نفسه في نصه، إذ إن تحريك وتغيير المفردات من مكانها الأصيل، واختراق قوانينها، وإخفائها، وتغييبها عن السياق يكفل بخلق جدلية الحضور والغياب، وتقديمه المسكوت عنه بوصفه جمالية تدفع بالنص إلى التعددية الدلالية، إذ إن المسكوت عنه هو قراءة لما يخفيه النص وفق فعالية التأويل التي تدعو إلى التنوع والتعدد الذي يضفي على النص أبعادا جمالية وفنية يسعى من خلالها إلى صناعة خطاب مؤثر في المتلقي، وبذلك يصبح النص حمال أوجه مما يدعو إلى استمراره وديمومته[2].

ويعد الحذف أكثر فاعلية من الذكر لما يحمله من إدهاش صادم لأفق المتلقي الذي يرى دلالات منهمرة تخالف توقعه، وتصدم وعيه ووجدانه، ومن خلال الحذف يندفع المتلقي ليملأ الفضاء الذي أحدثه الانزياح التركيبي، إذ إنه عنصر حافظ للمتلقي ؛ لأنه يسهم في استدراج المحذوف وتقديره، والدخول فيه بوصفه منتجاً له، وتتضح لنا ظاهرة الحذف جليةً في خطبته رداً على البعض من أصحابه بقوله: (...أشهد الله وإياكم أني لم أرد بما رأيتم إلا حقن دمائكم، وإصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله، وارضوا بقضاء الله، وسلموا الأمر لله،...)[3]، إذ يتبين في النص حذف لكلمة (الصلح) بقوله (إني لم أرد بما رأيتم) والتأويل هو أني لم أرد الصلح، فقد أسقط هذه الكلمة ليجتزئ عنها بدلالة أخرى من خلال السياق، فقد بيّن في تتمة كلامه فحوى مفهوم الكلمة المحذوفة في أسباب ذلك الصلح، وذلك للإيحاء إلى (حقن دمائكم، وإصلاح ذات بينكم)، إذ إن النتيجة التي أرادها الإمام عليه السلام حفظ الأمة من الضياع والتشظي، وعدم الانجرار إلى الحرب بالبقية

١ - الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عيوش ص٧٥.
٢ - اتجاهات التأويل، محمد عزام، ٢٤٨.
٣ - الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١/ ٢٥٤.

الباقية من خيرة أصحابه، إذ يقول عليه السلام في ذلك: (ما أردت إلا أن أدفع عنكم القتل)، فقد أوجد الدواعي للابتعاد عن مسوغ الحرب لتكون معوضاً دلالياً عما حذفه في تلك العبارة، «فالحذف من المطالب الاستعمالية في بناء الجملة، فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المكونة لبنائها، إذ لا يتم ذلك إلا أن تكون الدلالة كافية في أداء المعنى»[1]، وفي موضع آخر من خطبة الموادعة وتسويغ الصلح نلحظ الحذف في قوله: (ألا وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية...) فقد حذف (الخلافة) أو مفهومها الذي دلّ عليها بالأمر لعظم مكانتها ورمزيتها للأمة الإسلامية، إذ أشار إليها بالاختلاف مع معاوية ؛ لكي لا يؤول أمرها إليه وهي ليست حقاً يستحقه، وإنما اقتضت الضرورة القصوى لذلك كما ألمح في العبارة التي سبقت (أن أدفع عنكم القتل)، إذ أراد الإمام عليه السلام أن يؤشر إلى المتلقي في تتمة الخطبة (وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر، وإن أدري لعله فتنة لكم أومتاعه إلى حين)، ونلحظ أيضاً حذف كل مفاهيم الصلح في الخطب والتعويض عنها (بالأمر) وهو تأشير واعٍ ذو دلالة عميقة تتجه بالمتلقي نحو المعاني الكامنة وراء الخطاب المباشر في النص، فجمالية النص تنبع من الرمزية العالية والمعاني العميقة التي يحملها من خلال الدلالات الإيثارية الفاعلة التي عوضت عن الحذف المستخدم فيه، فالإمام عليه السلام يسعى إلى إيضاح أطروحته الى الأمة بسلسلة من الخطابات الإيثارية الفاعلة التي تحمل معاني ما وراء الخطاب المباشر، إذ ينحو إلى عقد الصلة مع المتلقي لكي يستقبل شفرات ورموز أثره الأدبي، ليتحقق من تلك النتيجة المرجوة من خلال توجيه النص نحو بنى عميقة تنفتح على دلالات إيحائية متعددة ومعانٍ مكتنزة، أعطت للنص القيمة الجمالية والفنية، وينتج أيضاً من (الحذف) تشكل صورة النص بإطار يزيد من حسنها وجماليتها[2]،فإن تلك الممارسات التي حققها في الحذف قد أعطت للنص قيمة جمالية إبداعية من خلال

١- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف،٢٥٩.
٢- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ٥١.

الخروج عن المألوف والعادي والمتعارف عليه، إذ إن المراد بالانزياح هو تحقق السمو بجمالية النص.

وفي موضع آخر من كلامه ﷺ بعد خطبة البيعة نلحظ الحذف في (فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة،إذ كانت بطاعة الله مقرونة، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [1]، إذ حذفت كلمة (بالقرآن) ليكون التقدير (فإن طاعتنا مفروضة بالقرآن) فقد أشار إلى سياق الآية في الإبدال عن (القرآن) كون دلالة الآية القرآنية أوسع مدلولاً عن الكلمة المحذوفة، فالمحذوف (القرآن) يعطي معنى عاماً مقارنة بنص الآية التي تبين الطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر والمتمثل بالإمام الحسن بوصفه إمام الأمة وخليفة جده المصطفى ﷺ، فالدلالة التي اعتمدها الإمام ﷺ في التعويض عن الحذف (إذ كانت بطاعة الله مقرونة)، فهي أدق وأوضح من حيث المفهوم فيما جاء بنص كلام الله تعالى بوجوب الطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر، ويمكن الإشارة إلى أن توجيه اللغة توجيهاً جمالياً وفنياً يفاجئ المتلقي، ويستثير حساسيته، ويتسلط على خياله، وبذلك تصبح التعابير غير مقيدة تسرح ضمن أبعاد جمالية فسيحة بفضل نظام التراكيب الانزياحية، أي إحياء اللغة وديمومتها من خلال العناصر التي تمثل خرق اللغة العادية والمألوفة، وتجاوزات تفضي إلى اتساع مدى البعد الجمالي وانفتاحه على التأويلات اللانهائية[2]، إذ إن إسقاط الألفة عن الأشياء وتقديمها بطريقة جديدة غير متوقعة، من خلال نقل الإحساس بالأشياء عبر إدراكها، لا كما نعرفها أو نعتادها بالصيغة المألوفة، ويحمل الحذف قيمة جمالية في الأسلوب تختلف عن الأسلوب النثري العادي، ويفيد الحذف «التفخيم والإعظام لما فيه من الإيهام، لذهاب الذهن في كل مذهب، وتشوقه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصراً عن

١- النساء:٥٩.

٢- البعد الوطني والقومي والإسلامي في ديوان التراويح وأغاني الخيام، أحمد الطيب معاش، ماجستير ١٩٩٣، ص٢٥٠.

إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه، ألا ترى أنَّ المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور .

وفي موضع آخر من خطبته التي ناظر فيها معاوية وأنصاره من بني أمية، يتضح جلياً حذفه لاسم الإمام علي عليه السلام بقوله: ((أنشدكم الله أيها الرهط،أتعلمون أنّ الذي شتمتموه منذ اليوم،صلى القبلتين كلتيهما)، (وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كلتيهما، بيعةَ الفتح وبيعةَ الرضوان، وأنت يا معاويةُ بإحداهما كافرٌ، وبالأخرى ناكث)[1]، إذ لم يذكر اسم الإمام علي عليه السلام في كل تفاصيل الخطبة، إلا أنه أشار إليه من خلال السياق بمدلولات عميقة ذات أثر بالغ في المتلقي بقوله: (صلى القبلتين كلتيهما) و (إنه بايع البيعتين كلتيهما، بيعةَ الفتح وبيعةَ الرضوان، وأنت يا معاويةُ بإحداهما كافرٌ، وبالأخرى ناكث)، فصلاته في القبلتين دلالة على قدم إسلامه وإيمانه بالرسالة المحمدية، إذ كانت قبلة المسلمين في بداية الدعوة إلى بيت المقدس، ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالتوجه إلى الكعبة المشرفة، فهي ترميز واعٍ دال على تأخر إسلام معاوية وأنصاره عن الإيمان بالمشروع الإسلامي بما يقابله من تقدم إسلام علي عليه السلام، فقد وصفهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم الطلقاء بعد فتح مكة بقوله: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، فتلك الدلالات خلقت صورة فنية إبداعية متميزة للإمام علي عليه السلام حاول بواسطتها (المبدع – الإمام) إثارة المتلقي وشد انتباهه نحو النص، وما يحمله من إيحاءات دلالية تؤكد الفضل والتقدم على المسلمين والمكانة المتحصلة من إيمانه والتزامه عليه السلام بالدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية السمحاء، وقد عزز ما تقدم بأنه بايع البيعتين بيد أن الآخر (معاوية) كان كافراً ومتخاذلاً فيهما، إذ نراه يصرح باسمه، ويشير إليه بشكل مباشر ؛ وذلك للتهكم منه وتقليل مكانته وتقزيم قدره أمام أنصاره ليكون موضع استهزاء وسخرية، فضلاً عن الحط من قيمته وقدره بعدما تبجح به أزلامه وأعلامه بأنه كاتب الوحي (كما يدعي البعض) زوراً وبهتاناً وتحريفاً وتزييفاً، فإن دقة هذا التعبير ما هي إلا دلالة

١ – مجلة جامعة دمشق، مجلد١٩،العدد الثالث والرابع، ٢٠٠٣م.

على جمالية تلك النصوص النابعة من تلك الانزياحات الفاعلة التي تتشكل منها صور جمالية نقية وإبداعية قوية التعبير، إذ إن الوعي الجمالي الذي ينماز به الإمام عليه السلام في تخيّر الأنساق والمفردات المؤثرة في بنية النص، هي التي تحدد الإمكانية الجمالية التي يمتلكها في خلق جمالية النص، فضلاً عن أن حساسية المبدع الجمالية ودرجة جمالية النسق تكمن في قدرة المبدع في التنقل من نسق مؤثر إلى آخر فاعل، فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: «جدي درة من صف [صدف] الجليل، وثمرة من شجرة إبراهيم الخليل، الكوكب الدري والنور المضيء من مصباح التبجيل المعلقة في عرش الجليل سيد الكونين ورسول الثقلين ونظام الدارين وفخر العالمين ومقتدى الحرمين وإمام المشرقين والمغربين وجد السبطين أنا الحسن وأخي الحسين[1]، فالقيم التفاعلية المؤثرة في خلق المثيرات الجمالية التي تدهش وتباغت المتلقي بمستوى المكتشفات النصية تحقق غايتها وقيمتها الجمالية الإبداعية، إذ يرى كروتشيه (الجمال ينبع، ويتفجر من العاطفة والإحساس بشكل صورة جميلة نقية وقوية التعبير[2])، لذا يمكن أن نعد قوة التعبير وحذاقته من الإجراءات التي عول عليها عليه السلام في مواجهته مكر ودهاء معاوية فقد كان خطراً فظيعاً يهدد الإسلام باسم الإسلام، فضلاً عن أن الجمالية لا يمكن أن تؤثر ما لم تكن مبنية على تجارب حقيقية صادقة في اختمارها الشعوري ونبضها الانفعالي الصادق، لذا يعتقد الباحث أن ذلك من أهم السمات التي انماز بها خطابه عليه السلام في دفاعه عن تلك الوضعيات الضاغطة التي واجهته إبان تلك التداعيات والإشكاليات والمناكفات التي تعرض إليها قبل وبعد الصلح من العامة والخاصة على حد سواء.

١- بحار الأنوار، المجلسي، ٤٤-٤٣.
٢- نهج البلاغة، هاشم البحراني، ١ / ٢٧.

الخاتمة:

لقد عبرت خطب الإمام الحسن عليه السلام بصورة عامة عن نهج أهل البيت عليهم السلام في التواصل مع المتلقي ؛ كي يحقق المضامين التي تؤكد أحقيتهم في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، من خلال عرض ما انمازت به شخصية الإمام علي عليه السلام من خصال وسجايا، أشار إليها النص القرآني والسنة الشريفة، وقد كان الجدل والاحتجاج والإقناع والمنطق أهم الظواهر الأسلوبية التي قامت عليها تلك الخطب وفق ما يتطلب الموقف، لذا كان الانزياح عن المعتاد والعادي والمألوف من الأساليب الهامة التي أتكأ عليها الإمام عليه السلام في تشكيل بنية نصه النثري، التي أشارت إلى قدرته وتمكنه من ناصية اللغة العربية وبلاغتها وقوة العارضة فيها، فضلاً عن دقته في توظيف مفرداتها لمطابقة مقتضى الحال، ولا بد من الإشارة إلى أن أهم مميزات خطبه عليه السلام أن مرجعياته الثقافية نابعة من القرآن والسنة النبوية الشريفة، والسفر الخالد للإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، فضلاً عن الموروث الحضاري النابع من الحاضنة العربية الأصيلة.

لذا يمكن لنا أن نوصي بما تم التوصل إليه في البحث من نتائج تشكل خاتمة لهذا البحث منها:

الدعوة إلى الدراسات الأكاديمية للخوض في موروث الإمام الحسن المجتبى عليه السلام؛ لما له من أهمية كبرى في العالم الإسلامي، والسعي الجاد لرفع الحيف والظلم الذي تعرض إليه من العامة والخاصة على حد سواء، عبر التبحر في أعماق موروثه والتحقق من نصوصه النثرية ؛ كي نشذبها من التشويه والتحريف الذي تعرضت له من الأمويين والزبيريين والعباسيين قديما، ومن العرب المسلمين والمستشرقين حديثاً.

المصادر:

- القرآن الكريم:
- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، محمد ويس، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥ م.
- الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد، ج١، دار هومة عليها السلام الجزائر، ٢٠١٠ م.
- اتجاهات التأويل النقدي من المكتوب إلى المكبوت، محمد عزام، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨ م.
- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري ٢٧٦ه،ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.
- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م.
- بحار الأنوار، المجلسي ١١١١ه، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٩٨٣م.
- جون كوهين: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ٢٠١٥.
- دلائل الإعجاز، الجرجاني ٤٧٤م، تح محمود محمد شاكر، الخانجي للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م.
- رواية الشاميين للمغازي والسير في القرنين الأول والثاني، حسين عطوان، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٦.
- سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين دراسة نقدية، ط١، اتحاد الكتاب الجزائريين الجزائر، ٢٠٠٢م.
- شرح نهج البلاغة، هاشم البحراني، ج٤، الطبعة ١، الفجر للطباعة، بيروت، لبنان.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، ط٢،الهيأة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، مصر، ١٩٨٥.

- الصناعتين، العسكري ٥٩٥ه، تح علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب، القاهرة، مصر، ١٩٥٢م.
- لسان العرب، ابن منظور، مادة زيح، ج ٤، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر.
- *المستدرك، الحاكم النيسابوري ٤٠٥ه،ج٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- المستويات الجمالية في نهج البلاغة - دراسة في شعرية النثر، أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق:٢٠٠٨.
- المحاسن والأضداد، الجاحظ،تح عبد السلام هارون،ج١، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- معجم مقاييس اللغة ٢، أحمد بن فارس، تح عبد السلام محمد هارون، دار فكر، ١٩٧٩.
- من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة الصقر لأدونيس مجلة جامعة دمشق مج٢٣، ٢٠٠٧م.
- النكت في إعجاز القرآن، الرماني،المعارف، القاهرة، ١٩٧٦.
- النقد الجمالي، أندريه ريتشارد، ترجمة هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.
- ينابيع المودة، الحافظ القندوزي ١٢٩٤ه، ج١، ط ٧، المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، ١٩٦٥ م.
- المجلات والدوريات:
- البعد الوطني والقومي والإسلامي في ديوان التراويح وأغاني الخيام، أحمد الطيب معاش، /ماجستير ١٩٩٣.
- قصيدة إسماعيل لأدونيس، صور من الانزياح التركيبي وجمالياته، سامح رواشده، مجلة دراسات، مج٣٠، ٢٠٠٣ م.
- كوثر محمد علي محمد صادق جبارة قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية - عقرة، جامعة دهوك، اقليم كردستان - العراق (تاريخ القبول بالنشر: ٤ أيلول ٢٠١٣.
- مجلة جامعة دمشق، مجلد١٩،العدد الثالث والرابع، ٢٠٠٣م.

فِي رِحَاب أَبِي مُحَمَّد

إطلالة على الجانب التّفسيري
للإمام المجتبى الحسن بن علي عليه السلام

مريم حامد الخفاجي

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل محمداً لهداية البشر، وأتمّ النعمة بوجود آل الله، والصلاة والسلام على محمد وآله الأطياب المنتجبين، واللعنة الدائمة على أعدائهم منذ آدم إلى قيام يوم الدّين.

إنّ حفظ معالم الدّين، وصيانة أغراضه، وحفظ مقاصده، وتحقيق أهدافه، إنّما هو في واقعه لخدمة الإنسان والارتقاء به إلى درجات الكمال، وبهذا يُبنى المجتمع الإسلامي الأمثل.

ومن غير شك فإن هذا لا يُناط بالاجتهادات الشّخصيّة التي لم تخضع لتأييد الشّارع المقدس ولا للقراءات الخاصّة والمختلفة غير المبنيّة على المبادئ الرّصينة، اذ لا يُمكن الجزم بأنها لم تتعرض لعوامل مختلفة أدّت إلى وقوع الخلل فيها، وأخضعتها لأخطاء.

ومن هنا يتضح أهميّة وجود شخص معصوم مؤيَّد من الله تعالى، يحفظ الدين طبق الرؤية الشّرعية التي لا يشوبها شكّ ولا شبهة.

والقرآن الكريم هو الدّستور الأوّل الذي يبين معالم هذا الدّين القيّم، ولا بد أن يكون مورد الاهتمام من قبل نبي الإسلام المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومن خلفوه من أوصياء عليهم السلام.

ودون أدنى شك فان أئمة الهدى سلام الله عليهم كانوا يولون الاهتمام الأكبر لكتاب الله المجيد ويحاولون بكل ما أعطاهم الله من قوة أن يُجروا تعاليمه بين البشرية وذلك لهديهم إلى سبيل النجاة.

إلا أن التأريخ سُلِبت كثير من صوره النّاصعة وضُيّعت معالمٌ منه ليست

بالقليلة بأيادي ظالمة رامت أن تطمس الحقيقة وتحكم حسب أهوائها وتسرق السعادة البشرية من بين الأمم.

وما تعرضت له سيرة الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام كان من هذا المنطلق الغاشم، فقد حورِب سلام الله عليه وهو حجة الله في أرضه بأدوات مختلفة ومنها السعي نحو محو تعاليم الله تعالى التي كان يبثها بين النّاس ليقوّم انسانيتهم ويزكّي من خلالها أنفسهم، ومن أبرز الجوانب التي حوربت هو الجانب التفسيري، فلقد سعت الحكومات الظّالمة وعلى رأسها حكومة بني أمية التي سبحت ببحر من سفك دماء آل محمد وعلي عليهم السلام إلى التعتيم الإعلامي لتضليل النّاس وإبعادهم عن المعارف الحقّة التي كان يبينها أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام.

ومن هذا المنطلق فإن البحث يحثّ الخطى سعياً لأن يقطف من بستان تفسير أبي محمد ورداً يحيي بعضاً من الرّوح ويبعث في القلب حياة حسنيّة، حيث أن مهمّة إصلاح الأمة تستدعي أن يكون الإمام على اتصال مباشر مع الناس لتوضيح الحقائق القرآنية، على الرغم من الظروف القاسية التي عاشها كلّ إمام من الأئمة عليهم السلام، حيث الضغط السياسي المطبق، والسعي السلطوي الحثيث لفرض طوق من الحصار الاجتماعي والثقافي من حولهم، إلا أنّهم أولو هذه المهمّة ما تستحقّه من العناية على الدوام، وكانت مهمّة صعبة.

فالفضاء الفكري الذي ساد في عصور الأئمّة مزدحم بأنماط مختلفة من الشبهات والأفكار والاجتهادات البائسة.. وفي جميع هذه الميادين كان لا بدّ أن تكون لأئمّة أهل البيت عليهم السلام كلمتهم، وإرشاداتهم، وإضاءاتهم، وتقويمهم وتقييمهم، إتماماً لهدف الإمامة وغايتها، ولمهمّة الهداية وأبعادها.

فكان لأبي محمد الحسن عليه السلام جوانب متعددة من الإرشاد والتوجيه كباقي أئمة الهدى عليهم السلام، وللجانب التفسيري رونق آخر منه عليه السلام رغم تغييب التأريخ له بشكل ملحوظ.

ومن هنا تبدأ هذه السّطور الخجلة لتترنم باسمه طالبة من أبي محمد أن يسدل عليها عباءة الجود والكرم لتحظى بالتفاتة منه..

فألف تحية لصاحب القلب الرؤوف الذي تخلل قلوب العالم عن طريق حروفه التي حاول الجميع اغتيالها، فأبت إلا أن تنبثق وسط العصور وتصبح نوراً..

ألف سلام على روحك يا ابن علي من قلوب أحبتِك وألف إجلال لكَ حتى بقيع الغرقد.

المبحث الأول:

مسيرةُ الحَسن مَسيرةُ عليّ ومُحَمّد:

أرسل الله تعالى محمداً هادياً للبشر، وخلّفه بأوصياء يحمون رسالته من كل أذى، لتبقى مُصانة بعين إلهيّة، وكلهم شمعة وضّاءة في طريق البشريّة، تعددت مسارات إشعاعاتها، لتشمل نواحي الروح الإنسانية، وتصل بها حيث العبوديّة، ومحاربة الهوى والانحرافات، فكانت أساليب الإصلاح التي مارسها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام رغم اختلافها بما يتناسب والظروف والتحديات المحيطة بهم، مبدؤها واحد، لأنّها مستمدّة من معين واحد ألا وهو القرءان الكريم، الدستور الإلهي الذي يتمكّن من استيعاب مختلف الجوانب الفكرية والعقدية وغيرها للإنسان فيكون المرشد الناصح، والموجّه الهادي.

من هذا المنطلق كان الدّور الذي قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، هو دور تربية وتعليم، وإرشاد إلى معالم التّفسير، وأنه كيف ينبغي أن يفهم معاني كلامه تعالى، وكيفية الوقوف على دقائق ورموز هذا الوحي الإلهي

الخالد. فقد كانت تفاسيرهم للقرآن، المأثورة عنهم عليهم السلام تفاسير نموذجيّة، كانوا قد عرضوها على الأمة وعلى العلماء، لكي يتعرّفوا إلى أساليب التفسير، تلك الأساليب المعتمدة على أصول متينة و قواعد رصينة. وأن في الجم الغفير من التفسير الوارد عنهم عليهم السلام ما ينبؤك عن حرصهم الشديد على تعليم هذه الأمة كيف يفسرون القرآن الكريم، وإيقافهم على نكت وظرف من هذا الكلام البارع. نعم كانوا عليهم السلام ورثة القرآن العظيم، وحملته إلى الناس، في أمانة صادقة وأداء وإيفاء كريم. فمنذ أن انشق الفجر محمديّاً، وتلاه الصباح العلويّ، اختلف الليل والنّهار وهو يعيش بفيض وعطاء تحت لطف سادات تجسدت فيهم الرحمة واللطف والأخلاق الإلهية.

فكانوا فيض الرحمن الأجلى، ولولاهم لما تكاملت البشريّة، ولولاهم لما سقيت أرواح الأمة بجرعات حياة وسعادة، فكانوا مع القرءان والقرءان معهم، وما زالت البشرية تنهل من علومهم وتوجيهاتهم على رغم أنف كل الحاقدين الذي حاولوا على مر الأزمنة تلويث التاريخ، والحاضر يشهد، وكما امتلك أسلافهم الجرأة على أنبياء الله وعلى رأسهم ابو الزهراء، امتلك اليوم أحفادهم نفس الجرأة الخبيثة وأقدموا على محاولات تشويه صورة أجمل وأشرف خلق الله، إلا أن الله يأبى إلا أن يتم نوره..

النبي صلى الله عليه وآله ووصيه الحسن المجتبى عليه السلام:

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله نبي الرحمة والعطاء اللامحدود، الحامل الأول للقرآن الكريم، والحامي له والمبين حيث يقول الله في كتابه المجيد ﴿**أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِم**﴾ وهو المفسر الأوّل لكل آياته، والمبين للأمة المراد مما أنزل الله عليه، لكي تستقيم حياتهم، وتأخذ مسارها الصحيح، ولكي لا يقعوا في منحدرات مهلكة تخرجهم من الإنسانية.

ولا شك أن أوصياء النبي ينحون نفس المنحى، فهم من وصفهم الرسول

الأكرم بحديثه: «هم حجج اللهّ في أرضه و شهداءه على خلقه وخزّان علمه وتراجمة وحيه ومعادن حكمته، من أطاعهم أطاع اللهّ و من عصاهم عصى اللهّ، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقونه حتّى يردوا عليّ الحوض».

ومن حيث أنّ الإمام الحسن المجتبى هو أحد هؤلاء الحجج بما دلّت عليه الروايات الشريفة التي ضجّت بها الكتب، فإنّ في الرواية إشارة واضحة إلى أن الإمام ابا محمد الحسن المجتبى سلام الله عليه هو مفسر للقرآن الكريم، وهو مع القرآن باقٍ لا ينفكان ولا يفترقان عن بعضهما البعض مثل سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، لأن النبي الأكرم حين يسمي أوصياءه من بعده يضع الإمام الحسن في المرتبة الثانية وبهذه الحالة يكون هو ضمن الحديث الذي سبق حجة الله وشاهد على الخلق وخازن علم الله وترجمان وحيه ومعدن حكمته، من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وهو مع القرآن والقرآن معه.. ومن يكون مع القرآن لاشك أنه الأعلم به من غيره في زمانه وفي غير زمانه أيضاً.

إلا أن هذا الجانب لأبي محمد المجتبى قد لاقى مظلمة كبيرة مع شدّة أهميّته ووضوح وقوعه، فالرّوايات التي نقلت عن أهل البيت قليلة كما أشار إلى ذلك آية الله المعرفة بقوله:» إنّ الجوامع الحديثيّه التّى حوت على أمثال هذه التفاسير مأثورة نقلاً عن الأئمة عليهم السلام لم تكد تصحّ منها الّا القليل النّادر» فكيف بأبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وهو لم يُنقل عنه الا النادر جداً؟

ويمكن ملاحظة ذلك بمراجعة سريعة للكتب التفسيريّة فلا يكاد يرى المنصف إلا روايات تفسيرية قليلة جداً وزّعت هنا وهناك، رغم أن الحديث يعدّ من أهم مصادر التّفسير لكتاب الله تعالى، وما يصدر عن الأئمة هو الأقوى والأدق في بيان المعاني للآيات وبيان أبعادها، وقد أثبت هذا الشيء التأريخ الذي زخر بأحقيتهم، سواء على الصعيد القرآني أو غيره.

فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ

﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ وأولو الأمر في جميع تفاسير الشيعة الإمامية هم الأئمة المعصومون عليهم السلام.

فعلم القرآن بعد رسول الله وأمير المؤمنين عليه السلام يكون عن أبي محمد الحسن بن علي لا ريب في ذلك..

لأنه سلام الله عليه الإمام الثاني المنصب من الله سبحانه، والإمام الذي تنص عليه الروايات الصادرة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم «فعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، (عَنْ آبَائِهِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: اكْتُبْ مَا أُمْلِي عَلَيْكَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَ تَخَافُ عَلَيَّ النِّسْيَانَ؟ فَقَالَ: لَسْتُ أَخَافُ عَلَيْكَ النِّسْيَانَ، وَ قَدْ دَعَوْتُ اللَّهَ لَكَ أَنْ يُحَفِّظَكَ وَ لَا يُنْسِيَكَ، وَ لَكِنِ اكْتُبْ لِشُرَكَائِكَ، قَالَ: قُلْتُ: وَ مَنْ شُرَكَائِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟! قَالَ: الْأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِكَ، بِهِمْ تُسْقَى أُمَّتِي الْغَيْثَ، وَ بِهِمْ يُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُمْ، وَ بِهِمْ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنْهُمُ الْبَلَاءَ، وَ بِهِمْ يُنْزِلُ الرَّحْمَةَ مِنَ السَّمَاءِ.وَ هَذَا أَوَّلُهُمْ، وَ أَوْمَى إِلَى الْحَسَنِ"...

وفي رواية أخرى عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُ «لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ص يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَرَفْنَا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَمَنْ أُولُو الْأَمْرِ الَّذِينَ قَرَنَ اللَّهُ طَاعَتَهُمْ بِطَاعَتِكَ فَقَالَ ع هُمْ خُلَفَائِي يَا جَابِرُ وَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِي أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ الْحَسَنُ «... حتّى أكمل أسماء بقية الأئمة المعصومين عليهم السلام.

لذا فإنّ من يكون معصوماً بنصّ إلهيّ، فهو بحكم العقل قبل كلّ شيء يكون مفسراً للقرآن الكريم بلا شك ولا ريب، فالمجري للشريعة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والوصي المؤيد من الله يجب أن يكون ملماً بكل ما يحتاجه الدين وتكون له أعلمية بمقتضيات الأمور جميعها وبصدراتها القرآن الكريم وفهم معانية فهو الدستور

الأول للدين، وإليه يرجع الأئمة.

فعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع قَالَ: "قُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا كَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ أُعْطِيَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ ثُمَّ الْحَسَنُ ع بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ الْحُسَيْنُ ع بَعْدَهُ ثُمَّ كُلُّ إِمَامٍ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ مَعَ الزِّيَادَةِ الَّتِي تَحْدُثُ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَ فِي كُلِّ شَهْرٍ فَقَالَ: إِي وَ اللَّهِ وَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ".

إن الحسن بن علي ﷺ ربيب بيت النبوة، ذلك البيت الذي ما برح جبرئيل ينزل على جدهم فيه يقرأ عليه آيات الله، والأولى أن أصحاب هذا البيت يكونون الأعلم فيما يتنزل على جدهم وفي بيتهم.

ومما نُقل عن الإمام محمد بن علي الباقر ﷺ في أن ما لدى الأئمة هو ما كان عند محمد ﷺ وأنهم الراسخون في العلم الذي ينص عليهم القرآن الكريم فقال:» إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ- قَدْ عَلِمَ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَ التَّأْوِيلِ- وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأْوِيلَهُ- وَ أَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ»

ولقد كان رسول الله ﷺ يولي الحسنين أهمية خاصة ويبين في أماكن عديدة أنهم أوصياؤه وحملة الوحي من بعده ومفسرو دينه، وكان يُرجع الناس إليهم على صغر سنهم، فكيف لا يكون كل واحد منهم مفسرا للقرآن؟

علي ﷺ ووصيه الحسن ﷺ:

في الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة يختنق الكون ويحتضر، وتبتهج السماء بالآتي وتظلم الأرض بما ودّعت من فيض نور، وخسران مبين.

يرتحل أمير المؤمنين ﷺ من هذه الدنيا، والأمّة تدخل صراعاً جديداً،

وتزيد إصراراً على مقت رسول الله مجتمعة على قطيعة رحمه، وإقصاء ولده، ويصبح الإمام الحسن عليه السلام في عهد الله تعالى إمام الأمّة من بعد أبيه المرتضى يوضّح ذلك ما روي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا حَضَرَهُ الَّذِي حَضَرَهُ قَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُسِرَّ إِلَيْكَ مَا أَسَرَّ رَسُولُ اللهِ ص إِلَيَّ وَ أَتْتَمِنَكَ عَلَى مَا ائْتَمَنَنِي عَلَيْهِ فَفَعَلَ».

إن أمير المؤمنين عليه السلام في الرّواية الآنفة الذكر يوصي لابنه الحسن عليه السلام بانه الإمام والوصي من بعده، وأنّه المؤتمن على الدّين، وصاحب الاستحقاق الأكبر دون غيره من الأمة، ومن تلك اللحظة فقد بيّن أمير المؤمنين عليه السلام الجهة التي أنيطت لها مهامّ الإمامة وأودع لولده الحسن عليه السلام بثقل الإمامة بأسرارها وخفاياها.

لم يكن هذا أول ما قام به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بتبيينه الشأن الذي يختصّ بالإمام المجتبى عليه السلام، لقد كان علي عليه السلام مثل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يستفيد من أقلّ فرصة تتاح لبيان شخص الإمام الذي يأتي بعده، فتارة يعرّف ابنه الحسن عليه السلام على أنه مجيب لأسئلة السائلين حين يقصدونه في حل قضاياهم كما نقل عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في حديث: «أن رجلاً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن ثلاث مسائل، فَالْتَفَتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ فَقَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَجِبْهُ» فأجابه الحسن عليه السلام» فَقَالَ الرَّجُلُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَ لَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِهَا وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَ لَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِهَا وَ أَشْهَدُ أَنَّكَ وَصِيُّهُ وَ الْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ بَعْدَهُ وَ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ لَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِهَا وَ أَشْهَدُ أَنَّكَ وَصِيُّهُ وَ الْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ وَ أَشَارَ إِلَى الْحَسَنِ ع» ثم خرج، فقال امير المؤمنين: هُوَ الْخَضِرُ ع».

إن من يوكّله أمير المؤمنين بالإجابة بدلاً عنه، يكون لا شكّ المؤتمن والعالم، فهو بطريق غير مباشر يشير إلى الأمة بيقينه أن المجيب – الإمام الحسن – عارف بكل الخفايا ودقائق المسائل، وأنه لن يُخطئ ولن يزل في أي إجابة وإلا لو كان لدى أمير المؤمنين عليه السلام أدنى شك بخلاف ذلك لما وكل هذه الأمور والتي تتعلق

بمسائل شتى قد تصل إلى سفك دماء أو قتل بغير حق، أو حكم غير عادل، و من جهة أخرى إن عدم توكيل هذه الأمور إلى غير الإمام الحسن عليه السلام مع وجود الأكبر سناً كالذي كان مع الرّسول وعاصره، لدليل على أن الإمام الحسن عليه السلام الأجدر، والأعلى درجة من كل من كان يحوطه قريباً وبعيداً، وهو الأنسب للأمة في حال غياب أمير المؤمنين عليه السلام، الذي ما برح يلوذ به كبار القوم حتى آخر لحظة من حياته الشريفة.

وكما يُلاحظ في أحدى رسائل أمير المؤمنين عليه السلام عند عودته من صفين في حاضرين أنّه كتب الى ابنه الحسن عليه السلام قائلاً: «وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي».

في الوصية نلمس دقة في التعبير وقوّة في التوصيف أراد بها عليه السلام أن يضع الخط الواضح والبيان الجلي لكل من يشك في إمامة الحسن عليه السلام أو يشكَ في كل ما يدور حول شخص المجتبى، فسيد البلغاء أعرف من غيره بما ينتقيه من ألفاظ وعبارات تتناسب مع كل موقف وهو المعروف بفصاحته ورسمه اللغوي الناصع الرائع.

أمّن أمير المؤمنين في وصيته هذه الحماية لكل منصف من الوقوع في أي شباكٍ واهية تنسجها الأفكار المنحرفة إزاء مقام سيد شباب أهل الجنة، وحدد أُطر الحقيقة بكلمات اختص بها ابنه الحسن عليه السلام فقط، فهو عالم بعلم الله أنّ شخص الإمام الحسن ستدور حوله الدوائر وسيستهدفه طلاب الفساد في الأرض، محاولة للنّيل من مقام هذا العظيم.

بل وكانت أيضاً هذه الوصية كما وصفها صاحب منهاج البراعة بأنها «وصيّة عامّة تامّة أخرجها إلى ابنه الحسن عليه السلام وجمع فيها أنواع المواعظ والنصائح الكافية الشافية وصنوف الحكمة العمليّة الوافية، وكفى بها دستوراً إرشادياً لكلّ مسلم بل لكلّ إنسان، فكأنّه عليه السلام جرّد من نفسه الزكيّة والداً للكلّ أو نموذجاً

لجميع الوالدين، وجرّد من ابنه الحسن عليه السلام ولداً لكلّ الأولاد أو نموذجاً لجميع الأبناء في أيّ بلاد، ثمّ سرد النّصائح ونظّم المواعظ لتكون وصيّته هذا إنجيلاً لأمّة الإسلام: وتوجيه هذه الوصيّة إلى ابنه الحسن يشير إلى زعامته بعده واهتضامه واعتزاله فلا يكون إلّا إماماً مبشراً منذراً بلا سلاح ولا اقتدار».

فمن يكون كل علي عليه السلام، يكون نفس علي وروح علي وفكر علي و وجود علي ولا يتخذ إلا طريق علي ونهج علي عليه السلام.

ويكون أيضاً مفسراً بارعاً لا يتقدم عليه أحد كأبيه علي عليه السلام.

فعلي أمير المؤمنين يقول: «مَا نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَ قَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ نَزَلَتْ وَ فِيمَنْ نَزَلَتْ وَ فِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَتْ وَ فِي سَهْلٍ نَزَلَتْ أَوْ فِي جَبَلٍ نَزَلَتْ».

حين يكون الحسن عليه السلام كلّ علي، فيكون الحسن عالماً بكل آية من القرآن وأين نزلت وفيمن نزلت وفي أي شيء نزلت وفي سهل نزلت أم جبل..

إن جملة وجدتك بعضي بل وجدتك كلي، تأكيد لكل طالب حقيقة يشكك في وجود أبي محمد الحسن عليه السلام، وأمير المؤمنين عليه السلام يغلق ألابواب في وجوه الجميع إذا ما راموا التقليل من مقام حسنِه، ويوقف أي تفكير في هذا الخصوص، فمن يقبل أمير المؤمنين عليه السلام لا بدّ وأن يقبل الحسن عليه السلام، ونتيجة قوله سلام الله عليه أن الحسن عزة المؤمنين، وسيد المسلمين، والقائد المنصب، والمفسر الحذق، حتى وان حاول أهل الظلم والحقد بكل ما أعطاهم الله من قوة طمس الحقيقة وإخفاء نور الحسن، وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ.

علي أمير المؤمنين قال كلمته لأنه يعلم أن الحسن عليه السلام سيواجه بعده أكثر من جبهة مخالفة منها أعداؤه الذين ضيقوا عليه كل شيء، وحاربوه بكل ما لديهم من خبث ودهاء، ومنها بعض أصحابه الذين فقدوا الاستقامة، حتى وصل ببعضهم

الجرأة عليه كبعض قادة الجيش من جرحه وجره من قميصه وما إلى ذلك من أفعال تذبح القلب وتدمي روح الزمان.

فحين يقول علي: وجدتك كلي، كان يرى ما خلف الأفق، ويرسل إشاراته للمدى البعيد، كان يتكلم لمن سيعيشون مع الحسن محنته، فحاول سيد الأوصياء تربية أصحاب الحسن من زمن بعيد لزمن آتٍ..

المبحث الثاني:
الإمام الحسن المفسّر الثالث في الإسلام

في صغره:

آل محمد وعلي، لا تختلف مراحل حياتهم عن بعضها، فكون أحدهم صغيراً لا يعني أنه في مرحلة مبتدئة، فهم آل بيت زقوا العلم زقّاً، صغيرهم عالم لا يجارى، وهم الأئمة المعصومون الذين أولاهم الله خلافة هذه الأرض بمن عليها، علمهم إلهيّ وتسديدهم من رب السماء، والحجة على الخلق حجة لا يقيّده عمر ولا يحده صِغر..

وكذا كان الإمام الحسن بن علي عليه السلام منذ صغره ليس عالماً فقط أو فقيهاً، أو بليغاً، بل كان مفسراً يستحسن العلماء والناس تفسيره عمن سواه..

فقد جاء في بعض الأخبار أن رجلاً دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فإذا رجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فسألته عن الشاهد والمشهود، فقال: نعم، أما الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله. فسألته عن ذلك. فقال: أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر. فجزتهما إلى غلام كأن وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت:

أخبرني عن شاهد ومشهود. فقال: نعم، أما الشاهد فمحمد ﷺ، وأما المشهود فيوم القيامة؛ أما سمعت الله سبحانه يقول:

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً؟ وقال: ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ. فسألت عن الأول، فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث فقالوا: الحسن ابن علي عليهما السلام. وَكَانَ قَوْلُ الْحَسَنِ أَحْسَنَ.

إن الرواية تشير إلى أكثر من مسألة:

أن الإمام الحسن سلام الله عليه منذ صغره وهو يتصدى للإجابة على اسئلة الناس، وله مجلسه الخاص به، ويعتمد عليه في الإجابة.

أنه يوازي كبار علماء عصره في التفسير كابن عباس المعروف أنه في صدارة أهل التفسير في ذلك الزمان.

طريقة تفسير الإمام الحسن كانت أدق من غيره وذلك لاستشهاده بالآيات الشريفة، ولم يكن ذلك من غيره وهو دليل على معرفته الدقيقة بالآيات وتبحره بالقرآن الكريم.

استخدم الإمام عليه السلام أسلوب تفسير القرآن بالقرآن ولذا فإنّه يعد من المؤسسين لهذا النمط من التفسيرِ.

هذا الموقف أكبر دليل على أن للإمام الحسن تفاسير كثيرة للقرآن، فعمر الإمام سلام الله عليه المبارك ليس قليلاً وإذا كان في صغره له مجلس تفسيري فكم قام ببيان للآيات حتى استشهاده؟

ومما يؤلم هو أن هذا الكم الهائل من التفسير الذي جعله الإمام الحسن

بين يدي الأمة، عقّته الأمه بها ولم يصلنا إلا أخبار نادرة وقليلة جداً عن الإمام الحسن، وهو دليل على شدّة محاربة آل أمية لأبي محمد الحسن سلام الله عليه.

القرآن في منظار الإمام الحسن عليه السلام:

الوصف من الحسن له حُسن آخر، وجمال يجعل في القلب سكينة، فحين يتكلم سبط محمد تسكت الحروف، وتنصت حباً وكرامة، بل وتنحني كلّ اللغة بما تحمل أمام بلاغة ابن علي.

ليس هناك أجمل من التنقل بين روائع كلامه سلام الله عليه، والعيش لفترة مع كلماته ووصفه الذي يضيء نوراً وهو صادر من إمام لطالما رأى العقوق والتقاعس من أمة كانت يجب أن تكون سنداً له وقوة.

لكن قلب الإمام الحسن حوى العالم رغم أن صدره يضيق بما يقولون، لكنّ من يربيه علي سيد الصبر والتحمل لا يكون إلا صابراً محتسباً أمره عند ربه.

ابن فاطمة الزهراء حينما يريد أن يصف الثقل الآخر في الإسلام، يقول: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَصَابِيحُ النُّورِ وَ شِفَاءُ الصُّدُورِ فَلْيَجْلُ جَالٍ بِضَوْئِهِ وَلْيُلْجِمِ الصِّفَةَ قَلْبَهُ فَإِنَّ التَّفْكِيرَ حَيَاةُ الْقَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ».

يُعرّف سلام الله عليه القرآن الكريم بأنه الطريق الأسلم للاتباع، وفيه طرق مختلفة للوصول وحقيقتها نور وشفاء للصدور، فعادة ما يتعرض الانسان في حياته لأمراض مختلفة، قد لا يشعر بها في كثير من الأحيان، فإن رام الحل فليتخذ نصيحة الإمام دستوراً للشفاء ويعمل طبقها، وليكن من المتفكرين ليحيى قلبه ببصيرة إلهية تنعم بالخير والرحمة، ولن يكون حسب توصيف الإمام سلام الله عليه إلا شعلة من نور حتى وإن صادفته الظلمات، فسيبقى مستنيراً وينير لغيره أيضاً، فعادة حامل النور إن دخل في ظلمة أنار ما حوله، وهكذا المتبع للقرآن المستفيد منه والمتفكر بحقائقه.

ويقول عليه السلام في مكان آخر: «مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا بَقِيَّةٌ غَيْرُ هَذَا الْقُرْآنِ فَاتَّخِذُوهُ إِمَاماً يَدُلُّكُمْ عَلَى هُدَاكُمْ وَ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ مَنْ عَمِلَ بِهِ وَ إِنْ لَمْ يَحْفَظْهُ وَ أَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ وَ إِنْ كَانَ يَقْرَؤُه».

يشخص الإمام الحسن عليه السلام للأمة المنبع الأساس للهداية، والنور الذي يجب أن يتّبع، ويستفيد من هذا التشخيص تحديد أمر آخر، ألا وهو أن العمل هو المهم بعد المعرفة، ومعرفة بلا علم حتى مع الحفظ لا تنفع، ولا تجدي القراءة دون جدية في العمل والاستفادة مما يُقرأ.

ويقول سلام الله عليه في مكان آخر:» إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِداً وَ سَائِقاً يَقُودُ قَوْماً إِلَى الْجَنَّةِ أَحَلُّوا حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ وَآمَنُوا بِمُتَشَابِهِهِ وَ يَسُوقُ قَوْماً إِلَى النَّارِ ضَيَّعُوا حُدُودَهُ وَ أَحْكَامَهُ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُ».

إن من يقرأ القرآن، عليه أن يكون مؤمناً بما يجيء به، حتى يكون اتّباعه وعمله صحيحاً، وأن لا يكون ممن تحججوا بالقرآن للوصول إلى مصالحهم فيبرأ القرءان منهم يوم القيامة، فعلى الإنسان أن يتجرد من الأنا ومحبة النّفس الخاطئة التي تجعله يفسر حتى كتاب الله حسب أهوائه فتضيع حدود الله وتطمس أحكامه وتستحلّ الحرمات باسم القرآن.

ثم يقول ابن أبي تراب في مقطع آخر يربي به النفس الإنسانية قائلاً: «رَتِّلُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَنْثُرُوهُ وَلَا تَهْذُوهُ هُذَاءَ الشِّعْرِ قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَ حَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَ لَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ» يوجّه بكلامه سلام الله عليه المسلم الطّالب للحقيقة بالتدبّر والتفكّر والدّقة، كي تكون النّتيجة في الأخير تزكية للرّوح وتحريكاً للقلب و إخراجه من حالات الغفلة والخمول والتّكاسل والنّسيان.

ويبيّن كلامه سلام الله عليه الأهميّة التي يوليها الإسلام للتفكّر والتدبّر، لكي يصل حيث مراتب الكمال وأن لا يبقى على وتيرة واحدة في حياته.

بل ويعطي حلاً مباشراً لمرض القلوب، فالتفكر يؤهلها لأن تكون أقرب من الحقيقة وأسرع لتلقي المعارف.

حملة ورعاة القرآن:

الأمة التي عبر عنها أمير المؤمنين بقوله» أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ وَ لَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ وَ لَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ مَا بَالُكُمْ مَا دَوَاؤُكُم؟ استدعت من الإمام أبي محمد عليه السلام أن يوضح الكثير من الأمور لكي يستعيد جزءاً من أذهانهم التي غيبتها الأحقاد فقال وهو يبين بشكل غير مباشر ماهية وأوصاف حملة ورعاة القرآن» واعلموا علماً يقيناً أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا بصيغة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولا تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف، ورأيتم الفرية على الله والتحريف، ورأيتم كيف يهوى من يهوى، ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهله، فإنهم خاصة نور يستضاء بهم، وأئمة يقتدى بهم عيش العلم، وموت الجهل، وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم، وحكم منطقهم عن صمتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه، وقد حلت لهم من الله سبعة، ومضى فيهم من الله حكم، إن في ذلك لذكرى للذاكرين، واعقلوه إذا سمعتموه عقل رعايته، ولا تعقلوه عقل روايته، فإن رواة الكتاب كثير، ورعاته قليل، والله المستعان».

يوصي الإمام الحسن عليه السلام بكلامه السّابق بأهمية الدّقة لمن يجب أن نتبعه، ويحذر من التحريف الذي بدأه أعداء الإسلام، حتى لا تلتبس الأمور مع بعضها ويؤخذ الدين من غير طريقه الصحيح، ويشّدد على أهمية اتباع أصحاب الامر الذين يعلمون القرآن ويفقهون مافيه، ويقول: أنهم خاصة، فيجب اتباع هذه العصبة فقط دون غيرها، حتى لا تهوي الأمة في هاوية هيأتها لهم الأيادي المنافقة.

قد لا يكون الإمام الحسن عليه السلام في هذا الموقف في صدد ذكر الأسماء إلّا أنه

بـيّن صفاتهـم وبشـكل دقيـق جـدّاً، فنفـى عنهـم الجهـل، وأثبـت لهـم الحكمـة وقـوة المنطـق، ثـم ذكـر أهـمّ صفـة فيهـم، وهـي عـدم مخالفتهـم للحـقّ وعـدم اختلافهـم فيـه، وأتبـع كلامـه بأنهـم هـم هـؤلاء رعـاة القـرآن، وهـم قلّـة وأفصـح عـن كثـرة الـرواة وقلّـة الدّقـة، فاللغـط كثـير، والصحيـح قليـل، ويجـب أن ينهـل طالـب الحقيقـة مـن المنهـل الصحيـح، حيـث أنـه أشـار في بدايـة كلامـه إلى «أنهـم خاصـة نـور يسـتضاء بهـم، وأئمـة يقتـدى بهـم عيـش العلـم» واللبيـب مـن الإشـارة يفهـم!.

أساليب الإمام الحسن عليه السلام في التفسير:

ولتفسـيره سـلام الله عليـه أسـاليب واضحـة وجليـة، يتضـح منهـا إعارتـه سـلام الله عليـه الأهميـة البالغـة للقـرآن الكريـم، وأنـه كان يسـتخدم في الإجابـة عـلى أنـواع الأسـئلة بأسـلوب قـرآني، وذلـك تثبيتـاً للأمّـة للتمسّـك بالقـرآن الكريـم، فيكـون مرجعهـم الأول، رغـم حالـة التضييـق التـي كان يقـوم بهـا آل أميـة ضـد آل محمـد وعـلي، وخصوصـاً الإمـام سـلام الله عليـه كان يعيـش في فـترة منـع الحديـث، ولـذا فهـو يحتـاج أن ينـوّع مـن أسـلوب التفسـير لتصـل المعلومـة بأشـكال مختلفـة للنـاس.

فنـراه يسـتخدم أسـلوب تفسـير القـرآن بالقـرآن، وأسـلوب تفسـير القرآن بالسـنة أو مـا يسـمى بالتفسـير المأثـور ليوصـل المعـارف القرآنيـة للأمـة، وقـد يكـون اسـتخدم أسـاليب أخـرى لم تصـل يدنـا لهـا فالبحـث لم يكـن وافيـاً لذلـك..

رأيه في التفسير بالرّأي:

المسـألة التـي يحـذر كل الأئمـة منهـا ومـن الوقـوع فيهـا عنـد التصـدي لتفسـير القـرآن هـي مسـألة التفسـير بالـرأي، ويقصـد بـه تحميـل الـرّأي المتّخـذ مـن المسـالك المختلفة،عـلى القـرآن الكريـم، فهـو النـوع المرفـوض مـن رسـول الله وأمـير المؤمنـين عليهما السلام، حيـث يقـول الأمـير في أحـد خطبـه مبينـاً أننـا يجـب أن نسـتعين بالقـرآن ونسـتنجد بـما فيـه وهـو النّاصـح لنـا والمبـين لا العكـس: «فَإِنَّـهُ يُنَـادِي مُنَـادٍ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ أَلَا إِنَّ كُلَّ

حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَ أَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَ اسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ اتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ».

الإمام أبو محمد الحسن سلام الله عليه أيضاً يقول في هذا الصدد: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ.» فاذا كان المصيب مخطئاً فكيف بالمخطئ؟ إنه من باب بيان الأولى، فالقول بالرأي بخصوص القرآن من منظار الإمام الحسن عليه السلام ايضاً مرفوض كما هو حال جميع الأئمة ولا شك أنهم نور واحد يتصل بعضهم ببعض .

فهذا النوع اتفق الجميع على بطلانه منذ نبي الاسلام الرسول الأكرم مروراً بالأئمة المعصومين وصولاً بعلماء الفريقين من أهل السنة والشيعة الإمامية.

المبحث الثالث:
إطلالة على بعض الروايات التفسيريّه للإمام الحسن عليه السلام

إنّ كل شيء نادر لآل علي، هو في الأصل بحر من المعرفة والعلم الزاخر، فكم يحتاج المرء أن يهب من وقته لكي يفهم كلمة من كلام أبي محمد عليه السلام؟

يحق للباحث أن يلوي عنان قلمه اللاهث خلف نبض كلمات أبي محمد، وتضطرب أنفاسه، بل ولا يستطيع أن يكبح لهفته المندفعة وهو يخوض بين حروف معصوم، الخير يتنزل من السماء بفضله، والعالم يهتدي بنوره، ولا غرو في ذلك فقليل في حق أبي محمد كل كلمات اللغة بأن تبين مقامه فتعود خجلة، لا تفقه أي حرف من حروفه، ولا تعلم تقف عند أي رؤية من رؤاه الإلهية.

إن الوقوف في ساحة مقامه الحسنيّ يجعل الدم تتضارب كرياته، فهي في حالة رهبة، والرأس يتطأطأ امتناناً، لأنه وهبنا من فيضه حروفاً ما زالت ترسم الابتسامة على ثغر قارئها.

جميل هو الحسن، كل كلماته تهب السعادة والخير، فهذا التاريخ ينقل لنا مقتطفات قليلة وكأنه خاف على قلوب المحبين من تحمّل لطافة التعبير وجمال الكلام.

قد لانجد من كلامه إلا حديثاً هنا وحديثاً آخر هناك بعد البحث في عشرات المؤلفات، إلا أنه يستوقفنا بما قال، ويجعلنا نخوض دهراً فيه.

نجد كلام أبي محمد وهو يبين معاني بعض الآيات أو يشرحها تارة في خطبه، وتارة في رسائل، وبعض الأحيان من خلال إجاباته للسائلين.

وإذ يتم تقسيم ما نقل عنه سلام الله عليه موضوعياً لعله يكون أقرب للقلب وأجمل للروح حين تريد البحث في ما نُقل عنه عليه السلام.

كلامه في القربى:

القربى الذين ذكرهم الله في محكم كتابه، وجعل مودتهم الأجر الذي يُسأل عنه لا غير، الحسن بن علي عليه السلام كان أولهم، فيقول سلام الله عليه عن هذه الآية الشريفة كما روي عنه أنه خطب في الناس فقال في خطبته بعد شهادة سيد الأوصياء عليه السلام: «مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ فَالْجَدُّ فِي كِتابِ اللهِ أَبٌ ثُمَّ قَالَ أَنَا ابْنُ الْبَشِيرِ أَنَا ابْنُ النَّذِيرِ أَنَا ابْنُ الدَّاعِي إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ ابْنُ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ وَ أَنَا ابْنُ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ وَ أَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَ طَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً وَ نَحْنُ [من] أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ كَانَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام فِيهِمْ يَنْزِلُ وَ مِنْهُمْ يَصْعَدُ وَ أَنَا مِن أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ افْتَرَضَ اللهُ مَوَدَّتَنَا وَ وَلَايَتَنَا قَالَ اللهُ تَعَالَى قُلْ

لا أَسْـئَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْـراً إِلَّا الْمَـوَدَّةَ فِي الْقُرْبـى وَ مَـنْ يَقْـتَرِفْ حَسَـنَةً نَـزِدْ لَـهُ فِيهـا حُسْـناً وَ اقْـتِرَافُ الْحَسَـنَةِ وَلَايَتُنَـا وَ مَوَدَّتُنَـا أَهْـلَ الْبَيْـتِ».

يقـول ابـن عـلي أن مـن افـترض الله مودتهـم في القـرآن هـم أهـل البيـت، هـم أولئـك الذيـن يتنـزل في بيتهـم جبرئيل،وهـم أنفسـهم الذيـن نزلـت فيهـم آيـة التطهـير، ليرفـع الاشـتباه الـذي حصـل عنـد البعـض والـذي سـيبحث فيـه المفسـرون بعـده في معنـى المـودة في القربـى ومعنـى القربـى والمـراد منهـا، وهـذا مـا حصـل فقـد رأى بعـض المفسريـن أن المـودة في القربـى تعنـي:

أن الخطـاب لقريـش والأجـر المسـؤول هـو مودتهـم للنبـي ص لقرابتـه منهـم وذلـك لأنهـم كانـوا يكذبونـه ويبغضونـه لتعرضـه لآلهتهـم عـلى مـا في بعـض الأخبـار فأمـر ص أن يسـألهم: إن لم يؤمنـوا بـه فليـودوه لـكان قرابتـه منهـم ولا يبغضـوه ولا يـؤذوه فالقربـى مصـدر بمعنـى القرابـة، و في للسـببية.

أن الخطاب للأنصار ورعاية محبتهم وهم لهم قرابة منه.

أن الخطـاب لقريـش والمـودة في القربـى هـي المـودة بسـبب القرابـة غـير أن المـراد بهـا مـودة النبـي ص لا مـودة قريـش كـما في الوجـه الأول، والاسـتثناء منقطـع، ومحصـل المعنـى: أني لا أسـألكم أجـراً عـلى مـا أدعوكـم إليـه مـن الهـدى الـذي ينتهـي بكـم إلى روضـات الجنـات والخلـود فيهـا ولا أطلـب منكـم جـزاء لكـن حبـي لكـم بسـبب قرابتكـم منـي دفعنـي إلى أن أهديكـم إليـه وأدلكـم عليـه.

المـراد بالمـودة في القربـى مـودة الأقربـاء والخطـاب لقريـش أو لعامـة النـاس والمعنـى: لا أسـألكم عـلى دعائـي أجـراً إلا أن تـودوا أقرباءكـم.

معنـى القربـى هـو التقـرب إلى الله، والمـودة في القربـى هـي التـودد إليـه تعـالى بالطاعـة والتقـرب فالمعنـى: لا أسـألكم عليـه أجـرا إلا أن تـوددوا إليـه تعـالى بالتقـرب إليـه.

وما إلى ذلك من أقوال متعددة في هذه الآية الشريفة، فوضحها أبو محمد عليه السلام بتوضيح جلي وبيّن أن ما قيل وسيقال ليس هو المراد من قول الله تعالى في ما يخص المودة وبمن تتعلق. بل المراد بالمودة في القربى، مودة قرابة النبي ص وهم عترته من أهل بيته

وقد وردت بذلك روايات نقلت عن طرق أهل السنة وتكاثرت الأخبار من طرق الشيعة على تفسير الآية بمودتهم وموالاتهم، و يؤيده الأخبار المتواترة من طرق الفريقين على وجوب موالاة أهل البيت ومحبتهم، ومن أحد هذه الأخبار والروايات هذه الرواية للإمام أبي محمد سلام الله عليه وكأنه يريد أن يبين أن إيجاب مودتهم و جعلها أجراً للرسالة إنما كان ذريعة إلى إرجاع الناس إليهم فيما كان لهم من المرجعية العلمية، وأن ولايتهم هي التي يؤجر عليها والولاية لهم لا لغيرهم..

أهل البيت عليهم السلام هم حجج الله تعالى:

وفي خبر طويل ينقله الإمام الحسن بن علي عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير الآية الشريفة السابعة من سورة الرعد فقال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْماً فَقَالَ بَعْدَ مَا حَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ مَعَاشِرَ النَّاسِ كَأَنِّي أُدْعَى فَأُجِيبُ وَ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ- كِتَابَ اللَّهِ وَ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا فَتَعَلَّمُوا مِنْهُمْ وَ لَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ- لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ لَوْ خَلَتْ إِذاً لَسَاخَتْ بِأَهْلِهَا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَبِيدُ وَ لَا يَنْقَطِعُ وَ أَنَّكَ لَا تُخْلِي أَرْضَكَ مِنْ حُجَّةٍ لَكَ عَلَى خَلْقِكَ ظَاهِرٍ لَيْسَ بِالْمُطَاعِ أَوْ خَائِفٍ مَغْمُورٍ، لِكَيْلَا يَبْطُلَ حُجَّتُكَ وَ لَا يَضِلَّ أَوْلِيَاؤُكَ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ أُولَئِكَ الْأَقَلُّونَ عَدَداً الْأَعْظَمُونَ قَدْراً عِنْدَ اللَّهِ فَلَمَّا نَزَلَ عَنْ مِنْبَرِهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَ مَا أَنْتَ الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ قَالَ يَا حَسَنُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ فَأَنَا الْمُنْذِرُ وَ عَلِيٌّ الْهَادِي قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَوْلُكَ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ قَالَ نَعَمْ عَلِيٌّ هُوَ

الْإِمَامُ وَ الْحُجَّةُ بَعْدِي وَ أَنْتَ الْحُجَّةُ وَ الْإِمَامُ بَعْدَهُ وَ الْحُسَيْنُ هُوَ الْإِمَامُ...».

يستخدم أبو محمد الحسن هنا التفسير بالسنة(التفسير بالمأثور)، وينقل عن جده تفسير الآية الشريفة السابعة من سورة الرعد، ليبين أن المراد من المنذر في الآية الشريفة هو رسول الله ﷺ، والهادي من بعده للأمة هو أمير المؤمنين عليه السلام، ومن بعد ذلك يتلوه الحجج وهم الأئمة ويثبت سلام الله عليه عن طريق هذه الرواية التي تتضمن الأية الشريفة إمامته التي رام التشكيك بها الكثير من الأمة.

وتتطرق الرواية أيضاً إلى صفات الحجج الذين يتلون النبي بهداية الأمة فهم يعلِّمون الناس ولا يعلمّهم أحد، وهم أوتاد الأرض وحماتها.

والنكته التي تستحق الدقة في الرواية هي مسألة كون الإمام يستوجب أن يكون هو الحاكم أو لديه السلطه أو لا يستلزم ذلك، فيقول الإمام الحسن مبيناً المأساة التي عاشتها الأمة، وهي أن الإمام قد يكون ظاهراً إلا أن الأمة لا تكون في حالة إطاعة ويكون الإمام حينها مهتضماً مسلوباً منه حقه الالهي، وكأنه يردّ على الشبهة التي تقول بأن الخلافة لمن يتصدى لأمور الحكم، وينصّب بالشورى أو ما شابه، وأنه يجب أن يطاع حتى وإن كان ظالماً!.

لكلام أبي محمد هذا إشارات دقيقة يتخللها قوانين إلهية وسنن ربانية، وهي أن ولي الله يكفيه التنصيب الإلهي دون المناصب الدنيوية، وهو إمام حتى وإن استُبعِد..

الخُلُق العظيم:

نبي الرحمة، أرسله الله للعالم قدوة، وبيّن صفاته في مواطن من القرآن الكريم، وكان أبرزها خلقه العظيم،الذي جعل العالم ينصاع له، وتذللت كل الموانع والصعاب بين يديه، فالقرآن الكريم يشير إلى هذا الشأن والتأثير قائلاً: «وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك».

فلو كان رسول الله خشن التعامل، لما استطاع أن يستقطب الناس من حوله، ولما لان له العالم بأسره، ولما كان مؤثراً في قلوب البشرية حتى اليوم، فكل من يراجع عن كثب حسن خلق أبي الزهراء ﷺ ينصاع قلبه بين يدي محمد لا إرادياً، فكيف بالذين كانوا معه، وهذا الخلق العظيم يتكلم عنه الإمام المجتبى عليه السلام فيقول: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهُ ص أَحْسَنَ الْأَدَبِ فَقَالَ خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ فَلَمَّا وَعَى الَّذِي أَمَرَهُ قَالَ تَعَالَى- ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فَقَالَ لِجَبْرَئِيلَ عليه السلام وَ مَا الْعَفْوُ قَالَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَ تُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ».

الله سبحانه أسس للإنسان من خلال نبيّه الأكرم مبادئ في حسن الخلق والتعامل الحسن التي إن اتُبعت يكون صاحبها قد تأدّب بآداب الله تعالى،، فيقول أبو محمد الحسن في تفسيره هذه الآيات الشريفة إن الله سبحانه أدب نبيه وأمره أن يأخذ العفو، ثم يفسر نوع العفو وهو صلة الرحم، وأعطاء المحروم والعفو عمن ظلمه، وكأن هذا الخلق العظيم هو الاتصاف بهذه الصفات وهي أصعب ما يمكن أن يؤديه الإنسان، لأن عادة الإنسان التعامل بالمثل، إلا أن الله تعالى يأمر نبيه أن لا يتعامل بالمثل أبداً وأن يكون هو البادئ في كل الأمور رغم جفاء المقابل وذلك طلباً للإصلاح في الأمّة.

إن من المبادئ التي يعيش عليها العالم اليوم هو مبدأ المصالح والتعامل بالمثل، وهو مبدأ نهى عنه الإسلام بل وأمر بقلعه من جذوره حينما طلب من نبيه هذا الطلب.

الإمام الحسن بنقله هذه الآية وتبيينها يربي النّفس الإنسانيّة على أن تكون متواضعة، متسامحة، عافية عن من يسبب لها الألم والسوء، مبادرة بالخير والإحسان، ومن هنا يبدأ الإصلاح للنفس والذات ثم الأفراد والمجتمع.

أجر الصبر:

وفي خبر معنعن عن الأصبغ بن نباتة يذكر فيه الإمام الحسن تفسيراً للآية العاشرة من سورة الزمر فيقول الأصبغ: " دخلت مع علي بن أبي طالب ﷺ إلى الحسن بن علي نعوده، فقال علي: كيف أصبحت يابن رسول الله؟ قال: أصبحت بحمد الله بارئاً، قال: كذلك إن شاء الله، ثم قال الحسن: أسندوني، فأسنده علي إلى صدره فقال: سمعت جدي رسول الله يقول:" إِنَ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يُقَالُ لَهَا شَجَرَةُ الْبَلْوَى يُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يُرْفَعُ لَهُمْ دِيوَانٌ وَ لَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ يُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبّاً وَ قَرَأَ "إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِساب".

يبين أبو محمد الحسن ﷺ بتفسيره الآية الشريفة أنّ من الصبر ما يكون على البلاء، ثم أوضح طريقة جزائهم من الله تعالى.

والصبر يكون على ما يكرهه الإنسان وهو الابتلاء، كما يقول الإمام الحسن في مقام آخر مبيناً أن الإنسان لا يصل إلى مبتغاه حتى يتحمل الكثير من الآلام: «اصْبِرُوا إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون».

فالصبر له لذته الخاصة عند الإنسان المؤمن وله أيضاً نتائجه المثمرة، وبالصبر يتعلم الإنسان وتقوى إرادته في التّحمل ويقوى تصدّيه لما سيأتيه من ابتلاءات وامتحانات، ليكون من المسرورين الناجحين في آخر المطاف.

فضلاً عن أنّه بالصبر يشتد الإيمان ويتقرب المؤمن درجات من الله سبحانه وتعالى، وعلى قوة الصبر يرى الإنسان الفرج.

فها هو أيوب النبي سلام الله عليه شهد له القرآن على الجزاء الذي ناله بعد تحمل ما كره، فيقول ماصفاً حاله: «وَ اذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ، ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَ شَرابٌ، وَ

وَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ،وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب».

إن أيوب عليه السلام استحق الجزاء، لأنه بصريح عبارة القرآن الكريم كان أوّاباً متضرعاً لله وهذا كان سبب الفرج الذي حل بساحته، فهو لم ينس الله تعالى، ولم ييأس من رحمة الله تعالى في أشد البلاء وأصعبه.

لذا فإن الإمام سلام الله عليه استدل بالآية الشريفة ليبين أن للصبر على البلاء مقاماً ليس بالقليل ولا يستهان به، وهو باب من أبواب الفرج و الرّحمة و الخير.

ثم إنه بالروايتين المنقولتين كأنه كان يبين فيهما الجزاء الدنيوي والأخروي للصبر على البلاء، فبالدنيا يجب أن نصبر على ما نكره ونتحمل الصعاب لكي نصل إلى ما نحب، وفي الآخرة للصابر الجزاء الأوفر وهو البشرى التي تؤنس قلب الإنسان وتساعده على التحمّل فلها الأثر الكبير في الاستعداد النفسي للإنسان أيضاً.

مقام ليلة القدر:

لقد اتفقت أخبار أهل البيت عليهم السلام بأن ليلة القدر هي احدى الليالي الثلاث من شهر رمضان، التاسعة عشر، الحادية والعشرين أو الثالثة والعشرين، وأن ليلة القدر باقية متكررة كل سنة.

وجاء عن الترمذي وابن جرير و الطبراني وابن مردويه والبيهقي عن الحسن بن علي وهناك روايات كثيرة في هذا المعنى من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت ع و فيها أن الله تعالى سلّى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بإعطاء ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر وهي مدة ملك بني أمية.

فقد قال الإمام الحسن عليه السلام في نص الرواية:» إِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَطَقَ بِمُلْكِ بَنِي أُمَيَّةَ وَ مُدَّتِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قَالَ: أَبِي: هَذِهِ مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ».

ويعني بقوله سلام الله عليه كما تقدم أن الله أعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليلة في السنة تضاهي ملك كل بني أمية، ويكفي رسول الله فخراً أن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الليلة كما عبر العلامة الطباطبائي أنّها تسلية له، وبقيت هذه الليلة تتجدد وتتكرر كل سنة، يفيض الله بها على عباده من الخيرات، ما يصلحون به أمورهم، ويستغفرون به لذنوبهم، وينالون بها رضا الله ورسوله.

وكأن الإمام عليه السلام بتفسيره هذه الآية وربطها بملك بني أمية أعتى عتاة زمانهم وأظلمهم لآل محمد وشيعتهم، أراد أن يبين أنّ كل ملك بني أمية وزمن حكمهم بما أنه كان غصباً من أهله فهو لا يساوي ليلة من الليالي يشرفها الله ويباركها بنبيه، ويجعل فيها الرحمة والخير تتنزل على العالم أجمع.

فهاهو ملكهم الزائل ذهب واندحر، وهاهو ملك الله الذي يهبه لعباده يبقى أبد الدهر نعمة وسروراً على العالم أجمع.

وكأنه إشارة بأن الشيء إن لم يكن لصاحبه فهو هباء لايساوي شيئاً، وإن كل ما كان لله ينمو، فليلة تقام بالحق أفضل من حكمهم الجائر حتى وإن بلغ ألف شهر.

هذه المعادلة التي أراد تبيينها الإمام الحسن من خلال هذا التفسير القليل الذي قد يراه القارئ سريعاً، يحوي عشرات المعاني للإنسانية، وليس فقط لطالبي الحقيقة.

ولربّ عملٍ يعمله العبد ولو كان صغيراً، فهو عند الله خير وأبقى..

ابـن محمـد المصطفـى لانسـتطيع أن نقـف لـه عـلى جانـب مـن الجوانـب ونقـول بـأنّ هنـا النهايـة، بيـد

عصارة البحث:

وبعـد هـذا المـرور السّريـع، لا بـدّ مـن ملخّـص لمـا حملتـه الأسـطر المنصرمـة فتكـون مـا يـأتي:

إنَّ الإمـام الحسـن بـن عـلي هـو الإمـام الثّـاني، الـذي نصّـب مـن قبـل الله تعـالى بعـد أمـير المؤمنـين عليه السلام وهـو حفيـد محمـد المصطفـى ووارث سـؤدده وعلمـه.

- وكـما كان النبـي الأكـرم صلى الله عليه وآله وأمـير المؤمنـين عليه السلام مفسريـن للقـرآن وبهـما اهتـدت الأمـة، هكـذا كان الإمـام الحسـن بـن عـلي عليه السلام الـذي حاربتـه الدولـة الأمويـة بشـتى الطـرق لتمنـع إيصـال معارفـه وكلامـه وأحاديثـه ليـد البشرية حقـداً منهـا عليـه.

- أبـو محمـد الحسـن عليه السلام رغـم كل مـا تعـرض لـه إلا أنـه قـد وصلتنـا إشـعاعات نـوره تتخلـل الزّمـان ولا يحدهـا المـكان، رغـم قلتهـا، فكانـت حـروف أبي محمـد تتـلألأ هنـا وهنـاك منتشـلة البشريّـة مـن براثـن الجهـل والغفلـة.

- لقـد قـضى الإمـام الحسـن عليه السلام حياتـه كلهـا مواكبـاً القـرآن، وسـعى أن يرشـد العبـاد عـن هـذا الطريـق الـذي لا عـوج فيـه و لا ظـلام، وتعامـل مـع القرءان الكريـم بـأن فسـره بأسـاليب متعـددة، كالتفسـير بالقـرآن والتفسـير بالسـنة، ليبـين للنّـاس حقيقـة الإسـلام ويأخـذ بيدهـم نحـو السّـعادة الأبديّـة عـن طريـق القـرآن فـكان المفسـر الثالـث في الإسـلام بعـد جـده و أبيـه عليهما السلام.

- تـارة يتكلـم الإمـام الحسـن عليه السلام بالقـرأن ليحيـي النّفـس الإنسـانية، وتـارة ليثبـت أحقيـة الإمامـة في صـدور المؤمنـين، وتـارة أخـرى يجيـب سـائلاً

ليخرجه من جهله إلى نور العلم والمعرفة المستقاة من بيت النبوّة والرسالة.

- وكان في كثير من كلامه يُسمع صوته المظلوم من بين الحروف مطالباً بالحق الذي جعله الله لهذا البيت الكريم الذي ساد العالم رغم غصب حقوقه، فيتألم القلب لأنين المجتبى عليه السلام والصوت الذي لاقى الخذلان من الأمة من بين قضبان السطور.

- الإمام الحسن عليه السلام كمن سبقه من المعصومين وكمن تلاه يرفض رفضاً قاطعاً التفسير بالرأي ويعده من التفاسير الخاطئة حتى ولو أصاب المفسر بمايقول.

ويبقى الإمام مناراً تنهل من كرمه البشرية فهو الكريم المعطاء الذي تجود يده للسائل ولغيره.

والسلام عليه حيث كان وحيث مرقده الشريف الذي يحكي ظلامته أبد الدهر.

المصادر:

- القران الكريم
- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد،تصحيح: إبراهيم، محمد ابو الفضل، مكتبة أية الله المرعشي النجفي،قم، ١٤٠٤هـ، الأولى، تاريخ الوفاة ٦٥٦هـ.
- ابن أبي زينب، محمد بن إبراهيم، الغيبة(للنعماني)، محقق / مصحح: غفاري، علي أكبر، نشر الصدوق، طهران، الأولى، ١٣٩٧هـ، تاريخ الوفاة ٣٦٠هـ.
- ابن بابويه، علي بن الحسين، الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٤هـ، الأولى، الوفاة٣٢٩هـ
- ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، المحقق: غفاري علي أكبر، الإسلامية، طهران، ١٣٩٥هـ، الثانية، تاريخ الوفاة ٣٨١هـ.
- ابن بابويه، محمد بن علي، الأمالي للصدوق، كتابجي، طهران، ١٤١٨هـ، السادسة، تاريخ الوفاة ٣٨١هـ.
- ابن بابويه، محمد بن علي، علل الشرائع، مكتبة داوري، قم،الأولى، ١٤٢٧هـ، تاريخ الوفاة ٣٨١هـ
- ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، محقق / مصحح: اللاجوردي، مهدي،نشر جهان، طهران، الأولى، ١٤٢٠هـ، تاريخ الوفاة ٣٨١هـ.
- ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، محقق / مصحح: غفاري، علي أكبر، جماعة المدرسين، قم، الثانية، ١٤٠٤هـ، تاريخ الوفاة القرن الرابع.
- ابن شهرآشوب المازندراني، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام (لابن شهرآشوب)، علامه، قم، الأولى، ١٤٢١هـ، تاريخ الوفاة ٥٨٨هـ.

- ابن طاووس، علي بن موسى، طرف من الأنباء والمناقب،محقق: العطار قيس، تاسوعاء مشهد، الأولى، ١٤٢٠هـ، تاريخ الوفاة ٦٦٤ مـ
- ابن طاووس، علي بن موسى، كشف المحجة لثمرة المهجة، محقق / مصحح: الحسون، محمد،بستان الكتاب، قم، الثانية، ١٤١٧هـ، تاريخ الوفاة ٦٦٤هـ.
- ابن عقدة الكوفي، أحمد بن محمد، فضائل أمير المؤمنين، تحقيق: حرز الدين عبد الرزاق محمد حسين، دليل ما، إيران، قم، ١٤٢٤هـ، الأولى، تاريخ الوفاة ٣٣٢هـ.
- أحمدي ميانجي، علي، مكاتيب الأئمة عليهم السلام، محقق / مصحح: فرجي، مجتبى،دار الحديث، قم، الأولى، ١٤٢٦هـ، تاريخ الوفاة ١٤٢١هـ.
- الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق: رسولي محلاتي، هاشم،بني هاشمي،تبريز،١٤٢٣هـ،الأولى،تاريخ الوفاة٦٩٢هـ.
- الإسترآبادي، علي، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة،مؤسسة النشر الإسلامي، محقق: أستاد ولي، حسين، إيران، قم، الأولى، ١٤٠٩هـ، تاريخ الوفاة ٩٤٠ هـ
- البحراني، هاشم بن سليمان،البرهان في تفسير الميزان، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة،مؤسسة البعثة، قم،١٤١٦هـ، الأولى، تاريخ الوفاة ١١٠٧هـ.
- البحراني الأصفهاني، عبد الله بن نور الله،عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، محقق / مصحح: موحد أبطحي الأصفهاني، محمد باقر، مؤسسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إيران، قم، ١٤٢٤هـ، تاريخ الوفاة القرن ١٢.
- البحراني، السيد هاشم بن سليمان، الإنصاف في النصّ على الأئمة الاثني عشر من آل محمد الأشراف عليهم السلام / ترجمة وتحقيق رسولي محلاتي، مكتب نشر الثقافة الإسلامية،طهران، تاريخ الوفاة ١١٠٧هـ.

- البحراني، السيد هاشم بن سليمان، حلية الأبرار في أحوال محمّد وآله الأطهار عليهم السلام، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، الأولى، ١٤١١هـ، تاريخ الوفاة ١١٠٧هـ.
- الحر العاملي، محمد بن الحسن، الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة،مصحح ومترجم: رسولي، هاشم، جنتي، أحمد،نويد، طهران، تاريخ الوفاة ١١٠٤ هـ
- الحر العاملي، محمد بن حسن، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الأعلمي، بيروت،الأولى، ١٤٢٥هـ، تاريخ الوفاة ١١٠٤هـ.
- الحسكاني،عبيد الله بن عبد الله،محقق: محمودي محمد باقر،شواهد التنزيل لقواعد التفضيل،مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١١هـ،الأولى، تاريخ الوفاة ٤٩٠هـ.
- الحلي، رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر، العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، تحقيق: الرجائي مهدي والمرعشي محمود، مكتبة اية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٨هـ، الأولى، تاريخ الوفاة ٧٠٣هـ.
- خراساني، علم الهدي، نهج الخطابة، كتابخانه صدر، طهران، ١٣٧٤ش، الطبعة الثانية.
- الخزاز الرازي، علي بن محمد، كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر، محقق / مصحح: الحسيني الكوهكمري، عبد اللطيف، بيدار، قم، ١٤٠١هـ، تاريخ الوفاة القرن الرابع.
- الديلمي، حسن بن محمد، إرشاد القلوب إلى الصواب، الشريف الرضي، قم، ١٤١٢هـ، الأولى، تاريخ الوفاة٨٤١هـ.
- السيد الرضي، نهج البلاغة، هجرت، قم، ١٤١٤هـ، الأولى، تاريخ الوفاة ٤٠٦هـ.
- الشامي، يوسف بن حاتم، الدر النظيم فى مناقب الأئمة اللهاميم، جماعة

المدرسين بقم، مؤسسة النشر الإسلامي،قم، الأولى، ١٤٢٠هـ،تاريخ الوفاة القرن السابع.

- الصفار، محمد بن حسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، تحقيق: كوچه باغي، محسن بن عباس علي، مكتبة أية الله المرعشي النجفي، إيران، قم، الثانية، ١٤٠٤هـ، تاريخ الوفاة ٢٩٠هـ.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم،قم، ١٤١٧هـ، الخامسة، تاريخ الوفاة القرن الرابع عشر.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى، الإسلامية، طهران، الثالثة، ١٣٩٠هـ،تاريخ الوفاة ٥٤٨هـ.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى(ط- حديثة)، محقق / مصحح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام،آل البيت عليهم السلام، قم،الأولى، ١٤١٧هـ، تاريخ الوفاة ٥٤٨هـ.
- الطبري الآملي، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى(ط- قديمة)،،المكتبة الحيدرية، النجف، الثانية، ١٣٨٢هـ، تاريخ الوفاة ٥٥٣هـ.
- الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ، الأولى، تاريخ الوفاة ٤٦٠هـ.
- الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى، الوافي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، أصفهان، الأولى، ١٤٠٦، تاريخ الوفاة ١٠٩١هـ.
- قراءتي، محسن، تفسير النور، مركز دروس من القران الثقافي، طهران، الحادي عشر، ١٤٢٥هـ.
- قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء عليهم السلام(للراوندي)، محقق: عرفانيان يزدي، غلام رضا، مركز الدراسات الإسلامية، مشهد،

الأولى، ١٤٠٩هـ، تاريخ الوفاة ٥٧٣هـ.

- القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، محقق: طيب الموسوي الجزائري، دار الكتاب، قم، ١٤١٤هـ، الثالثة، الوفاة القرن الثالث.
- القمي المشهدي، محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محقق / مصحح: درگاهي، حسين، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطباعة والنشر،طهران، ١٤١٠هـ، تاريخ الوفاة ١١٢٥هـ.
- الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق: غفاري علي أكبروأخوندي محمد، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧هـ، ١٤٠٧هـ، الرابعة، تاريخ الوفاة: ٣٢٩هـ.
- الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، تحقيق كاظم محمد،مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٠هـ، الأولى، تاريخ الوفاة ٣٠٧هـ.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ، الثانية، تاريخ الوفاة ١١١٠هـ.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بنادر البحار(ترجمة وشرح خلاصة كتاب العقل والعلم والجهل من بحار الأنوار)، فيض الإسلام الأصفهاني، علي نقي،منشورات الفقيه، طهران، الأولى، تاريخ الوفاة ١١١٠هـ.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، محقق / مصحح: رسولي محلاتي، هاشم، دار الكتب الإسلامية، طهران، الثانية، ١٤٠٤هـ،تاريخ الوفاة ١١١٠هـ.
- المجلسي، محمد تقي بن مقصود علي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه(ط- قديمة)، محقق / مصحح: الموسوي الكرماني، حسين

واشتهاردي على پناه، مؤسسة كوشانبور للثقافة الإسلامية، قم، الثانية، ١٤٠٦هـ، تاريخ الوفاة ١٠٧٠هـ.

- المسعودي، على بن الحسين، إثبات الوصية للإمام عليّ بن أبي طالب، أنصاريان، إيران، قم، الثالثة، ١٤٢٦هـ، تاريخ الوفاة ٣٤٦هـ.
- المظفر النجفي، محمد حسن، دلائل الصدق لنهج الحق، محقق / مصحح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مؤسسة آل البيت، قم، الأولى، ١٤٢٢هـ، تاريخ الوفاة ١٣٧٦هـ.
- المعرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد، الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، تاريخ الوفاة ١٤٢٨هـ.
- معهد تحقيقات باقر العلوم منظمة الاعلام الإسلامي، موسوعة كلمات الإمام الحسن، دار المعروف، قم، الأولى، ١٤٢٣ه.
- المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص، المصحح: غفاري،علي أكبرومحرمي زرندي،محمد، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ايران، قم، ١٤١٣هـ، الأولى، الوفاة ٤١٣هـ.
- الموسوي، مصطفى، الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن، مراجعة وتعليق: سيد مرتضى الرضوي، دار العلم للطباعة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- الهاشمي الخوئي، الميرزا حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة وتكملة منهاج البراعة، المترجم: حسن زادة الآملي، حسن وكمرئي، محمد باقر، محقق / مصحح: ميانجي، إبراهيم، المكتبة الإسلامية، طهران، الرابعة، ١٤٠٠هـ، تاريخ الوفاة ١٣٢٤هـ.

مجلة الزكي العلمية

AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

مُعاهَـدَةُ الإمام الحَسَن عليه السلام
صُلحٌ أم هُدنةٌ؟

بقلم
السَّيد محمود المُقدَّس الغُريفيّ

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين، وبعد:

يُنقلُ عن بعض الأفاضل تخطئةُ مقولة كون الإمام الحسن عليه السلام قد صالح معاوية، وقولهم: بأن الصحيح هو القول بأنه عليه السلام قد هادنه، لا أنه عليه السلام صالحهُ.

وفي هذا القول نظر وتأمل...

وإن كان لا مُشاحَّةَ في الاصطلاحات، كما يقال، مع أن مصطلح الصُّلح أعم من مصطلح الهدنة وأشمل، كما هو مصطلح المعاهدة؛ لأنّ الصُّلح - كما المعاهدة- يفيد فائدة الهدنة وغيرها، إلا أن الإصرار على تخطئة هذا القول – صلح الحسن- وقائله، وكأن في هذا القول تنقيصاً للإمام عليه السلام، هو الذي دفعني لبيان هذا الأمر، وتسليط الضوء عليه...

والله المُوَفِّق والمستعان، إنه نعم المولى ونعم النصير[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

السيد محمود المقدس الغريفي

النجف الأشرف

١- نُشر هذا البحث في المجلة الحِلِّيّة (أوراق فراتية)، في عددها العاشر/ ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، وقد جرى عليه بعض التنقيح والتعديل بما يناسب هذا المقام.

- مفهوم الصُّلح لغة واصطلاحاً

الصُّلـح: بضـم فسـكون مصـدر صالَـحَ، أي: تصالـح القـوم فيـما بينهـم، وهـو الـتراضي والتسـالم بـين المتنازعـين. والصُّلـح هـو السَّـلْم، وقـد تصالـح القـوم، واصطلحـوا، وأصلحـت بينهـم، وصالحتهـم مصالحـة وصِلاحـاً. والصِّـلاح بالكسـر مصـدر المصالحـة، والاسـم الصُّلـح، ومنـه صلـح الحديبيـة، وصلـح الحسـن.

وقولـه تعـالى ﴿وَالصُّلْـحُ خَـيْرٌ﴾ [1]: أي خـير مـن الفُرقـة والنشـوز وسـوء العِشـرة، أو الصُّلـح خـير مـن الخصومـة والنـزاع.

والصُّلْـحُ عقـد شرعـي، شُرع لِفَـضِّ النـزاع، والـتراضي والتسـالم عـلى أمـر مـا، كتمليـك عـين، أو منفعـة، أو إسـقاط دَيـنٍ، وغـير ذلـك. أو المعاقـدة عـلى وقـف الحرب، ورفـع النـزاع، وإنهـاء الخصومـة بـين الطرفـين.

وهـو عقـد قائـم بنفسـه، ينعقـد بالإيجـاب والقبـول، وأنـه أنفـع العقـود لعمـوم فائدتـه، حيـث يتحمـل مـا لا تتحملـه العقـود الأخـرى كالجهالـة والغـرر ونحوهـا، وقـد شُرع لقطـع المنازعـات، بإجمـاع المسـلمين[2].

ولقولـه تعـالى: ﴿فَـلَا جُنَـاحَ عَلَيْهِـمَا أَنْ يُصْلِحَـا بَيْنَهُـمَا صُلْحـاً وَالصُّلْحُ خَـيْرٌ﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [4].

١-سورة النساء/ آية ١٢٨.
٢-انظر الصحاح – الجوهري ج١ ص٣٨٣، المخصص- ابن سيدة ج٣ ق٣ ص١٦٤، السرائر- ابن إدريس الحلي ج ٢ ص ٦٤ – ٦٥، لسان العرب – ابن منظور ج٢ ص٥١٧، القاموس المحيط- الفيروزآبادي ج١ ص٢٣٥، مجمع البحرين - الشيخ الطريحي ج ٢ ص ٣٨٦- ٣٨٩ ، معجم لغة الفقهاء - محمد قلعجي ص ٢٧٦، معجم ألفاظ الفقه الجعفري- د.أحمد فتح الله ص٢٥٧.
٣-سورة النساء/ آية ١٢٨.
٤-سورة الحجرات/ آية ٩.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [1].

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [2].

وفي الآية الأخيرة بيانٌ لمشروعية أخذ حق الجزاء تجاه من أساء، ومشروعية العفو مع الصُّلح، وإسقاط حق الإساءة أيضاً. فمن هنا قال الشيخ الطوسي قدس سره: الصُّلح اسقاط الحق[3].

ولقول رسول الله ﷺ: الصُّلح جائز بين المسلمين، إلا صُلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً[4].وغيرها.

بين الصلح والصلّاح

هذا، وليس مفهوم الصُّلح هو الصَّلاح الذي ضد الفساد، وان اشتُقَّ من نفس المادة، وأدى غرضه في الجملة، حتى يقال: إن الصُّلح هو إصلاح ما أفسده التنازع، كما توهمه البعض، حين بنى على هذا المعنى الذي توهمه لمفهوم (الصُّلح)، وقال: أيّ إفساد أكثر من مصالحة معاوية وإعطائه الشرعيّة في إدارة شؤون الأمة؟!! ويخلص من بنائه هذا إلى أن هذه المعاهدة ليست صُلحاً، وإنما هي هُدنة؛ لأن بقاء معاوية لا صلاح فيه حتى يُعدَّ الأمر صُلحاً !.

ولكن صُلح الإمام الحسن عليه السلام ليس إلا فَضّ النزاع وإزالة النفرة والاشتباك (العسكري في مقامنا هذا)، وبهذا فليس الصُّلح صلاحاً كما اعتبره هذا البعض،

١-سورة النساء/ آية ٣٥.
٢-سورة الشورى/ آية ٤٠.
٣-(المبسوط – الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٣٠٨.
٤-وسائل الشيعة– الحر العاملي(آل البيت) كتاب الصلح ج١٨ ص٤٤٣.

بقدر ما هو إزالة وفَض للنزاع العسكري بين الطرفين بشروط، وهو نفس معنى الهُدنة التي أرادها في الجملة.

قال الراغب الأصفهاني: الصَّلَاحُ: ضدّ الفساد، وهما مختصّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسّيّئة. قال تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً﴾ ، ﴿ولا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها﴾، ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾، في مواضع كثيرة.

والصُّلْحُ يختصّ بإزالة النّفار بين الناس، يقال منه: اصْطَلَحُوا، وتَصَالَحُوا، قال تعالى: ﴿أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً والصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ ،﴿وإِنْ تُصْلِحُوا وتَتَّقُوا، ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما﴾، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [1].

على أننا نستغرب دعواه بعدم إمكان كون هذه المعاهدة فيها الصَّلاح، إذ إنَّهُ مخالف لكون الإمام الحسن عليه السلام إماماً معصوماً، وفعله لا يجاوز الحق والصَّلاح، مضافاً إلى أنَّه عليه السلام لم يَرض بالصُّلح، ولكن ما حيلة المضطر إلا ركوبها، ولم يترك الحكم لمعاوية مطلقاً دون قيد أو شرط، بل حبسه في شروط، بتنفيذها وتطبيقها يقطعٌ لدابر الفساد والإفساد منه، وبهذا يُدفع وهم عدم وجود الصَّلاح في هذه المعاهدة.

بين الصُّلح والهُدنة

وقد يُعَبَّرُ عن الصُّلح بالهدنة، أي السكون، حيث إنها تفيد الصُّلح والموادعة بين كل متحاربين، والهدنة والهدانة المصالحة بعد الحرب، فيقال: هدنت الرجل وأهدنته، إذا سكنته، وهادنه مهادنة: صالحه، وتهادنت الأمور: استقامت، والاسم منها الهدنة[2].

١-مفردات ألفاظ القرآن- الراغب الأصفهاني ص٤٨٩-٤٩٠.
٢-انظر النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير ج ٥ص٢٥٢، الصحاح- الجوهري ج٦ ص٢٢١٧، لسان العرب- ابن منظور ج١٣ص٤٣٤.

فقد يطلق على الصُّلح هدنة كما في صلح الإمام الحسن عليه السلام، من باب التسامح والمجاز.

أو من إطلاق الخاص على العام.

أو بالعكس إطلاق العام على الخاص، كهدنة الحديبية كما في واقعها الفقهي والتاريخي، فسميت بصلح الحديبية.

وهذا الأمر شائع في لغة العرب وكلامهم.

فالهدنة أخص من الصُّلح وفرع منه؛ لأن الهدنة تُعرَّف بأنها عقد أمان، ومعاقدة على ترك الحرب، ووضع للقتال إلى مدة معينة، إما على عوض أو على غير عوض[1].

ومنه قولهم: (هدنة على دَخَنٍ) أي سكون على غِل، وصلح واستقرار على أمور كريهة، أي المصالحة بعد الحرب؛ وذلك أن الدخان إثر النار، فيدل على بقية منها، ولها شروط خاصة[2].

ويمكن أن تُستظهرُ الهدنة في الكتاب الكريم من قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾[3]، وأن النبي صلى الله عليه وآله صالح قريشاً، وهادنها عام الحديبية على ترك القتال عشر سنين[4].

فالهدنة والمهادنة اتفاق ومعاهدة على وقف حرب أو أعمال قتال بين

١-انظر لسان العرب – ابن منظور ج١٣ ص٤٣٥، مجمع البحرين- الشيخ الطريحي ج٦ ص٣٢٨، تاج العروس- الزبيدي ج١٨ ص٥٨٦.
٢-العين – الفراهيدي ج٤ ص٢٦، النهاية في غريب الحديث- ابن الأثير ج٥ ص٢٥٢، المبسوط - الشيخ الطوسي ج٢ ص٣٧، معجم ألفاظ الفقه الجعفري– د.أحمد فتح الله ص٤١٢، القاموس الفقهي– د.سعدي أبو حبيب ص٣٦٦.
٣-سورة الأنفال/ آية ٦١.
٤-المبسوط - الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٥٠.

متحاربين في أثناءِ الحرب، ووقف عمليات القتال مؤقتاً لغرض معلوم[1].

كما لو كان الأعداء مستظهرين على المسلمين لقوتهم وضعف المسلمين، أو كانت فيهم حاجةٌ لمؤنٍ كثيرة وعُدة لاستمرار القتال والمنازلة مثلاً، فيجوز أن يهادنهم لذلك.

ولا بد من أن تكون مدة الهدنة معلومة محدودة، فإن عَقَدَها مطلقة إلى غير مدة معينة كان العقد باطلاً؛ لأن إطلاقها يقتضي التأبيد؛ وذلك لا يجوز في مفهوم الهدنة، فأما إن هادنهم على أن الخيار إلى الإمام متى شاء نقض فإنه يجوز[2].

كما أن المفروض بالهدنة أن تكون بين جيشين متقاتلين قائمين، مع تحديد فترة زمنية معينة لوقف القتال بينهما.

لكِنَّا نرى أن الإمام الحسن عليه السلام بعد عقده المعاهدة مع معاوية لم يُحدد فيها وقتاً معيناً لوقف القتال ووقف الهدنة بينهما، فنراهُ عليه السلام قد ترك لمعاوية الأمر والحكم، وانسحب من قيادة الجيش، والتحق بمدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لهذا فإن شروط عقد الهدنة وخصائِصها لم تتوفر في معاهدته عليه السلام هذه.

ثم إنَّ كثيراً من الكتب والأخبار والمراسلات التي جرت بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، قد أشارت إلى معنى الصُّلح لا الهدنة- كما سيأتي-.

هل في القول بـ(صلح الحسن) تنقيص للإمام عليه السلام ؟.

إِنَّ القول بالصلح ليس فيه تنقيص أو إهانة للإمام عليه السلام، فقد ثبت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين في صلح الحديبية، حينما كتب صلى الله عليه وآله وسلم: (بسم الله الرحمن

١-انظر لسان العرب – ابن منظور ج١٣ ص٤٣٥، مجمع البحرين- الشيخ الطريحي ج٦ ص٣٢٨، تاج العروس- الزبيدي ج١٨ص٥٨٦، المعجم القانوني- حارث الفاروقي ج ق١ ص٥٢، ج ق٢ ص ٣٦٢.
٢-انظر المبسوط - الشيخ الطوسي ج٢ ص ٥١.

الرحيم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو...الخبر) [1] وغيرها، وجرى مع أمير المؤمنين علي عليه السلام في وقعة صفين مع معاوية[2].

وقد روى ابن شهرآشوب في (مناقبه) تعبير الإمام الحسن عليه السلام عن معاهدته مع معاوية بـ(الهُدنة)،إذ ذكر قوله عليه السلام: إنما هادنت حقناً للدماء وصيانتها، وإشفاقاً على نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي[3].

وفي رواية أبي سعيد أنه قال: قلت للحسن بن علي عليه السلام: يا بن رسول الله هادنت معاوية، وصالحته، وقد علمت أن الحق لك دونه، وأن معاوية ضال وباغ؟

فقال: يا أبا سعيد أَ لسْتُ حجة الله على خلقه، وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام؟

قلت: بلى.

قال: أَلَسْتُ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي ولأخي: هذان ولداي إمامان قاما أو قعدا؟

قلت: بلى.

قال: فأنا إمام إن قعدت يا أبا سعيد. علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني ضمرة، وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، وأولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل.

يا أبا سعيد: إذا كنت إماماً من قبل الله لم يجز أن أُسَفَّه فيما أتيته من مهادنتي أو محاربتي، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً، ألا ترى الخضر عليه السلام في خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، أسخط موسى عليه السلام فعله؛ لاشتباه وجه

١-شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ج٢ ص٢٣٢.
٢-وقعة صفين – ابن مزاحم ص٥٠٩.
٣-مناقب آل أبي طالب – ابن شهرآشوب ج٣ ص١٩٦.

الحكمة عليه، حتى أخبره فرضيَ.

فهكذا سخطتم عليَّ بجهلكم بوجه الحكمة، ولولا ما أتيت ما تُرِك من شيعتنا على وجه الأرض من أحد إلا وقُتل[1].

فعبَّرَ عليه السلام بالهدنة تارة، وبالصُّلح أخرى، كما عَبَّر السائل بهما أيضاً.

هل معنى الصُّلح القبول والرضا بالطرف الآخر؟.

هذا، وربما نظر البعض إلى كلمة الصلح بمعناها العرفي الدال على المصالحة والتراضي، وقبول الطرف الآخر، مع غفران ونسيان ما جرى قبل الصلح، وهو إعطاء الشرعيَّة لمعاوية في مقامنا هذا.

وهذا اشتباه واضح، وفهم مجتزئ للقضية؛ لأن التصالح والتسالم إنما هو أن يتراضى الطرفان، ويتوافقا على أمور لفَضّ النّزاع وإنهائِه، والهدنة كذلك، إلا أنها مؤقتة.

فليس بالضرورة أن يكون طرفا الصُّلح مؤمنين بما تراضيا عليه من شروط وأمور، إذ الغرض من الصُّلح هو فَضّ النّزاع وإيقاف الحرب، فلا يصحُّ حينها إشكال من يُشكل بأن يقول: كيف يرضى الإمام الحسن عليه السلام أن يتصالح، ويقبل بشروط معاوية، وإعطائه صفة الشرعية؟!، إذ إنَّ نتيجة القول بالصُّلح هي واحدةٌ مع نتيجة القول بالهدنة، في الجملة.

والمتأمِّلُ في بعض شروط الصُّلح يرى أن المعاهدة صلح لا هدنة، إذ إنَّ من أهم بنود الاتفاق أن يترك الإمام الحسن عليه السلام الأمر والحكم لمعاوية الطليق ابن الطلقاء، فهل في هذا مضمار هدنة، في تنازله عن اسّ النزاع وعموده، مع أنه صاحب الحق الشرعي؟!

١-الدرجات الرفيعة - المدني ص٣٩٩.

فالإمام عليه السلام لم يوقف الحرب والاشتباك بين الطرفين فقط؛ بل انسحب عن أصل الحكم والإدارة، وهو محل النزاع بين الطرفين؛ لذلك كان صدقُ الهُدنة على هذه الواقعة محلَّ تأمُّل.

على أن الإمام لم يقرّ لمعاوية بولاية الحكم، ولم يرضَ بذلك في إدارة شؤون المسلمين، ولكن ما حيلة المضطر إلا ركوبها، وعلى هذا جرت الأمور، بين الضرورة والاضطرار، فشرط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية: أن لا يسميه أمير المؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة،)[1]. وفي هذا دلالة على عدم أهلية معاوية لهذا الأمر، وسَلْبٌ للشرعيَّة الدينيَّة منهُ، وعدمُ اعترافٍ به أصلاً.

ومبايعةُ قادة جيش الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية، مضطرين أو مكرهين، وخروج الإمام الحسن عليه السلام بأهله وعياله من الكوفة متوجهاً الى المدينة، وتفرق جيش الإمام عليه السلام، بحيث لم يبق منه صورة ولا أثر بالمعنى العسكري للجيش، وانخراطُ رجاله وشيعته عليه السلام ومناصريه مع أبناء المجتمع بعد أن آمنهم من معاوية في ضمن الشروط الأساسية للصُّلح (على أن لا يتعقب على شيعة علي شيئاً) [2]، وقوله عليه السلام: (إنما هادنت حقناً للدماء وصيانتها، وإشفاقاً على نفسي وأهلي، والمخلصين من أصحابي) [3]، ليحفظ رقابهم من القتل، ودماءهم من السفك، ويحفظ لهم حقهم وكرامتهم، فأصبحوا من جملة رعايا الدولة الآمنين بشرطه عليه السلام، بعد أن عزم معاوية على استئصال شأفتهم من المجتمع الإسلامي وملاحقتهم تحت كل حجر ومدر.

فما أدري ما وجه عناصر القوة العسكرية الباقية للإمام عليه السلام ليواجه بها معاوية وجيشه، التي يحكي البعض عن وجودها في الواقع مقابل جيش معاوية، لتقع المعاهدة في إطار الهُدنة لا الصُّلح؟!.

١-علل الشرائع – الشيخ الصدوق ج١ ص٢١٢.
٢-علل الشرائع – الشيخ الصدوق ج١ ص٢١٢.
٣-مناقب آل أبي طالب – ابن شهرآشوب ج٣ ص١٩٦.

نعم، إن شيعة الإمام الحسن عليه السلام المخلصين الثابتين، مشخصون ومعروفون، وهُمْ قِلَّةٌ نسبة لجيش معاوية وحزبه، والمنافقين في الكوفة، والخوارج، والانتهازيين النَّفْعيين، ومن الضعفاء المتذبذبين، وإن كانت المحبة لأهل البيت عليهم السلام موجودة في قلوب كثير من أهل الكوفة في الجملة، فإذا ما رفع السيف عليه السلام وخرق الهدنة أو الصُّلح فسوف يأتونه حتماً، فيقضى على أصحابه الخُلص بيسر وسهولة، دون جهد وعناء، بدعوى أنهم خارجون عن الدولة، خارقون للصلح والمعاهدة، فينتفي الغرض الأساس من الصُّلح في حفظ شيعته وشيعة أبيه، والهدف في إدراجهم في الوسط الاجتماعي آمنين مستقرين، وعدم عزلهم عن الناس.

ولا يُعرف لهذا الدين وهذه المِلَّة مَنْ يُمثله من الرجال والأصحاب ممن يقومون به وبنشره، فنأى الإمام الحسن عليه السلام بهم عن الموت، وحافظ على أرواحهم.

فبهذه الثُلّة المخلصة المؤمنة، بدأ عليه السلام بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام ونشر فضائلهم، وتوعية الناس وتبصرتهم بالحقائق، ونشرهم في الأمصار الإسلامية، وتهيئة القاعدة لكل أمر جديد وطارئ.

وهذا ما هيَّأ الأمر لخروج الإمام الحسين عليه السلام على الطاغية يزيد، وقام بنهضته الإصلاحية الكبرى، مع قلة العدد وخذلان الناصر، ولكنه عليه السلام واجَهَ الطغاة، ولم يأبه لهم، بعد أن آمن أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام تجذّرت أسسُها، وترسّخت، وقويت أعوادُها، واشتدَّت سواعدُها، وكثُر رجالُها في الأمصار، وانتشر فكرُها بين المسلمين، وما هذا إلا ببركة صلح الإمام الحسن عليه السلام.

مع أن معاوية كان يرتعد من تلك السيوف العلوية المؤمنة المخلصة، لأنه قد جرَّبَها في معركة صفين، ورأى بأسَها، فهو يحذرها أشدّ الحذر.

ولولا خيانة البعض وتخاذلهم أمام إغراء معاوية وإغوائه بالإعلام الكاذب، وهو ما أَدَّى إلى تزعزع الحالة المعنوية للقتال لعامة جيش الإمام الحسن عليه السلام دون

خاصته وشيعته، وهُمْ قِلَّةٌ مقارنة مع الباقين، فحافظ عليهم الإمام الحسن عليه السلام من القتل والهلاك، وهذا ما أدى إلى القبول بالصلح بعد أن أرسل معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام بصحيفة بيضاء، وذيّلها بخاتمه، وأبدى استعداده للموافقة على جميع ما يشترط الإمام عليه السلام فيها، وكتب إليه: أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك)[1]. فتأمَّل.

بل ومن التأمل في أقوال الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية وأفعاله وخطبه ومحاوراته بعد الصلح، ترى منه رفضاً كاملاً لمعاوية، شكلاً ومضموناً[2].

وتعرفُ ذلك صريحاً من قراءة بُنود الصُّلح الموقّعة بين الطرفين، وتعرفُ منها الإنكار الشديد للإمام الحسن عليه السلام لوصول الحكم إلى معاوية الطليق.

لكنَّ الظروف المحيطة، الزمانية والمكانية، اضطرت الإمام الحسن عليه السلام للصلح وترك الحكم لمعاوية، كما نبَّهَ إلى ذلك عليه السلام مرات عديدة.

فمِنْها: أنه بعد عقد الصلح وإبرامه، ارتقى الإمام الحسن عليه السلام المنبر بالتماسٍ من معاوية:

فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقال:

أيها الناس إن أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور...إلى أن قال:

وقد علمتم أن الله – جل ذكره وعز اسمه – هداكم بجدي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنقذكم من الضلالة، وخلصكم من الجهالة، وأعزكم به بعد الذلة، وكثركم به بعد القلة.

١-أنساب الأشراف- البلاذري ج٣ ص ٤١،الكامل في التاريخ - ابن الأثير ج٣ ص ٤٠٥، فتح الباري- ابن حجر ج ١٣ص ٥٥ – ٥٦، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك - ابن الجوزي ج ٥ ص ١٨٣، تاريخ ابن خلدون - ابن خلدون ج٢ ق٢ ص١٨٦.

٢-انظر الطلقاء في الإسلام حقيقتهم وأحكامهم – السيد محمود المقدس الغريفي ص١٩٨-٢٢٠.

وإن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمة، وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني، وتحاربوا من حاربني، فرأيت أن أسالم معاوية، وأضع الحرب بيني وبينه، وقد صالحته، ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها، ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم، ﴿ **وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ [1]، [2].

فتأملْ عميقاً في قوله عليه السلام (وإن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمة، وقطع الفتنة... وقد صالحته).

فإن صاحب الحق لا يترك حقَّهُ إلا مكرهاً أو مضطراً، أو أنَّ هناك مصلحة دونه أهم وأقوى، وهي- في ظرف الإمام الحسن عليه السلام- صلاح الأمة، وقطع دابر الفتنة فيها، والحفاظ على رقاب البقية المخلصة من أصحابه وشيعة أبيه.

وهذا القول ليس بالقول البعيد، فهو يحاكي قول أبيه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في البيعة، حينَ قال: لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه[3].

وهو عليه السلام قد بيَّن علَّة مصالحته لمعاوية بقوله عليه السلام لأحد أصحابه: يا أبا سعيد؛ علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني ضمرة، وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، وأولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل)[4].

فإن قلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقَرَّ بصلحه مع الكفار والمشركين بشرعيتهم،

١-سورة الأنبياء/ آية ١١١.
٢-ينابيع المودة - القندوزي الحنفي ج٢ ص٤٢٦-٤٢٧.
٣-نهج البلاغة - شرح محمد عبدة ج ١ ص ١٢٤.
٤-الدرجات الرفيعة - المدني ص٣٩٩.

فيمكن القول بأن الإمام الحسن عليه السلام أقر بتلك الشرعيَّة لمعاوية محاكياً بذلك سيرة جده صلى الله عليه وآله وسلم.

لكن العكس هو الصحيح، وحاشاهُما صلوات الله عليهما أنْ يُقِرَّا بتلك الشرعيَّة؛ إذ لا دلالة من الصُّلح على الاعتراف بشرعيتهم، غايته فَضُّ للنزاع والمواجهة، والتصالح؛ لأهداف أهم وأسمى.

هل صلح الحسن عليه السلام هو تنازل عن الخلافة الإلهية؟.

ثم إنَّه ليس في هذه المعاهدة إشارة إلى تنازل الإمام عليه السلام عن الخلافة والإمامة الإلهيَّة إلى معاوية؛ لأنها أمر الهي ثابت بالنص، يهبه الله تعالى لمن يشاء من عباده الذين اصطفى، ولا يحق لهم أن يخلعوه عنهم، أو يهبوه لغيرهم، وهذا دون الحكم وإدارة شؤون الدولة، فإنهم عليهم السلام وإن كانوا أهلاً له، إلا أنه مع وجود مصلحة أهم وأقوى، يمكنهم الإعراض عنه وتركه للآخرين.

وهذا ما صرح به الإمام الحسن عليه السلام علناً، وبعد الصلح مباشرة، حينما نَفَى الخلافة عن معاوية، مكذباً دعوى معاوية في خطبته بأن الإمام الحسن عليه السلام رآه أهلاً لها...

فرد عليه الإمام الحسن عليه السلام، وكشف زيف دعواه، وكذبها في وقتها وساعتها، فإنه: لما وادع الحسن بن علي عليهما السلام معاوية، صعد معاوية المنبر، وجمع الناس، فخطبهم، وقال:

إن الحسن بن علي رآني للخلافة أهلاً!، ولم ير نفسه لها أهلاً!.

وكان الحسن عليه السلام أسفل منه بمرقاة، فلما فرغ من كلامه، قام الحسن عليه السلام، فحمد الله تعالى بما هو أهله، ثم ذكر المباهلة، فقال:

فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنفس بأبي، ومن الأبناء بي وبأخي، ومن النساء بأمي، وكنا أهله، ونحن له، وهو منا، ونحن منه.

ولما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله في كساء لأم سلمة رضي الله عنها خيبري، ثم قال:

اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، فلم يكن أحد في الكساء غيري وأخي وأبي وأمي.

ولم يكن أحد يجنب في المسجد، ويولد له فيه إلا النبي صلى الله عليه وآله وأبي، تكرمة من الله تعالى لنا، وتفضيلاً منه لنا.

وقد رأيتم مكان منزلنا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمر بسد الأبواب، فسدها، وترك بابنا، فقيل له في ذلك.

فقال: أما إني لم أسدها، وأفتح بابه، ولكن الله عز وجل أمرني أن أسدها، وأفتح بابه.

وأن معاوية زعم لكم أني رأيته للخلافة أهلاً!، ولم أر نفسي لها أهلاً!، فكذب معاوية!!، نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله، ولم نَزل أهل البيت مظلومين منذ قبض الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقنا، وتوثب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفيء، ومنع أمنا ما جعل لها رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، وما طمعت فيها يا معاوية.

فلما خرجت من مَعدنِها تنازعتها قريش بينها، فطمعت فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء، أنت وأصحابك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

ما وَلَّتْ أمة أمرها رجلاً، وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا).

وقد تركت بنو إسرائيل هارون، وهم يعلمون أنه خليفة موسى عليه السلام فيهم، واتبعوا السامري.

وقد تركت هذه الأمة أبي، وبايعوا غيره، وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة).

وقد رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله نصب أبي يوم غدير خم، وأمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب.

وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه، وهو يدعوهم إلى الله تعالى حتى دخل الغار، ولو وجد أعواناً ما هرب.

وقد كف أبي يده حين ناشدهم، واستغاث فلم يغث.

فجعل الله هارون في سعة حين استضعفوه، وكادوا يقتلونه.

وجعل الله النبي صلى الله عليه وآله في سعة حين دخل الغار، ولم يجد أعواناً، وكذلك أبي، وأنا في سعة من الله حين خذلتنا الأمة، وبايعوك يا معاوية.

وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً.

أيها الناس، إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب أن تجدوا رجلاً ولده نبي غيري وأخي لم تجدوه...[1].

أضف إلى ذلك أن بنود الصلح على تنوع مصادرها لم يرد فيها أنه عليه السلام صالحه

١-الأمالي - الشيخ الطوسي ص ٥٥٩ – ٥٦٠.

ليسلمه الخلافة، ولا أشار إلى ذلك من قريب أو بعيد في خطبه عليه السلام قبل الصلح وبعده، وإنما ورد على أن يترك له الأمر، أو يسلمه الحكم ونحو ذلك، ولا أثر في تلك البنود لكلمة الخلافة.

فقد ورد في الصُّلح: (هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب، معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة الخلفاء الصالحين الراشدين المهديين)[1]، (..وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حق كان لي فتركته له، وإنما فعلت ذلك لحقن دمائكم..)[2].

كما أن من أهم بنود الصلح التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام على معاوية أن لا يسميه بأمير المؤمنين، وأن لا يقيم عنده شهادة.

والمُتأمِّلُ في هذين الشرطين المهمين يجد فيهما الفراء كله، على طريقة المثل السائر (كل الصيد في جوف الفراء)، حيث يرى المُتأمِّل أنه عليه السلام قد انتزع عن معاوية كل صفة دينية يريد أن يتشبث بها معاوية، ونفى عنه كل طموح للوصول لأمرة المؤمنين، وإثبات أنه خليفة شرعي تقام عنده الشهادة والحكم.

فقد نقل الشيخ الصدوق في كتاب (علل الشرائع) عن محمد بن بحر الشيباني رضي الله عنه في كتابه المعروف (الفروق بين الأباطيل والحقوق) في معنى موادعة الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام لمعاوية، فذكر سؤال سائل عن تفسير حديث يوسف بن مازن الراسبي في هذا المعنى، والجواب عنه... فقال:

بايع الحسن بن علي صلوات الله عليه معاوية على أن لا يسميه أمير المؤمنين،

١-الفصول المهمة في معرفة الأئمة- ابن الصباغ ج٢ ص ٧٢٨- ٧٢٩.
٢-شرح الأخبار - القاضي النعمان ج٣- ص١٠٥، المصنف - ابن أبي شيبة ج ٧ ص٢٧٧.

ولا يقيم عنده شهادة، وعلى أن لا يتعقب على شيعة علي شيئاً، وعلى أن يفرق في أولاد مَنْ قتل مع أبيه يوم الجمل، وأولاد من قتل مع أبيه بصفين، الف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد[1].

قال: ما ألطف حيلة الحسن صلوات الله عليه هذه في إسقاطه إياه عن إمرة المؤمنين.

قال يوسف: فسمعت القاسم بن محيمة يقول: ما وفى معاوية للحسن بن علي صلوات الله عليه بشيء عاهده عليه[2].

والإمام عليه السلام لم يستجب لحرب الخوارج مع معاوية، والحال أنه لو كان خليفة، أو كان الإمام الحسن عليه السلام قد رضيه أهلاً لذلك، لكان أمره لازم التنفيذ، بل إنه عليه السلام قال لمعاوية: أنت أولى بالقتل!!، ولكني تركته خوف الفتنة وإراقة الدماء.

وروى ذلك ابن الأثير في (تاريخه)، فقال: وكان الحسن بن علي قد سار يريد المدينة، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فروة، فلحقه رسوله بالقادسية، أو قريباً منها، فلم يرجع، وكتب إلى معاوية:

لو آثرت أنه أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك! فإني تركتك لصلاح الأمة وحقن دمائها[3].

وروى أبو الحسن المدائني، قال: خرج على معاوية قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصلح الحسن، فأرسل إلى الحسن عليه السلام يسأله أن يخرج، فيقاتل الخوارج؟

فقال الحسن: سبحان الله! تركت قتالك، وهو لي حلال؛ لصلاح الأمة

١-دار أبجرد: ولاية بفارس على حدود الأهواز، وهي غير محلة (دار أبجرد) المتصلة بالصحراء في أعلى نيسابور.
٢-علل الشرائع – الشيخ الصدوق ج١ ص٢١٢.
٣-الكامل في التاريخ – ابن الأثير ج ٣ ص٤٠٩.

وألفتهم، أ فتراني أقاتل معك؟![1].

وفي رواية أخرى: فوجه إليه معاوية يسأله أن يكون المتولي لمحاربة الخوارج، فكان جواب الإمام الحسن عليه السلام:

والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، وما أحسب ذاك يسعني، أ فأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتال منهم![2].

هذا وحيث كانت شيمة الطلقاء الغدر وعدم الوفاء بالعهد، فقد أَعْلَنَ معاوية نقضه لبنود الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام على الملأ، فعن أبي إسحاق السبيعي، قال: سمعت معاوية بالنخيلة يقول:

ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به!؟، قال أبو إسحاق: وكان والله غَدارا[3]. فهذا طبعُ معاوية ونفسيتُه الوضيعة التي جُبِلَ عليها، والتي لا تعرف إلا الغدر والمكر والختل، وبهذا كُشِفَتْ حقيقة معاوية أمام عامة الناس، وخبث عنصره، لمن اغتر به، وخَدعهُ إعلامه الكاذب.

١-شرح نهج البلاغة- ابن أبي الحديد ج ١٦ ص١٤.
٢-شرح نهج البلاغة- ابن أبي الحديد ج ٥ ص٩٨.
٣-مقاتل الطالبيين – أبي الفرج الأصفهاني ص ٤٥، شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ج ١٦ص٤٦.

حَصيلةُ القَوْلِ وخُلاصتُهُ :

أنَّ الصُّلح هو معاقدة على ترك الحرب ورفع النزاع وإنهاء الخصومة بين شخصين، وقد شُرع لقطع المنازعات، بإجماع المسلمين.

وقد يعبر عن الصُّلح بالهدنة أي السكون، حيث أنها تفيد الصُّلح والموادعة بين كل متحاربين.

كما قد يطلق الصُّلح على الهدنة وبالعكس، كما في صلح الإمام الحسن عليه السلام وصلح(هدنة) الحديبية، إما من باب التسامح والمجاز، أو لإطلاق العام على الخاص وبالعكس، لاختلافهما في الواقع الفقهي والتاريخي، وهذا الأمر شائع في لغة العرب وكلامهم.

فإن الهدنة أخصُّ من الصُّلح وفرع منه، لأنها عقد أمان، ومعاقدة على ترك الحرب ووضع للقتال، بين جيشين متقاتلين قائمين، إلى مدة زمنية معينة محدودة لوقف القتال، إما على عوض أو على غير عوض.

وهذا ما لم نره في صلح الإمام الحسن عليه السلام، فإنه ترك الحكم لمعاوية، والتحق بمدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتفرق جيشه بين عموم الناس والأمصار، ونحو ذلك.

هذا، مع صدق دلالة كلمة الصُّلح والهُدنة على المعاهدة بنحو الدلالة المطابقية.

وعلى هذا فلا وجه للتمسك بالقول: إن الإمام الحسن عليه السلام هادن معاوية، وتخطئة من قال: إنه صالحه.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم - كلام رب العالمين.
- الأمالي – الشيخ الطوسي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى/ ١٤١٤هـ ، نشر دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم.
- أنساب الأشراف - البلاذري، تحقيق د. محمد حميد الله/ ١٩٥٩ م، مطابع دار المعارف بمصر، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر.
- تاج العروس- الزبيدي، تحقيق علي شيري/ ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، طباعة ونشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- تاريخ ابن خلدون – ابن خلدون، الطبعة الرابعة، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة - السيد علي خان المدني، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم/ ١٣٩٧هـ، منشورات مكتبة بصيرتي - قم المشرفة.
- السرائر – ابن إدريس الحلي، تحقيق لجنة التحقيق، الطبعة الثانية/ ١٤١٠هـ،طباعة ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- شرح الأخبار- القاضي النعمان المغربي، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي، طباعة ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،

نشـر دار إحيـاء الكتـب العربيـة- عيسـى البـابي الحلبـي وشركاه.

- الصحـاح - الجوهـري، تحقيـق أحمـد عبـد الغفـور العطـار، الطبعـة الرابعـة/ ١٤٠٧- ١٩٨٧م، نشـر دار العلـم للملايـين - بـيروت - لبنـان.
- الطلقـاء في الاسـلام حقيقتهـم وأحكامهـم- محمـود المقـدس الغريفـي، الطبعة الأولى/ ١٤٣٣هـ، نشـر دار رؤى للطباعة والنشـر- النجف الأشرف، مطبعة النـبراس- النجف الأشرف.
- علـل الشرائـع - الشـيخ الصـدوق، تقديـم السـيد محمـد صـادق بحـر العلوم/ ١٣٨٥- ١٩٦٦م، منشـورات المكتبـة الحيدرية ومطبعتهـا - النجف الأشرف.
- العـين - الخليـل الفراهيـدي، تحقيـق د. مهـدي المخزومـي - د. إبراهيـم السـامرائي، الطبعـة الثانيـة/ ١٤٠٩هـ، نشـر مؤسسـة دار الهجـرة - إيـران - قـم المشرفـة.
- فتـح البـاري - ابـن حجر، الطبعـة الثانيـة، طباعـة ونشـر دار المعرفـة للطباعة والنـشر بـيروت - لبنان.
- الفصـول المهمـة في معرفـة الأئمـة - ابـن الصبـاغ المالكـي، تحقيـق سـامي الغريـري، الطبعـة الأولى/ ١٤٢٢هـ، المطبعـة سرور، نشـر دار الحديـث للطباعـة والنـشر.
- القامـوس الفقهـي - د. سـعدي أبـو حبيـب، الطبعـة الثانيـة/ ١٤٠٨- ١٩٨٨م، نشـر دار الفكـر - دمشـق - سـوريا.
- الكامـل في التاريـخ - ابـن الأثـير/ ١٣٨٦ - ١٩٦٦م، المطبعة دار صـادر - دار بيروت، نشـر دار صـادر للطباعة والنشـر- دار بيروت للطباعة والنشـر.
- الكامـل في التاريـخ - ابـن الأثـير/ ١٣٨٦ - ١٩٦٦م، المطبعـة دار صادر - دار بيروت، نشـر دار صادر للطباعة والنشـر - دار بيروت للطباعة والنشـر.

- لسان العرب- ابن منظور/ محرم ١٤٠٥هـ، نشر أدب الحوزة.
- المبسوط- الشيخ الطوسي، تصحيح وتعليق محمد الباقر البهبودي، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية.
- مجمع البحرين - الشيخ الطريحي، الطبعة الثانية/ ١٣٦٢ش، المطبعة چاپخانهء طراوت، نشر مرتضوي.
- المخصص- ابن سيدة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- المصنف- ابن أبي شيبة، تحقيق وتعليق سعيد اللحام، الطبعة الأولى/ ١٤٠٩- ١٩٨٩ م، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
- معجم ألفاظ الفقه الجعفري - د.أحمد فتح الله، الطبعة الأولى/ ١٤١٥- ١٩٩٥م، مطابع المدوخل - الدمام.
- المعجم القانوني - حارث سليمان الفاروقي، الطبعة الثالثة / ١٩٩١م، مطابع تيبو پرس، نشر مكتبة لبنان - بيروت - لبنان.
- معجم لغة الفقهاء - محمد قلعجي، الطبعة الثانية/ ١٤٠٨- ١٩٨٨م، نشر دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
- مفردات ألفاظ القرآن- الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داودي،الطبعةالثانية/ ١٤٢٧هـ،المطبعةسليمانزاده،نشرطليعةالنور.
- مقاتل الطالبيين - أبي الفرج الأصفهاني، تقديم وإشراف كاظم المظفر، الطبعة الثانية/ ١٣٨٥- ١٩٦٥م، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف.
- مناقب آل أبي طالب - ابن شهرآشوب، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من

أساتذة النجف الأشرف/ ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، طباعة ونشر المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف.

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك - ابن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، الطبعة الأولى/ ١٤١٢ - ١٩٩٢م، نشر دار الكتب العلمية - بيروت. لبنان.
- النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الطبعة الرابعة/ ١٣٦٤ ش، نشر مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم - إيران.
- نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام، شرح الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى/ ١٤١٢ - ١٣٧٠ش، مطبعة النهضة - قم، نشر دار الذخائر - قم - إيران.
- وسائل الشيعة- الحر العاملي(آل البيت)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية/ ١٤١٤ هـ، المطبعة مهر - قم، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.
- وقعة صفين- ابن مزاحم المنقري، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية/ ١٣٨٢هـ، المطبعة المدني - مصر، نشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة.
- ينابيع المودة - القندوزي الحنفي، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، الطبعة الأولى/ ١٤١٦ هـ، المطبعة أسوه، نشر دار الأسوة للطباعة والنشر.

مجلة الزكي العلمية

AL-ZAKI - QUARTERLY AUTHORIZED JOURNAL

دراسة مقارنة في مرآة المستشرقين (صلح الحسن) عليه السلام

من المنظور السياسي والقانوني والاجتماعي

اسماء نعمان صالح

الملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيد الخلائق وخاتم النبيين محمد وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين.

اما بعد: من مسوغات البحث التوقف عند الاسباب التي أدت بالمستشرقين الى اتباع هذا الاسلوب ودراسته دراسة مقارنّه معززةّ بالأدلة المعتبرة فكانت من هذه الأسباب رجوع المستشرقين الى روايات أمويّة أو النقل من اسلافهم والتأثر بآرائهم أو من خلفية فكرية مسبقة عن الإسلام. عرضنا في هذا البحث الأمور التي اتهم بها الإمام الحسن عليه السلام من قبل المستشرقين بأنه شخص تنقصه القوة المعنوية والشجاعة لقيادة شعبه ثم تناقضت أقوالهم في سبب وفاة الإمام الحسن عليه السلام حيث اختلفوا في تنازله عن الخلافة والتخلي عنها مقابل الأموال فتبين انهم انقسموا إلى صنفين صنف أحادي النظرة أو درس التأريخ من باب واحد وصنف متعصب متحامل. ولم يكن الإمام الحسن عليه السلام حسب ادعائهم تنقصه الشجاعة لكن الظروف التي احاطت به وسرعة انكسار جيشه أدت بالإمام عليه السلام الى قبول الصلح ثم بينا نظرية الصلح وبنودها وأبعادها السياسية والقانونية والاجتماعية. وتبين عكس أقوال المستشرقين حيث ان نظرية الصلح للإمام الحسن عليه السلام تمثلت برسوخ هائل يجعل من غير المحتمل ان تظهر أدلة تنافي ما أثبتته نظرية الإمام عليه السلام عن معاوية. وان الإمام عليه السلام قائد عظيم استطاع اقرار اتفاق سياسي يحمل من خلال بنوده كل مفاهيم السلم ويجعلها لصالح الأمة. وعلى ما يبدو أن المستشرقين لم يطالعوا التأريخ من جميع أبوابه بل أكتفوا بالروايات الموضوعة التي دست لتشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام عن طريق أقلام الأموية وتناسوا أن هناك الكثير من المصادر تتحدث عن سيرة الامام عليه السلام العطرة. وهكذا جعل الإمام عليه السلام من خلال بنود الصلح أدلة ادانة معاوية عبر التأريخ.

مشكلة البحث:

كان ولازال صلح الإمام الحسن عليه السلام له من الجسامة بمحل،بحيث يشكل منعطفا تأريخيا في مسيرة الأمة الإسلامية، وعلى الرغم من هذه الاهمية لهذا الحدث التأريخي، الّا انا لم نجد من تناوله من المؤرخين بانصاف! وبالتالي رسمت له لوحة غير واضحة الملامح، ومن هنا يثور الاشكال من حيث المنهج الذي سلكه المستشرقون حيث تضمن إلقاءهم شبهات بحق الامام الحسن عليه السلام بوصفه شخصية متخاذلة غير قادرة على القيادة، وتثور من جانب اخر حول ماهية الصلح وما دار حوله من شبهات، منها تنازل الامام عليه السلام عن الخلافة مقابل الاموال وغيرها من التهم العارية عن الصحة، فلماذا ياترى هذه الرؤية المشوهة؟ وهل فعلا ان الامام عليه السلام تنازل عن الخلافة لمعاوية وهل فعلا اعترف بشرعية معاوية كخليفة للمسلمين وهل لهذا الصلح بنود تمكنت ان تجعل منه نظرية راسخة عبر التأريخ؟ وهل تمكن الامام الحسن عليه السلام من كشف زيف الوجه الاموي؟

فرضيات البحث:

١-هل فعلا ان الامام تخلى عن الخلافة مقابل الاموال ورضي بمعاوية خليفة للمسلمين؟

٢-هل للصلح ابعاد سياسية قانونية اجتماعية؟

أهداف البحث:

١- الرد على مشكلة الشبهات المثارة حول الصلح بالرد عليها وبيان حقيقتها

٢- اثبات ان الامام الحسن عليه السلام قائد ذو حكمة سياسية عظيمة عكس ماقالته اقلام المستشرقين.

٣- اسقاط التهم التي وجهت للإمام عليه السلام بالأدلة الدامغة

٤- ان الصلح نظرية راسخة

حدود البحث:

تضمن البحث أقوال المستشرقين عن شخص الإمام الحسن عليه السلام وعن الصلح أيضا، والرد عليها مقارنة بالروايات المعتبرة، إضافة الى بيان حقيقة الصلح وملابساته، وتحليل بنوده وإثبات أبعاده السياسية، والقانونية، والإجتماعية.

أهمية البحث:

أهمية البحث تكمن في بيان زيف ادعاءات المستشرقين في شخص الامام الحسن عليه السلام، ومقارنتها بحقيقة سيرة الامام الحسن عليه السلام العطرة ذلك النور المحمدي الساطع بتوثيق

المصادر التأريخية الصحيحة.

إضافة الى كشف الستار عن الشبهات التي دارت حول الصلح وبنوده، وإثبات أن الصلح كان اتفاقا سياسيا يجسد كل مفاهيم السلم ويجعلها في صالح الامة، وان الامام عليه السلام جسد نظرية سياسية_قانونيه_اجتماعية من خلال بنود الصلح ووظفها لصالح الامة الاسلامية، إضافة إلى ان الامام عليه السلام جعل من خلال بنود الصلح أدلة أدانة معاوية عبر التأريخ، وتصدى الامام عليه السلام من خلال صلحه لمخططات معاوية، وحفظ الرسالة المحمدية، وحقن دماء المسلمين، وهكذا سجل الامام الحسن عليه السلام بصلحه انتصارا تأريخيا.

المقدمة:

وتبقى أقلام المؤرخين تطال سبط الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم الحسن المجتبى سيد شباب اهل الجنة والسبب كان عقده لصلح مع عدو ظالم اراد طمس معالم الامة الاسلامية وفنائها، اضطرته الظروف القاهرة له في ظل خيانة، وخذلان، وتقاعس، وتلون المجتمع المحيط به آنذاك. فواجه الامام عليه السلام تيار الباطل بصلح ابدع بصياغة بنوده ملزما فيه الحقوق الشرعية والانسانية والاجتماعية والقانونية التي يحتاجها المجتمع. إن صلح الإمام الحسن عليه السلام يمكن ان يكون منهجا سياسيا يحتذى به لو تخلت السلطة الحاكمة في أي وقت عن منهج الخداع والزيف والتآمر. ان شروط الصلح كانت شرعية صاغها الامام لخدمة الامة الاسلامية في ظل ظروفه الصعبة آنذاك، والزم معاوية فيها إلا ان معاوية ما لبث ان نقضها شرطا شرطاً، وازيل الستار الذي كان يقبع خلفه ليعتلي العرش الذي كان يصبو اليه، فبدأت بسلطته مرحلة جديدة في تأريخ الاسلام حيث حاول طمس معالم الدين وتشويه صورته، وبذلك خالف الاتفاق السياسي مع الامام الحسن عليه السلام.

ان هذا البحث ارتكزت فكرته على الرد على الشبهات وإظهار الحقيقة،اضافة الى الجوانب السياسية والقانونية والاجتماعية التي تضمنتها اتفاقية الصلح من خلال بنودها، ومن ثم التأكيد بالأدلة على أن الامام لم يتنازل عن الخلافة ولم يعترف بشرعية معاوية لها.

المبحث الأول: فقد تضمن الرد على التهم التي طالت الامام عليه السلام من قبل المستشرقين وبيان الحقيقة حيث وصفوه بانه قعيد الهمة لا يستطيع ادارة شعبه واثبتنا عكس ذلك حيث ان الامام عليه السلام قائد عظيم. اما المبحث الثاني: فقد تكون من مطلبين المطلب الاول تضمن الرد على شبهة ان الامام كان مزواجاً مطلاقاً، وبينا بطلانها وان الامام كان زاهدا عابدا بعيداً عن الشهوات. اما المطلب الثاني فقد تضمن الرد على شبهة وفاة الامام عليه السلام واختلاف اراء المستشرقين وتناقضها وبينا

حقيقة وفاة الامام. اما المبحث الثالث: فقد تضمن الرد على شبهة تنازل الامام عليه السلام عن الخلافة مقابل الاموال، اضافة الى اثبات ان الصلح نظرية سياسية قانونية اجتماعية من خلال بنودها.وتضمن خاتمة بينت بشكل موجز نتائج البحث وما جسدته بنود الصلح من مصالح خاصة وعامة للمجتمع يمكن ان ينهل منها العالم اجمع، لأنها عززت فكرة السلم والترابط الاجتماعي ونبذ الطائفية بعيدا عن التفرقة والحرب وسفك الدماء،وهكذا حافظت على الموارد البشرية والاقتصادية والانسانية في آن واحد وهذا ما يحتاجه العالم الان.

المبحث الاول

المطلب الاول: أقوال المستشرقين:

قال فيليب حتي: «ولكن الحسن الذي كان يميل الى الترف والبذخ لا الى الحكم والإدارة لم يكن رجل الموقف فانزوى عن الخلافة مكتفيا بهبة سنوية منحه إياها معاوية» [1] وقال: «توفي الحسن(نحو٦٦٩م)وهو في الخامسة والاربعين والراجح أنه مات مسموما أثر دسيسة دبرها بعض نسائه»[2] وقال نتنج: «مبايعة اهل الكوفة للإمام الحسن جأت من باب الاحترام لذكرى الإمام عليّ وان الحسن كان يؤثر العافية ويحب السلم،وقد ظفر بكنية المطلاق الكبير من زيجاته الكثيرة التي يقول البعض إنها بلغت المائة، لم يقم إلا بحركة واحدة لإنقاذ عرشه فوجه جيشا من الكوفة ضد معاوية، ولكن لما بلغت المدائن الشائعات عن انهزام جيوشه تنازل على الفور لمعاوية الذي بعث إليه بصحيفة بيضاء وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك. لم يخجل الحسن من أن يطلب ويشترط في رده أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف الف درهم وعندئذ، وقد وضع في جيبه مكاسب لايستحقها، انصرف إلى المدينة

١- حتي، فيليب: موجز العرب تاريخ،بيروت ١٩٤٦،ص ٧٨.
٢- حتي، فيليب: تاريخ العرب، ج١،دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع،ط٤: ١٩٦٥،ص ٢٥٠.

حيث توفي بعد سنوات ثمان مسموما على يد إحدى زوجاته». [١] وقال الراهب اليسوعي لامنس المتخصص بالتاريخ الاسلامي[٢]: «الحسن أكبر أبناء عليّ من فاطمة بنت رسول الله ويلوح ان الصفات الجوهرية التي كان يتصف بها الحسن هي الميل الى الشهوات والافتقار الى النشاط والذكاء. ولم يكن الحسن على وفاق مع أبيه وإخوته عندما ماتت فاطمة ولما تجاوز الشباب. وتوفي الحسن في المدينة بذات الرئة ولعل افراطه في الملذات هو الذي عجل بميته. [٣] وقال: « بويع للحسن بعد مقتل عليّ، فحاول انصاره ان يقنعوه بالعودة الى قتال أهل الشام، وقلب هذا الإلحاح من جانبهم حفيظة الحسن القعيد الهمة، فلم يعد يفكر إلا في التفاهم مع معاوية، كما أدى إلى وقوع الفرقة بينه وبين أهل العراق، وانتهى بهم الأمر إلى إثخان إمامهم اسماً، لا فعلاً بالجراح، فتملكت الحسن منذ ذلك الوقت فكرة واحدة هي الوصول الى اتفاق مع الأمويين، وترك له معاوية أن يحدد ما يطلبه جراء تنازله عن الخلافة، ولم يكتف الحسن بالمليوني درهم التي طلبها معاشاً لأخيه الحسين،بل طلب لنفسه خمسة ملايين درهم ودخل كورة في فارس طيلة حياته...» [٤]

قال جرهارد كونسلمان:»ان الروايات قد اتفقت على ان الحسن لم يظهر فرحا لتولي الحكم وقد أدرك عليّ نفسه ان ابنه لا يهتم بالسياسة أو لا يظهر تفقها لها في الدولة الاسلامية ولقد كان للحسن اهتمامات شخصية في صباه المبكر،وهكذا اكتسب لقب المطلق وذلك لتغييره الدائم لزوجاته، فلأن الاسلام لا يصرح له بأكثر من أربع زوجات – باستثناء النبي سمح له بأكثر من هذا العدد،كان الحسن

١ – ناتنج، انتوني، العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام،ي،ك،ترجمة دكتور راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية١٩٧٤م، ص ٩٢.
٢ – قال عبد الرحمن بدوي في موسوعته عن المستشرقين، لامنس: مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الاسلام، يفتقر افتقارا تاما الى النزاهة في البحث والامانة في نقل النصوص وفهمها. ويعد نموذجا سيئا جدا للباحثين في الاسلام من بين المستشرقين.
٣– الموسوعة الاسلامية اشرف على تاليفها فنسنك واخرون وكتبت باللغة الانكليزية وترجمت الى الفرنسية والالمانية ثم ترجمت الى العربية ونحن ننقل من النسخة العربية:ج٧،ص٤٠١/ ٤٠٢.
٤ – دائرة المعارف الاسلامية،ص٤٠١/ ٤٠٢

يطلق زوجة ليحل محلها أخرى..،وفي رده قام الحسن بتحديد مطالبه مقابل تنازله عن الخلافة يطلب خمسة ملايين درهم – مرة واحدة للأبد –ويمنح طيلة حياته إقليماً غنياً في فارس. وقد مد الحسن أثر التنازل عن الخلافة على اخيه الحسين ايضا، فبيع حقوق الاخير تعني نصف المبلغ الذي طلبه الحسن لنفسه» [١]. قال سايكس:»ان الحسن غير جدير بأن يكون إبنا لعليّ لأنه شغل بملذاته بين نسائه واكتفى بارسال اثني عشر الف جندي كطليعة لجيشه بينما احتفظ بقلب الجيش في المدائن حيث ظل يتنزه في الحدائق وخاف ان يجرب حظه في ميدان القتال» [٢]. قال هنري ماسيه:»بعد موت عليّ نادى أتباعه بولده الحسن كخليفة،وهو غير أهل لذلك –ربما كان مصدورا – ولم يكن يفكر إلا بأن يحمل معاوية على ان يرسل له الكثير من المال مقابل تخليه عن الخلافة.وقد انسحب الى المدينة ومات فيها وهو لا يزال شابا» [٣].اما ما قاله دوايت رونلدسن:»إلا انه مهما كانت درجة التشابه الظاهري مع النبي (ص)فإن الاخبار تدل على ان الحسن كانت تنقصه القوة المعنوية والشجاعة والضبط النفسي والقابلية العقلية لقيادة شعبه بنجاح»[٤]. قال كارل بروكلمان:» كان معاوية قد اتخذ طريقه الى العراق، مجتازا الجزيرة، قبل مقتل عليّ وخلف عليا أول الأمر، ابنه الحسن. ولم يكن الحسن هذا رجل الساعة فلم يرتض أن يقود جنوده في هجوم على خصمه.والواقع أنه آثر مفاوضة معاوية وتنازل عن حقه في الخلافة على ان تترك له خمسة ملايين درهم كانت في بيت المال في الكوفة «[٥]. قال يوليوس فلهوزن: « توفي اكبر أبناء عليّ من فاطمة، وهو

١ – كونسلمان،جرهارد،سطوع نجم الشيعة، ترجمة محمد أبو رحمة،مكتبة مدبولي–القاهرة–ط الاولى،١٩٩٢،ص٤٥/ ٤٧.
٢ – الخربوطلي،العراق في ظل الحكم الأموي،دار المعارف بمصر،١٩٥٩،ص٧٤.
٣ – –ماسيه،هنري،الإسلام، ترجمة بهيج شعبان،علق عليه وقدم له:مصطفى الرافعي والشيخ محمد جواد مغنية،ط الثالثة–١٩٨٨م،ص٦٧.
٤ –رونلدسن، دوايت م، تعريب ع.م، مؤسسة المفيد للطباعة والنشر، ط اولى، القاهرة، سنة ١٩٤٦، ص٨٩
٥ – بروكلمان،كارل،تاريخ الشعوب الاسلامية، نقلها الى العربية: امين فارس، منير بعلبكي،ط الخامسة،١٩٦٨ دار العلم للملايين،بيروت،ص ١٢١.

الحسـن، في سـنة ٤٩ وكان قـد خيـب آمـال أنصـار ابيـه بالطريقـة التـي تنـازل بهـا عـن الخلافـة وفقـد احترامهـم لـه، فاتجهـت أبصارهـم إلى أخيـه الأصغـر: الحسـين»[1].

المطلب الثاني: الإمام قائد عظيم عكس ما طالته أقلام المستشرقين.

التهمـة الاولى: ان الامـام الحسـن عليه السلام تنقصـه القـوة المعنويـة والشـجاعة لقيـادة شـعبه، ولم يكـن رجـل السـاعة. حيـث عمـدوا الى تشـويه صـورة الامـام عليه السلام باعتمادهـم عـلى الروايـات الموضوعـة. وسـنقارن مـا قالـه المسـتشرقون مـع المصـادر الأخـرى لنبـين صحـة أو كـذب مـا طرحـوه. وفي معـرض الاجابـة عـلى هـذه التهمـة نقـول: سـنبين شـخصية الامـام الحسـن عليه السلام وثباتـه سياسـيا عنـد مواجهتـه لمعاوية،كيـف ان الامـام الحسـن عليه السلام بعقـد الصلـح مـع معاويـة حفـظ دمـاء المسـلمين وبـين زيـف وأحقـاد هـذا الأخـير. كان صلـح الامـام الحسـن عليه السلام مـع معاويـة مـن الشـدائد التـي اتسـمت بطابـع المحنـة عـلى الإمـام الحسـن عليه السلام لكنـه انتـصر عليهـا بصـبره وحكمتـه مسـتعينا بالله،ونعـرض أهـم الأسـباب التـي دعـت الامـام عليه السلام الى الصلـح مـع معاويـة: صـورة مصغـرة عـن الوضـع الشـاذ في المدائـن.ان خـيرة أجنـاد الحسـن كان في الركـب الـذي سـبقه في مقدمتـه الى (مسـكن) وان الفصائـل التـي عسـكر بهـا الحسـن في (المدائن)كانـت مـن أضعـف الجيـوش معنوية،ومـن أقربهـا نزعـة الى النفـور والقلـق والانقسـام، وببوادر ثـلاث، كانـت نـذر الكارثـة عـلى الموقـف.

١-أنباء الخيانة الواسعة النطاق في «مسكن».

٢-الشـائعة الاسـتفزازية التـي ناشـدت النـاس بـأن ينفـروا، لأن قيـس بـن سـعد وهـو القائـد الثـاني عـلى الجيـش مسـكن، قـد قتـل!

٣-فتنـة الوفـد الشـامي الـذي جـاء ليعـرض كتـب الخونـة الكوفيـين عـلى الامـام

١- فلهوزن،يوليوس،الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط النهضة – مصر،١٩٥٨،ص١٥٩/ ١٦٠.

عليه السلام،ثم خرج وهو يعلن في المعسكر ان الحسن أجاب الى الصلح! [1]. اتخذ الإمام عليه السلام من المدائن مركزا ومقرا لقيادته العليا،بما تملك من مكانة لها موقعها الإستراتيجي الهام وثقلها الجغرافي الكبير، فهي متاخمة لبلاد فارس وهي النقطة التي تصل كل الكوفة والبصرة وفارس بالأخرى، وعلى ضوء ذلك يكون تحرك الامام عليه السلام على الشكل التالي: الانطلاق من الكوفة متوجها الى النخيلة التي بقي فيها عشرة أيام ولما لم يجد إلاّ أربعة الاف من الذين التحقوا به، رجع إلى الكوفة يستنفر الناس كما روى الحارث الهمداني كشاهد عيان، ثم توجه إلى دير عبد الرحمن حيث بقى ثلاثة أيام ينتظر من يلحق به، ومن هناك انطلق عليه السلام الى المدائن حيث مركز القرار وإدارة المعركة، وطلب الامام عليه السلام من قائد جيشه ان يعسكر في منطقة مسكن وهي في أقصى الحدود الشمالية للعراق، ومابين المدائن ومسكن خمسة عشر فرسخا، وبهذا كانت خطة الإمام العسكرية من أهم ما يمكن التوصل اليه،وقد كشفت عن قائد عسكري لا يترك ثغرة إلاّ وعمل على سدها، ولا شاردة او واردة إلا وقد أخذ بها، لقد اهتم عليه السلام في كل تفصيل يمكن له ان يساهم في نجاح خطته المحكمة ويمكن له ان يحقق الانتصار، لقد عمل عليه السلام لاستغلال عامل الوقت المناسب والظرف المؤاتي ليضرب رأس الظلم وأساس الأموية المتمردة على الحق،لقد أعجب كل من قرأ سير الأحداث وتنظيم القوافل بشخصية الامام عليه السلام حيث كشفت خطته وإدارته عن قائد عسكري ملهم يحسن فنون القتال ويهيء له عدته وعديده، لكنه عليه السلام لن يستطيع أن يغير النفوس المريضة والنفسيات الدنيئة والبشر الذين عاصرهم، والجنود الذين خذلوه،والذين لم يكونوا على مستوى طموحاته، بل كانت الافهم المؤلفة هي جنود حقيقية لدريهمات معاوية [2]. ونشير هنا الى ان الامام عليه السلام وضع خطته العسكرية باحكام شديد لكن خيانة جنده الذين كانوا داءاً ليس له دواء أدت الى تغيير رؤية الامام و إتخاذه طريق الحفاظ على تأريخ الاسلام من شرور

١ – آل ياسين، راضي، صلح الحسن، منشورات الشريف الرضي،ص ٢٢٢.
٢ – أحمد محمد اسماعيل، صلح الحسن غدير عز – ولغز جهاد، دار الولاء بيروت، ط أولى–٢٠١٤م، ص١٣١/ ١٣٢.

ودموية (الأموية). جمع الامام الحسن عليه السلام الناس فخطبهم وناشدهم سلامة النية وحسن الصبر وذكرهم بالمحمود من أيامهم في صفين.ثم نعى عليهم اختلافهم في يومه منهم فقال في آخر خطابه « ألا وان معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله عز وجل بضبا السيوف، وان أردتم الحياة قبلناه منه وأخذنا لكم الرضا». فناداه الناس من كل جانب: « البقية البقية ومضى الصلح» وليس في تاريخ قضية الحسن عليه السلام روايتان كثر رواتهما حتى لقد أصبحت من مسلمات هذا التأريخ،كرواية جواب الناس على هذه الخطبة بطلب البقية وامضاء الصلح، ورواية ثورة الناس في المدائن انكاراً للصلح والحاحاً على الحرب.فأي الرأيين كان هدف هؤلاء الناس؟وهل هذه إلا بوادر الانقسام، بل <الفوضى> التي لن يستقيم معها ميدان حرب، والتي لا تمنع أن يكون المنادون بالصلح من كل جانب هم المنادوّ بالحرب أنفسهم. وما للفوضى دعوة جهاد وصحبة إمام؟ أو على أي، فقد كان هذا أحد ألوان معسكر المدائن وأحد ظواهر التلون في عساكره وتحكم العناصر المختلفة في مقدراته [1]. ومن الاسباب التي دعت الى الصلح هو جيش الإمام الحسن عليه السلام كان خليطا غريبا عجيبا يضم فئات عدة وكما يأتي أصناف الجيش:

١-الخوارج:وهم الذين خرجوا عن طاعة الإمام عليّ عليه السلام وحاربوه وناوءوه ونصبوا له العداوة وقد وجدوا من خروجهم في جيش الحسن عليه السلام حلاً وسطاً لما اعتقدوا من كفر-الإمام علي عليه السلام ومعاوية- فانضموا الى ذلك الجيش لمحاربة معاوية وهؤلاء اناس تستثيرهم أدنى شبهة عارضة فيتعجلون الحكم عليها، وفعلاً خرجوا عن طاعة الامام عليه السلام ووثبوا عليه فيما بعد،٢- فئة تميل للحكم الأموي وهم على قسمين:»القسم الأول هم الذين لم يجدوا في حكومة الكوفة ما يشبع نهمهم من مطامع يطمحون إليها،فأظهروا ولاءهم لعامل الشام مترقبين سنوح الفرص للوثوب على الحكم وتسليم الأمر لمعاوية.

١ - آل ياسين، راضي، صلح الحسن، ص٢٢٣.

القسم الثاني-هم الذين حقدوا على حكومة الكوفة لضغائن في نفوسهم أورثتها العهود السالفة أو مصالح شخصية، وظهر ذلك بخيانة واضحة من قبل أقطابها امثال(ابن الأشعث وابن ربعي، وابن أبجر، وابن معمر، وغيرهم) واتصالهم بمعاوية تزلفاً وطمعاً في الحظوة عنده.

٣- الانتهازية:وهم مجموعة وفئة غير قليلة بل كان معظم جيش الإمام عليه السلام يتصف بها،وهؤلاء ليس لهم مسلك معين أو جهة خاصة مستقلة وإنما أهم أهدافهم ضمان السلامة وبعض المطامع عند الجهة التي ينعقد لها النصر،فهي تترقب عن كثب الى أيّ جهة تركن الأمور فيميلوا إليها وينقلبوا عن الاخرين.

٤-فئة مختلفة الاتجاهات هذه الفئة تثيرهم العصبيات القبلية والإقليمية، فلا هدف معين لهم بل التحقوا تحت راية فلان او فلان لأنه من قبيلتهم أو كانوا تحت راية فلان لأنه ينتمي الى اقليمهم أو قبيلتهم وهكذا.٥- الفئة المؤمنة: وهم القلة القليلة في جيش الامام عليه السلام وكانت تمثل الخواص والأصحاب واهل بيت النبوة،وكانت مع الامام عليه السلام بكل اهدافها وتطلعاتها لا رأي لها سوى ان الامام هو الحاكم وما يراه وما يفعل ويقرر هو الحق، وهم الذين ذاب صوتهم في زحام الأصوات الأخرى المعاكسة لها والمتناصرة فيما بينها. فجيش الامام عليه السلام خليط عجيب لايربط بين فئاته هدف واحد، وهو معرض للانقسام والتفكك [١].

لدى ظهور أية بادرة للانقسام والتي من شأنها ان تفسد أية خطة مهما كانت محكمة يضعها أي قائد محنك قد شعر الامام عليه السلام بخطورة الموقف بين هذا الخليط الذي يحمل عوامل الانقسام فضعفت ثقته بجنده وكان أبلغ ما أفضى به في هذا المجال خطابه الذي ألقاه امام جيشه في المدائن فقال:» وكنتم في مسيركم صفين ودينكم أمام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم الا وقد أصبحتم بين قتيلين، قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون لثأره وأما الباقي

١- العبيدي،طه،الإمام الحسن المجتبى أحداث ومعطيات، ط الاولى-٢٠١٤م، ص٦٤/ ٦٥/ ٦٦.

فخاذل وأما الباكي فثائر، ألا فإن معاوية...»[1].

وكان معاوية بالاعتماد على هذا الخليط ورؤسائه قد أوقع قادة جيش العراق في شباكه وكسب المعركة قبل لقاء الجيشين، وهذا كاف ليضطر الامام عليه السلام الى القبول بالصلح. وكانت جيوش الكوفة قد أصيبت بالسأم والكلل جراء الحروب المتتالية التي فرضت عليهم في عهد الامام علي عليه السلام بعد ما انصبت جهودهم في الفتوحات الإسلامية فقد طحنت الحروب المتكررة فيها جمعاً غفيرا منهم حتى أصبحوا يكرهون الحرب ويؤثرون السلم ويحبون العافية مضافاً لقلة الغنائم التي حصلوا عليها.[2] ومما زاد الطين بلة هو خيانة وخذلان عبيد الله بن العباس القائد العام لقوات جيش المقدمة ونتيجة إغرآت معاوية فقد عمد معاوية الى بذل الأموال بسخاء للوجوه والأشراف والزعماء فغدروا بالإمام عليه السلام وانسحبوا من معسكره في غلس الليل وخذّلوا عشائرهم وجبنوهم من البقاء تحت راية الإمام الحسن عليه السلام، «انه.يعني معاوية. ارسل الى عبيد الله بن عباس، وجعل له الف الف درهم فصار اليه في ثمانية آلاف من أصحابه وأقام قيس على محاربته». [3]

اذن ارتفعت أرقام الفارين الى معاوية بعد فرار عبيد الله وخاصته الى ثمانية آلاف كما ذكرها اليعقوبي، ووازن الامام عليه السلام بين جيشه وجيش عدوه، كان جيشه يتألف من عشرين الفا فقط، كما أجمعت عليه المصادر التأريخية في مقابل ستين الفاً يتألف منها جيش معاوية، وبعد إسقاط الثمانية آلاف التي فرت من مسكن بعد فرار القائد عبيد الله، تكون نسبة جيش الامام الى جيش معاوية نسبة الخمس،وينهار الميزان بينهما في الحسابات العسكرية.[4] اذن قوة جيش العدو وأعداده التي تفوق اعداد جيش الامام عليه السلام كانت سببا من الأسباب التي دعت

١-ابن الأثير، علي بن ابي الكرم، الكامل في التأريخ، ط اولى-١٩٨٧م،ص٢٧٢
٢-أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين بن محمد المرواني (ت ٩٦٧م):مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق: أحمد صقر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٣،(بيروت-١٩٨٨)،ص٦٣/ ٧٠
٣- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن الواضح، تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص٢٥٥.
٤-٢ - فضل الله، محمد جواد، صلح الامام الحسن -اسبابه ونتائجه، ناشر دار المثقف المسلم، ص ٩٦/ ٩٧

الى الصلح. فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له، وفساد نيات المحكمة فيه بما أظهروه له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعته وشيعة أبيه امير المؤمنين عليه السلام، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام.[1] فقد صرح الامام عليه السلام أكثر من مرة لإفهام شيعته حيثيات صلحه مع معاوية حيث قال في خطابه بعد الصلح: «أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الامر مدة، والدنيا دول،[2].

وإن الله عز وجل قال لنبيه: ﴿**وإن أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاع إلى حين**﴾.[3] وقد أدرك الامام الحسن عليه السلام بحنكته ان المقاومة في ظل هذه الظروف قد قامت آنذاك. ولانتهت بانتصار(الأمويين)نصراً يحاكي طموحها في الملك،ومن هذا رأى الامام عليه السلام ان يكشف ان معاوية غير صالح لولاية المسلمين وادارة امورهم وان يتركه لطغيانه فيكشف عداءه لأهل البيت عليهم السلام وليزيل الستار عن وجه معاوية الزائف، وقد كشف زيفه بنفسه في خطبته وقال: «إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، وإنكم لتفعلون ذلك، ولكن قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد اعطاني الله ذلك وانتم له كارهون ألا واني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا افي بشيء منها»[4].

وقد أملى الامام عليه السلام شروطا للصلح على معاوية ليكشف للبسطاء من الناس مكره وخداعه. فحينما يشترط ولاية العهد بعد هلاكه له عليه السلام ولأخيه من بعده، فهذا معناه أن الامام عليه السلام يعلم ان معاوية يريد تحويل ولاية العهد لأبنائه وأحفاده،

١ – المفيد،محمد بن محمد بن النعمان، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، ط الثانية– ٢٠٠٨م،ج٢،ص ١٣.
٢ – ابن الأثير، علي بن ابي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق ابي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط اولى–١٩٨٧م، ص ٢٧٣.
٣–الأنبياء:١١١.
٤–٢–المفيد،محمد بن محمد بن النعمان، الارشاد، ج٢،ط٢–٢٠٠٨م،ص١٤.

وإن خالف وقد حصل ذلك ستظهر حقيقة نقضه بالعهود، وتركيز الامام على صيانة موقعه وموقع اخيه الحسين عليه السلام يدل بوضوح على عناوين ومفاصل أساسية تتعلق بأمور القيادة وموقعية القائد، وحينما يشترط عليه ان لايسميه بأمير المؤمنين، فهذا اعتراف شرعي لغصبية معاوية بأن لايعدوا الكتاب والسنة، فهذا معناه أنه يعدوهما ويتعدى حدودهما وانه من ابعد الناس عن تطبيق ما في الكتاب والسنة. وحين يشترط عليه عدم إقامة الشهادة عنده،دل على انه من حكام الجور لأن الشهادة تقام عند الحاكم الشرعي، وليس عند حكام الظلم والطغيان، وإلزامه بشرط عدم التعرض بسوء لشيعة امير المؤمنين عليه السلام دلت على ان الرجل يتعرض لهم ويؤذيهم، وهكذا هي بقية الشروط التي وافق عليها معاوية سلفا ولم يدرك انها تكشف حقيقته وتعري صورته وتظهره على واقعه الحقيقي بعيدا عن تدليساته.[1] والسؤال المطروح هنا هو هل لنا ان نجيد وصف من كان سداد رأيه ونظرته الثاقبة لواقع الامر وحكمته هو انه استخدم الصلح فوضع شروطا أدانت عدوه وأزالت الستار عن وجه(الأموية) الزائف، وبانت حقيقتها أمام الأمة الإسلامية !!!.فهو فعلا رجل الموقف وهو قائد عظيم ذو رؤية سديدة حكيمة وقيادة سياسية متألقة على عكس ما وصفته أباطيل المستشرقين.

المبحث الثاني: المطلب الأول:

المستشرقون في ضلال عن الحقيقة!!

ومن التهم الأخرى التي حاول المستشرقون إدانة الامام الحسن عليه السلام بها، هي ميله للشهوات، وإنه مزواج مطلاق ونسبوا له اعداد كبيرة من الزوجات في اقوالهم الآنفة الذكر. ونجيب على هذه التهمة: بأن الروايات التي استند عليها هؤلاء المستشرقون وضعها الإعلام العباسي، بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور فهو اول من افتعل ذلك وعنه اخذه المؤرخون، وسبب ذلك هو ما قام

١- محمد اسماعيل، احمد، صلح الحسن غدير عز- ولغز جهاد، دار الولاء للطباعة والنشر، ط اولى-بيروت ٢٠١٤م،ص ٢٠٣.

به الحسنيون من الثورات التي كادت ان تطيح بسلطانه، وعلى اثرها القي القبض على عبد الله بن الحسن،وخطب على الخراسانيين في الهاشمية خطابا شحنه بالسب والشتم لأمير المؤمنين ولأولاده، وافتعل فيه على الحسن ذلك، وهذا نص خطابه: «إن ولد آل ابي طالب تركناهم والذي لا إله الاّ هو والخلافة،فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير، فقام فيها علي بن ابي طالب عليه السلام،فما افلح وحكم الحكمين، فاختلفت عليه الأمة، وافترقت الكلمة، ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته، فقتلوه، ثم قام بعده الحسن بن علي، فو الله ما كان برجل عرضت عليه الأموال فقبلها، ودس اليه معاوية اني اجعلك ولي عهدي فخلعه، وانسلخ له مما كان فيه وسلمه اليه، وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة، ويطلق اخرى فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه»[1]. والمتتبع لهذا الخطاب يرى المغالطات والافترائآت التي عمد الى تلفيقها لأجل تدعيم ملكه وسلطانه،وقهر الحسنيين والحط من شأنهم وهذا الخطاب هو من أهم الشواهد التي وضعت بأمر العباسيين، لمواجهة الحسنيين الثائرين ضد العباسيين لتجريدهم من سلاح قوي بيدهم وهو التأريخ المشرق لأبيهم الحسن عليه السلام وجدهم عليّ عليه السلام،حيث قال محمد بن عبد الله بن الحسن في رسالته الى ابي جعفر الدوانيقي:» وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا وإن ابانا علياً كان الوصي وكان الإمام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ثم قد علمت انه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا»[2]. اما بعض المستشرقين مثل دونالدسن فقد اتهم الشيعة أنفسهم حيث اخذ من الأباطيل المدسوسة في كتب الشيعة قائلا:» ويعترف الشيعة انفسهم انه كان للحسن ستون زوجة وعدد كبير من السرايا فنقرأ ان عدد نسائه الشرعيات بلغ الستين عدا السرايا او اللواتي تمتع بهن، وقد ذكر ان عددهن كان بين الثلاثمائة

١-المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط اولى-٢٠٠٥م،المكتبة العصرية - بيروت، ج١ص ٣٠/ ٣.

٢- الطبري، جعفر محمد، تأريخ الأمم والملوك، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت،١٨٧٩م، ج٦،ص ١٩٦

والتسعمائة وقد طلق كثيرا منهن فسمي بالمطلاق».[١]

مستندا بذلك لكتاب شيعي قصصي مغمور وهو عقائد الشيعة [٢] ونجيب عليه بأن قد وردت بعض الروايات المفتعلة من قبل الإعلام العباسي وقد دست جزء من تلك الأباطيل في كتب الشيعة. وسنبين تلك الروايات:

١- الروايات من مصادر الشيعة: هناك ستة روايات ذكرتها المصادر الشيعية وردت في أماكن مختلفة [٣]هذه الروايات فيها إشكالات سندية ففيها من الواقفة مثل حميد بن زياد[٤]، والحسن بن محمد بن سماعة[٥]، وقد اطلق على الواقفة لقب الكلاب الممطورة [٦]. قال الشيخ الصدوق:(المراد بالممطورة: الواقفية.. والممطورة: الكلاب المبتلة بالمطر). وفي بعض تلك الروايات الإسناد ضعيف وفيها رواة مجهولون وضعف مصادرها عدا الكافي للشيخ الكليني فالبقية تعتبر من المصادر الثانوية في الحديث عند الشيعة كالمناقب لابن شهر اشوب، واما من ناحية المضمون، والمتن، فهذه الروايات مخالفة لسيرة أهل البيت عليهم السلام لذلك فان مثل هذه الروايات الانفة الذكر وضعت من قبل الاعلام العباسي وساعدهم على ذلك اذناب السلطات من الكتاب والمؤرخين.

١-٢- رونالدسن،دوايت،تعريب،ع.م.، عقيدة الشيعة، مؤسسة المفيد للطباعة والنشر- بيروت، ط اولى،١٩٩٠م، ص٩٠.

٢-٣ - دونالدسن قد اعتمد على كتاب عقائد الشيعة تأليف الحاج ميرزا آقاسي وزير سلطان محمد شاه الثاني القاجاري (١٢٥٠-١٢٦٤ه/ ١٨٣٤-١٨٤٨م)وقد استخدم طبعة حجرية لهذا الكتاب وقد ذكره الشيخ آغابزرك الطهراني باختصار لكنه لم يذكر ما إذا كان له من مخطوط.

٣- ورد اثنان منها في كتاب الكافي للشيخ الكليني واثنان في كتاب دعائم الاسلام للقاضي النعمان ورواية واحدة في مستدرك الوسائل للميرزا النوري، حيث نرى ان البلداوي ادرج رواية ابن شهر اشوب ضمن المصادر السنية عند تحليلها ينظر: البلداوي، وسام برهان، القول الحسن في عدد زوجات الامام الحسن، ط اولى -٢٠٠٨م،ص١٥٩/ ١٦٥/ ٢١١.

٤- حميد بن زياد بن حماد الدهقان ابو القاسم كوفي سكن سورا وانتقل الى نينوى قرية على العلقمي الى جنب الحائر على صاحبه السلام كان ثقة واقفا وجها فيهم.. ومات حميد سنة عشر وثلاثمائة. ينظر النجاشي، أحمد بن علي، فهرست اسماء مصنفي الشيعة، مؤسسة النشر الاسلامي،ط٧،ص ١٣٢.

٥- الحسن بن محمد بن سماعة ابو محمد الكندي الصيرفي: من شيوخ الواقفة كثير الحديث فقيه ثقة وكان يعاند في الوقف والتعصب،ينظر: النجاشي، فهرست اسماء مصنفي الشيعة،ص٤٠/ ٤١.

٦- البلداوي،القول الحسن،ص٢١٥.

٢- الروايات في مصادر السنة: هناك خمسة عشر رواية في المصادر السنية تتهم الامام الحسن عليه السلام بمثل هذه الشبهة المغرضة وقد وردت في مصادر عدة[١].ان سند جميع تلك الروايات ضعيف لوجود كذابين ووضاعين مثل محمد بن عمر الواقدي[٢]والمدائني[٣] وغيرهم.

ومن ناحية المتن ففي تلك الروايات إشكالات عديدة وأنها متناقضة، فمنها اسماء زوجات الامام عليه السلام اللواتي قام بطلاقهن وانسابهن غير معلوم وفيها دلالة واضحة على ان هذا الاتهام قد اطلق جزافا، واما الخلاف الشاسع بين تعداد زوجاته عليه السلام أيضا فهو من الأدلة على اختلاف مثل هكذا روايات.

وللرد على مجمل هذه الشبهة التي وضعت على سيرته العطرة والتي انتهجها بعض المؤرخين انتهاج المسلمات يمكن الرد عليها عقلا ونقلا. أولا: نقلا ان كثرة القصص التي ذكرها التأريخ فيما يخص عدد زوجاته عليه السلام وقصص طلاقه وانه كان مزواجا ومطلاقا جاءت من طرق غير موثوقة وغير صحيحة ولم تسند في حقيقتها الى الادلة الناهضة لتوثيق الروايات، وإن تلك القصص والحكايات يبدو قد نسجت وحيكت بعد استشهاد الحسن عليه السلام ولم تظهر مثل هذه القصص في حياته الشريفة والذي يعضد هذا القول إن معاوية او احد اتباعه لم يذكر شيئا من هذا القبيل وإلا لكان لإعلامه المزيف دور في ذلك. إن المراجع التأريخية وكتب الأنساب

١- وردت تلك الروايات في الطبقات الكبرى لابن سعد وتهذيب التهذيب لابن حجر وسير اعلام النبلاء للذهبي وغيرها وقد نقدها البلداوي ينظر: البلداوي، وسام برهان، القول الحسن،ص٦٠/ ٢٠٨.

٢- محمد بن عمر الواقدي السهمي الاسلمي المدني ابو عبد الله من اقدم المؤرخين في الاسلام ولد بالمدينة وانتقل الى العراق في ايام الرشيد، من اشهر كتبه، المغازي النبوية، ضعفة اهل الحديث ورموه بالكذب تارة وبالوضع تارة اخرى وحكموا بعدم حجية رواياته المسندة فضلا عن التي يرسلها او يحدثها عن نفسه بلا اسناد وللمزيد من التفاصيل حول الواقدي ينظر: البلداوي: القول الحسن، ص ٦١/ ٦٤.

٣- علي بن عبد الله ابو الحسن المدائني مولى عبد الرحمن بن سمرة: راوية مؤرخ كثير التصانيف من اهل البصرة سكن المدائن ثم انتقل الى بغداد فلم يزل بها الى ان توفي. من المتهمين بالكذب في الحديث وذكر ان مسلماً في صحيحه قد امتنع من الرواية عنه وان ابن عدي قد ضعفه ويروي عن عوانة بن الحكم المعروف بولائه لعثمان والامويين واكثر رواياته من المراسيل. ينظر: البلداوي، القول الحسن، ص ١١٤/ ١١٩.

والرجال لم تعد له من النساء اكثر من المألوف والشائع، والمعتاد في عصره، إن ما ذكره التأريخ من أسماء نسائه لم يحص لهن عددا ثابتا وإن ما ذكر هو(١٤-١٦) إمرأة بعضهن مجهول والاخر ينسب إلى قبيلة او بيت اوتشابه قصص في زواج او طلاق للامامين الحسن والحسين عليهما السلام فالرؤية مشوشة وغير واضحة تبتعد عن الواقع[١].

ثانيا: عقلاً: ١-ان العدد الذي ذكره المؤرخين يحتاج الامام الحسن عليه السلام بموجبه الى حي حتى يسكن زوجاته وذريته فيه.٢-كذلك الحال لو ان هذا العدد من الزيجات صحيح لأشاع كثرة النسل.٣-لماكانت حكومة الأمويين غير شرعية وتسلطت على رقاب الناس وهي متقنعة بالقناع الديني وتحاول جاهدة الى اقناع الناس بأنها شرعية تحمل صفات الخلافة الإلهية فلا بد لها ان تسقط الرموز التي لها القاعدة الشعبية الواسعة التي لها الحق في الخلافة، فابتدعت هذه الشبهة حتى تبرز ان الحسن عليه السلام منصرف عن شؤون الدولة وإدارتها وذلك لانشغاله بأمور ازواجه اللاتي كثر عددهن وعندما يكون الحسن عليه السلام بهذا المستوى يجب على الأمة ان تفرز قائدا يقودها فكان ذلك القائد معاوية وبالتالي فإن الشبهة اموية حاولت النيل من شخص الإمام الحسن عليه السلام واظهاره بالمستوى غير اللائق للزعامة. ٤- هل يعقل ان مثل شخص الحسن بن عليّ عليه السلام سيد شباب اهل الجنة ورابع اصحاب الكساء وثالث اشخاص اية المباهلة وريحانة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تصدر منه إهانة او عدم الاهتمام بالنساء وتحقيرهن والله امرنا الرفق بهن وهو على رأس الشريعة، وهو يطلق بصورة جافة وجارحة بعيدة عن الضوابط الأخلاقية والقيم الإنسانية غير مراع لمشاعر النساء، هيهات ان تصدر من الكريم مثل هذه الأفعال فضلا عن عصمته.٥-لوثبت عدد نسائه الذي ذكره المؤرخون لكانت ذريته اكثر مما يتوقع ولشاع صيته في كثرة الذرية، ولم يذكر له من الذرية سوى خمسة عشر

١- العبيدي، طه، الأمام الحسن المجتبى احداث ومعطيات، ط اولى، مطبعة دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع ص١١١/ ١١٢.

ولداً بين ذكر وانثى وهذا العدد من الأولاد يمكن ان يكون من امرأة واحدة او اثنين. [١]

المطلب الثاني: تناقض اقوال المستشرقين في مسألة وفاة الإمام عليه السلام.

القسم الأول هم من أدعوا ان الأمام الحسن عليه السلام مات بذات الرئة او منهم من قال انه مات بالسل على حد قوله، وهذا خلاف الكثير من الروايات التأريخية التي اكدت بأن الإمام عليه السلام مات مسموما على يد زوجته جعدة بنت الأشعث. والنصوص على اغتيال معاوية الحسن بالسم متضافرة كأوضح قضية في التأريخ. وقال في<البدء والختام>: « وتوفي الحسن عليه السلام سنة ٤٩ للهجرة، سمته جعدة بنت الأشعث بما دسه معاوية اليها، ومناها بزواج ولده يزيد، ثم نقض عهدها»، وقال الطبري في دلائل الامامة:» وكان سبب وفاته ان معاوية سمه سبعين مرة فلم يعمل السم، فأرسل الى امراته جعدة بنت محمد(كذا) بن الاشعث بن قيس الكندي وبذل لها عشرين الف دينار واقطاع عشر ضياع من شعب السواد، سواد الكوفة، وضمن لها ان يزوجها يزيد ابنه. فسقت الحسن السم في برادة من الذهب في السويق المقنـد»[٢]. وأما ما ادعوه ان الأفراط في الملذات هو الذي أدى الى موت الامام عليه السلام او الى اصابته بداء السل فهل ياترى كان قصدهم ان الأمام عليه السلام يعيش حياة الترف والرخاء وهي التي كانت سببا في موته او مرضه !، فإن اخذنا الموضوع من الناحية العلمية فليس هناك أي دليل علمي يدل في ان الإسراف من ناحية الغذاء تؤدي الى داء السل !ثم انه ليس هناك أي دليل على هذا الإدعاء حيث لم يشيروا عن مصدرهم لهذا الادعاء إذن هو ادعاء باطل، وان كثيراً من المصادر تبين منزلة الامام الحسن عليه السلام الحقيقية وزهده وتعبده وبعده عن حياة الترف والرفاهية،قالوا: «وكان اعبد الناس في زمانه،وازهدهم بالدنيا»[٣]، وروي ان

١ – العبيدي، طه، الامام الحسن المجتبى احداث ومعطيات، ص١١٢.
٢ – آل ياسين، راضي، صلح الحسن، ص ٣٦٧/ ٣٦٨.
٣– المصدر نفسه، ص ٢٧.

الامـام الحسـن بـن عـليّ عليه السلام كان إذا توضـأ ارتعـدت مفاصلـه واصفـر لونـه[1].

امـا القسـم الثـاني وهـم الذيـن ذكـروا سـبب وفاتـه هـي احـدى زوجاتـه فمنهـم مـن ذكـر اسـمها ومنهـم مـن لم يذكـر الأسـم، ونـص أقوالهـم الـذي ينـص عـلى مقتـل الامـام عليه السلام عـلى يـد زوجتـه او احـدى زوجاتـه، فهـذا هـو دليـل ورد مجـزيء عـلى أقـوال القسـم الأول، مـن المسـتشرقين الذيـن صرحـوا بـان الامـام عليه السلام مـات بـذات الرئـة او السـل ولم يُسـم. وبهـذا نسـتنتج ان المسـتشرقين يقسـمون الى: قسـم يستسـقي معلوماتـه مـن اسـلافه ويتأثـر بآرائـه، وقسـم اعتمـد عـلى الروايـات الموضوعـة التـي تتحـدث عـن الامـام الحسـن عليه السلام، وقسـم لا يمتلـك حريـة الفكـر ويعتمـد عـلى رؤيتـه المتعصبـة وخلفيتـه الفكريـة التـي كونهـا عـن الاسـلام وعـن الامـام عليه السلام خصوصـا. وقسـم كان منصفـا بحـق الامـام عليه السلام لكـن لم نذكـره في بحثنـا، وسـنتطرق اليـه في بحـوث اخـرى.

المبحث الثالث:

الصلح نظرية سياسية – قانونية – اجتماعية.

ان اراء المسـتشرقين في الصلـح كانـت جميعهـا تدعـي تخـلي الامـام عليه السلام عـن الخلافـة والتنـازل عنهـا او خلـع الامـام نفسـه مقابـل اخـذ الامـوال. ان الباحـث لـيرى ان هؤلاء المسـتشرقين لم يطالعـوا التأريـخ مـن جميـع ابوابـه، إضافـة الى قـصر الرؤيـة السياسـية لديهـم وغيـاب التحليـل الموضوعـي. ونجيـب عـن هـذا الادعـاء: ان صلـح الامـام الحسـن عليه السلام احتـوى ليـس فقـط البعـد الشرعـي والتربـوي، وإنـما كان يجمـع الابعـاد السياسـية والقانونيـة والاجتماعيـة، فكانـت نظريـة الصلـح مـن اجـل تحقيـق اهـداف آنيـة في وقتـه وتخـدم الـضرف آنـذاك، اضافـة الى اهـداف بعيـدة المـدى مسـتقبلية تكـون فيـما بعـد نموذجـا ونهجـا تسـير عليـه الأمـة الإسـلامية، بـل ينهـل منـه العـالم أجمـع.

١-الشيرازي، محمد الحسيني، صلح الإمام الحسن، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ط ثانية -٢٠٠٤م، ص١٨.

الحيثية **الاولى**: ومن هنا يثير السؤال لماذا المستشرقون لم يخضعوا بنود الصلح للمناقشة من جانبها السياسي الواقعي أو الموضوعي؟! واكتفوا بألقاء التهم على الامام عليه السلام جزافا!. ان اول شرط للأمام عليه السلام كان الزام معاوية بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسيرة الخلفاء الصالحين وذلك لعلم الامام عليه السلام بأن معاوية شخص لا يلتزم بالضوابط والقيود الشرعية والأخلاقية، ولو توقفنا عند (سيرة الخلفاء الصالحين)قد جعلها الامام عليه السلام سداً لذريعة قد يتمسك بها معاوية وهو العمل برأيه فألزمه بالتقيد بسيرة الخلفاء الصالحين أي حتى لا يخرج عما تعارف عليه المسلمون من سبل الحكم والسياسة في عهد الخلفاء المرضيين عند المسلمين.

الحيثية الثانية: هل فعلا ان الامام عليه السلام تخلى عن الخلافة ورضي بمعاوية خليفة للمسلمين؟ فالإجابة هنا كيف وكانت أولى الشروط هي ان الخلافة من بعد معاوية ترجع اليه ولاخيه لأحقيتهما بها لانهما أحفاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومن البديهي هم الوريثين الشرعيين له، وقد اعترف معاوية بنفسه بذلك. فقد جاء صريحا في كتاب اليه قبيل زحفهما للصراع في مسكن بقوله <انك أولى بهذا الأمر واحق به> وجاء صريحا فيما قاله لابنه يزيد على ذكر اهل البيت: «يابني ان الحق حقهم»[1]. وقد أكد الامام عليه السلام لم يرض بمعاوية خليفة بقوله:» أيها الناس إن معاوية زعم: اني رأيته للخلافة اهلا ولم ار نفسي لها اهلا وكذب معاوية. انا اولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله، فأقسم بالله لو ان الناس بايعوني واطاعوني ونصروني، لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما طمعتم فيها يا معاوية..»[2]،إضافة الى ان الامام عليه السلام اشترط في بنود الصلح ان لا يسمى معاوية بأمير المؤمنين وهذا دليل قاطع على ان الامام عليه السلام لم يعترف بشرعية معاوية بالخلافة نستنتج من شرط الامام عليه السلام بان تعود الخلافة له ولأخيه من بعد معاوية ان الصلح كان اتفاقية مؤقتة، لحقن دماء المسلمين في ضل ظروف الامام عليه السلام الراهنة،ففي

١-آل ياسين، راضي، صلح الحسن، ص٢٥٢/ ٢٥٣.
٢- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تعليق محمد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان،ج٢،ص٨.

هذا الشرط راعى الامام عليه السلام حقه وحق اخيه الشرعي في الخلافة اضافة الى رعاية المصالح العامة من خلال حفظ النظام وحقن دماء المسلمين، وهو اعتراف ضمني بان الامام عليه السلام هو الخليفة الشرعي وان (الاموية) جهة غاصبة لهذا الحق. إضافة الى انه ضمن عدم احقية معاوية للعهد بالخلافة لاحد من بعده حيث اراد عدم توارث السلطة للحكم الاموي الظالم وارجاعها الى اهل البيت عليهم السلام وهنا تظهر نظرية الامام السياسية ونظرته المستقبلية حيث اراد ان يكون المعيار في الحكم هو الأفضلية خارج اطار التوارث لكي يكون فيما بعد قاعدة لنظام الحكم.

الحيثية الثالثة: لماذا يا ترى تناسى المستشرقين المصالح العامة التي رسخها الصلح؟!

ان من الشروط التي اوردها الامام عليه السلام في نظرية الصلح كانت تنص على: «ان الناس امنون حيث كانوا من ارض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وان يأمن الأسود والاحمر، وان يحتمل معاوية هفواتهم، وان لا يتتبع احدا بما مضى،ولا يأخذ اهل العراق بإحنة، وان لا ينال احدا من شيعة عليّ عليه السلام وانهم امنون على انفسهم واموالهم ونسائهم واولادهم، وان لا يتعقب عليهم شيئا ولا يتعرض لهم بسوء ويوصل الى كل ذي حق حقه»[1].استخدم الامام عليه السلام مفردة عامة شاملة وهي(الناس) توقفنا عندها، حيث ان الامام باستخدامه مفردة شاملة تشمل غير المسلمين لم يرد الامان لفئة معينة فقط،بل اراد الأمان لكل فئات المجتمع حتى خارج اطار المجتمع الاسلامي وبين ان لهم حقوق باختلاف فئاتهم واماكنهم، ومن هنا رسم الامام عليه السلام صورة للتعايش السلمي بين فئات المجتمع أكمل اكمل ملامحها بنبذ الطائفية،لان الدين الاسلامي دين الانسانية، قال تعالى:(ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)[2]. فالامام عليه السلام أراد اشاعة السلم الذي هو من الامور المهمة لترابط

١-آل ياسين، راضي،صلح الحسن، ص٢٦٠/ ٢٦١.
٢-الحجرات اية ١٣.

المجتمعات وتآلفها، واراد ان يذيب الفوارق ليتمكن من اشاعة روح السلم الاجتماعي، ومن ثم يأمن اصحاب الامام عليه السلام ومقربوه، وشيعة ابيه الامام عليّ عليه السلام من القتل والاعتقال والغدر حتى لا يستفيق الانتقام ويعود ويسود الاضطراب، فلا تستطيع السلطة آنذاك من تطبيق القانون الذي يسعى الامام من خلال بنود صلحه ان يجسده لأمن الامة. اضافة الى الحفاظ على العناصر الأساسية للأمة بصد الاباطيل ورد الفتن عنها وحمايتها من التضليل ليخلق مجتمعاً واعياً، وأمة متماسكة بجميع عواملها. اذن دون الامام عليه السلام ديباجة قانونية اجتماعية بفكر سياسي حاذق وابعاد مستقبلية.

الحيثية الرابعة: ما حقيقة الاموال في مقابل الخلافة ؟! اتهم المستشرقون الامام الحسن عليه السلام بأخذ الاموال مقابل تنازله عن الخلافة. حيث نص شرط الامام:(استثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف الف فلا يشمله تسليم الامر وعلى معاوية ان يحمل الى الحسين الفي الف درهم، وان يفضل بني هاشم في العطاء والصلاة على بني عبد شمس، وان يفرق في اولاد من قتل مع امير المؤمنين يوم الجمل، واولاد من قتل معه في صفين الف الف درهم، وان يجعل ذلك من خراج دار ابجر)[1]. ونرد ونقول ما كانت هذه الاموال الّا لتثبت انه قائد خبير اتصف بالحصافة من خلال الحفاظ على اقتصاد الامة الاسلامية اضافة الى انه ضمن حقوقه وحقوق اهل بيته و حقوق شيعته حيث كان هذا الشرط الوحيد الذي يتصدى للمسألة المالية حيث ادرج الامام عليه السلام هذا الشرط على معاوية لأنه كان يتوقع ان يسلب حقوق الشيعة ورموزهم اقتصاديا ويمنع حقوقهم من بيت مال المسلمين. حيث لا التزام شرعي يمنعه من ذلك، وإن ادراج الامام لهذه البنود المالية في الصلح هذا نابع من معرفة أهل البيت عليهم السلام بواجبات الحاكم الاسلامي مما كانت عليه سيرتهم من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وابيه الامام عليّ عليه السلام،فعليه ان يحافظ على اموال الامة واقتصادها، وجميع الاموال التي ادرجها الامام عليه السلام بالشرط المالي،

١-فضل الله، محمد جواد، صلح الامام الحسن اسبابه نتائجه، ص ١٣٠.

هـي حقـوق المسـلمين ولا يمكـن للإمـام الحسـن عليه السلام ان يسـلمها الى معاويـة لأنـه متأكـد مـن عـدم أمانتـه ولأنهـا سـتكون مبذولـة لـشراء اصحـاب النفـوس الضعيفـة والـترف.

الحيثيـة الخامسـة: ان الامـام عليه السلام اشـترط عـدم سـب امـير المؤمنـين عليه السلام هـذا الـشرط يبـين حقيقـة سـلوك معاويـة المسـتهتر بالتعاليـم الاسـلامية وخُلقهـا.

ونـرى ان الامـام عليه السلام كان يـصر عـلى اشـاعة روح الجماعـة والتعايـش السـلمي في اطـار مجتمـع متكامـل حيث صرح في خطـاب له وقـال:» ألا وإن مـا تكرهـون في الجماعة، خـير لكـم ممـا تحبـون في الفرقـة، ألا وإني ناظـر لكـم خـيرا مـن نظركـم لأنفسـكم، فـلا تخالفـوا امـري، ولا تـردوا عـليَّ رأيـي غفـر الله لي ولكـم، وارشـدني وإياكـم لمـا فيـه المحبـة والرضا..»[1].فالحفـاظ عـلى السـلم ونبـذ الفرقـة وفـرض التعايـش الجماعـي هـي الامـور التـي ركـز الامـام عليهـا لأنهـا تلمـس الواقـع الانسـاني المُلـح، اضافـة الى ضـمان حقـوق الامـة داخـل الدولـة ضمـن اطارهـا الشرعـي والقانـوني. حيـث ان نظريـة الامـام عليه السلام اتسـمت بندائهـا الانسـاني الاسـلامي، وجسـدت حركـة الوحـدة الاسـلامية التـي رسـمت طريقـا لمجتمـع واعٍ في المسـتقبل، فيـما اذا طبقـت مـن قبـل الانظمـة الحاكمـة. حيـث كشـفت للمجتمـع اجمـع الوجـه الآخـر للأمويـين الذيـن ارادوا ان يصنعـوا العصبيـة ويعمقوهـا في وعـي النـاس، ومـا هـذه الاتفاقيـة الراسـخة في مضمونهـا وهيأتهـا إلا تنبـؤ الامـام عليه السلام بالسـلوك الامـوي، فـكل الـشروط التـي خرقهـا معاويـة طيلـة فـترة حكمـه بعـد موافقتـه عليهـا ماهـي إلا دليـل إدانـة عليـه عـبر التأريـخ، وان الامـام الحسـن عليه السلام قائـد عظيـم ذو رؤيـة مسـتقبلية واعيـة وفكـر سـياسي منظـم.

واسـتنتجنا ان نظريـة الصلـح ذات طابـع علمـي حيـث انهـا تنبـأت بسـلوك معاويـة البعيـد كل البعـد عـن الاسـلام مـن جهـة والمعـادي لأهـل البيـت ومواليهـم مـن جهـة اخـرى، لأن القواعـد التـي وضعهـا الامـام الحسـن عليه السلام في نظريـة الصلـح

١-فضل الله، محمد جواد، صلح الامام الحسن اسبابه نتائجه، ص ١١٧.

استخدمها للتنبؤ بسلوك عدوه، لذلك هي تحاكي النظرية العلمية من حيث ان قواعدها يمكن استخدامها للتنبؤ بالسلوك، اضافة الى انها جاءت مدعومة بدليل تجريبي شأنها شأن النظرية العلمية، فالدليل سلوك جده رسول الله ﷺ هذا النهج في صلح الحديبية.

الخاتمة:

ان طريق الحق كان ولا زال مليئا بالعقبات يحسبه البعض وعرا تملئه المشقة لقلة سالكيه، وفي المنعطف يقابله طريق الباطل الذي يكون معبدا بالرغبات النَهمة، ومن البديهي لا نستطيع ان نسلك طريقين في آن واحد، خاصة اذا كانا متعارضين بالمقصد والواسطة، ويبقى الطريق المؤدي لرضا الله هو طريق الاسلام الصائب، هو منهج محمد واهل بيته عليهم السلام، ويبقى الخيار هو اما ان نسلك هذا الطريق بمنهجه المتكامل ونطبق جميع قواعده، او نسلك الطريق المعاكس وهو طريق الباطل، فيأخذنا بعيدا عن الدارين فنخسر، وسنبتعد عن طريق الصواب وسيملأنا التناقض فتسودنا العصبية التي اراد ان يصنعها الأمويون ويعمقوها في وعي الناس والتي انتهت بزوال ملكهم، وحينها سنجد انفسنا مع الذين خالفوا الرسول ﷺ بعد وفاته، ومع الذين تناقضت آرائهم فتركوا الحسن عليه السلام، ومع الذين خانوا الحسين عليه السلام.

وقد بينا من خلال البحث حقائق الشبهات التي القاها المستشرقين وقد تبين لنا بعدها عن الحقيقة والواقع، وحاولنا ايصال فكرة الطريق الذي رسمه الامام عليه السلام للمجتمع حسب ما نعتقد، حيث لم يترك المجتمع إلاّ وحفظ له جميع حقوقه داخل الدولة في اطارها الشرعي القانوني، اضافة الى حمايته فئات خاصة في اطار الدين الاسلامي، ليجسد اروع صور التعايش السلمي بعيدا عن أي فوارق

متبعـا سـيرة جـده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حـين قـال لا فـرق بـين عـربي واعجمـي، فالديباجـة السياسـية- القانونية-الاجتماعيـة التـي خطهـا الامـام عليه السلام بيـده الكريمـة هي(تحفـة) بقواعدهـا واسسـها الراسـخة، حيـث ارتكـزت عـلى الأنسـانية المتسـاوية القيمـة في ايّ إهـاب تـبرز، وعـلى أي حالـة تكـون، وفـوق أي مسـتوى تتربـع. حيـث سـنتمكن ان نبتعـد بأفـكار الصلـح التـي تمثلـت بأبهـى صـور الانسـانية التـي اعتمـدت السـلم والجماعـة نابـذة الفرقـة واراقـة الدمـاء نحـو العـالم.

ان نظريـة الصلـح وملحمـة عاشـوراء تلتقـي تحـت شـعار الانسـانية فالصلـح نداء الانسـانية وعاشـوراء صـوت الوحـدة الانسـانية، فالصلـح هـو البـذرة وعاشـوراء هـي الثمـرة، وبهـما طـاح عـرش الامويـة.

المصادر:

- القران الكريم
- ال ياسين، راضي، صلح الحسن، منشورات الشريف الرضي.
- ابن الاثير، علي بن ابي الكرم، الكامل في التأريخ،ط١-١٩٨٧م.
- ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد المرواني، مقاتل الطالبين، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،ط٣،بيروت-١٩٨٨م.
- بروكلمان،كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية،ط٥، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٦٨.
- البلداوي،وسام برهان، القول الحسن في عدد زوجات الامام الحسن،ط١-٢٠٠٨م.
- حتي،فيليب، تاريخ العرب،ج١،دار الكشاف للنشر و الطباعة والتوزيع، ط٤-١٩٦٥م.
- حتي،فيليب العرب تاريخ موجز،بيروت،١٩٤٦م.
- الخربوطلي، العراق في ظل الحكم الاموي، دار المعارف بمصر،١٩٥٩م.
- دائرة المعارف الاسلامية اصدرت بالالمانية والانكليزية والفرنسية واعتمد في الترجمة على الاصلين النكليزي والفرنسي.
- رونلدسن، دوايت م، عقيدة الشيعة، مؤسسة المفيد للطباعة والنشر-بيروت،١ط، ١٩٤٦م.

- الشيرازي،محمد الحسيني، صلح الامام الحسين، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر،ط٢-٢٠٠٤م.
- الطبرسي،احمد بن علي، الاحتجاج، منشورات دار النعمان،ج٢.
- الطبري،جعفر محمد، تأريخ الأمم والملوك،ج٦،مؤسسة الاعلى للمطبوعات بيروت،١٨٧٩م.
- العبيدي، طه، الامام الحسن المجتبى احداث ومعطيات،ط١،مطبعة دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠١٤م.
- فضل الله، محمد جواد، صلح الامام الحسن-اسبابه ونتائجه، ناشر دار المثقف المسلم.
- فلهوزن،يوليوس، الخوارج والشيعة، ط النهضة-مصر،١٩٥٨م.
- كونسلمان،جرهارد،سطوع نجم الشيعة، مكتبة مدبولي -القاهرة-ط١، ١٩٩٢م.
- ماسيه،هنري،الاسلام،ط٣-١٩٨٨م.
- محمد اسماعيل، احمد، صلح الحسن غدير عز-ولغز جهاد،دار الولاء للطباعة والنشر، ط١،بيروت ٢٠١٤م.
- المسعودي،علي بن الحسين، مروج الذهب،ط١،ج١، المكتبة العصرية-بيروت،٢٠٠٥.
- المفيد،محمد بن محمد بن النعمان، الاشداد في معرفة حجج الله على العباد،ط٢، ج١٠،٢- ٢٠٠٨م.

- الموسوعة الاسلامية اشرف على تاليفها فنسنك واخرون وكتبت باللغة الانكليزية وترجمت الى الفرنسية والالمانية ثم ترجمت الى العربية ونحن ننقل من النسخة العربيةج٧.
- ناتنج،ناتوني، العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٤م.
- النجاشي، احمد بن علي، فهرست اسماء مصنفي الشيعة، مؤسسة النشر الاسلامي،ط٧.
- اليعقوبي،احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي،ج٢.

him) was a great leader could to endorsing a political agreement carrying through its conditions all the concepts of peace and make it to the good of Islamic nation. Its show that the Orientalists didn't read the history's branches well، they just satisfied by the putted versions that putted to vilification the reputation of Imam Hassan (peace be upon him) by the Umayyad's rented pens، and they just forget there's a lot of sources talks about the life of Imam Hassan (peace be upon him).

Summary

Praise be to Allah، Lord of the Worlds، and prayers and peace be upon the Messenger of Allah، the master of creations and the last of the prophets the messenger Mohammed and his good and virtuous family.

Hereafter: of the justifications of research، stopping at the reasons that leaded the Orientalists to follow the manner and studying it a comparative studying supported by significant evidences then it was one of these reasons the returning of Orientalists to Umayyad's versions، or copying from them antecedents and get an effect by them opinions or from previous intellectual background concerned by Islam.

We introduced in this research the subject that Al-Imam Al-Hassan accused by the Orientalists where they said " he is a weak person without courage to lead his peoples" then the talks is conflicted in the reason of death (peace be upon him) were they diverged، then his disclaim about the caliphate in return of money، that show they divided for two parties one with one-side review or he just studied the history from one way، and the other party were a illiberal and prejudiced. The Imam Hassan (peace be upon him) were never be a recessive person according to them talks، but the situations that surrounded him and defeating his army lead his to accept the reconciliation.

And then we cleared the reconciliation's theory and its conditions and its political، legal and society dimensions and its showed the failure of Orientalists news، whereas the theory of Imam Hassan (peace be upon him) reconciliation showed with a great stability and show how impossible to refutation this theory and what is it showed about Maawiyah. Imam Hassan (peace be upon

خلافة الإمام الحسن عليه السلام وظروفها

السيد محمد باقر الصدر قدس سره

مقدمة

قلنا[1]: إنه بعدما خرّ الإمام علي عليه السلام صريعاً في المسجد كانت بذرة التناقض [في] التجربة الإسلاميّة - التي تزعّم قيادتها لإعادة كامل الصيغة الإسلاميّة إلى الحياة - بدأت تستفحل وتشتدّ..

هذه البذرة هي التي سميناها في ما سبق بـ «الشكّ»، ودرسنا الظروف الموضوعيّة والنفسيّة والتاريخيّة التي كوّنت هذا الشك. ونقصد من هذا الشكّ: الشكَّ القائد في نظرية القائد وأطروحته التي يكافح من أجلها ويحارب على أساسها.

وكان هذا الشكّ - على ما أوضحنا في ما سبق[2] - شكّاً مصطنعاً ولم يكن شكّاً حقيقيّاً، أي: بالرغم من أنّه كان يعيش وجدانات أكثر القطّاعات التي دخلت في حكم الإمام علي عليه السلام [إلّا أنّه] لم يكن شكّاً بحكم المنطق أو بحكم [سيرة الإمام علي]، وإنما كان شكّاً مستوحى من إرهاق هؤلاء وانخفاض أنفاسهم [بسبب] خط الجهاد الطويل المتواصل.

اقتناع الأُمّة بالقضيّة شرط نجاحها:

وما من رسالةٍ وقائدٍ يحمل[3] أطروحةً رساليّةً تكون فوق مصالح الأفراد وفوق حدود وجوداتهم، ما من رسالةٍ وقائدٍ يحمل رسالةً من هذا القبيل يمكن أن ينجح في خطّ عمله ما لم يحصل على إقناع الأُمّة بالأُطروحة والقضيّة.

١- في المحاضرات الحادية عشرة والثانية عشرة من هذا الكتاب، وسيقوله (قدس سره) في المحاضرتين التاسعة والعاشرة المتأخرتين زماناً. وما يأتي من أوّل المحاضرة إلى أواسط بحث (لماذا قبل الإمام الحسن (عليه السلام) له أن يبايع؟) سقط من المحاضرة الصوتية وأثبتناه من (غ) و(هـ).

٢- في المحاضرات نفسها.

٣- في (غ) و(هـ): ((يحسن))، وما أثبتناه للسياق، ويؤيّده ما يأتي.

القضيّة التي [هي] أكبر من مصالح هذا الفرد بالذات وذاك الفرد بالذات لا يمكن أن تضمن نجاح مصلحة هذا الفرد بالذات وهذا الفرد بالذات؛ فالمصالح المحدودة المقيدة قد تتعارض مع قضيّة كبيرة.

وهذه القضيّة الكبيرة جدّاً - أيّ قضية كبيرة جدّاً تطرح على المسرح السياسي أو الاجتماعي - لا يمكن أن تنجح إلّا إذا حصلت على اقتناعٍ من الأُمة بصحتها ونبلها وواقعيّتها وضرورة تطبيقها.

وهنا لا يلزم أن يحصل هذا الإقناع من الأُمّة ككلّ، بل يكفي أن يحصل هذا الاقتناع لدى جزءٍ مهمٍّ من الأُمّة، ثم يُحصِّل هذا الجزء باقي الأجزاء، فيكسبها بالتدريج إلى الاقتناع، كما وقع في أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم):

[في أيّام النبي صلى الله عليه وآله وسلم][1] كان هناك اقتناع من قبل جزءٍ من الأُمّة، وكان هناك استسلام وتجميد من قبل أجزاء أخرى سماها القرآن بـ((المنافقين))؛ الجزء المنافق من الأُمّة كان جمّد مهمّة محمّد[2] صلى الله عليه وآله وسلم، والجزء المقتنع من الأُمّه هو الطليعة التي تحمل بيدها الرسالة، وتحارب من أجلها، وتبذل دمها في سبيل تحقيق الأهداف.

تحوّل الشكّ بعد عهد الإمام علي عليه السلام كيفيّاً وكميّاً:

هذا المنطق كان يقضي على التجربة التي خلفها الإمام عليٌّ بأن تعيش حالة مضطربة من التناقض؛ لأنّ هذا الاقتناع - الذي هو شرطٌ ضروريٌّ في إنجاح أيّ أطروحة رساليّة تتعدّى حدود ومصلحة الأفراد - لم يكن متوفّراً في أواخر عهد الإمام علي عليه السلام: بحكم الظروف التي كان يعيشها الإمام.

١- ما بين العضادتين كرّرناه للسياق.
٢- كذا في (غ)، وفي (هـ): ((بالمنافقين، الجزء المناقض. وكان محمّد والجزء المقتنع...)).

وهـذا الشـك كان قـد بـدأ مـن عهـد الإمـام عـلي ﷺ، واسـتمرّ بعـده حينـما تـولّى الإمـام الحسـن ﷺ مقاليـد الحكـم، غـير أنّـه تحـول مـن شـكٍ سـلبيٍّ عـلى الأكثـر إلى شـكٍّ إيجـابيٍّ عـلى الأكثـر:

١- كان هـذا الشـكّ في عـصر الإمـام عـلي ﷺ ليـس شـكّاً سـلبياً إذا اسـتثنينا قصّـة الخـوارج، هـذا الشـك في أطروحـة الإمـام كان شـكّاً سـلبيّاً، يعنـي أنّـه كان ينعكـس عـلى مسـتوى سـلبي لا عـلى مسـتوى إيجـابي، ينعكـس عـلى مسـتوى التخـاذل، والتميّـع، والتثاقـل عـن الزحـف، والتلكّـؤ في تلبيـة الأوامـر العسـكريّة التـي كان يصدرهـا الإمـام عـلي ﷺ بالالتحـاق بخـطّ الجهـاد[1]، فـكان ينعكـس في مواقـع سـلبيّة عـلى الأكثـر، بينـما أخـذ هـذا الشـكّ ينعكـس بعـد الإمـام عـليٍّ انعكاسـاً إيجابيّـاً.

٢- ومـن ناحيـةٍ أخـرى أيضـاً اتّسـع نطاقـه، فشـمل قطّاعـاتٍ أكثـر مـن المجتمـع الـذي كانـت تحكمـه التجربـة.

يعني: طرأ على هذه التجربة:

تحوّل كيفيٌّ ينعكس إيجابيّاً على الأكثر، كما كان ينعكس سلبيّاً على الأكثر.

ب: وتحـوّلٌ كيفـيٌّ جعلـه يطغـى ويشـتدّ بالتدريـج في الجماهـير التـي كان مـن المفـروض أن تسـاهم في مواصلـة العمـل والجهـاد في إنجـاح التجربـة.

١- قال الإمام علي ﷺ: ((فإذا أمرتكم بالسَير إليهم في أيّام الحر قلتم: هذه حمارّة القيظ، أمهلنا يسبّخ عنّا الحرّ. وإذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القرّ، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد. كلّ هذا فراراً من الحرّ والقرّ؛ فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون فأنتم والله من السَيف أفرّ)) نهج البلاغة: ٧٠، الخطبة ٢٧.

أرضيّة بذرة الشكّ في عهد ما بعد الإمام علي عليه السلام:

أمّا لماذا طغى هذا الشكّ كيفيّاً وكميّاً بعد الإمام علي عليه السلام؟ فهذا هو السؤال الذي يجب أن يجاب عنه.

والجواب ينحصر في النقاط التي ذكرناها في أبحاثنا السابقة[1].

هذا الشكّ بدأ في عهد الإمام علي عليه السلام، وكان فحوى هذا الشكّ ومضمونه هو [تشكيك] الإنسان العراقي المجاهد تحت لواء الإمام عليٍّ عليه السلام في أن تكون معركة الإمام عليٍّ عليه السلام مع معاوية هي معركة الإسلام مع الجاهلية في قالبها الجديد.

هذا المفهوم الذي كان يعطيه الإمام علي عليه السلام بقوله، بوجوده، بسلوكه، بكلّ جوانبه[2] ومشاعره.. هو أنّ معركته مع معاوية كانت معركة بالصيغة الإسلاميّة الكاملة الشاملة للحياة مع الجاهليّة، ولكن بالثوب الجديد وعلى مستوى جديد؛ لأنّ الجاهليّة بالأمس لم تكن تقتنع إلّا بإنكار الصيغة الإسلاميّة رأساً، بإنكار النبوّة رأساً، ولكن بعد ذلك، وبعد أن سيطر الإسلام على مقاليد كسرى وقيصر ومَلَك المعمورة، بعد هذا أصبحت الجاهليّة بإزاء أمرٍ واقع استشعرت في مقابله [بالخطر][3]، فعدّلت من موقفها: فبينما كانت تريد أن تنكر الإسلام ككلّ، بدأت تحاول أن تنكر جزءاً من الإسلام، وهو الجزء الذي يتعارض مع واقع مصالحها السياسيّة والاجتماعية وفهمها لأساليب الحياة وتقييمها للسلوك.

هذه المعركة كان يعطيها الإمام لا بقوله فقط، بل بسلوكه ووجوده وتصديقه بهذا المفهوم. استطاع الإمام علي أن [يصنع] المعجزة في سبيل أن يجعل شعباً يواكب هذا المفهوم ويقتنع به، وهو شعبٌ لم يعِش أيّام الرسالة الأولى، ولم يعِش قضية الإسلام على عهد النبوّة.

١- في المحاضرات نفسها التي أشرنا إليها في بداية هذه المحاضرة.
٢- كذا في (غ)، وفي (هـ): ((جوارحه)).
٣- ما بين العضادتين أضفناه للسياق.

شعب العراق دخل الإسلام منذ سنين[1]، ولم تكن أكثر القواعد الشعبيّة اعتمد عليها الإمام علي عليه السلام قد عاشت أكثر أيّام الإسلام الأولى، أيّام الوحي الأولى، مع هذا كسب الإمام هذا الاقتناع إلى درجةٍ ما وإلى وقتٍ ما.

ثم بدأ الشكّ في ذلك، [بدأ] الشكّ في قضية عليٍّ عليه السلام مع معاوية: هل هي قضيّة الإسلام مع الجاهليّة بثوب جديد؟ أو هي قضيّة صراع بين شخصين، بين أسرتين، بين اتجاهين كانا يتحاربان قبل الإسلام واستأنفا الحرب بعد الإسلام؟

كان هاشم مع أميّة، كان عبد المطلب مع أمويٍّ آخر[2]، كان محمّد مع أبي سفيان، كان عليٌّ مع معاوية، هل هذه الحرب هي استمراريّة لاتجاهين تاريخيّين وعلاقة تاريخية متأخّرة بين هاتين القبيلتين؟

هذا الشكّ بدأ يوجد وينمو في عصر الإمام علي عليه السلام، لكن هل المنمّي له هو [الإمام علي عليه السلام] أو سياسة الإمام علي عليه السلام؟

بل هو الإرهاق الشعبي، انقطاع النفس، رغبة الشعب، حب السلامة.. هذا هو الذي نمى هذا الشكّ.

عوامل طغيان الشكّ كيفيّاً وكمّياً بعد الإمام علي عليه السلام:

هذا الشكّ بدأ يشتد ويقوى بعد الإمام علي عليه السلام: فإنّ موت الإمام كان [مثيراً] لعوامل عديدة، هذه العوامل العديدة أدت إلى تنمية هذا الشكّ كيفيّاً وكميّاً.

١- العامل الأوّل: الفراغ الذي خلّفه رحيل الإمام علي عليه السلام:

١- بدأ المسلمون بفتح العراق سنة ١٢ هـ. فراجع تاريخ الأمم والملوك (الطبري) ٣: ٣٤٣: الفتوح ١: ٧٢.
٢- وهو: حرب بن أميّة.

أوّل هذه العوامل: لحظة الفراغ، فالإمام علي عليه السلام ملأ المركز السياسي للتجربة، وكان كلّ إنسان في التجربة مشدوداً بواقع حياته إلى الاعتراف بسلطته وشرعيّته وأحقيّته.

ثم فُقد الإمام في لحظة مفاجئة من دون سابقِ تمهيدٍ أو إعدادٍ لهذا الخطّ. وهذا الاغتيال الذي أودى بحياة هذا الإمام العظيم أدّى بالمسلمين الذين عاشوا في كنف التجربة التي تزعمّها الإمام علي عليه السلام إلى أن يعيشوا لحظة فراغٍ سياسي[1].

حينما انطفأت الشعلة، حينما خلت الساحة من الإمام، أخذوا يحسّون بأنّهم يفقدون اختيارهم، بأنّهم أصبحوا في مركز لا بدّ لهم [فيه من] أن يفكّروا من جديدٍ في أنّ أيّ الطريقين لا بدّ أن يختاروا! [بينما كانت] استمراريّة حاكم تمنع من أن يشعروا بأنّهم في موقفٍ يتيح لهم التفكير من جديد.

إنّ انطفاء الشعلة وخلوّ الساحة من الإمام القائد عليه السلام أدّى بهؤلاء إلى أصبحوا يشعرون بأنّهم في موقفٍ جديد، و [أنّ عليهم أن] يدرسوا قضيّتهم الجديدة، ويدرسوا – على ضوء مصالحهم – الاتجاهَ والسلوكَ الذي يجب أن يُطبَّق بالنسبة إلى مستقبلهم.

العامل الثاني: نظرة الأمّة إلى كيان الحسن عليه السلام بوصفه الكيان الطارئ:

إنّ الإمام الحسن عليه السلام حينما تسلّم مقاليد الحكم كان هناك كيانٌ سياسيٌّ قائمٌ يحكم في العالم الإسلامي، وهذا الكيان يتمثّل في حكم الشام الذي كان يقوده معاوية.

كان هناك كيانان سياسيّان حاكمان في العالم الإسلامي:

١ – أعدنا صياغة هذا المقطع وفق مراده (قدس سره): لأنّ العبارة في (غ) و(هـ) شديدة الاضطراب.

أحدهما: يقوده الإمام الحسن عليه السلام.

والآخر: يقوده معاوية.

وهذا الكيان الذي يقوده معاوية اكتسب في نظر معاوية وأهل الشام شرعيّة ثوب الخلافة بعد التحكيم في أعقاب معركة صفّين. ولهذا أخذ معاوية يعيش مع قاعدته كما يعيش الخليفة مع رعيّته.

والإمام علي عليه السلام كان استمراريّة لوجود سياسيٍّ أسبق وخلافة شرعيّة أسبق زمنيّاً من هذا الكيان السياسي القائم بالشام.

لكن بعد أن خلا الميدان من الإمام علي عليه السلام وجاء الحسن عليه السلام يتسلّم مقاليد الحكم، كان في الذهنيّة العامّة والتصوّر العام للإنسان العادي المسلم بأنّ هناك شيئاً يملأ الفراغ إلى حدّ ما، فلا بد من التفكير من جديد؛ لأنّه من اللازم بناء كيانٍ سياسيٍّ جديد، أو الالتحاق بهذا الكيان القائم[1].

مثل هذا التفكير لم يكن موجوداً في أيّام الإمام علي عليه السلام، بل إنّ هذا الكيان السياسي القائم في الشام طرأ في أيّام علي عليه السلام، بينما الآن كيان الحسن عليه السلام يعتبر في ذهن[2] الإنسان العادي هو الطارئ على الكيان السياسي.

فقد استغلّ معاوية هذه النقطة في كتابه إلى الإمام الحسن عليه السلام حيث قال ما مضمونه: ((قد تمّت الخلافة لي ولزمتك منذ يوم التحكيم، وأنت الآن لا بدّ لك

١- يقصد (قدس سره): أنّه عند مجيء الإمام الحسن عليه السلام، كان كيان معاوية السياسي - بنظر المسلم العادي غير الواعي - يملأ فراغ الحكم إلى حدٍّ ما ويفي بالغرض الذي يتصوّره. وقد جعل بروز الإمام الحسن عليه السلام على المسرح هذا المسلم العادي يعيد التفكير في مستلزمات الاستجابة له عليه السلام؛ لأنّ الاستجابة تستلزم بناء كيان جديد. بينما كان هذا المسلم العادي وغير الواعي يملك خياراً آخر أقل كلفة بالنسبة له، يتمثّل بالالتحاق بكيان معاوية القائم قبل كيان الحسن عليه السلام. ومن هنا نشأت حالة الشكّ في ضرورة الالتحاق بركب الحسين عليه السلام.

٢- في المحاضرة الصوتيّة: ((أذهان)).

أن تدخل في ما دخل الناس))[1].

معاوية يتكلّم بلغة الخليفة، بينما لم يكن يمكنه أن يتكلّم بلغة الخليفة في عهد عليٍّ عليه السلام؛ لأنّه هو الذي شقّ عصا الطاعة عليه عليه السلام، فلو تكلّم لم يكن مثل هذا الكلام قادراً على أن يزرع الشكّ قدرة كلامه مع الإمام الحسن عليه السلام [على فعل ذلك].

فهذا العامل الثاني [يثير الشكّ] في أذهان العاديّين غير الواعين في أنّه: هل من الضروري الحفاظ [على هذا الكيان]؟ أو هل من الضروري بناء هذا الكيان إلى جانب ذلك الكيان؟ أو بالإمكان الانسحاب من ذلك الكيان؟

العامل الثالث: الاعتبارات الشخصية القائمة في أمير المؤمنين عليه السلام:

العامل الثالث هو الاعتبارات الشخصيّة القائمة في أمير المؤمنين؛ فالإمام الحسن والإمام علي عليهما السلام في منطق العصمة سواء، وفي منطق النصّ الإلهي سواء، ولكنّهما في منطق الجماهير وقتئذٍ لم يكونا سواء.

ونحن نعلم بأنّ التجربة والحكم الذي كان يمارسه الإمام علي عليه السلام لم يكن قائماً على أساس نصٍّ إلهيٍّ أو [على أساس] العصمة، وإنما كان استمراراً لخطّ السقيفة، غاية الأمر [أنّ] هذه الجماهير التي أخطأت حظّها في المرّة الأولى وفي المرّة الثانية وفي المرّة الثالثة، أصابت حظّها في المرّة الرابعة.

فهذه التجربة كانت تقوم على أساس مفهومٍ جماهيري، لا على أساس نظريّة العصمة والنصّ الإلهي.

١ - إلى أن اختار رجلاً واخترنا رجلاً ليحكما بما يصلح عليه أمر الأمّة وتعود به الألفة والجماعة، وأخذنا على الحكمين بذلك عهد الله وميثاقه، وأخذا منا مثل ذلك على الرضا بما حكما، ثم إنّهما اتفقا على خلع أبيك فخلعاه، فكيف تدعوني إلى أمر إنما تطلبه بحقّ أبيك وقد خرج أبوك منه؟ فانظر لنفسك أبا محمّد ولدينك، والسلام)) الفتوح ٤: ٢٨٦؛ وقريبٌ منه: شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٥.

وهنا يدخل في تقييم الحاكم اعتبارات كثيرة كانت الجماهير تعيشها؛ فالجماهير كانت تعيش اعتباراتٍ عديدةً عن الإمام عليٍّ عليه السلام، ولا تعيش مثل هذه الاعتبارات عن الإمام الحسن عليه السلام:

أ ـ فمن ناحية [نجد] أن الإمام [علياً عليه السلام] سوابقه من أيّام الرسول، صحبته الطويلة، مواقفه العظيمة في الأيّام الأولى من الإسلام، سلطته الروحيّة والعلميّة في آفاق الصحابة، كل هذا يجعل من الإمام علي عليه السلام رجلاً عظيماً في أنظار المسلمين، رجلاً أهلاً لأن تُسلَّم إليه مقاليد الأمور، حتّى في اللحظة الحرجة أما الإمام الحسن عليه السلام فلصغر سنّه وعدم وجود تاريخٍ مماثلٍ لديه من هذا القبيل لم يكن يملك القدرة على الإخضاع النفسي - على إخضاع المسلمين نفسيّاً - بالشكل الذي كان يتاح للإمام [علي] عليه السلام.

ب ـ من ناحيةٍ أخرى، فإنّ البيعة التي حصل عليها الإمام علي عليه السلام كانت أوضح شرعيّةً - في نظر الجماهير التي تؤمن باتجاه السقيفة ـ من بيعة الإمام الحسن عليه السلام؛ لأن بيعة الإمام علي عليه السلام تمت في المدينة، وتمّت على يد الصحابة، ولم يختلف في ذلك إلّا قليلون، والباقون كلّهم بايعوا الإمام عليّاً عليه السلام وكانوا القاعدة الأولى لبيعته، وكان هناك عددٌ كبير من الصحابة لا يزال موجوداً على المسرح الاجتماعي والسياسي. كلُّ هذا يعطي لحاكميّة الإمام علي عليه السلام البهاء والشرعيّة والقدرة على التأثير والنفوذ والإخضاع لنفوس الآخرين، ومثل هذا لم يكن متوفّراً للإمام الحسن عليه السلام.

العامل الرابع: شبهة وراثة الخلافة:

من عوامل تعميق الشكّ هو أنّ الحسن عليه السلام تسلّم مقاليد الحكم عقيب أبيه مباشرة، فاستوحى الإنسان العادي الضعيف غير الواعي من هذا العمل قرينةً جديدةً على ذلك التصوّر الخاطئ.

الإنسان الذي يفترض أنّ معركة علي عليه السلام مع معاوية [هي] معركة أسرة مع

أسرة، معركة عشيرة مع عشيرة، لا معركة رسالة مع رسالة فهو مخطئ، والإطار القَبَلي للمعركة، هذا الإطار عزّزه أنّ الحسن عليه السلام تولّى الإمامة والخلافة بعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

طبعاً، هذا التعزيز لم يكن [ليوجد] لو افترضنا أنّ الجماهير المسلمة كانت واعية، وكانت تعيش نظريّة الإسلام عن الإمام حقيقةً. ولكن، حيث إنّ الجماهير لم تكن واعية، وكانت هي جماهير السقيفة التي قالت: ((من ينازعنا سلطان محمد))[1]، هذه الجماهير كانت تحمل تلك الروح، ولهذا استوحت وتصوّرت أنّ تسلّم الإمام الحسن عليه السلام مقاليد الحكم عقيب استشهاد الإمام علي عليه السلام قرينةٌ على أنّ القصّة قصّة بيت في مقابل بيت، وليست قصة رسالة في مقابل رسالة.

والذي منع الإمامَ أمير المؤمنين عليه السلام من الإعلان الرسمي والسياسي على مستوى الجماهير عن خلافة الإمام الحسن عليه السلام في المركز السياسي تفادي مثل هذا التصوّر. ولهذا أوصى إلى الحواريّين – الذين يؤمنون بالنظريّة الإسلاميّة الصحيحة للإمامة – بإمامة الحسن عليه السلام، وعرّفهم بأنّ الحسن عليه السلام هو الإمام، وهو الحجّة من قبل الله والوصيّ من بعده[2]، إلاّ أنّه . حاكمًا ورئيساً للدولة – لم يعلن إعلاناً رسميّاً سياسيّاً أنّ الحسن عليه السلام هو الذي يتسلّم الأمر من بعده.

العامل الخامس: تردّد الأمّة في سريان الشكّ إلى القائد نفسه:

من عوامل تعمّق الشك في نفوس المسلمين هو: أن الإمام الحسن عليه السلام – لظروف سوف نشرحها –[3] – لم يكن قد تسرّع للإعلان عن عزمه على الحرب مع معاوية والاشتباك المسلّح معه.

١ – الإمامة والسياسة ١: ٢٥، ٢٩؛ تاريخ الأمم والملوك (الطبري) ٣: ٢٢٠.
٢ – ((عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت أمير المؤمنين حين أوصى إلى ابنه الحسن وأشهد على وصيّته الحسين ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح)) الكافي ١: ٢٩٧ الحديث: ١ معاني الأخبار: ٣٠٦ الحديث ١.
٣ – قريباً تحت عنوان: الحسن عليه السلام يعتزم تأخير المعركة بهدف التفرّغ للقضاء على الشكّ.

عـدم إعـلان الإمـام الحسـن عليه السلام وعـدم تسرّعـه في الإعـلان عـن عزمـه عـلى الاشـتباك المسـلّح مـع معاويـة اسـتغلّه معاويـة، وأشـاع عـلى أساسـه أنّ الحسـن عليه السلام يفكّـر في الصلـح[1]، كانـت هـذه الإشـاعة قائمـة عـلى أسـاس هـذه النقطـة، وكانـت لهذه الإشـاعات معـه مسـاهمة كبـيرة جـدّاً في توسـيع نطـاق الشـكّ عنـد المسـلمين، وتردّدهـم في أن تكـون هـذه القضيّـة التـي يحاربـون مـن أجلهـا قضيَّـةً يَشُـكَ فيهـا القائـد نفسّـه.

تعمّق الشكّ واتساع رقعته نتيجة العوامل الخمسة:

هـذه العوامـل الخمسـة أدّت إلى توسـيع نطـاق الشـكّ، هـذا الشـك المصطنـع بعـد وفـاة الإمـام [عـلي عليه السلام] في تسـلّم الإمـام الحسـن عليه السلام مقاليـد الحكـم والزعامـة ـــ والـذي اشـتدّ عـلى أسـاس هـذه العوامـل - تحـوّل - كـما قلنـا - كيفيّـاً مـن طاقـة سـلبيّة إلى طاقـة إيجابيّـة، وتحـوّل كمّيّـاً مـن شـكٍّ يعيشـه بعـض الأفـراد والجماعـات إلى شـكٍّ تعيشـه الجماهـير في مختلـف قطّاعـات هـذا المجتمـع الـذي كان يحكمـه الإمام الحسـن عليه السلام.

هـذا الشـكّ يبـدو بـكلّ وضـوح ومنـذ اللحظـة الأولى لتسـلّم الإمـام الحسـن عليه السلام مقاليـد الحكـم، أو منـذ اللحظـة الأولى التـي [فجـع] فيهـا الإمـام عليه السلام باستشـهاد أبيـه إلى اللحظـة الأخـيرة التـي تـمّ فيهـا تسـليم الأمـر لمعاويـة.

في كلّ هـذه الفـترة القصـيرة - منـذ اللحظـة الأولى إلى اللحظـة الأخـيرة - نحـن نجـد الشـواهد تلـو الشـواهد والدلائـل تلـو الدلائـل عـلى هـذا الشـكّ ـ المريـر، المتزايد، المتنامـي في نفـوس الجماهـير ـ في القائـد، الأطروحـة، وفي الأهـداف، وفي الرسـالة.

ظـروف بيعـة الإمـام الحسـن عليه السلام: الإمـام عـلي عليه السلام يستشـهد، ويعلـن الإمـام الحسـن

١ - ((وكان معاويـة يـدسّ إلى عسـكر الحسـن مـن يتحـدّث أنّ قيـس بـن سـعد قـد صالـح معاويـة وصـار معـه. ويوجـه إلى عسـكر قيـس مـن يتحـدّث أنّ الحسـن قـد صالـح معاويـة وأجابـه)) تاريـخ اليعقـوبي ٢: ٢١٤؛ وانظـر كذلـك: مقاتـل الطالبيّـين: ٧٣.

عليه السلام عن وفاة الإمام العظيم، ولم يعلن عن مسألة الخليفة لتعيين ما يملأ به الفراغ السياسي الذي تركه الإمام علي عليه السلام، [بل] يذهب الإمام الحسن عليه السلام إلى المسجد يؤبّن الإمام عليّاً، [يقرّظ][1] أباه وينعاه، وفي هذا [التقريظ] يحاول أن يدفع الشكّ بقدر ما يمكن لكلماتٍ أن تدفع الشكّ. أراد أن يستعرض صورةً ملخّصةً عن هذا الإمام العظيم الذي خرّ شهيداً في المسجد بين المسلمين، أراد أن يقدّم بين المسلمين صورةً موجزةً عن هذا الرجل النظيف الذي لم يعش لحظةً إلا لرسالته ولإسلامه.

بعد أن ألقى [الخطبة] التي أراد فيها أن يدفع الشكّ ـ بقدر ما يمكن لخطبةٍ أن تدفع الشكّ – عن الإمام علي عليه السلام، بعد هذا وقف ساكتاً يتأمّل ليرى ماذا سيكون ردّ الفعل؟ ماذا يكون موقف المسلمين من هذه اللحظة، من ملء الفراغ، من القضيّة المطروحة الآن؟ وهي قضيّة ملء الفراغ الذي تركه الإمام عليه السلام.. لمن يتوجّه المسلمون الآن؟

كلّ المسلمين سكتوا، لم يقم أحد، لم يجب أحد، لم يُبرِز أحدٌ شيئاً، هؤلاء المسلمون المجتمعون في المسجد، هؤلاء هم الأمناء على التجربة، أصحاب علي، هم قادة هذا المجتمع، هم الطليعة التي كان بها يصول وبها يكافح وبها يجاهد هذا الإمامُ العظيم، كلّهم سكتوا، لم يجب [أحد]، لم يقل [أحدٌ] شيئاً أبداً.

قام ابن عمّه عبد الله بن عبّاس فقدّم أطروحة خلافة الإمام: قال بأنّ عليّاً عليه السلام إن كان قد ذهب فهناك ابنه الحسن عليه السلام سوف يواصل طريقه، سوف في خطّه، سوف يحمل اللواء، سوف نسير في كنفه.

حينما قدّم هذا الشعار أو هذه الأطروحة بدؤوا: شخص [يقوم] من زاوية المسجد، وشخصٌ من زاوية أخرى، وهكذا.. فاستجابوا مع هذا الشعار وبويع

١ – في (غ) و(هـ): ((يقررّ.. التقرير))، ونحتمل بشدّة أن يكون الصادر منه (قدس سره) ما أثبتناه.

الإمـام [1] عليه السلام.

لماذا قَبِل الإمام الحسن عليه السلام بأنْ يُبايَع في ظلّ تنامي مرض الشكّ؟

وهنـا قـد يقـول القائـل: إنّ الإمـام الحسـن لمـاذا قبـل أن يبايَـع وهـو يشـعر بهـذا الشـكّ المتزايـد المتنامـي؟ هـذا الشـكّ الـذي يُعجـز القيـادة عـن إنجـاح أهدافهـا والوصـول إلى أغراضهـا. لمـاذا وافـق أن يبايـع وأن يتسـلم زمـام الحكـم في لحظـةٍ يائسـة؟

والجـواب: أنّـه لـو لم يقبـل بذلـك، لـو أنّـه رفـض أن يبايَـع، لـو أنّـه لم يتسـلّم مقاليـد الحكـم بعـد الإمـام عـلي عليه السلام، لقيـل بـأنّ هـذا الشـكّ الـذي يعيشـه المسـلمون يتسـرّب إلى نفـس القـادة أنفسـهم، إلى الحسـن عليه السلام نفسـه، وبـأنّ الحسـن عليه السلام أصبـح يعيـش هـذا الشـكّ في صحّـة هـذه المعركـة، في ضرورة هـذه المعركـة، في أهميّـة هـذه المعركـة، فـكان لا بـدّ لكـي يثبـت الإمـام الحسـن عليه السلام أن القـادة لا يزالـون يؤمنـون بقضيّتهـم وأطروحتهـم عـلى المسـتوى الـذي [كانـوا] يؤمنـون بـه مـن السـاعة الأولى [أن] يبـادر ويقبـل البيعـة التـي عرضهـا المسـلمون وقتئـذٍ، ويتحمـل المسـؤولية، مسـؤوليّة الحكـم.

وهكـذا كان[2]، تحمّـل عليه السلام مسـؤولية الحكـم بالرغـم مـن هـذا الشـكّ؛ لأجـل أن لا يُتّهـم القائـد بأنّـه أيضـاً بـدأ يشـكّ.

الحسن عليه السلام يعتزم تأخير المعركة بهدف التفرّغ للقضاء على الشكّ:

أنـا أقـدّر وأظـنّ أن الإمـام الحسـن عليه السلام حينـما تسـلّم مسـؤولية الحكـم كان عازمـاً عـلى أن لا يُسرع في خـوض معركـة مسـلّحة مـع معاويـة بـن أبي سـفيان، كان يـودّ أن

١- مقاتـل الطالبيـين: ٦٢؛ الإرشـاد في معرفـة حجـج الله عـلى العبـاد ٢: ٧ - ١٩؛ شرح نهـج البلاغـة ١٦: ٣٠. وفي الأوّل: ((ابـن عبّـاس))، وفي الثـاني والثالـث: ((عبـد الله بـن العبـاس))، غـير أن في صلـح الحسـن عليه السلام ٥٨ نقـلا عـن (شرح نهـج البلاغـة ط.ق ٤: ١٤): ((عبيـد الله بـن العبّـاس)) باعتبـار أنّ عبـد الله بـن العبّـاس لم يكـن بالكوفـة يومئـذٍ. وفي الحدائـق الورديّـة في مناقـب الأئمـة الزيديّـة ١: ١٦٦ أنّ القائـل: ((قيـس بـن سـعد بـن عبـادة)).

٢- إلى هنا ينتهي مقدار ما أثبتناه من (غ) و (هـ)، وما يأتي أثبتناه من المحاضرة الصوتيّة.

تؤجّل المعركة المسلّحة إلى أمدٍ طويل؛ وذلك لكي يصفّي - أو لكي يحاول أن يصفّي - هذا الشكّ في الداخل، لكي يتفرّغ للظروف الداخليّة وللمجتمع الذي يحكمه، ويحاول أن يخفّف من حدّة هذا الشك، ويقضي على بعض منابعه، ويعالج بعض أسبابه وينعش من جديد نفسيّة الفرد المسلم في داخل هذا المجتمع، حتّى إذا استطاع في نهاية الشوط أن يكسب درجةً معقولةً من الاقتناع بالقضيّة والأطروحة، حينئذٍ يبدأ معركته المسلّحة مع معاوية بن أبي سفيان، وهذا هو الذي جعله لا يعلن عزمه على الحرب منذ اللحظة الأولى.

جاءه بعض خواصّه، طلبوا منه الإعلان السريع عن الحرب، والسفر السريع إلى ميدان القتال قبل أن يتقدّم معاوية، وقبل أن يخرج معاوية من بلاده. إلّا أنّه عليه السلام رفض ذلك[1]، وكان رفضه مرتبطاً - على ما أظنّ - ارتباطاً وثيقاً بالظروف النفسيّة التي يعيشها المجتمع الإسلامي الذي يحكمه وقتئذٍ.

كانت هذه الظروف النفسيّة بحاجةٍ إلى علاج أكثر ممّا هي بحاجة إلى حرب، بحاجة إلى توعية أكثر ممّا هي بحاجةٍ إلى قتال، بحاجة إلى إعطاء فرصة جديدة لكي يدرسوا من جديد الأطروحةَ ونبلَها وأهدافَها وخيراتِها وبركاتِها قبل أن يكلَّفوا بقتال جديد. ولهذا تمهَّل [الإمام الحسن عليه السلام] وتريَث في موضوع القتال، إلّا أنّ معاوية بن أبي سفيان لم يتمهّل ولم يتريّث.

١ - ((وإذا بكتاب عبد الله بن عبّاس قد ورد عليه من البصرة وإذا فيه: لعبد الله الحسن أمير المؤمنين من عبد الله بن عبّاس: أما بعد يا ابن رسول الله! فإنّ المسلمين ولّوك أمرهم بعد أبيك رضي الله عنه، وقد أنكروا أمر قعودك عن معاوية وطلبك لحقّك، فشمّر للحرب وجاهد عدوّك)) الفتوح ٤: ٢٨٣؛ ((قال جندب: ..قلت له: إنّ الرجل سائرٌ إليك، فأبدأ أنت بالمسير حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله)) مقاتل الطالبيّين: ٦٨.

معاوية يدخل الحرب ولا يوفّر خياراته الأخرى:

معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل الإمام [علي] عليه السلام بشهر أو أقلّ أو شهرين أو ثلاثة – على اختلاف التقادير في الروايات[1] – خرج مع جيشٍ ليغزو العراق.

معاوية بن أبي سفيان طبعاً كان يقدّر – بفهمه للظروف وقتئذٍ ـ أنّ الظروف مؤاتية – باعتبار ما خلّفه الإمام علي من فراغات سياسيّة ونفسيّة وفكريّة – لأنْ يوقع ضرراً كبيراً بالمجتمع الذي يحكمه عليٌّ، وأن يحقّق مكسباً سياسيّاً جديداً له، وقد يمكن ارتفاع هذا المكسب إلى درجة تصفية المعركة نهائيّاً.

إلّا أنّه ـ مع هذا – لم يكن عند معاوية فكرةٌ كاملةٌ عن كلّ الظروف النفسيّة والأبعاد التي يعيشها المجتمع الإسلامي الذي يحكمه الإمام الحسن عليه السلام.

ولهذا، في نفس الوقت الذي تهيّأ [فيه] للمعركة المسلّحة كان يحاول ـ إلى جانب المعركة المسلّحة – أن يستخدم الوسائل الأخرى التي بإمكانه أن ينتصر بها على عدوّه.

الإمام عليه السلام يستنفر المسلمين للجهاد:

في الرسالتين الأخيرتين المتبادلتين بين معاوية والحسن انتهى النقاش، وقُرّر من قبل الحسن عليه السلام [أن يخوض] الحرب. خرج الإمام الحسن عليه السلام إلى المسجد، أعلن بأنّ ((معاوية بن أبي سفيان قد اتّجه مع جيشه لمحاربتكم)، واستنفر المسلمين للجهاد.

إلّا أنّ هذا الشكّ الذي [ذكرناه] ظهر من جديدٍ ظهوراً سلبيّاً في تلك

١ – ((وأقام الحسن بن علي بعد أبيه بشهرين، وقيل: أربعة أشهر... وأقبل معاوية لمّا انتهى إليه الخبر بقتل علي، فسار إلى الموصل بعد قتل عليه بثمانية عشر يوماً)) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٤.

اللحظة؛ حيث إنّه لم يُجِب الإمامَ الحسن عليه السلام أحدٌ بكلمةٍ سوى شخص واحد، هذا الشخص الواحد هو عديُّ بن حاتم.

عديُّ بن حاتم (رضوان الله عليه) قام وقال لهؤلاء المسلمين بأنّ ((هذا الإمام يأمر وأنا أطيع، وليس على الجندي إلّا أن يطيع، وهذه دابّتي بباب المسجد، سوف أركبها وأخرج إلى النخيلة ولا أرجع إلى بيتي))، وخرج، وكان أوّل من خرج للجهاد، وتبعه ألف من عشيرته[1].

يقول في (البحار): [جهّز][2] عليه السلام جماعة معه، وخرج إلى النخيلة، وبقي عشرة أيّام في النخيلة، واستخلف ابن عمّه[3] على الكوفة لكي يعبّئ باقي القوى المقاتلة، فلم يَرِدْ أحد[4].

بقي الإمام الحسن عشرة أيام في النخيلة ينتظر عسكراً، ينتظر جيشاً، فلم يرد جيش، فيضطرّ الإمام الحسن عليه السلام إلى أن يرجع إلى الكوفة مرّةً أخرى، رجع مرّةً أخرى ليعبّئ بنفسه جيشاً[5].

١- ((ثمّ استقبل الحسن بوجهه فقال: أصاب الله بك المراشد، وجنّبك المكاره، ووفّقك لما يحمد ورده وصدره، فقد سمعنا مقالتك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا منك، وأطعناك في ما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحبّ أن يوافيني فليوافِ. ثمّ مضى لوجهه، فخرج من المسجد ودابته بالباب، [فركبها] ومضى إلى النُخيلة)) مقاتل الطالبيّين: ٧٠؛ شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٩؛ بحار الأنوار ٤٤: ٥٠ أما ما ذكره (قدس سره) من أنّ ألف فارس من عشيرته تبعوه فليس مثبتاً فيها، ولم نجده في غيرها، وأغلب الظنّ أن منشأ الخطأ هو أنّ الشيخ آل ياسين (قدس سره) بعد نقله موقف عدي قال: وفي طيء ألف مقاتل لا يعصون لعديٍّ أمراً)) صلح الحسن عليه السلام ١٠١. ولكنّه ليس ناظراً إلى ما نحن فيه، بل إلى قول عديٍّ للإمام علي عليه السلام في قصّة الخوارج: ((يا أمير المؤمنين! معي من طيء ألف رجل لا يعصونني، وإن شئت أن أسير بهم سرت)) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٥.

٢- المقطع الصوتي هنا غير واضح، وهو يبدو: ((وازن)) أو: ((وآذن))، وفي (غ) و(هـ): ((جهز))، ولكنّه حتماً ليس كذلك، وقد أثبتناه لمناسبته السياق.

٣- هو المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب.

٤- ما أفاده (قدس سره) من: صلح الحسن ١٠١، وقد يُفهم خلافه: ((وسار الحسن عليه السلام في عسكر عظيم حتّى نزل دير عبد الرّحمن، فأقام به ثلاثاً حتّى اجتمع النّاس)) شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٩- ٤٠؛ بحار الأنوار ٤٤: ٥١ عنه. نعم، ((ركب معه من أراد الخروج وتخلف عنه خلقٌ كثير)) الخرائج والجرائح ٢: ٥٧٤.

٥- ((ثمّ إنّ الحسن أخذ طريق النخيلة، فعسكر عشرة أيّام فلم يحضره إلّا أربعة آلاف، فانصرف إلى

عباً جيشاً، تقول كثيرٌ من الروايات: إنّه يبلغ اثني عشر ألفاً[1]، واتجّه هذا الجيش إلى مسكن، واتّجه هو مع أربعة آلاف أو ستّة آلاف إلى المدائن[2].

الخيانات والتراجعات في جيش الإمام عليه السلام:

هذا الجيش الذي عبّأه وبلغ اثني عشر ألفاً واتّجه إلى مسكن وقعت فيه ثلاث خيانات متتالية:

الخيانة الأولى: خيانة الكندي:

الخيانة الأولى كانت على يد شخص من مُرَّة[3] هذا الشخص كان هو طليعة هذا الجيش قبل أن يتكامل، أرسله مع أربعة آلاف.

يقول صاحب (البحار): فراسله معاوية بن أبي سفيان قبل أن يصل إلى مسكن، وأعطاه كذا وكذا مقداراً من المال، فرّ هو مع الصفوة من أصحابه وخونته[4] إلى معاوية بن أبي سفيان[5].

الكوفة، فصعد المنبر..)) بحار الأنوار ٤٤: ٤٤ نقلاً عن؛ الخرائج والجرائح ٢: ٥٧٤. وكان خروجه هذا بعد الخيانات التي سيتحدّث (قدس سره) عنها بعد قليل. أمّا خروجه الذي كان بعد خروج عدي بن حاتم إلى النخيلة فما ذكرناه في الهامش السابق.

١- تاريخ الأمم والملوك (الطبري) ٥: ١٥٩؛ البداية والنهاية ٨: ١٤، وهذا ليس مجموع الجيش كما يأتي، بل هو ما أرسله عليه السلام مع عبيد الله بن العبّاس، فراجع: مقاتل الطالبيين: ٧١.

٢- ورد أنه عليه السلام خرج في أربعين ألفاً، فراجع: الفتوح ٤: ٢٨٦؛ تجارب الأمم ١: ٥٧٢؛ البدء والتاريخ ٥: ٢٣٥. وما ذكره (قدس سره) له مبنيٌّ على ما ذكره خاله الشيخ آل ياسين (قدس سره) في مقام تمحيص الروايات المختلفة؛ حيث خلص إلى أنّ مجموع عديد الجيش - ما عدا جيش المدائن نفسها - يبلغ قرابة ألفاً موزّعين على من سار إلى مسكن ومن سار إلى المدائن، فراجع: صلح الحسن عليه السلام: ١٢٣- ١٢٤.

٣- بل من كندة.

٤- يقصد (قدس سره) أنّهم خونة بلحاظ الإمام الحسن عليه السلام، لا بلحاظ الكندي نفسه.

٥- ((فلمّا توجّه إلى الأنبار ونزل بها وعلم معاوية بذلك بعث إليه رسلاً، وكتب إله معهم أنّك إن أقبلت إليَّ أولك بعض كور الشام والجزيرة غير مُنفس عليك، وأرسل إليه بخمسمائة ألف درهم، فقبض الكندي عدوّ الله المال وقلب على الحسن، وصار إلى معاوية في مائتي رجل من خاصّته وأهل بيته)) بحار الأنوار ٤٤: ٤٣ - ٤٤ الحديث

الخيانة الثانية: خيانة المرادي:

ثم أرسل أربعة آلافٍ أخرى مع شخص آخر أيضاً قبل أن يصل إلى مسكن، فرّ مع بعض الخونة إلى جيش معاوية بن أبي سفيان [1].

الخيانة الثالثة: خيانة عبيد الله بن عبّاس:

ثمّ أرسل ابن عمّه عبيد الله بن عباس مع اثني عشر ألف نسمةٍ على أكثر الروايات، ووصل إلى مسكن، وهناك تعلمون بأنّه ترك المعسكر وذهب إلى خطّ معاوية بن أبي سفيان[2].

كان لمثل هذه التراجعات، لمثل هذه الخيانات المتلاحقة المتتابعة أثرُها المشؤوم في تلك النفوس المليئة بالشكّ، المليئة بالتردّد.

أنتم تصوّروا نفوساً كانت بصورة مسبقة مليئةً بالشكّ والتردّد والتريّث [3]، ثمّ تقع مثل هذه الخيانات الناتجة عن مثل ذلك الشكّ، فسوف يتعمّق ـ لا محالة ـ هذا الشكّ. هذا الشكّ كلما يتّخذ صورةً إيجابيّةً يكون لهذه الصيغة الإيجابيّة ردُّ فعلٍ نفسيٌّ في الشُكاكّ؛ بحيث يزيد [درجة][4] الشكّ عندهم أكثر.

وهكذا كان، فعاش جيش الإمام الحسن في مسكن وهو يفقد بالتدريج

---

١ - ((فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف.. فلمّا توجّه إلى الأنبار أرسل معاوية إليه رُسُلاً وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه، وبعث إليه بخمسة آلاف درهم، ومنّاه أيّ ولاية أحبَّ من كُور الشام والجزيرة، فقلب على الحسن وأخذ طريقه إلى معاوية)) بحار الأنوار ٤٤: ٤٤.

٢ - ((ثمّ دعا عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب فقال له: يا ابن عمّ! إنّي باعثٌ إليك اثني عشر ألفاً.. وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ثمّ تصير إلى مسكن، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية)) شرح نهج البلاغة ١٦: ٤٠.

٣- قال الشيخ المفيد رحمه الله: ثمّ خفّ معه أخلاط من الناس: بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام، وبعضهم محكّمة [=خوارج] يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، أصحاب عصبيّة اتّبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين)) الإرشاد في معرفة الله على العباد ٢: ١٠.

٤- ما بين العضادتين مشوّش في المحاضرة الصوتيّة، وقد أثبتناه من (غ) و(هـ)، وإن كان ليس كذلك حتماً.

القوى المقاتلة، حتّى بلغ عدد الهاربين من جيش الإمام الحسن في مسكن ثمانية آلاف من اثني عشر ألفاً، بقي من اثني عشر ألف واحد أربعة آلاف، والإمام الحسن كان وقتئذٍ في المدائن، وتصل إليه الأخبار، وتنعكس هذه الأخبار على جيشه في المدائن أنّه فرّ اليوم مئة، فرّ خمسمائة، فرّ ألف، فرّ ألفان، فرّ ثلاثة آلاف إلى أن وصل الفارّون إلى ثمانية آلاف[1].

رُسُل معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام:

معاوية بن أبي سفيان أرسل في هذه اللحظات الحرجة العصيبة ثلاثةً من أصحابه ـ أحدهم المغيرة بن شعبة، واثنين آخرين لا أتذكّر اسمهما[2] ـ أرسلهم إلى الإمام الحسن عليه السلام برسالة[3]. ماذا كان في هذه الرسالة؟

كان في هذه الرسالة مجموع الكتب التي وصلت إلى معاوية بن أبي سفيان من أصحاب الإمام الحسن في الكوفة، هذه الكتب تقول لمعاوية: ((أقدم، فلك السمع والطاعة، وسوف نسلّم لك الحسن يداً بيد))[4].

هذه الكتب أرسلها معاوية إلى الإمام الحسن ليقرأها بنفسه، محاولاً بذلك أن يكسر من تصميم الإمام الحسن على مواصلة الخطّ ومواصلة الجهاد والمعركة.

دخل هؤلاء الثلاثة على الإمام الحسن عليه السلام بعد أن حاولوا أن يستقطبوا أنظار الجيش. وبطبيعة الحال هناك[5] وفدٌ مفاوضٌ من [قِبَل] معاوية يأتي إلى الحسن،

---

١ – الظاهر أنّه (قدس سره) قد استفاده من صلح الحسن عليه السلام: ١٤٧، وهو مستفاد من: ((أرسل إلى عبيد الله بن عبّاس وجعل له ألف ألف درهم، فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه)) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٤.

٢ – هما: عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن أم الحكم.

٣ – تاريخ اليعقوبي: ٢: ٢١٥.

٤ – ((وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له في السرّ، واستحثّوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوّهم من عسكره، أو الفتك به... فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التي ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه)) الإرشاد في الله على العباد ٢: ١٢، ١٣.

٥ – مراده (قدس سره): ((وبطبيعة الحال، عندما يكون هناك..))، ومراده (قدس سره) من انعكاس الوفد: انعكاس قدومه.

بطبيعة الحال سوف ينعكس هذا الوفد، وسوف تشخص الأبصار إلى نتائج مباحثات هذا الوفد مع الإمام الحسن.

يدخلون على الإمام الحسن، يعرضون عليه الكتب، كتب الخونة من أصحابه، هؤلاء الذين أعماهم ذاك الشكّ الذي تكلّمنا عنه [1]، فكتبوا إلى معاوية هذه الكتب.

الإمام الحسن يقرأ هذه الكتب واحداً بعد الآخر، ثمّ بعد هذا توجد رسالة من معاوية بن أبي سفيان إلى الإمام الحسن عليه السلام يقول له بأنّه: ((إن شئت أن تحقن الدماء وأن توقف القتال، ولك الأمر من بعدي))[2].

الإمام الحسن بعد أن ينهي قراءته لهذه الكتب لا يعطي أيّ كلمة فاصلة في الموضوع، وإنما يتّجه إلى هؤلاء الثلاثة فيعظهم، يذكّرهم الله والنار وأيّام الله، يذكّرهم بأنّ هذه اللحظات هي جزءٌ قصيرٌ جدّاً من عمرهم، يجب أن يقيّموها على أساس الشوط الطويل الذي يعيشونه، يقف منهم كواعظٍ فقط ثمّ يسكت[3].

وإنّما يسكت لأنّه يحاول أن يقوم بآخر تجربة مع قاعدته الشعبيّة، ليرى أنّه: هل بقي في هذه القاعدة الشعبيّة أيُّ قدرة على مواصلة المعركة مهما كلّف الثمن؟

يخرج هؤلاء من عند الإمام الحسن، فيحاولون أن يكذبوا على الإمام

١- في ثنايا هذه المحاضرة.
٢- تلفيقٌ منه (قدس سره) من بين عدّة مصادر، وقد جاء في الكتاب: ((ثمّ الخلافة لك من بعدي؛ فأنت أولى الناس بها، والسلام)) مقاتل الطالبيين: ٦٨؛ شرح نهج البلاغة ١: ٣٧ لكنّ الظاهر أن هذا الكتاب كان قبل استنفار الإمام الحسن عليه السلام قومه للجهاد؛ حيث برز موقف عدي بن حاتم المتقدّم، ولم تجد ما يشير إلى أنّه وصله مع وفد معاوية.
٣- لم نعثر على هذه الموعظة في مصدر، والظاهر أنّه (قدس سره) قد استفاده من: صلح الحسن عليه السلام: ١٦١ الذي يعتمد على (تاريخ اليعقوبي)، ولكنّها ليست في الأخير؛ إذ فيه: ((وأتوه وهو بالمدائن نازلٌ في مضاربه، ثمّ خرجوا من عنده)) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٥.

الحسن، فنشروا في الجيش وهم [يصرخون][1] أن الله قد فرّج عن هذه الأمّة، وقد حقنت الدماء بابن رسول الله؛ حيث إنّ ابن رسول الله استجاب للصلح[2].

بطبيعة الحال كان لهذا الإنشاء - هذا الإخبار الكاذب، الذي كان إنشاءً - مفعولٌ كبيرٌ جدّاً في التخدير، وفي إضعاف العزائم والهمم، وفي توسيع نطاق الشكّ الذي تكلّمنا عنه.

بعد هذا يخرج الإمام الحسن عليه السلام، يقف خطيباً، يقول بأنّ معاوية - لا أحفظ العبارة بالضبط، لكن ما معناه هذا - دعانا إلى ما لا يكون فيه خيرنا ولا خيركم، فماذا أنتم فاعلون؟)).

وكأنّهم كلّهم يعرفون أنّ هذا الشيء ليس فيه خيره ولا خير [الناس][3]، فصاحوا بصوتٍ واحد: ((الصلح! الصلح!))[4].

ضرورة انحسار الإمام عن المعركة:

كانت هذه اللحظة هي اللحظة التي أحسّ فيها الإمام الحسن عليه السلام بأنّ بقاء التجربة الإسلاميّة الصحيحة العلويّة أصبح شيئاً متعذّراً غير ممكن، وأنّ انحساره عن الميدان أصبح شيئاً ضروريّاً لأجل الإسلام نفسه؛ وذلك لأنّ هذه التجربة لا

١- المقطع الصوتي هنا غير واضح، ويبدو أنّه: ((يستصرخون)) وفي (غ) و(هـ): ((يستطرقون))، ولكنّه ليس كذلك حتماً، ولعلّ مراده (قدس سره): ما أثبتناه؛ بقرينة ما يأتي: ((وهم يقولون ويُسمعون الناس)).

٢- ((ثمّ خرجوا من عنده وهم يقولون ويسمعون الناس: إنّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكّن به الفتنة وأجاب إلى الصلح)) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٥.

٣- المقطع الصوتي هنا غير واضح، وما أثبتناه من (غ) و(هـ)، ولكنه حتماً ليس كذلك، وفيها جميعاً: أنّ هذا الشيء الذي ليس فيه))، بإضافة ((الذي)).

٤- ((ألا وإنّ معاوية دعانا لأمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عزّ وجلّ بظبي السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى. فناداه النّاس من كل جانب: البقيّة البقيّة! وأمضى الصّلح)) الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٦؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة ١: ٤٩١؛ ديوان المبتدأ والخبر (ابن خلدون) ٢: ٦٤٩.

يمكن أن تعيش مع هذا الشكّ، فلا بدّ وأن يُقضى على هذا الشكّ ثم تستأنف التجربة.

ولم يكن بالإمكان أن يُقضى على هذا الشكّ المرير المستعصي إلّا بأن ينحسر عليٌّ عن المعركة، و[ينحسر] خطُّ عليٍّ عن المعركة، ثمّ تنكشف مع أطروحة معاوية وأهداف معاوية.

بعد هذا يرى المسلمون بأمّ أعينهم - هؤلاء الذين كانوا يعيشون الحسّ أكثر ممّا يعيشون العقل، يعيشون عيونهم أكثر ممّا يعيشون عقولهم[1] - يرون بعيونهم أنّ المعركة التي كان يقودها الإمامُ عليٌّ مع معاوية هي معركة الإسلام الجاهليّة، لا معركة شخصٍ مع شخص، ولا مصلحة مع مصلحة، ولا عشيرة مع عشيرة، كان لا بدّ - في منطق التجربة - من أن يُحارَب هذا الشكُّ ثم تُستأنف التجربة.

ولم يكن بالإمكان - وليس بالإمكان اليوم، وليس بالإمكان في أيّ يوم - أن تنجح تجربة رساليّة يقودها قائدٌ يحمل بيده رسالةً هي أكبر من وجودات الأشخاص وأكبر من مصالحهم الخاصّة، ما لم يكسب مسبقاً الاقتناعَ بصحّة هذه الرسالة وبأهدافها وبضرورتها، ولم يكن بإمكان التجربة السياسيّة وقتئذٍ ـ وهي مواصِلةٌ وجودّها في المعركة ـ أن تكسب هذا الاقتناع.

هذا الاقتناع الذي لم يستطع الإمام عليٌّ أن يكسبه ولم يستطع أن يحول دون فقدانه بالتدريج، لم يستطع الإمام الحسن عليه السلام أن يكسبه، أو أن يحول دون تفاقم فقدانه بالتدريج،

ولهذا كان من الضروري أن ينحسر ظلُّ الإمام عليٍّ عن ميدان الحكم لكي تتكشّف أطروحه معاوية، وبعد ذلك يعرف المسلمون أنّ هذه الأطروحة التي

١ - وهذا مُقتضى طبيعة البشر كما تقدّم منه (قدس سره) في المحاضرة الأولى من هذا الكتاب.

جاهد في سبيلها عليٌّ هي أطروحة وجودهم وعقيدتهم ورسالتهم ومصالحهم الحقيقيّة غير المنظورة لهم، وعندئذٍ يكون بالإمكان استئناف العمل من جديدٍ على أساس اقتناعٍ مسبق.

هذا خلاصة ما [أردنا أن نقوله في] الإمام الحسن عليه السلام، وأنا تعبت كثيراً، وهناك بقيّة، وحيث إنّي تعبت [فـ] لهذا أكتفي بهذا المقدار.

الخيارات المتاحة أمام الإمام الحسن عليه السلام:

على أساس الظروف التي شرحناها بالأمس[1]، والتي عقّدت الطريق بين يدي الإمام الحسن عليه السلام، والتي ضاعفت من قوّة الشكّ، وحوَلته من طاقة سلبيّة إلى طاقة إيجابيّة ممتدّة في أوسع نطاق، على أساس ذلك كان بين يَدَي الإمام الحسن (عليه أفضل الصلاة والسلام) طريقان:

١- [إمّا أن] يواصل العمل في الساحة حتّى يخرّ صريعاً كما خرّ بعد ذلك أخوه الحسين عليه السلام شهيداً في ساحة كربلاء.

٢- وإمّا أن يوقف خطّ العمل نزولاً على الأمر الواقع.

الاعتبارات المتمثّلة في الإمام الحسن عليه السلام:

وكان لا بدّ للإمام الحسن عليه السلام وهو يدرس أفضل هذين الطريقين من أن يدخل في حسابه كلّ اعتباراته وكلّ جوانب وجوده؛ لأنّ الإمام الحسن عليه السلام؟ كان يتمثّل فيه عدّة اعتبارات:

١- الإمام الحسن عليه السلام بوصفه أميناً على النظريّة:

١- أي في المحاضرة الرابعة عشرة من هذا الكتاب.

[فقد] كان من ناحيةٍ هو الأمين على النظريّة، هو الأمين على الصيغة الإسلاميّة الكاملة على الحياة بوصفها خطّاً فكريّاً وروحيّاً يجب أن يعيش، ويجب أن يستقطب بالتدريج، ويجب أن يمتدّ إلى أكبر قدرٍ ممكنٍ من القلوب والنفوس والعقول.

٢- الإمام الحسن عليه السلام بوصفه أميناً على التجربة:

وكان من ناحية أخرى الأمينَ على التجربة، يعني: الأمين على كيانٍ جسّد تلك الصيغة الإسلاميّة الكاملة. هذا الكيان الذي أنشأه الإمام علي عليه السلام واستأنف به حياة رسول الله وعصر رسول الله، هذا الكيان خلّفه الإمام عليٌّ ليتزعّمه الإمام الحسن، فكان الإمام الحسن بالاعتبار الثاني أميناً على الواقع الحيّ الذي جسّد تلك الصيغة الإسلاميّة الكاملة.

أي: هو أمينٌ على النظريّة والتطبيق معاً، أمينٌ ووريثٌ للمفهوم والخطّ، ولتجسيد هذا الخطّ في واقع الحياة.

٣- الإمام الحسن عليه السلام بوصفه أميناً على الكتلة:

وكان هناك اعتبارٌ ثالثٌ من الاعتبارات التي يمثّلها الإمام الحسن (عليه أفضل الصلاة والسلام): فهو أمينٌ على كتلة، هذه الكتلة هي التي نسمّيها اليوم ب (الشيعة)، هذه الكتلة هي الجانب أو الجزء الذي آمن بنظريّة الإسلام في عليٍّ وفي إمامة عليٍّ وفي خطّ أهل البيت عليهم السلام.. هذه الكتلة التي وضع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الله بذورها، ثم نمّاها الإمام علي، خصوصاً على عهد خلافته، وأخذها الإمام الحسن عليه السلام ليتسلّم زعامتها وقيادتها ككتلة يجب أن تنمو على مر الزمن، وتشكّل الطليعة الواعية القادرة على قيادة المسلمين ككلّ في مستقبل قريبٍ هي أو بعيد.

خروج الاعتبار العاطفي غير الرسالي عن حسابات الإمام الحسن عليه السلام:

هـذه اعتبـارات ثلاثـة كان يمثّلهـا جميعـاً هـذا الإمـامّ الشـابّ (عليـه أفضـل الصـلاة والسـلام)، فـكان لا بـدّ حينـما يـدرس أفضـل الطريقـين - طريـق التضحيـة والمـوت، أو طريـق تجميـد الخـطّ والحركـة إلى وقـتٍ مـا ـ أن يـدرس ذلـك عـلى أسـاس هـذه الاعتبـارات الثلاثـة، دون أن يَدخُـلَ إلى جانـب هـذه الاعتبـارات الثلاثـة اعتبـارٌ رابـعٌ يُطلـق عليـه عـادةً أيُّ اسـمٍ مـن الأسـماء العاطفيّـة أو الخُلُقيّـة التـي لا ترتبـط بمصالـح الرسـالة، مـن قبيـل أن يقـال: ((إبـاء الضيـم))، ((عـدم الاسـتعداد المصافحـة الأعـداء))، ((الشـعور بالعـزّة)).

كلّ هـذه المشـاعر هـي اعتبـارات عاطفيّـة يجـب أن لا تأخـذ طريقهـا إلى قلـب الإنسـان الحـقّ الـذي يريـد دائـماً أن يرسـم طريقـه عـلى أسـاس الاعتبـارات الرسـاليّة.

فإبـاء الضيـم مثـلاً الـذي ينسـب عـادةً إلى الإمـام الحسـين عليه السلام، هـذا الإبـاء يجـب أن يـراد بـه حينـما ينسـب إلى إمـامٍ حـقٍّ كالإمـام الحسـين أو الإمـام الحسـن: إبـاءُ هـذا الإمـام عـن أن تُنتَهَـك حرمـةُ الرسـالة، وعـن أن تُـذَلَّ الرسـالة، وعـن أن تفقـد الرسـالة مكسـباً كان بالإمـكان أن يتحقـق بالنسـبة إلى هـذه الرسـالة.

أمّـا المفهـوم العاطفـي لإبـاء الضيـم فهـو مفهـومٌ جاهـليٌّ لا يقـرّه الإسـلام؛ فـإنّ إبـاء الضيـم حيـث تقتـضي الرسـالة مـن الرسـالي أن يُمتحـن بتحمّـل هـذا الضيـم، مثـل هـذا الإبـاء يكـون موقفـاً لا رسـاليّاً ولا إنسـانياً. كـما إنّ العكـس صحيـح.

فـأيّ اعتبـارٍ عاطفـيٍّ أو خُلُقـيٍّ غـيرُ نابـعٍ مـن واقـع الرسـالة وقِيمهـا وأهدافهـا أن لا يدخـل في حسـاب الإنسـان الحـقّ. وأيّ إنسـانٍ حـقٍّ أحـقُّ بهـذا يجـب الوصـف مـن هـؤلاء القـادة الذيـن اؤتمنـوا عـلى أشرف رسـالات السـماء؟!

وهـذا ليـس مجـرّد مفهـوم تاريخـي، وإنّـما أيضـاً أن يكـون قاعـدةً لعمـل كلّ واحدٍ منّـا، كلّ إنسـانٍ يريـد أن يسـير عـلى خـطّ هـؤلاء القـادة عليهم السلام يجـب ـ في بدايـة دراسـة

كلّ نقطةٍ من نقاط سلوكه على مفترق الطريق - أن يدرُسَ سلوكه واختياره على مفترق الطريق على أساس اعتبارات الرسالة، لا على أساس نوعٍ من العواطف التي يعيشها الإنسان الاعتيادي بقلبه لا برسالته.

وهكذا، كان أمام الحسن عليه السلام ثلاثة خطوط لا بدّ من أن يدرس موقفه على أساسها:

[الاعتبار] الأوّل: كونه أميناً على الرسالة، أي على الأطروحة النظريّة، أي على الصيغة الإسلاميّة الكاملة للحياة، نظريّاً، روحيّاً.

الاعتبار الثاني: كونه أميناً على التجربة السياسيّة التي جسّدت تلك الأطروحة.

الاعتبار الثالث: كونه أميناً على الكتلة التي بذرها النبي ونمّاها الإمام عليٌّ، وكان من المفروض أن تمتدّ مع تاريخ الإسلام.

أسباب زوال الاقتناع التدريجي بالصيغة الإسلاميّة للحياة[1]:

أمّا على الاعتبار الأوّل من هذه الاعتبارات الثلاثة ـ يعني: بوصفه أميناً على الأطروحة النظريّة، على الصيغة الإسلاميّة للحياة بوصفها خطّاً يجب أن يعيش في عقول وأرواح ونفوس المسلمين - فقد كانت أقسى المفارقات هذه المفارقةُ التي تبيّناها في ما سبق[2]؛ حينما رأينا أنّ هذه الصيغة الإسلاميّة الكاملة للحياة كان وصولها إلى درجة الحكم وممارستها للحكم - بنفسه وبصورةٍ غير مباشرةٍ - السببَ في زوال الاقتناع بها من قبل القواعد الشعبيّة بالتدريج، لا لأنّ وصولها إلى الحكم

١ - لم نقم بصياغة هذا العنوان على أساس الاعتبارات الثلاثة؛ لأن الشهيد الصدر (قدس سره) سيدخل في استطراد، ثمّ يرجع إلى الحديث عن الفارق بين موقف الإمام الحسن عليه السلام وبين موقف الإمام الحسين عليه السلام على ضوء هذه الاعتبارات.

٢ - في المحاضرتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

كشّف [1] عن وجهٍ منحرفٍ، عن سلوكٍ غير منطبقٍ على النظريّة، غير منسجمٍ مع قيمها وأهدافها، بل لأنّ القاعدة الشعبيّة التي وصل على أكتافها قائدُ هذه النظريّة إلى الحكم لم تكن تستطيع أن تعيش حياة الكفاح والجهاد إلّا إلى مرحلة قصيرة من الزمن.

ولهذا، حينما مارس الإمام العظيم أبو الأئمّة (عليه أفضل الصلاة والسلام) تطبيقَ نظريّته على كلّ مستويات الحياة الإسلاميّة - اجتماعيّاً وسياسيّاً واقتصاديّاً وخُلقيّاً أيضاً - بدأت المتاعب والمصائب، وبدأ الناس يشكّون؛ لأنّهم بدؤوا يُرهَقون بتكاليف هذه النظريّة، وبهذا زال الاقتناع بالتدريج بصحّة [2] هذه النظريّة.

وكان لا بدّ للنظريّة - لكي تعيش في الأمّة الإسلاميّة - من أن تسترجع هذا الاقتناع بأيّ ثمن، كان لا بدّ لها أن تسترجع هذا الاقتناع بكلّ ثمن، وكان ثمن استرجاع هذا الاقتناع هو أن ينحسر [هذا] [3] الحكم الذي يمثّل هذه الأطروحة، وأن يُخلى الميدان لحكمٍ آخر مثّله معاوية بن أبي سفيان، ومثّلته كلُّ القوى المتبقّية من السقيفة وقتئذٍ. كان لا بدّ لذلك الحكم من أن يبرز على الميدان، من أن يظهر؛ ليُبدِيَ وليُبرِزَ واقعَ مضمونه وحقيقة أهدافه وكلَّ أبعاده، وحينئذٍ تسترجع الأطروحة اقتناع المسلمين بها وبصحّتها وضرورتها.

النظريّات الصالحة وشبهة القدر المحتوم:

هنا قد يبدو سؤال: أنّه هل هناك قَدَرٌ لازمٌ على كل نظريّة صالحة أنّها حينما تأخذ مجراها في التطبيق تفقد اقتناع قواعدها الشعبيّة بها بالتدريج؟! وحينئذٍ تبدأ من جديد، مضطرّةً إلى التخلّي عن الحكم؛ لتفسح المجال لآخرين [ليمارسوا]

١- أو ((كَشَفَ)) وما أثبتناه هو الوارد في المحاضرة الصوتيّة.
٢- في المحاضرة الصوتيّة: ((من صحّة)).
٣- ما بين العضادتين ساقط من المحاضرة الصوتيّة، وقد اثبتناه من (غ) و (هـ).

الحكم على أساس نظريّة أخرى باطلةٍ كافرة، حتّى يكون ذلك منبّهاً للمسلمين إلى صحّة النظريّة الأولى؟!

هل هذا قَدَر مفروضٌ على النظريّة الإسلاميّة دائماً؟ أنّها تدخل إلى الحياة فتقود وتحكم، ثمّ سرعان ما تهزم، وسرعان ما تضطرّ إلى الانسحاب، لكي تسترجع مرّةً أخرى الاقتناعَ الذي فقدته خلال التطبيق؟

هل هذا قَدَرٌ لازمٌ على النظريّة الإسلاميّة؟

لا، هذا ليس قَدَراً لازماً على النظريّة الإسلاميّة، وإنّما كان هذا قَدَراً لازماً على النظريّة الإسلاميّة في الظروف الموضوعيّة الخاصّة التي تفتّق عنها حكم الإمام علي (عليه أفضل الصلاة والسلام)؛ ذلك لأنّ الإمام عليّاً حينما حكم، وحينما جاء ليمارس تطبيق هذه النظريّة كاملةً غير منقوصة، جاء معتمداً على شعبٍ لم يتفاعل معه ساعة، لم يعش معه يوماً، لم يصرف معه في سبيل إعداده لهذه النظريّة جهداً.

الشعب الذي قام بحماية هذا التطبيق وشكّل الجيش المحارب للإمام علي كان شعب العراق. وبالرغم من أنّ شعب العراق وقتئذٍ كان يبدو من أكثر شعوب الأمّة الإسلاميّة إخلاصاً للإمام علي - ولهذا نادى أهل العراق بالإمام عليٍّ خليفتهم[1].. إلاّ أن استجابةً هذا الشعب واستجابة قطاعات أخرى مصرية وفي الجزيرة العربية للإمام علي كانت استجابةً على أساس الرصيد الضخم الذي كان يتمتّع به الإمامُ عليٌّ، على أساس هذا النوع من التاريخ الكبير الذي كان يعيشه الإمامُ عليٌّ في أذهان المسلمين.

المسلمون حينما عاشوا محنة انحراف، عثمان، ثمّ بعد هذا محنةَ مقتل عثمان،

١- من كتاب عبد الله بن عبّاس إلى عمرو بن العاص: ((فإنّ أهل العراق بايعوا عليّاً وهو خيرٌ منهم، وأهل الشام بايعوا وهم خيرٌ منه)) الفتوح ٣: ١٥٠ـ ١٥١.

وحينما وجدوا أمامهم مشاكل كبيرةً فوق الحلّ من الإنسان الاعتيادي، اتّجهوا بأنظارهم - بطبيعتهم - إلى صحابيٍّ كبير، اتّجهوا ليفتّشوا عن صحابيٍّ كبير يستطيع - بما يحمل من تراث محمّدٍ ﷺ - أن يتغلّب على هذه المشاكل الكبيرة، ويملأ هذا الفراغ الكبير، ويعيد الأمور إلى وضعها الطبيعي. فكان أن وقع اختيار المسلمين بطبيعتهم على الإمام علي؛ لأنّه كان أبرز صحابيٍّ على المسرح السياسي، يتمتّع بما لا يتمتّع به أيّ صحابيٍّ آخر من سوابق وفضل وشهرة.

إذاً، فالاستجابة منذ البدء كانت استجابةً عاطفيّة قائمةً على أساس الشهرة لا على أساس التفاعل، على أساس التقديس الذاتي لا على أساس التربية المباشرة من قبل الإمام لهذه القواعد الشعبيّة.

ومن الطبيعي أن تكون هذه الاستجابة العاطفيّة القائمة على أساس الشهرة وعلى أساس السوابق وعلى أساس الفضل استجابةً ذات شوطٍ قصير، ذات موجةٍ قصيرةٍ، ثمّ تبدأ بالذوبان، تبدأ بعد هذا بالتميّع حينما تصطدم بما تصطدم به أعباءُ الجهاد من المصالح الشخصيّة للأفراد.

أما حينما تجيء النظريّة الإسلاميّة إلى الحياة على أعقاب تفاعلٍ واسع النطاق مع جزءٍ كبير من الأمّة، حينما تجيء ويكون هناك جزءٌ كبيرٌ من الأمّة مقتنعاً بهذه النظريّة اقتناعاً واعياً مدبِّراً صحيحاً، في مثل تلك الحالة سوف لن تحتاج هذه النظريّة مرةً أخرى إلى أن تتنازل عن الحكم لكي تكتسب الاقتناع. الاقتناع العاطفي هو الذي يتبخّر خلال غبار الجهاد، أمّا الاقتناع الواعي فهو الذي يتعمّق ويترسّخ خلال غبار الجهاد.

وعلى أيّ حال كانت الظروف الموضوعيّة وقتئذٍ تفرض هذا التلاشي وهذا الانحسار في الاقتناع حتّى فقْد عليٍّ وفقدت النظريّة الإسلاميّة الكاملة الصحيحة اقتناعَ المسلمين بها.

وحينما فقدت هذا الاقتناع كان لا بدّ لها من أن تسترجعه، وكان لا بدّ لكي تسترجعه من أن تفسح المجال لأعدائها لكي يعبّروا عن ذاتهم وعن نفسهم؛ لكي يقول معاوية بكلّ وضوح وبكلّ صراحة على المنبر الذي كان يجسّد آمال المسلمين في تطبيق الحكم: [يصعد على ذلك المنبر ويقول: ((إنّي حاربتكم لا لكي تصلّوا وتصوموا، وإنّما لكي أتأمّر عليكم][1] وقد أعطاني الله ذلك وأنتم لذلك كارهون))[2].

الخيارات المتاحة أمام الحسن عليه السلام لسحب خطّ الإمام علي عليه السلام له مؤقّتاً:

إلّا أن انحسارَ حكم الإمام عليٍّ وإعطاءَ الفرصة لمعاوية أو للأعداء لكي يمارسوا وجودهم على المسرح كان يمكن أن يتمّ بشكلين، كان يُمكن أن يتمّ باختيار [أيٍّ] واحد من الطريقين اللذين وقف الإمام الحسن على مفترقهما:

١- الخيار الأوّل: مواصلة المحنة العسكريّة:

كان يمكن أن يتمّ بأن يواصل الإمام الحسن محنته العسكريّة حتى يخرّ صريعاً في ميدان الجهاد، وحينئذٍ يفسح المجال لمعاوية بن أبي سفيان لكي يعيش وجوده كحاكم في العالم الإسلامي.

٢- الخيار الثاني: تجميد الحركة وإيقاف العمل:

وكان يمكن أيضاً أن يتحقّق ذلك بتجميد حركته وإيقاف العمل ضدّ معاوية بن أبي سفيان.

كان يمكن أن يتحقّق هذا [بأيٍّ] من هذين الأسلوبين.

١- ما بين العضادتين ساقطٌ من المحاضرة الصوتيّة، وما أثبتناه من (غ) و(هـ). وفي (غ): ((على ذلك المنبر بالذات)).

٢- (إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك. وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون)) مقاتل الطالبيّين: ٧٧.

الفوارق الأساسيّة بين موقفي الحسنين عليهما السلام على ضوء الاعتبارات الثلاثة:

ومن هنا قد يقفز إلى الذهن هذا السؤال: أنّه لماذا لم يختر الإمام الحسن عليه السلام الطريق الأوّل من هذين الطريقين بعد أن كان كلٌّ من هذين الطريقين محقّقاً لحاجة الرسالة في الانسحاب مؤقّتاً لكي تكتسب الاقتناع؟

ويزداد هذا السؤال جولاناً في الذهن حينما يُقارَن موقف الحسن عليه السلام بموقف الإمام الثالث (عليه أفضل الصلاة والسلام) حينما وقف بين الطريقين، فاختار أن يخرّ صريعاً بدلاً عن أن يوقف العمل ولو مؤقّتاً.

إلا أنّنا قلنا في أيّام سبقت[1]، ونقول الآن أيضاً: إنّ فرقاً أساسيّاً كبيراً بين موقف الحسن عليه السلام وموقف الإمام الحسين. وسوف نتبيّن هذا الفرق على مستوى الاعتبارات الثلاثة التي سوف ندرس على أساسها موقف الحسن عليه السلام.

على كلّ واحدٍ من هذه الاعتبارات الثلاثة يبدو هناك فرقٌ كبيرٌ بين موقف الحسن وموقف الحسين، بين الظروف الموضوعيّة لموقف الإمام الحسن والظروف الموضوعيّة لموقف الإمام الحسين عليهما السلام:

١ - الفرق بين موقفي الحسنين عليهما السلام على ضوء الاعتبار الأوّل:

أمّا على هذا الاعتبار الذي نحن نعالجه الآن - على مستوى الرسالة - فهناك فرقٌ كبيرٌ حتّم على الإمام الحسين أن يختار الطريق الأوّل، ولم يكن هناك هذا المحتِّم بالنسبة إلى الإمام الحسن عليه السلام، بل كان ما يحتّم الطريق الثاني على أساس الاعتبارات الأخرى.

الأمر الذي كان يحتّم على الإمام الحسين أن يختار الطريق الأوّل ـ وهو أن يواصل حتّى يخرّ صريعاً - هو أنّ الأمّة وقتئذٍ لم تكن تعيش حالة الشكّ، بل

١ - في ذيل المحاضرة الثانية عشرة.

كانت تعيش حالة موت الإرادة، وفرق بين المرضين:

أ- الإمام الحسن عليه السلام لا يواجه مرض الشكّ:

أحدهما مرضٌ سميناه بالشكّ، هذا الذي تبيّناه ودرسناه[1] : أنّ الأمّة

كانت تشكّ، كانت قد فقدت ثقتها وإيمانها واعتقادها برساليّة الأطروحة، بموضوعيّة الأطروحة، بإلهيّة دوافع هذه الأطروحة، كانت قد فقدت هذا الإيمان حينما اصطدم الحسن مع معاوية بن أبي سفيان.

وفي مثل هذا الحال لو خرّ الإمام الحسن صريعاً، لو واصل الإمام الحسن الحرب حتّى يخرَّ صريعاً لَما حقّق شيئاً من المكاسب العظيمة التي حقّقها الإمام الحسين عليه السلام: لأنّه حينما يخرّ صريعاً في الميدان والأمّة تشكّ في دوافعه، تشكّ في نظافة رسالته ، تشكّ في صحّة موقفه، تشكّ في إلهيّة أطروحته، حينما يخرّ صريعاً والأمّة تشكّ في كلّ [هذا سوف لن يفعل هذا الدم الطاهر الذي يسكب على الأرض ما فعله الدم الطاهر الذي][2] سكب على أرض كربلاء، سوف لن يحرّك ضميراً في الأمّة، سوف لن يغير شيئاً من الأوضاع الحقيقية للأمّة.

عبد الله بن الزبير أيضاً كان له موقفٌ في وجه جيش عبد الملك بن مروان، كان له موقف أيضاً يعتبر - بالمقاييس الشخصيّة، وبقطع النظر عن الرسالة - موقفاً بطوليّاً. [واصل][3]الحرب إلى أن خرّ صريعاً في الميدان، إلى أن قُتل، وقُتل معه كلّ أهله وكلّ ذويه القادرين على حمل السلاح تقريباً[4].

١- في ذيل المحاضرة الثانية عشرة كذلك.
٢- ما بين العضادتين ساقطٌ من المحاضرة الصوتيّة، وقد أثبتناه من (غ) و(هـ).
٣- ما بين العضادتين ساقطٌ من المحاضرة الصوتيّة، وقد أثبتناه من (غ) و(هـ).
٤- راجع حول مقتل ابن الزبير الطبقات الكبرى ٥: ٢: ٩٣؛ الأخبار الطوال: ٣١٤؛ تاريخ الأمم والملوك (الطبري) ٦: ١٨٧؛ الفتوح ٦: ٣٣٧؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٦: ١٢٤.

إلّا أنّه مع هذا، ماذا خلّف عبد الله بن الزبير؟ ماذا ترك في ضمير الأمّة؟ ماذا حرّك من نفوس المسلمين؟ هل استطاع عبد الله بن الزبير بدمه أن يحقّق المكسب الذي حققه الإمام الحسين عليه السلام؟ لا.

عثمان بن عفّان واصل الحكم واصل التجربة، كلّما قال له أعداؤه:

((استقل، تنع عن الحكم))، قال: ((لا أنزع ثوباً ألبسني الله إيّاه))[1]، حتّى قتل وهو يعلم أنّه لو تنحّى عن الحكم لما قتل.

إذاً كان موقفاً شجاعاً من عثمان بن عفّان حينما واصل الحكم إلى أن قتل، يعني: بذل دمه في سبيل الحكم، بذل نفسه في سبيل الحكم. لكن، هل كان هناك إنسانٌ يتجاوب مع مثل هذه الشجاعة؟ هل استطاعت هذه الشجاعة الفاجرة الكافرة أن تهزَّ ضمير الأمّة الإسلاميّة أو أن تحرّك شيئاً من أوضاع المسلمين؟

لا، لماذا؟ لأنّ عبد الله بن الزبير، أو لأنّ عثمان بن عفّان، أو لأنّ أي شخص آخر من هذا القبيل كان يحارب وكان يقاتل لنفسه لا للأمّة، وكانت الأمّة – على أقلّ تقدير[2] – تشكّ في هذا، وتحتمل هذا.. كانت على أقلّ تقدير تشكّ في أنّ عبد الله بن الزبير هل كان يقاتل لنفسه؟ هل كان قد استلم للموت لأنّه أبى الضيم، لأنّه أبى أن يطأطئ أمام عدوّ؟ أو أنّه واصل القتال لأجل الأمّة، لأجل المظلومين والبائسين والمضلَّلين الذين كان يحكمهم عبد الملك بن مروان؟

الأمّة حيث إنّها لم تكن تعيش ذلك الاقتناع بالنسبة إلى عبد الله بن الزبير أو بالنسبة إلى أمثال عبد الله بن الزبير، فلهذا[3] ذهبت ميتة عبد الله بن الزبير دون أن

١ – أنساب الأشراف ٥: ٥٨٣؛ تاريخ الأمم والملوك (الطبري) ٤: ٣٧٦؛ تجارب الأمم ١: ٤٥٣؛ البدء والتاريخ ٥: ٢٠٦؛ الكامل في التاريخ ٣: ١٦٩؛ ديوان المبتدأ والخبر (ابن خلدون) ٢: ٥٩٩.

٢ – متعلق بالشكّ لا بالأمّة.

٣ – في المحاضرة الصوتيّة: ((ولهذا))، وقد استبدلنا الفاء بالواو ليستقيم المعنى، أو يُحذف قوله (قدس سره) في صدر العبارة: ((حيث إنّها)).

تخلّف أثراً حقيقيّاً في محتوى الأمّة أو الفكري أو النفسي الروحي.

وكان مصير مقتل الإمام الحسن عليه السلام نفس المصير تقريباً لو أنّه واصل القتال، لو اختار الطريق الأوّل من الطريقين والأمّة على الحالة التي شرحناها بالأمس[1].

والشكّ الذي تحوّل إلى طاقة إيجابيّة ممتدّةٍ في أوسع نطاق، كان هذا الشكّ يجعل المسلمين ينظرون إلى هذه الاستماتة من الإمام الحسن [على] أنّها استماتة من لونِ استماتة أيّ شخصٍ آخر يأبى. الضيم، يأبى أن يطأطئ أمام عدوّه من الناحية العاطفيّة، ولهذا واصل المعركة حتّى قتل ... لَما حرّك هذا الدمُ الطاهرُ شيئاً من نفوس المسلمين، ولما غيّر شيئاً من أوضاعهم النفسيّة والروحيّة.

ب- الإمام الحسين عليه السلام يواجه مرض موت الإرادة:

بينما الإمام الحسين حينما اختار الطريق الأوّل كانت الأمّة - أي: كانت القواعد الشعبيّة التي ترتبط بالإمام علي ـ قد تخلّصت من المرض الأوّل، من مرض الشكّ؛ لأنّ الأسطورة - أسطورة معاوية ـ قد تجلّت بكل وضوح؛ لأنّ الجاهليّة التي كان يمثلها معاوية قد أسفرت عن وجهها على المسرح الاجتماعي والسياسي ورآها الناس، وعلم الناس بأنّ عليّاً عليه السلام كان يحارب في معاوية جاهليّة الأصنام والأوثان، ولم يكن يحارب في معاوية خصماً قبليّاً أو شخصاً معادياً له بالذات.

هذا عرفه المسلمون، يعني: عرفته القواعد الشعبيّة المرتبطة بالإمام، تخلّصت هذه القواعد من المرض الأوّل، لكنّها منيت بالمرض الثاني الذي سوف نتحدّث عنه بعد هذا، يعني في محاضرة أخرى[2]. هناك منيت بمرض

آخر، وهو موت الإرادة، أصبحت الأمّة الإسلاميّة لا تملك إرادتها.

١- في المحاضرة الرابعة عشرة.
٢- راجع بشكل خاص المحاضرتين التاسعة عشرة والعشرين.

نعم، هي تعي وتفهم أنّ عليّاً هو طريق الكفاح والجهاد، أنّ عليّاً رمز الأطروحة الصالحة، أنّ حكم عليّ هو المثل الأعلى الذي يجب على المسلمين أن يكافحوا في سبيل تحقيقه، كلّ هذا أصبح واضحاً.. شعار ((لا نريد إلّا حكم عليّ)) هذا كان يتردّد على ألسنة الثائرين في أكثر الثورات التي وقعت في خطّ أهل البيت عليهم السلام[1].

ولكن مع هذا لم يكن هؤلاء يملكون إرادتهم، كانوا قد فقدوا ضميرهم وإرادتهم، كانوا قد استكانوا، كانوا قد هانت عليهم قيمُهُم ومُثُلهم واعتباراتهم، لم يكن الشكّ في الكبرى وقتئذٍ، بل كان العيب في الصغرى، كانت الإرادة قد انطفأت، كانت الشعلة قد ماتت، كانت الدريهمات الصغيرة هي أكبر هموم هذا الإنسان الصغير، هذا الإنسان القزم، ولهذا كان لا بدّ من أن يُحرَّك ضميرُ هذا الإنسان لكي يسترجع إرادته .

قلت في ما سبق[2]: إنّ أفضل وأروع تمثيل لفقدان الإرادة قول ذاك للإمام الحسين عليه السلام: ((سيوفهم مع عدوّك وقلوبهم معك))[3].

هذه قمّة فقدان الإرادة.. أن يكون الإنسان حبيباً لك، يحبّك، ولكنّه يحمل السيف عليك، يعني: قلبه لا يستطيع أن يمسك يده عن حمل السيف، هذه قمّة فقدان الإرادة، حينما تبلغ الأمّة قمّة فقدان الإرادة [فلا] بدّ لشخص

١- يقصد(قدس سره)على الأغلب الثورات التي خرجت تحت شعار ((الرضا من آل محمّد)).
٢- تقدّم ذلك في المحاضرة الثانية عشرة، وسيتجدّد في المحاضرات: السابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة.
٣- المعروف أنّه قولُ الفرزدق، فراجع: الأخبار الطوال: ٢٤٥؛ مقاتل الطالبيّين: ١١١؛ دلائل الإمامة: ٧٤؛ تاريخ الأمم والملوك (الطبري) ٥: ٣٨٦. وقد نسب إلى بشر بن غالب الأسدي (الفتوح ٥: ٧٠؛ ومجمع بن عبدالله العائذي [أنساب الأشراف ٣: ١٧٢؛ تاريخ الأمم والملوك (الطبري): ٥: ٤٠٥؛ تجارب الأمم ٢: ٦٥؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤٩].

من أن يُرجع إلى الأمّة إرادتها.

الإمام الحسن بانحساره عن ميدان الحكم وفسح المجال للأطروحة الأخرى لكي تبرز بكلّ أبعادها أرجع إلى الأمّة اقتناعها بموضوعيّة أطروحة عليّ.

والإمام الحسين بمواصلته الطريق الأوّل حتى خرّ صريعاً أرجع إلى الأمّة إرادتها، تنبّه الإنسان المسلم الاعتيادي الذي كان أكبر همّه هو هذه الدريهمات، الذي حوّله بنو أميّة من إنسان يحمل هموم الأرض شرق الأرض وغرب الأرض، من إنسان يحمل هموم المظلومين والممتحنين في أقصى الأرض[1] إلى إنسان لا يعيش إلّا همّ راتبه الشهري وهمّ مصالحه الشخصيّة، هذا الإنسان الذي تحوّل إلى هذا المسخ هزّه مقتل الإمام الحسين عليه السلام، قال: ((أنا الذي لا أتحرّك، أنا الذي أرى الإسلام يُنتَهَك، أرى الشريعة تمزّق، أرى المسلمين تهدر كرامتهم، أرى الآلاف بعد الآلاف يُعذَّبون، يهانون، يُشرَّدون، ثمّ أسكت، وذلك توفيراً، وذلك طمعاً، وذلك حرصاً على حياة رخيصة ؟!)).

إلا أن هذا الرجل[2] الذي توفّرت له كلّ مُتع الحياة، هذا الرجل [الذي هو من أغنى الناس مالاً، من أكثر الناس جاهاً][3]، هذا الرجل الذي إذا برز إلى المسلمين تسابق عشرات الآلاف من المسلمين إلى تقبيل يديه، هذا الرجل الذي لم يكن جوعاناً لا إلى شهرة ولا إلى مجد ولا إلى مال كان شخصاً منعماً، كان شخصاً لم يعش أيَّ ظلامة من الظلامات التي عاشها المسلمون؛

لأنّ معاوية لم يكن يحاول أن يمتدّ بظلمه إلى شخص الحسين مثلاً، كان يحاول

١- كلامه (قدس سره) له ناظرٌ إلى ما ذكره في المحاضرة الخامسة تحت عنوان: الأمّة الإسلاميّة حملت طاقةً حراريّةً لا وعياً مستنيراً، الشاهد الثالث حول عبادة بن الصامت؛ حيث علّقنا بعض الشيء. وسيتجدّد الحديث عن هذه الفكرة في المحاضرة السادسة عشرة، تحت عنوان: خطّة معاوية لتثبيت حكمه، عمل معاوية بن أبي سفيان على تمييع الأمّة الإسلاميّة.

٢- يقصد (قدس سره): الإمام الحسين عليه السلام.

٣- ما بين العضادتين ساقط من المحاضرة الصوتيّة، وقد أثبتناه من (غ) و(هـ).

أن يرفِّهَ على الحسين وأمثال الحسين من السادة الإسلاميّين الكبار.

كان الناس تحت السياط، أمّا الحسين لم يكن تحت السياط، لم ينله سوطٌ واحد من تلك السياط التي نالت ظهورَ الناس، بالرغم من خرج الحسين نفسه، بذل دمه في سبيل أولئك الذين هم تحت السياط، والذين لم يفكّر واحد منهم في أن يبذل دمه في سبيل الآخرين الذين يشاركونه في أنّهم هذا تحت السياط[1].

من هنا تحرّك الضمير الإسلامي، من هنا تحرّكت الإرادة في نفوس المسلمين، من هنا فجّر الإمام الحسين الثورة في يوم عاشوراء، وبقيت الثورة متفجّرةً على تعاقب، إلى أن طاح عرشُ بني أميّة.

إذاً، فكان هناك فرقٌ موضوعيٌّ كبير بين الظرف الذي عاشه الإمام الحسن والظرف الذي سوف يعيشه بعد عشرين عاماً الإمام الحسين عليه السلام. كان هناك فرق في نوعيّة مرض الأمّة: مرض الأمّة في المرحلة الأولى كان هو الشكّ، وأمّا مرض الأمّة في المرحلة الثانية كان هو فقدان الإرادة.

وكان لا بدَ للمرض الثاني أن يختار الطريق الأوّل، بينما المرض الأوّل لمّا كان هو الشك، فلم يكن اختيار الطريق الأوّل في ظلّ مرضٍ من هذا القبيل يحقّق ذلك المكسب الذي حقّقه اختيار الطريق الأوّل من قبل الإمام الحسين عليه السلام.

إذاً، فعلى أساس الاعتبار الأوّل من الاعتبارات الثلاثة التي كان يمثّلها الإمام الحسن عليه السلام بوصفه أميناً على النظريّة، على التراث الفكري، على الإسلام بوصفه خطّاً يجب أن يمتدّ مع الأجيال روحيّاً وذهنيّاً، بهذا الاعتبار كان لا بدّ أن

١ – تقدّم الحديث عن هذه الفكرة في المحاضرة الثانية عشرة، تحت عنوان: الإمام الحسين عليه السلام يعالج موت إرادة الأمّة بعد تبدّد الشك لديها. وسيتجدّد في المحاضرة السادسة عشرة، تحت عنوان: عدم تعرّض الإمام الحسين عليه السلام للظلم أصّل موضوعيّة حركته، وفي المحاضرة الثامنة عشرة، تحت عنوان: مقوّمات ثورة الإمام الحسين عليه السلام، المقوّمات الشخصيّة للثائر.

يكسب الاقتناع بهذا الخطّ.

وقلنا بأنّ هذا الاقتناع توقّف على أن ينحسر، فكان لا بدّ أن ينحسر، لا بدّ أن يُخْلي الميدان لعدوّه، وكان [يُمكن أن يتحقّق] هذا الإخلاء [بأحد] طريقين: إمّا بأن يواصل حتّى يخرّ صريعاً في ميدان المعركة، وإمّا أن يوقّف[1]، وكان الطريق الأوّل سلبيّاً تجاه المكاسب التي حقّقها الإمام الحسين حينما سلك نفس هذا الطريق.

هذا كله على الاعتبار الأوّل.

٢- الفرق بين موقِفَي الحسنين عليهما السلام على ضوء الاعتبار الثاني:

وأمّا الاعتبار الثاني من اعتبارات الإمام الحسن عليه السلام، [وهو] اعتباره بوصفه أميناً على التجربة، أميناً على الواقع السياسي الحيّ الذي كان يجسّد تلك الصيغة الإسلاميّة الكاملة للحياة.. فبوصفه أميناً على هذه التجربة كان لا بدّ أن يدرس موقفه أيضاً ليختار أحد هذين الطريقين.

أصبح واضحاً على ضوء ما سبق[2] أن التجربة كان من المستحيل أن تبقى وأن تواصل وجودها، كان من المستحيل افتراض النصر في هذه المعركة ـ الذي هو معنى بقاء التجربة - ومواصلة وجودها؛ لأنّ أيّ تجربةٍ بأطروحةٍ رساليّة تعيش مستوىً أكبر من مستوى مصالح هذا الفرد بالذات وهذا الفرد بالذات لا يمكن أن تواصل وجودها، ولن يمكن في ما يأتي من الزمان أن تواصل وجودها إلا إذا كانت قد [حظيت] باقتناع كبير واسع النطاق في قواعد

شعبيّة قادرةٍ على أن تحمي هذه التجربة، وأن تُسنِد هذه التجربة، وأن تضحّي

١- كذا في (غ) و(هـ)، والمقطع الصوتي هنا غير واضح، ولعلّه: ((وقّت))، والمراد: التوقّف مؤقّتاً.
٢- في هذه المحاضرة وفي المحاضرة الرابعة عشرة، خاصّة ما ورد تحت عنوان: الخيانات والتراجعات في جيش الإمام عليه السلام.

بدمها في سبيل هذه التجربة[1].

أمّا حينما تفقد التجربة هذا الاقتناع، حينما تصبح حالة [الاقتناع] بالنسبة إليها صفراً، تصبح هذه التجربة مشلولةً عن العمل، غير قادرةٍ على الدفاع عن ذاتها ونفسها؛ لأنّها بِمَ تستهوي الناس؟ هل تستهوي الناس بالمصالح الخاصّة؟ هذا خروج عن مضمونها الحقيقي.

نعم، كان بالإمكان أن يستهوي الإمام الحسن الناس عن طريق مصالحهم الخاصّة، كان بإمكان الحسن أن يدخل المداخل التي دخلها معاوية، أن يشتري ضمائر الناس، أن يكتب إلى رؤساء الشام كما كتب معاوية إلى رؤساء العراق، أن يخدع، أن يماطل، أن يقوم بتوزيع الأموال على غير الأساس الإسلامي الصحيح.. إلّا أنّ هذا خروج عن المضمون الحقيقي للنظريّة.

إذاً، فكان يتوقّف بقاء التجربة - ويتوقّف بقاء كلّ تجربةٍ رساليّة طاهرةٍ نظيفة - على أن يوجد هناك مؤمنون بنظافتها، مؤمنون بطهارتها، مؤمنون بضرورتها، مستعدّون للدفاع عنها.

وحيث إنّ هذا الاقتناع زال في ظروف الشكّ التي شرحناها، فلهذا كان محتّماً ومقضيّاً [على هذه][2] التجربة أن تنتهي.

ولكن هل تنتهي بأنْ يواصل الإمام الحسن الطريق الأوّل، يواصل الكفاح والجهاد حتّى يخرّ صريعاً في مسكن أو في المدائن؟ أو تنتهي بطريقٍ آخر؟

كان لا بدّ من أن تدرس مصلحة هذه التجربة أيضاً في تحديد أحد هذين الطريقين.

١- راجع المحاضرة الرابعة عشرة، تحت عنوان: اقتناع الأمّة بالقضيّة شرط نجاحها.
٢- ما بين عضادتين ساقطٌ من المحاضرة الصوتيّة، وقد أثبتناه من (غ) و(هـ).

الإمام الحسن عليه السلام في هذا أيضاً نجد أنّه يختلف اختلافاً كبيراً عن الإمام الحسين عليه السلام: الإمام الحسين لم يكن قائداً لتجربةٍ سياسيّة قائمةٍ بالفعل، لم يكن رئيساً لدولة قائمة بالفعل، لم يكن أميناً على حكم قائم بالفعل، وإنّما كان شخصاً مستضعفاً ومضطهداً في الأرض، لم يكن معه إلّا ثلّة من أصحابه.

أمّا الإمام الحسن عليه السلام [فقد] كان يمثّل جبهةً سياسيّة قائمةً بالفعل، إلّا أنّ هذه الجبهة بالرغم من ضخامتها المظهريّة، بالرغم من تخوّف معاوية منها، بالرغم من أنّ معاوية بقي يفضّل مئة مرّةٍ أن[1] يدخل إلى ساحة هذه الجبهة عن طريق الحيلة على أن[2] يدخلها عن طريق السيف؛ لأنّه كان يقدّر، كان يشكّ، كان يحتمل أن تكون الجبهة ملغّمة عليه إلى حدٍّ ما، هذه الجبهة بالرغم من ضخامتها المظهريّة كانت منكوبةً من الداخل، كانت فراغاً من الداخل.

إلّا أنّ هذه الضخامة المظهريّة لهذه التجربة كانت تعطي فرصة للإمام الحسن عليه السلام أن يدخل مع معاوية بن أبي سفيان في تحقيق أكبر قدرٍ ممكن من المكسب لهذه التجربة، ولأهداف هذه التجربة، ولرسالة هذه التجربة.

لم يكن هناك بالإمكان أن يدخل الحسين في تحقيق مكاسب عن طريق المفاوضة السياسيّة مع يزيد والحسين شخصٌ عاديٌّ من أفراد المسلمين، بينما كان بإمكان الإمام الحسن وهو يتزعّم جبهةً مخيفةً لمعاوية من هذا القبيل لا تزال حتّى الآن تذكّر معاوية بسيوف ليلة الهرير[3]، هذه الجبهة التي كانت تذكّر معاويةَ بسيوف ليلة الهرير كان بإمكان زعيمها أن يفرض على معاوية بعض التنازلات في مقابل إيقاف العمل مؤقّتاً.

١- في المحاضرة الصوتيّة: ((على أن)).
٢- في المحاضرة الصوتيّة: ((من أن)).
٣- راجع وقعة صفّين: ٤٧٩؛ تاريخ الأمم والملوك (الطبري) ٥:٤٢؛ الفتوح ٣: ١٧٤.

وهكذا كان، يعني: كان من الأفضل بالنسبة إلى مصلحة هذه التجربة أن توقّف وأن تنحسر - مع ضمان رجوعها ولو رسميّاً وقانونيّاً - على أن تنتهي انتهاءً كاملاً باستمرار القتال واستشهاد الإمام الحسن عليه السلام.

كان هناك طريقان:

إمّا أن يواصل الإمام الحسن الجهاد والكفاح، فيقتل دون قيد أو شرط؛ لأنه يعلم أنّ التجربة مقضيٌّ عليها بالفناء. وسواءٌ علم معاوية بذلك أو لم يعلم، فالإمام الحسن - الذي يعيش الأوضاع الداخليّة لمجتمعه - هو أعلم بهذا، وأدرى به، ولهذا كان معنى المواصلة أن يُقتل. ومعنى أن يقتل: أن تنتهي التجربة دون أن يكون هناك أيُّ أساسٍ - يعني أيّ أساسٍ قانوني، أقصد: شرعي - لإمكانيّة رجوعها بعد هذا.

[وإمّا] أن يدخل الإمام الحسن عن طريق هذه الهيبة المظهريّة لهذه الجبهة، أن يدخل في حديثٍ مع معاوية لاستبقاء ما يمكن استبقاؤه من مكاسب هذه التجربة.

وقد اختار الإمام الحسن عليه السلام الطريق الثاني، وكان لا بدّ لكلّ إنسان يعيش ظروف الإمام الحسن أن يختار الطريق الثاني، إلّا إذا ركبته تلك الاعتبارات العاطفيّة التي ذكرناها في بداية الحديث، وقلنا: إنّها لا تدخل في حساب الإنسان الحقّ[1].

ولهذا الإمام الحسن عليه السلام اشترط لمعاوية على نفسه أن ينسحب عن ميدان الحكم، ولم ينصّ هذا الشرط على نوع من البيعة والتبعيّة السياسيّة الصريحة في الروايات الصحيحة الواردة عنه (عليه أفضل الصلاة والسلام).

١ - في هذه المحاضرة، تحت عنوان: الاعتبارات المتمثّلة في الإمام الحسن عليه السلام، خروج الاعتبار العاطفي غير الرسالي عن حسابات الإمام الحسن عليه السلام.

لا يوجد في الروايات الصحيحة الواردة عن الإمام الحسن أنّه اشترط لمعاوية على نفسه البيعة والتبعيّة السياسيّة [١] بالمعنى الذي كان موجوداً لعليٍّ عليه السلام بالنسبة إلى أبي بكر أو عمر أو عثمان[٢]، وإنّما كان هناك إيقافٌ للعمل، إيقافٌ للمعركة وللقتال.

وفي مقابل هذا الإيقاف كان هناك شيء، كان هناك تعهّدات اشترطها على معاوية، بعض هذه التعهّدات ترجع إلى الكتلة [٣]، وهذا هو الاعتبار الثالث الذي سوف نتكلّم عنه في ما بعد، وبعضها ترجع إلى التجربة، يعني ترجع إلى الحكم وإلى الكيان السياسي.

وأهمّ هذه التعهّدات: أنّه اشترط على معاوية أن لا يوصي إلى أحدٍ غير الإمام الحسن بالأمر من بعده[٤]. وفي روايةٍ أخرى: أن يوصي إلى الإمام الحسن عليه السلام [٥].

وبهذا كان الإمام الحسن عليه السلام يريد أن ينحسر عن الحكم لكي يكسب اقتناع المسلمين بصحّة الأطروحة، ثمّ لكي يضع أساساً جديداً، يمكن للأطروحة على هذا الأساس الجديد أن [تحوز] [٦] مرّة أخرى على الميدان

١- مرةً أخرى على الميدان (١) ((بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية على أن لا يسمّيه أمير المؤمنين)) علل الشرائع ١: ٢١١. وراجع حول المسألة صلح الحسن عليه السلام: ٢٧٢، حديث البيعة.
٢- على قولٍ. وبحسب الشيخ المفيد رحمه الله، فقد ((أجمعت الأمّة على أن أمير المؤمنين عليه السلام تأخّر عن بيعة أبي بكر: فالمقلل يقول: كان تأخّره ثلاثة أيّام، ومنهم من يقول: تأخّر حتّى ماتت فاطمة (عليها السلام) ثمّ بايع بعد موتها، ومنهم من يقول: تأخّر أربعين يوماً، ومنهم من يقول: تأخّر ستّة أشهر، والمحقّقون من أهل الإمامة يقولون: لم يبايع ساعةً قطّ)) الفصول المختارة: ٥٦.
٣- وهي التي تسمّى اليوم بـ (الشيعة) بحسب ما جاء في مطلع هذه المحاضرة ويأتي منه (قدس سره) له قريباً.
٤- ((ليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين)) كشف الغمّة في معرفة الأئمة عليهم السلام ١: ٥٧٠؛ بحار الأنوار ٤٤: ٦٥ عنه.
٥- فاصطلح معه على أنّ لمعاوية الإمامة ما كان حيّاً، فإذا مات فالأمر للحسن)) الإمامة والسياسة: ١٨٤ وراجع: مقاتل الطالبيين: ٦٨؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١: ٣٨٦؛ شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٧.
٦- المحاضرة الصوتيّة غير واضحة عند هذه الكلمة فقط، والأقرب ما أثبتناه. وفي (غ) و(هـ): أن ترجع مرّة أخرى للميدان السياسي))، وهو ليس كذلك حتماً.

السياسي، وتصارع على أساس هذا الحقّ المكتسب من ناحية هذا الشرط.

وأنتم تعلمون - كما مرّ بنا بالأمس[1] - أنّه كانت هناك شكوك، يعني بعض أسباب الشكوك كانت في شرعيّة خلافة الإمام الحسن بالنحو الذي شرحنا، وكان هذا الشرط يقضي على كلّ شكٍّ - في نظريّة الجماهير عن الحكم - في[2] صحّة خلافة الإمام الحسن.

لو أنّ معاوية قد أصيب بسكتة تامّة بعد هذا الشرط بشهر أو بشهرين وانتهى أمره لاسترجع بذلك الإمام الحسن في ذهنيّة الجماهير كلّ المبرّرات الشرعية لأنْ يحكم ولأن يُستخلَف.

فكان معنى هذا الاختيار تجميد التجربة مؤقّتاً، ووضع قاعدة شرعيّة وقانونيّة يمكن على أساسها مواصلةُ الكفاح والجهاد بعد هذا لإرجاعها إلى مستوى الحياة، إلى مسرح الحياة، بعد أن تكون قد استرجعت الاقتناع المطلوب بها من القواعد الشعبيّة التي فقدت الاقتناع في ظلّ الظروف السابقة.

إذاً، فعلى أساس الاعتبار الثاني أيضاً [نجد] أنّ هذا الاعتبار الثاني كان يحتّم على هذا الإمام القائد المتحن (عليه أفضل الصلاة والسلام) أن يفضّل الطريق الثاني على الطريق الأوّل، بينما الإمام الحسين لم يكن يوجد لديه مثل هذا الاعتبار لكي يدرس طريقَيْه على أساس هذا الاعتبار.

١- في المحاضرة الرابعة عشرة.
٢- في المحاضرة الصوتيّة: ((عن)).

الفرق بين موقِفَي الحسنين عليهما السلام على ضوء الاعتبار الثالث:

الاعتبار الثالث هو اعتباره زعيماً للكتلة. الوقت [انتهى]، فلأختصر الاعتبار الثالث، وأنا تعبت.

قلنا: إنّ الاعتبار الثالث من اعتبارات الإمام الحسن هو اعتباره بوصفه أميناً على الكتلة التي وضع بذورَها النبيُّ ونماها الإمامُ علي. هذه الكتلة التي تمثّل الجزء الواعي من الأمّة الإسلاميّة التي تسمّى اليوم بـ(الشيعة)، والتي كان من المفروض أن تكون طليعة الأمّة الإسلاميّة على مرّ التاريخ، تحمل إلى الأجيال الإسلام بكامل صيغته ومضمونه.

هذا الاعتبار الثالث أيضاً كان لا بدّ من إدخاله في الحساب حينما يُدرسُ أفضل الطريقين: الطريق الأوّل أو الطريق الثاني.

وفي هذا المجال كان يبدو – حينما تدرس المسألة على هذا الضوء الجديد – أن هناك أيضاً فرقاً كبيراً بين الإمام الحسن والإمام الحسين (عليه أفضل الصلاة والسلام). الإمام الحسين كان مشاركاً للإمام الحسن في هذا الاعتبار؛ لأنّ الإمام الحسين كان هو الزعيم الثالث لهذه الكتلة، كان هو ا و الأمين على هذه الكتلة في مرحلته كما كان الإمام الحسن هو الأمين على هذه الكتلة في مرحلته، إلّا أنّ بينهما فرقاً.

وحاصل هذا الفرق: أنّ الإمام الحسن كان يستقطب كلّ هذه الكتلة، بينما الإمام الحسين لم يكن يستقطب كلّ هذه الكتلة، الإمام الحسن كان يحارب وهو رئيس دولة، كان يحارب وهذه الكتلة داخلة ضمن إطار دولته، ولم يكن من المعقول أن يحارب رئيسُ دولةٍ وأن يواصل الحرب إلّا بأن تستنفد هذه الحرب كلّ قواه وكلَّ طاقاته، وكلَّ رصيده الشعبي الموجود في الدولة حتّى يخرّ صريعاً.

الإمام الحسين لم يخرّ صريعاً إلّا بعد أن استنفدت كلّ قواه الصغيرة المتمثّلة في تلك المجموعة الطاهرة، حتى خرّ الأطفال[1] صرعى، ثم خرّ الإمام الحسين (عليه أفضل الصلاة والسلام) صريعاً.

فكيف برئيس دولة يريد أن يواصل الحرب إلى الموت؟

كان لا بدّ لكي يواصل الحرب إلى الموت من أن يعتصر كلّ طاقات قواعده الشعبيّة، وكلّ ما يملك من حول وطول في هذه القواعد الشعبيّة. وكان معنى هذا أنّه سوف لن يبقى هناك وجودٌ إسلاميٌّ قادرٌ على أن يسترجع ذلك الاقتناع الذي فُقِد، ذلك الاقتناع بالأطروحة.

ذلك الاقتناع بالأطروحة إلى من رجع؟

رجع إلى حجر بن عدي وأمثال حجر بن عدي[2]: هؤلاء هم أوّل من بدأ يقتنع بعد أن شكّ - لو قلنا بأنّ حجراً شكّ[3]، أنا على سبيل المثال أقول بأن حجراً [شكّ] - ، يعني هؤلاء الأشخاص الذين عاشوا ظلم معاوية وقتلوا بسيف معاوية، هؤلاء هم أوّل جزءٍ من القاعدة الشعبيّة الذين رجع إليهم الاقتناع، وعن طريق دمهم وعن طريق إيمانهم وعن طريق اقتناعهم سرى هذا الاقتناع إلى الآخرين، وسرى هذا الاقتناع عبر الأجيال، وسرى إلينا؛ فكنّا شيعةً بفضل هذا الاقتناع، وبفضل هذه الدماء، وبفضل هذا الإصرار المستميت من هؤلاء الأوائل عليهم السلام[4] على أطروحتهم وعقيدتهم.

١- في (غ) و(هـ): ((الأبطال))، ولكنها تبدو في المحاضرة الصوتيّة: ((الأطفال)).
٢- من قبيل: المسيّب بن نجبة وسليمان بن صرد الخزاعي.
٣- على أساس ما نقل من اعتراض حجر وصاحبيه على الصلح، وقول حجر: ((أما والله! لوددت أنك متَّ في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نر هذا اليوم؛ فإنّا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبّوا)) مناقب آل أبي طالب ٣٥:٤؛ بحار الأنوار ٤٤: ٥٧؛ شرح نهج البلاغة ١٦: ١٥. ويفترض أن يكون حجرّ بنْ عدي قد عاد من مهمّته؛ حيث بعثه عليه السلام أي: ((يأمر العمّال والناس بالتهيّؤ للمسير)). فراجع: مقاتل الطالبيّين: ٦٩؛ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد٢: ١٠.
٤- عليهم السلام هنا واردة في المحاضرة الصوتيّة، مع رجوع الكلام إلى أصحاب الأئمّة عليهم السلام.

لو أنّ هذا الجزء الذي كان فيه استعدادٌ لأن يرجع إلى الاقتناع بنحوٍ أفضل، لو أنّ ذاك الجزء الأكثر ضآلةْ الذي كان لا يزال حتّى الفعل مقتنعاً إلى حد ما، لو أنّ هذه الأجزاء الصغيرة التي كانت إمّا مقتنعةً بالقوّة أو مقتنعة بالفعل بدرجاتٍ ضئيلةٍ، لو أنّ الإمام الحسن كان قد أهدر كلّ هذه الأجزاء، قد أعطى كلّ هذه الأجزاء، إذاً لكان بهذا يعطي كلّ إمكانيات استرجاع هذا الاقتناع للأمّة الإسلاميّة.

فكان لا بدّ للإمام الحسن - حفاظاً على قاعدة يمكن أن يرجع على أساسها الاقتناعُ بالأطروحة في يوم ما، ويمكن أن تسترجع اعتقادها الراسخ بأنّ خطّ عليٍّ هو خطّ الإسلام استرجاعاً يدفعها إلى بذل الدم، واسترخاص الروح في هذا السبيل - من أن يفكّر في الحفاظ على أجزاء وعلى قطّاعاتٍ من هذه القاعدة الشعبيّة. وهذا هو الذي كان يعبّر عنه بحقن الدماء، وكان يعبّر عنه بحفظ الشيعة، ونحو ذلك من التعابير[1].

بينما الإمام الحسين عليه السلام أخذ في معزلٍ، أخذ واستشهد معه صفوةٌ من خيرة خلق الله، إلّا أنّ هذه الصفوة لم تكن تستوعب كلّ القواعد الشعبيّة الواعية.

ولهذا عقيب شهادته (سلام الله عليه) بدأت ثورة التوّابين[2]، ثمّ بدأت الثورات تترى من قبل أناسٍ كان يتزعمهم عددٌ كبير من الشيعة الواعين والمؤمنين بأهداف الحسين[3] عليه السلام.

ملخّص القول:

ملخّص القول: أنّه كان لا بدّ للإمام الحسن أن يدرس موقفه على أساس

١- كقوله عليه السلام لحجر بن عدي في المصدر المتقدّم: ((وإنّي لم أفعل ما فعلت إلّا إبقاءً عليكم))، أو ما أورده السيّد المرتضى رحمه الله: ((وفي رواية: إنّما هادنت حقناً للدماء وصيانتها وإشفاقاً على نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي)) تنزيه الأنبياء: ١٦٩ مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٤.
٢- راجع أنساب الأشراف ٦: ٣٦٣؛ تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٧؛ الفتوح ٧: ١١٢؛ تجارب الأمم ٢: ١٠٧.
٣- من قبيل خروج محمّد بن إبراهيم طباطبا الذي سيتحدّث عنه (قدس سره) في المحاضرة الخامسة والعشرين.

هـذه الاعتبـارات الثلاثـة، وكان لا بـدّ أن لا يُدخـل في حسـابه أيَّ اعتبـارٍ آخـر

غير هذه الاعتبارات الثلاثة.

وقـد رأينـا أنّ هـذه الاعتبـارات الثلاثـة - بمجموعهـا ككلّ - تشـير إلى تعيـين الطريـق الثـاني، ولا يشـير شيءٌ منهـا إلى تعيـين الطريـق الأوّل. فـكان لا بـدّ مـن اختيـار الطريـق الثـاني بـدلاً عـن الطريـق الأوّل مهـما كان هـذا الطريـق قاسـياً وصعبـاً، ومهـما كان فيـه أقسـى ألـوان التحـدّي للنفـس البشريّـة الاعتياديّـة التـي لم تَعْتَـد منطـق الحـقّ وسـلوك الحـقّ في كلّ سـلوكها وتصوّراتهـا وأفكارهـا ومشـاعرها.

إلّا أنّ هـذا الشـابَّ العظيـم الـذي كان يمثّـل الـدور الحـقّ في كل آناتـه وخلجاته لم يـتردّد لحظـةً ولم يتأمّـل لحظـةً في أن يتحمّـل كلَّ هـذا الأذى وكلّ هـذا الضيـم في سـبيل أن يحقـق أقـصى درجـةٍ ممكنـةٍ مـن المكاسـب للاعتبـارات الثلاثـة، أو أن يبعدهـا عـن أقـصى درجـةٍ ممكنـة مـن الضرر.

وعـلى هـذا الأسـاس، تـمّ نـوعٌ مـن إيقـاف العمـل، جسّـده ذلـك الموقـف المشـؤوم في مسـجد الكوفـة؛ حينـما دخـل معاويـة بـن أبي سـفيان إلى مسـجد الإمـام عـلي (عليـه أفضـل الصـلاة والسـلام) وصعـد إلى هـذا المنـبر الـذي كان يجسّـد آمـال المسـلمين في حكـم الإسـلام، إلى هـذا المنـبر الـذي كان يعلـوه محمّـد ﷺ بوجـوده الثـاني، وهـو عـليّ عليه السلام.

صعـد عليـه معاويـة بـن أبي سـفيان ليسـتهين بمُثُـلِ هـذا المنـبر وكرامـة هـذا المنـبر، وليطعـن صريحـاً ومكشـوفاً مـن فـوق هـذا المنـبر في الشـخص الـذي كان يعيـش فـوق هـذا المنـبر كلَّ همـوم المسـلمين وكلَّ آلام المسـلمين، الـذي كان يعيـش مـن فـوق هـذا المنـبر كلَّ قضيّـةٍ مـن قضايـا الرسـالة، وكلَّ اعتبـارٍ مـن اعتباراتهـا، هـذا الشـخص صعـد إلى هـذا المنـبر ليقـول للنـاس بـكلّ وقاحـة وجـرأة وصراحـة:

((أنا حاربتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون))[1].

وكان من منطق هذه الجلسة أن يخطب كلا الطرفين، أن يخطب معاوية وأن يخطب الإمام الحسن؛ باعتبارهما الطرفين الملتقيين في هذا المسجد.

لكنْ بِمَ يخطب الإمام الحسن في مقابل هذا النوع من الاستهتار؟ في مقابل [ضياع] الآمال! في [مقابل][2] تهدّم كلّ ما كان يفترضه الإنسان المسلم من قِيَم ومُثُل واعتبارات!

ماذا يقول الإمام الحسن؟ وبِمَ يجيب على مثل هذا الاعتداء؟

الإمام الحسن عليه السلام حينما انتهى معاوية بن أبي سفيان من [خطبته] قام فقال: ((يا معاوية! أنت معاوية وأنا الحسن، وأنت ابن أبي سفيان وأنا ابن علي، وأنت حفيد حرب وأنا حفيد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنت ابن هند [وأنا ابن فاطمة، وأنت حفيدُ فلانة وأنا حفيد خديجة، اللهمّ فالعن ألأمنا حسباً))، فقال الناس: ((آمين))[3][4].

تقدم توثيقه، فراجع: مقاتل الطالبيين: ٧٧ (٢) ما بين عضادتين ساقط من المحاضرة الصوتية، وقد أثبتناه من (غ) و(هم). (٣) ما بين عضادتين ساقط من المحاضرة الصوتية، وقد أثبتناه من (غ) و(هـ). (٤).

١- تقدّم توثيقه، فراجع: مقاتل الطالبيّين: ٧٧.
٢- ما بين العضادتين ساقطٌ من المحاضرة الصوتيّة، وقد أثبتناه من (غ) ولكن (هـ).
٣- ما بين العضادتين ساقطٌ من المحاضرة الصوتيّة، وقد أثبتناه من (غ) ولكن (هـ).
٤- ((لمّا بويع معاوية خطب فذكر عليّاً فنال منه، ونال من الحسن، فقام الحسين ليردّ عليه فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثمّ قام فقال: أيّها الذاكر عليّاً! أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة وأمّك هند، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجدّك حرب، وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً والأمنا حسباً وشرّنا قدماً وأقدمنا كفراً ونفاقاً، فقال طوائف من أهل المسجد: آمين مقاتل الطالبيّين: ٧٨؛ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢: ١٥: نثر الدرر في المحاضرات ١: ٢٢٥؛ شرح نهج البلاغة ١٦:٤٧؛ التذكرة الحمدونيّة ٣: ٣٩٦. وفي مصادر متأخّرة: ((حكاية قيل: لمّا قدم معاوية المدينة...)) نفحة اليمن في ما يزول بذكره الشجن (الشيرواني، ت١٢٥٣هـ)٦٤: فلم تقع الحادثة ـ بناءً عليه ـ في الكوفة.

بين النبوّة والإمامة

قصيدة

د. أحمد الوائلي رحمه الله

قالها في الإمام الحسن الزكي عليه السلام

قصيدة للدكتور الشيخ أحمد الوائلي، قالها في الإمام الحسن الزكي٧ سنة ١٩٨٧م بدمشق:

[من الكامل]

بيـــنَ النُّبُـوَّةِ والإمامَـــــةِ مَعْقِـــدُ

يَنْمِيـهِ[١] حَيْـــــدَرةٌ ويُنْجِـبُ أَحْمَـدُ

يَـــزْدانُ بـالإِرْثِ الكَرِيـمِ فَعَزْمَـةٌ

مِـــنْ حَيْـدَرٍ ومِـنَ النُّبُـوَّةِ سُـؤددُ[٢]

والرَّافِـــدانِ[٣]: خَلائِـــــقٌ رَبَّيْتَهـا

وكَرائِـــمٌ أَغْنَـــاكَ مِنْهـا المَـحْتِـدُ

فَـإِذا سَـــمَا خُلُـقٌ وطابَـتْ دَوْحَـةٌ

فالمـرءُ بينَهمـا السَّـــــرِيُّ[٤] الأَوْحَـدُ

❖❖❖

يـا أَيُّهـا الحَسَـنُ الزَّكِـيُّ وأَنْـتَ مِـنْ

هـذِي المَـــصادِرِ للرَّوائِـعِ مَـوْرِدُ

١- يَنْمِيه: ينسبُهُ، ويعزوه. (انظر: لسان العرب ١٥: ٣٤٢ مادّة «نمي»).

٢- في الخصال: ٧٧/ ح ١٢٣ بسنده عن زوجة أبي رافع، قالت: قالت فاطمة٣: «يا رسول الله هذان ابناك فأنحلهما، فقال رسول الله ﷺ: أمّا الحسن فنحلته هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فنحلته سخائي وشجاعتي».

٣- أي: أنّ ما يرفد الإمام الحسن٧ هما خلائقه، ومحتده.

٤- السَّرِيُّ: السيّد الشريف السّخيّ. (المنجد: ٣٣٢ مادّة «سرا»).

أَأَبـا مُحَمَّـدَ أَيُّهـا الفَـرْخُ[1] الَّـذي

آواهُ مِـنْ حِجْـرِ النُّبُـوَّةِ مَقْعَـدُ

وشَـــــدَتْ لـهُ الزَّهْـراءُ تَمْـلأُ مَهْـدَهُ

نَغَمـــــــاً غَـداةَ تَهُـزُّهُ وتُهَدْهِـدُ[2]

ورَعَتْـــــــهُ بالـزَّادِ الكَرِيـمِ عِنايَـةً

للـهِ تُغْـدِقُ بالكَرِيـــــــمِ[3] وتَرْفِـدُ

عَيْنـاهُ تَسْـتَجْلي مَلامِـحَ أَحْمَـدٍ

وبِسَـمْعِهِ الوَحْـــــيُ المُـبِينُ يُـرَدَّدُ

ويَرُبُّـهُ المِحْـــــرابُ وَهْـوَ مُطَـوِّقٌ

عُنُـقَ النَّبِـيِّ غَـداةَ فيـهِ يَسْـجُدُ[4]

وتَشُـــــــدُّ عَزْمَتَـهُ مَلاحِـمُ للوَغَـى

حُمْـرٌ، أَبُـوهُ بِهـا الهِزَبْـرُ المُـلْبِـدُ[5]

١- الفَـرْخُ: ولـد الطائـر، ثـم اسـتعمل في كلّ صغيـر. وفي حديـث لأمـير المؤمنـين ﷺ: «وكأنّي بالحسـين نجـلي وفرخـي ومضغتـي ومخـي قـد غـرق فيـه» [أي: في الـدم]. (انظـر: كـمال الديـن: ٥٣٣/ ح ١).

٢- هَدْهَدَ الصَّبيَّ في مهده: حرَّكه لينام. (تاج العروس ٥: ٣٣٣ مادّة «هدد»).

٣- تُغْـدِقُ: تُمْطِـرُ. (انظـر: لسـان العـرب ١٠: ٢٨٢ مـادّة «غـدق»). وبالكريـم: أي بالـزاد الكريـم، ولـو قـال: بالحَنـان، لَـكان أروع وأجمـل.

٤- في نظـم درر السـمطين: ١٩٩ عـن عبـد الله بـن الزبـير، قـال: رأيتـه [يعنـي الحسـن ﷺ] يجـيء وهـو [أي: النبـي ﷺ] سـاجد، فيركـب رقبتـه - أو قـال: ظهـره - فـما ينزلـه حتّـى يكـون هـو الـذي ينـزل. (وانظـره في تاريـخ دمشـق ١٣: ١٧٦ و١٧٧ و١٧٨).

٥- الـمُلْبِدُ: الأسد صاحب اللُّبْدَة التي بين كتفيه. (انظر: لسان العرب ٣: ٣٨٧ مادّة «لبد»).

زَهَـتِ النُّجُـومُ عَلَـى سَـماكَ[1] وليْـسَ في
أُفُـقٍ نُمِيـتَ إِلَيْـهِ إِلَّا فَرْقَـدُ

❖❖❖

مـا أَقْبَـحَ التَّارِيـخَ حِيـنَ يُلِـحُّ فـي
كِـذْبٍ عَلَيْـكَ، وذُو المَـناقِبِ يُحْسَـدُ[2]
أَسْـماكَ مِزْواجـاً وهَـذِي فِرْيَـةٌ[3]
ورَوَى بأَنَّـكَ خائِـفٌ مُتَلَـدِّدُ[4]
مـاذا؟! أَأَنْـتَ تَخـافُ والجَـدُّ الَّـذِي
يَنْمِيـكَ والأَبُ شُـعْلَةٌ تَتَوَقَّـدُ؟!
ولكَ المـواقِفُ والمَـشاهِدُ واحِـدٌ
يَـرْوِي وآخَـرُ بالبُطُولَـةِ يَشْـهَدُ
فَبِإِصْبَهـانَ ويَـوْمِ قُسْـطَنْطِينَةٍ[5]

١ - سماك: مخففة «سمائك».
٢ - أبدع في هذا المعنى علاء الدين الشفهيني، حيث قال مخاطباً أمير المؤمنين ﷺ:
إن يحسدوك على عُلاكَ فإنَّما مُتَسافِلُ الدَّرجات يحسدُ من علا
٣ - في البداية والنهاية ٨:٤٢ زَعَمَ أنّ أمير المؤمنين٧ كان يقول لأهل الكوفة: «لا تزوِّجوه فإنّه مطلاق». وفي سير أعلام النبلاء ٣:٢٥٣ قال: وكان منكاحاً مطلاقاً، تزوَّج نحواً من سبعين امرأةً!!
٤ - مُتَلَدِّد: مُتَحَيِّر يتلفت يميناً وشمالاً. (انظر: لسان العرب ٣: ٣٩٠ مادّة «لدد»).
٥ - قُسْطَنْطِينيةُ بتشديد الياء أو تخفيفها، وقُسْطَنْطِينةُ بإسقاط الياء: وهي اصطنبول، وكانت دار مُلك الروم، افتتحت سنة ٥٦ هـ. (انظر: معجم البلدان ٤:٣٤٧، تاج العروس ١٠:٣٨١).

ماضِـي شَـباكَ لـهُ حَدِيـثٌ مُسْـنَدُ

والنَّهْـــرَوانُ وأَرضُ صِفِّيـنٍ بِهـا

أَصْـداءُ سَـــيْفِكَ مـا تَـزالُ تُعَرْبِـدُ

وأَبُـوكَ حَيْـدَرُ والحَيـادِرُ[1] نَسْـلُها

مِـــنْ سِـنْخِها وابـنُ الحُسـامِ مُهَنَّـدُ

❖❖❖

وعَـذَرْتُ فِيـكَ المُـرْجِفِينَ[2] لأَنَّهُـمْ

وُتِـرُوا وذُو الوِتْـرِ[3] المُـدَمَّى يَحْقِـدُ

قالُـوا: تَنـازَلَ لِابْـنِ هِنْـدٍ[4]، والهَـوَى

يُعْمِـي عَـنِ القَـوْلِ الصَّـوابِ ويُبْعِـدُ

مـا أَهْـوَنَ الدُّنْيـا لَدَيْـكَ وأَنْـتَ مِـنْ

وَكْـفِ[5] السَّـحابَةِ فـي عطـاءٍ أَجْـوَدُ

١- الحَيْدَر والحَيْدَرَة: الأَسدُ، والجمع حيادر. (انظر: تاج العروس ٦: ٢٥٣ مادّة «حدر»).

٢- المُـرْجِفون: الذين يولّدون الأخبار الكاذبة. (لسان العرب ٩: ١١٣ مادّة «رجف»). ومنه قوله تعالى في الآية ٦٠ من سورة الأحزاب: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾.

٣- ووُتِرَ فهو موتور، وهو الذي قُتِل له قتيل فلم يدرك بدمه. (انظر: مجمع البحرين ٣: ٥٠٨ مادّة «وتر»). والوِتْر والوَتْر: الانتقام. (المنجد: ٨٨٥ مادّة «وتر»).

٤- مع أنّ الإمام٧ لم يتنازل، وإنّما صالح بشروط، كلّها نفع الإسلام والمسلمين، كما صالح النبي المشركين في صلح الحديبية.

٥- وَكَفَ الماءُ وَكْفاً: سال، وسحابٌ وَكُوف: إذا كانت تسيل قليلاً قليلاً. ووَكْفُ السحابة بمعنى سيل السحابة.

والحُكْـمُ لَـوْلا أَنْ تُقِيـمَ عدالَـةً
أَنْكَـى لَدَيْـكَ مِـنَ الذُّعـافِ وأَنْكَـدُ[1]

ويَهُـونُ «كُرْسِـيٌّ» لِمَـنْ أَقْدامُـهُ
تَرْقَـى علـى صَـدْرِ النَّبِـيِّ وتَصْعَـدُ[2]

أَوَ يَبْتَغِـي مِنْـهُ[3] السِّـيادةَ مَـنْ لَـهُ
شَـهِدَ النَّبِـيُّ وقـالَ: إِنَّـكَ سَـيِّدُ[4]

قَـدْ قادَنـا للصِّـدْقِ فيـهِ مُحَمَّـدٌ
ومُذَمَّـمٌ مَـنْ لَـمْ يَقُـدْهُ مُحَمَّـدُ

(انظر: لسان العرب ٩: ٣٦٢ مادّة «وكف»).

١- الذُّعاف: السُّمّ القاتِل من ساعته. (انظر: لسان العرب ٩: ١٠٩ مادّة «ذعف»). والإمام الحسن ﷺ وكلُّ الأئمة: لا تسوى عندهم الدنيا شيئاً دون إقامة الحقّ ودفع الباطل، قال ابن عباس: دخلتُ على أمير المؤمنين٧ بذي قار، وهو يخصف نعله، فقال لي: «ما قيمة هذه النعل؟» فقلت: لا قيمة لها، فقال ﷺ: «والله لهي أحبُّ إليَّ من إمرتكم إلَّا أن أقيم حقّاً أو أدفع باطلاً». (انظر: نهج البلاغة ١: ٨٠/ خ ٣٣).

٢- المراد من الكرسي هنا كرسيّ الحُكْم. وفي المعجم الكبير ٣: ٤٢/ ح ٢٦٢٧ بسنده عن أنس بن مالك، قال: بينا رسول الله ﷺ راقد في بعض بيوته على قفاه إذ جاء الحسن يدرج حتّى قَعَدَ على صدر النبي ﷺ ... إلخ.

وفي علل الشرائع ١: ١٨٨/ ح ٢ بسنده عن الإمام الصادق٧، وفيه قول أمير المؤمنين٧ للشيخين: «تعلمان، ويعلم أهل المدينة أنّ الحسن كان يسعى إلى النبي ﷺ، ويركب على رقبته، ويُدلي الحسن رجليه على صدر النبي٩» ... إلخ.

٣- الضمير يعود للكرسيّ.

٤- في مسند أحمد ٥: ٤٤ بسنده عن أبي بكرة، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس، وكان الحسن بن علي يَثِبُ على ظهره إذا سجد، ففعل ذلك غير مرّة، فقالوا له: والله إنّك لتفعل بهذا شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد، فذكَرَ ﷺ شيئاً ثمّ قال: «إنّ ابني هذا سَيِّد، سيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين».

يـا مَـنْ تَمُـرُّ بِـهِ النُّجُـومُ وطَرْفُـهُ

نَحْـوَ السَّـماءِ مُصَـوِّبٌ ومُصَعِّـدُ[1]

تَتَناغَـمُ الأَسْـحارُ مِـنْ تَرْدِيـدِهِ:

إِيَّـاكَ رَبِّـي أَسْتَعِيـنُ وأَعْبُـدُ[2]

يَتْلُـو الكِتـابَ فَيَنْتَشِـي مِـنْ وَعْـدِهِ

ويَهُـزُّهُ وَقْـعُ الوَعِيـدِ فيُرْعَـدُ

رُوحٌ[3] بآفـاقِ السَّمـاءِ مُحَلِّـقٌ

وَيَـدٌ بِدَيْـنِ المُـعْوِزِينَ[4] تُسَـدِّدُ

وسَماحَـةٌ وَسِـعَتْ بِنُبْـلِ جُذُورِهـا

حَتَّـى لِمَـرْوانٍ ومـا يَتَوَلَّـدُ[5]

خُلْـقُ النُّجُـومِ بِدِفْئِهـا وشُعاعِهـا

حَتَّـى لمُـنْتِنَةِ الحَضِيـضِ تُـزَوِّدُ[6]

١- المُصَوِّب: الذي ينظر إلى أسفل الشيء. والمصعِّد: الذي ينظر إلى أعلى الشيء. (انظر: الطراز الأوّل ٦: ٣٣ مادّة «صعد»).

٢- أي: من ترديده تلاوة القرآن والصلاة.

٣- الرَّوح مُذَكَّر، وقال الجوهري: يُذَكَّرُ ويُؤَنَّث، وكأنَّ التأنيث على معنى النفس. (انظر: المصباح المنير: ٢٤٥ مادّة «روح»).

٤- أَعْوَزَ الرَّجُلُ: احتاجَ وساءَت حالُهُ. (انظر: تاج العروس ٨: ١٢٤ مادّة «عوز»).

٥- منها استشفاع الحسنين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام وتكليمهما إيّاه ليخلّي سبيله بعد أن وقع أسيراً في معركة الجمل. (انظر: نهج البلاغة ١: ١٢٣/ خ ٧٣).

وعن جويرية بن أسماء، قال: لمّا مات الحسن عليه السلام، وأخرجوا جنازته حَمَلَ مروانُ سريره، فقال له الحسين عليه السلام: «أتحمل سريره؟! أما والله لقد كنت تجرّعه الغيظ؟!» فقال مروان: إنّي كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمُهُ الجبالَ.

٦- أي: تزوِّدها بالدِّفْءِ والشُّعاع.

❖❖❖

أَنْحَى عليكَ النَّاكِثُونَ بغَدْرِهِمْ

والقاسِطُونَ المَارِقُونَ تَمَرَّدُوا[1]

فَلَدَى المدائنِ شاهِدٌ مِنْ غَدْرِهِمْ

نَكَصُوا وأَنْتَ إلى الملاحِمِ تَنْهَدُ

طَعَنُوكَ وانْتَهَبُوا خِباءَكَ[2] والَّذِي

رَضَعَ الخِيانَةَ لا تَعِفُّ لهُ يَدُ

وتَعَهَّدُوا بكَ لابْنِ هِنْدٍ مُثْخَناً[3]

تَعِسَتْ مُعاهَدَةٌ وضَلَّ تَعَهُّدُ

أَوَ مِثْلُ هؤلاءِ تَنْهَضُ فِيهِمُ

والغَدْرُ في تاريخِهِمْ مُتَجَسِّدُ؟!

فَرَجَعْتَ تَمْسَحُ من جِراحِكَ والأَسَى

يَجْتَثُّ نابِتَةَ الشُّمُوخِ ويَخْضِدُ[4]

١- الناكثون: الذين ينقضون عهودهم. (انظر: الطراز الأوّل ٣: ٤٥٠ مادّة «نكث»). والقاسطون: الظَّالِمُونَ العادلون عن الحقّ. (انظر: مختار الصحاح: ٣٥ مادّة «قسط»). والمارقون: الخارجونَ عن الدِّين. (انظر: مختار الصحاح: ٢١٩ مادّة «مرق»).

٢- إشارة إلى الجراح بن سنان - أو سنان بن الجراح - الذي طعن الإمام الحسن ﷺ بمغول في مظلم ساباط.

٣- في مناقب آل أبي طالب ٣:١٩٥: وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة في السّرّ، واستحثّوه على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دُنُوِّه من عسكره.

٤- خَضَدَ العُودَ: كَسَرَهُ. (القاموس المحيط ١: ٢٩١ مادّة «خضد»).

❖❖❖

وجَرَعْـتَ أَشْـجانَ ابْـنِ هِنْـدَ ولُؤْمَـهُ

كالليْـثِ إِذْ يَنْقـادُ وَهْـوَ مُقَيَّـدُ

أَزْجَـى[1] إِلَيْـكَ السُّـمَّ وَهْـوَ سِـلاحَهُ

ويَـدُ الجَبـانِ بِغِيلَـةٍ تَسْتَأْسِـدُ

فَتَقَطَّعَـــــتْ أَحْشـاكَ وانْطَفَـأَ السَّـنا

وذَوَتْ شِـــفاهٌ بالكِتـــابِ تُغَـرِّدُ

واسْـتَوْحَشَ[2] المِحْـرابُ حِبْـراً طالَمـا

أَلْفـاهُ فـــــي كَبِـدِ الدُّجـى يَتَهَجَّـدُ

❖❖❖

يـا تُـرْبَ طَيْبَـــةَ يـا أَرِيـجَ[3] مُحَمَّـدٍ

يـــا قُـدْسُ عَطَّـــرَهُ البَقِيـعُ الغَرْقَـدُ

أَفْـدِي صَعِيـدَكَ بالجِنـانِ وكَيْـــفَ لا

وبَنُـــو عَلِـيٍّ فـي صَعِيـدِكَ رُقَّـدُ؟!

١- أَزْجَى: أَرْسَل. (انظر: لسان العرب ١٤: ٣٥٥ مادّة «زجا»). وقال: «وهو سلاحه»، لأنّ معاوية كان يتخلّص من خصومه بدسّ السّمّ إليهم، مثل مالك الأشتر، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرحمان بن خالد بن الوليد.

٢- ضَمَّنَ استوحشَ معنى فَقَدَ.

٣- الأَريج: فَوْحُ الرائحة الطيّبة وانتشارها. (انظر: تاج العروس ٣: ٢٨٦ مادّة «أرج»).

حَسَـنٌ وزَيْـنُ العابِدِيـنَ وباقِـرٌ

والصَّـادِقُ البَحْـرُ الخِضَـمُّ المُـزْبِدُ

أُولاءِ هُـمْ عِـدْلُ الكِتـابِ[1] ومَـنْ بِهِـمْ

نَهْـجُ النَّبِـيِّ وشَـرْعُهُ يَتَجَـدَّدُ

وَهُـمُ ذَوُو قُرْبَـى النَّبِـيِّ فوَيْـلُ مَـنْ

قَتَلُـوا بِقَتْلِهِـمُ النَّبِـيَّ وأَلْحَـدُوا[2]

وأَبَـوا عَلَيْهِـمْ أَنْ يُشَـيَّدَ مَرْقَـدٌ

لَهُـمُ وَشُـيِّدَ للتَّوافِـهِ مَرْقَـدُ

مَهْـلاً فَمـا مَـدْحُ اللبـابِ بِقِشْـرِهِ

والسَّـيْفُ يَبْنِـي المَـجْـدَ وَهْـوَ مُجَـرَّدُ[3]

لا بُـدَّ مِـنْ يَـوْمٍ عَلـى أَجْسـامِهِمْ

١- لقول النبي ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وهو حديث متواتر، فهم عِدْل كتاب الله عزّ وجل.

٢- في بشارة المصطفى: ٤٠/ ح ٢٦ بسنده عن ابن عباس، قال: صعد رسول الله ﷺ فخطب، واجتمع الناس إليه، فقال: «يا معشر المؤمنين، إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إِلَيَّ أَنِّي مقبوض، وأنَّ ابن عمِّي عليّاً مقتول .. أيّها الناس، اسمعوا قولي، واعرفوا حقّ نصيحتي، ولا تخالفوني في أهل بيتي .. فمن آذاهم فقد آذاني، ومن ظلمهم فقد ظلمني، ومن أذلّهم فقد أذلّني».

٣- في هذا المعنى قول الجواهري:

ولا شكاة أيشكو السيف منجرداً ... لا يُخلق السيف إلّا وهو مُنْجَرِدُ

كَمِثـالِ أَهْـلِ الكَهْـفِ يُبْنَـى مَسْـجِدُ[1]

حَيَّتْـــــكَ يـا رَوْضَ البَقِيـعِ مَشـاعِرٌ

قَبْـــلَ الجِبـاهِ عَلَـى تُرابِـكَ تَسْـجُدُ

ورَوَتْ ثَـــــــراكَ عَواطِـفٌ جَيَّاشَـةٌ

وسَـقَتْ رُبـاكَ مَدامِـعٌ لا تَبْـرُدُ[2]

١ - إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٢١ من سورة الكهف: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾.

٢ - ديوانه: ٩٣ ـ ٩٦، بعنوان «الإمام الحسن عليه السلام»، وكانت القصيدة قد ذكر بعضها أيضاً في ديوانه: ٦١ ـ ٦٢ بعنوان «بين النبوّة والإمامة»، فاخترنا العنوان الثاني.